سلسلة كتب السنة والاعتقاد (١٥)

نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد

فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد

تصنيف

الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي

(٢٨٠ هـ) رحمه الله

تحقيق وتعليق

أبي عبد الله عادل بن عبد الله آل حمدان

عفا الله عنه

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد
على المريسي الجهمي العنيد
فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد

رقم الإيداع : ٢٦٩٢٩ - ٢٠٢٣

ردمك : ٤ - ٧١٦ - ٩٩٧ - ٩٧٧ - ٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

9789779977164

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 -0502357979

سلسلة كتب السنة والاعتقاد (١٥)

نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد

فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد

تصنيف
الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي
(٢٨٠ هـ) رحمه الله

تحقيق وتعليق
أبي عبد الله عادل بن عبد الله آل حمدان
عفا الله عنه

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة كتاب «النقض»

إن الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونَعوذُ بالله من شُرورِ أنفُسِنا ومن سَيئاتِ أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أمَّا بعد،

فهذا (الكتاب الثاني) للإمام عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الردِّ علىٰ بعض رؤوس الجهيمة وأئمَّتهم، وكَشْفِ تلبيسهم وشُبههم التي أوردوها في تأويل وتحريف النصوص عن ظاهرها، سمَّاه: «النقض علىٰ بشر المَريسي العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ مِن التوحيد».

وقد كان الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقف علىٰ كتابٍ مِن كُتُبهم يعترِضُ فيه صاحبه علىٰ كتابه الأول الذي صنَّفه في «الرد علىٰ الجهمية»، ويَحتجُّ فيه بأئمَّة المُعطِّلة كبشر المريسي، وابن الثلجي، وغيرهما مِمَّن لم يُسمِّهم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فقد عارضَ مذاهبَنا في الإنكارِ علىٰ الجهميةِ ممَّن بين

ظهرَيكم مُعارضٌ ... يَنقُضُ ما رَوينا فيهم عن رسولِ الله ﷺ، وعلىٰ أصحابِه).

وقد وصفَ الإمامُ الدارميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكتابَ وصاحِبَه.

فأما موضوع الكتاب: تأويل الصفات وتحريفها عن معانيها اللائقة بالله تعالىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اعلموا أني لم أرَ كتابًا قطُّ أجمعَ لحُجَجِ الجهميةِ مِن هذا الكتاب .. ولا أنقضَ لعُرىٰ الإسلامِ منه).

وبيَّن منهج المُعارض في كتابه فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثم أجملَ المُعارضُ جميعَ ما يُنكِرُ الجهميةُ مِن صِفاتِ الله وذاته المُسمَّاة في كتابِه، وفي آثارِ رسولِ اللهِ ﷺ، فعدَّ منها بِضعًا وثلاثينَ صِفةً، نَسَقًا واحِدًا، يَحكمُ عليها، ويُفسِّرُها بما حكمَ المَرِيسيُّ وفسَّرَها وتأوَّلَها حرفًا حرفًا ... فبدأَ منها: بالوجهِ، ثم بالسَّمعِ والبصرِ، والغضبِ والرِّضا، والحُبِّ والبُغضِ، والفَرحِ والكُرهِ، والضَّحِكِ، والعَجَبِ، والسَّخَطِ، والإرادةِ، والمَشيئةِ، والأصابعِ، والكفِّ، والقدمينِ).اهـ

وذكرَ أن المُعارِضَ قسَّمه إلىٰ قسمين:

القسم الأول: ابتدأ فيه المُعارض بذكرِ حُجَجِ المريسي.

قال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أنشأ هذا المُعارض يحكي في كتابٍ له عن المَرِيسيِّ مِن أنواعِ الضَّلالِ، وشَنع المَقالِ، والحُججِ المُحالِ ...).

والقسم الثاني: ذكرَ فيه حُجج ابن الثلجي الحنفي الجهمي.

قال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثم ادَّعىٰ المُعارضُ: أنه انتهىٰ إلىٰ هاهنا السَّماعُ

مِن بشرٍ، قال: ثم ابتدأنا بعونِ الله في حِكاياتِ ابنِ الثلجي.

فيُقالُ لهذا المُعارضِ المُعجبِ بضلالاتِ هذين الضالينِ: فَرَغتَ مِن كلامِ بشرٍ بسخطِ الرحمنِ، وابتدأتَ في كلامِ ابنِ الثلجي بعونِ الشيطان، ومَثَلُ فراغِكَ مِن كلامِ بشرٍ، وشُرُوعِك في كلامِ ابنِ الثلجيِّ؛ كمثلِ: المُستجيرِ مِن الرَّمضاءِ بالنارِ، فرغتَ مِن احتجاجِ كافرٍ إلىٰ احتجاجِ جهميٍّ خاسِرٍ، فعلىٰ أيِّ جَنبيكَ وقعت منهما لم تَنجبِر، وبأَيِّهما استعنتَ لم تَظفَر، وبأَيِّهما اسَتنصرتَ لم تُنصَر). اهـ

ونقلَ المُعارض في الكتابِ عن غيرهما، ولكنه لم يُسمِّهم !

فقال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فعمَّن تَروي هذه الضلالات، وإلىٰ مَن تُسنِدُها؟ فصرِّح بهم كما صرَّحتَ ببشرٍ المريسيِّ وابنِ الثلجيِّ، وما نراك صرَّحت ببشرٍ وابن الثلجي وكنَّيتَ عن هؤلاءِ المُفسِّرين إلَّا وإنهم أسوأ منزلةً عند أهل الإسلامِ، وأشدّ ظِنَّةً في الدِّين منهما). اهـ

وكان الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينقل مِن هذا الكتاب باللفظ والمعنىٰ، قال: (وسنُعَبِّرُ لكم عنه مِن نفسِ كلامِه ما يَحكمُ عليه بالجُحودِ).

وأمَّا صاحب الكتاب، فقد ذكر الإمام أنه كان يُشار إليه بالعلم.

فقال: (ولولا أنه يُشيرُ إليك بعضُ الناسِ ببعضِ النُّصرةِ في العلمِ، ما اشتغلنا بالردِّ علىٰ مثلِكَ ..).

وكان هذا المُعارض قد التقىٰ ببشرٍ المريسي، وسَمِعَ منه، وسأله، ومِن ذلك قوله: (سألتُ بشرَ بن غياثٍ، عن التقليدِ في العلم).

وأمَّا ابنُ الثلجي فلم يسمع منه، وإنما أخذ عنه بواسطة، كما قال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فروىٰ عن هذا الثلجيِّ مِن غيرِ سماعٍ منه).

وقال: (وأمَّا ما رويت عن ابن الثلجيِّ - مِن غيرِ سماعٍ منه - ..).

وبَيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان في الأحكام علىٰ مذهب أهل الرأي الأحناف، قال: (فبُؤسًا لك ولأصحابك الذين قلَّدتُم دِينكم أبا حنيفةَ، وأبا يوسفَ، ومحمدَ ابن الحسن في أكثرِ ما تُفتون ممَّا لا تقعون مِن أكثرِهِ علىٰ كتابٍ ولا سُنةٍ).

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا ما يصفه بأنه صاحب مكرٍ وتلبيسٍ وتدليس وأنه لم يُظهر مُعتقده صراحة، فقال: (غيرَ أني أظنُّه اضطمر [أي: أخفىٰ] هذا الرأيَ قديمًا، وكان يَجيشُ في صدرِه، ولا يُمكِنُه كظمُه، حتىٰ هَمَّ بإظهارِهِ فيما بلغني مرَّةً، فأنكرَها عليه عُلماؤُها وفُقهاؤُها واستَتابوه منها فتابَ، وعاهدَهم أن لا يَعودَ في شيءٍ منه، ثم عِيلَ صبرُه بعدَ وفاةِ هؤلاءِ العلماءِ، حتىٰ عرَّفَ بما في صدرِه فافتُضحَ، وفَضَحَ أئِمَّتَه).

وقال: (فلم يزل يَعيبُ عن هذا القولِ، ويُلجلجُ به في صَدرِه حتىٰ صَرَّحَ به، وهو يرىٰ أنه ليس معه بالبلادِ مَن يَفطنُ لمذهبِهِ).

واستدلَّ المُعارض في كتابه هذا علىٰ إبطال نصوص الصفات وصرفها عن ظاهرها بالروايات المنكرة، والمعقولات الفاسدة، فبيَّن الإمام منهجه فيهما، فقال:

(أمَّا (الرِّواياتُ) فما نَراك تَحتجُّ في جميعِ ما تدَّعي إلَّا بكلِّ أعرجَ مكسورٍ، بالتجهُّمِ مشهورٍ، وفي أهلِ السُّنةِ مغمورٍ.

وأمَّا (المَعقولُ) الذي تدَّعيهِ مِن كلامِكَ: فقد أنبأناك أنه عند العربِ مجهولٌ، وعند العلماءِ غيرُ مقبولٍ، لا يخفىٰ تناقُضُه إلَّا علىٰ كلِّ جهولٍ).اهـ

فهذا الكتاب وصاحبه المردود عليه.

وقد بيَّن الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أهل العلم كانوا يكرهون الخوض في هذه المسائل، ويعيبون مَن تَكلَّم فيها، ويرون السلامة ترك التعرُّض لها، ولكن لما تكلَّم أهل البدع فيها، وألَّفوا ونشروا مذاهبهم لم يسع أهل السنة السكوت أمام هذا الضلال والكفر البيِّن.

قال الدارمي: (ولولا أنك بدأتنا بالخوضِ فيه وفي إذاعةِ كلام بشرٍ المريسي المُلحدِ في توحيدِ الله تعالىٰ، المُعطِّلِ لصفاتِ الله، المُفتري علىٰ الله؛ لم نَعْرِض لشيءٍ مِن هذا وما أشبَهه؛ لأنه لا يَحِلُّ لمسلمٍ عنده شيء مِن بيانٍ أو بُرهانٍ، يكون ببلدةٍ يَنتشِرُ فيها كلامُ المريسيِّ في التوحيدِ ثم لا يَنقُضُه).

وقال: (ولو لم يُذِعْ هذا المُعارِضُ هذا الكلامَ، ولم يَنشُره في الناسِ؛ لم نتعرَّض لمُناقضته وإدخالٍ عليه، مع أنا لم نقصِد بالنقضِ إليه؛ ولكن إلىٰ ضُعفاء من بين ظهريه الذين لا عِلمَ لهم بهذا المذهبِ، سمعوا به منه، ولم يَسمعوا ضِدَّ كلامِهِ مِن كلامِ أهلِ السُّنةِ واحتجاجِهِم، فيَضلُّون به، إذ لا يَهتدون بضدِّه وما يَنقُضُه عليه.

أوَطَمِعتُم مَعشرَ (الجهميةِ) و(الواقفةِ) أن تَنصِبُوا الكفرَ للناسِ إمامًا تدعونَهم إليه، ويَسكت أهل السُّنةِ عن الإنكارِ عليكم، حتىٰ يتروَّجَ علىٰ الناسِ ضَلالُكم ..؟).

وقال: (ولو وسعني لافتديتُ مِن الجوابِ فيه بمُحالٍ ... ولا آمنُ علىٰ مَن أحدث هذا بين ظهريهم، فأغضوا له عنه، ولم يُنكروه عليه بجدٍّ أن يُصيبَهم الله بعقابٍ مِن عنده أو مَسخٍ، أو خسفٍ، أو خذفٍ..).

فردّ المُصنِّف علىٰ تلك الشُّبه، وكشف عن زيغهم وضلالاتهم، وقمع باطلهم بالكتاب والسُّنة وآثار سلف الأُمَّة، وبالحُجج العقلية الصحيحة البعيدة عن علمِ الكلام المُحدث.

واشتمل كتاب «النقض» علىٰ الأبواب التالية:

١ - باب الإيمان بأسماء الله تعالىٰ وأنها غير مخلوقة.

٢- باب.

٣- باب النزول.

٤- باب الحدّ والعرش.

٥- باب ما جاء في العرش.

٦- باب الحثّ علىٰ طلبِ الحديث، والرد علىٰ من زعم أنه لم يُكتب علىٰ عهد النبيِّ ﷺ الحديث، والذبِّ عن أصحابِ النبيِّ ﷺ وأصحابِ الحديثِ وأهلِ السُّنةِ وفضلِهم علىٰ غيرِهِم.

٧- باب إثبات الضَّحك(١).

---

(١) هذه الأبواب فقط التي عقدها المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه هذا، وما وُجد من العناوين في بعض طبعاته فهو من صنيع بعض المُحقِّقين، وقد وضعوها بين المعقوفتين، وأشاروا إلىٰ ذلك.

والمسلك الذي سلكه الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الأبواب وغيرها من مسائل الكتاب مسلك أئمَّة السنة قبله من الاحتجاج بالكتاب والسنة وآثار مَن تقدَّم مِن الصحابة والتابعين وأئمَّة الهدىٰ، واحتجَّ كذلك بحُجج عقلية موافقة للنصوص، ولم يخض معهم في أغلوطاتهم ولا في كلامهم الباطل الذي لبّسوا به علىٰ العامَّة.

وقال: (فلا يُقبلُ منك هذا التفسيرُ إلَّا بأثرٍ صحيحٍ مَأثورٍ عن رسول الله ﷺ، أو عن بعضِ أصحابِه، أو التابعين).

- وقال: (إن كنتم مُحقِّينَ في تأويلكم هذا، وما ادَّعيتم مِن باطلِكم، - ولستُم كذلك -، فأتوا بحديثٍ يُقوِّي مذهبَكم فيه عن رسولِ اللهِ ﷺ، أو بتفسيرٍ تأثُرونه صحيحًا عن أحدٍ من الصحابةِ، أو التابعين كما أتيناكم به عنهم نحن لمذهبنا).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بيننا وبينكم فيه النظرُ بما يدلُّ عليه الكتابُ، والسُّنةُ، وتحتملُ العقول). اهـ

وممَّا يحسُن أن يُنبَّه عليه هاهنا: أن المُصنِّف كثيرًا ما كان يُكرِّر الكلامَ في مسألةٍ مِن المسائل في مواطن مُختلفة مِن كتابه، فتجد الكلام علىٰ مسألة خلق القرآن مثلًا في أوَّلِ الكتاب، وفي وَسَطِه، وآخره، وكذا مسألة الرُّؤية، والنزول، وغيرها مِن الصفات، فليست مباحث الكتاب مجموعة في موطنٍ واحدٍ، وتحتَ بابٍ واحد، كما قال: (وقد أكثرنا النقضَ عليك وعلىٰ إمامِكَ المريسيِّ والثلجيِّ في تفسير (اليد) في صدر كتابِنا هذا، غير أنك أعدته في آخرِ الكتابِ فأعدناها). اهـ

وسلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسلك الاختصار في هذا النقض، فقال: (ولو استقصينا عليك في الاحتجاجِ، لطالَ به الكتاب، غير أنَّا أحببنا أن نُفَسِّرَ منها قليلًا يدلُّ علىٰ كثيرٍ).

وما أورده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن الأخبار والروايات فقد بيَّنتُ ذلك في مقدمة الكتابين، وعقدت كذلك مبحثًا خاصًّا في بيان إمامته في علم الحديث وعُلو كعبه فيه.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعِلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه:

أبو عبد الله

عادل بن عبد الله آل حمدان

عفا الله عنه

المردود عليهم

١- بشر بن غياث المريسي (٢١٨هـ).

إمام مِن أئمَّة الجهمية المشهورين الكبار، دعا إلىٰ مذهب الجهمية وكان سببًا في نشره في أمَّة محمد ﷺ، وقد نقل المنِّصف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إجماع أهل السُّنة في عصره علىٰ الحُكم عليه بالكُفر والزندقة، فقال: (إن الكلمة قد اجتمعت مِن عامَّةِ الفقهاءِ في كفرِه، وهتوكِ سِترِهِ، وافتِضاحِه في مصرِه، وفي سائرِ الأمصارِ الذين سَمِعوا بذكرِه).

وذكر ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٥٦٣) أسماء أئمَّة الإسلام الذين صَرَّحوا بكُفر المريسي.

- قال يحيىٰ بن أبي طالب: كنا عند عمر بن يحيىٰ الواسطي ابن أخي علي بن عاصم، فتذاكرنا مَن قال: القرآن مخلوق، فقال: حدثني يحيىٰ بن عاصم، قال: كنت عند أبي، فاستأذن عليه بشر المريسي، فقلت له: يا أبتِ، مثل هذا يدخل عليك ؟!

قال: يا بُنيَّ ماله ؟!

قلتُ: إنه يقول: القرآن مخلوق، وإنَّ اللهَ معه في الأرضِ، وإن الشفاعة باطلة، وإن الصراط باطلٌ، وإن الميزان باطلٌ، وإنَّ منكرًا باطلٌ، مع كلامٍ كثير.

قال: ويحك ! أدخِله عليَّ.

قال: فأدخلته، فجعل يقول: ويلكَ يا بشرٌ، ادْنُه، فما زالَ يُدنيه حتىٰ قرُبَ منه، ثم قال: ويلك يا بشر، ما هذا الكلام الذي بلغني عنك ؟!

قال: وما هو يا أبا الحسن ؟

قال: بلغني أنك تقول: القرآن مخلوق، وأنَّ الله في الأرض معك، مع كلامٍ كثير، فقال: ويلك ! مَن تعبدُ ؟! وأين ربُّك ؟!

قال: يا أبا الحسن، لم أجئ لهذا، إنما جئتُ لتقرأ عليَّ كتاب خالد.

قال: فقال: لا، ولا نعمة عينٍ، ولا عزازة حتىٰ أعلمَ ما أنت عليه، أين ربُّك؟! ويلك.

قال: فقال: أمَّا إذ أبيتَ عليَّ يا أبا الحسن؛ فربِّي نورٌ في نورٍ.

قال: فجعلَ يزحفُ إليه مِن ضَعفٍ، ويقول: ويحكم ! اقتلوه فإنه - والله - زنديق، وقد كلَّمتُ هذا الصِّنف بخُراسان، قال: فأخرجناه.

[«بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ٤٩٤)].

- وقال العِجلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الثقات» (١٥٩): حدثنا أبو مسلم، حدثني أبي قال: رأيتُ بشرًا المريسي -عليه لعنة الله - مرَّةً وَاحِدَة، شيخٌ قصيرٌ، دميمٌ المنظر، وسِخُ الثِّيَاب، وافرُ الشَّعرِ، أشبه شيءٍ باليهودِ، وكان أبوه يَهودِيًّا صبَّاغًا بالكوفَةِ في سوق المراضع، ثم قال: لا يرحمه الله، فلقَد كان فَاسِقًا.

ولهذا كان الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُنكر عليه سؤاله لهذا الجهمي، فيقول (٢٩١): افتخرَ المُعارِضُ بسؤالِ بشرٍ عن هذا، كأنه سألَ عنها الحسنَ، وابنَ سيرين ! ولا يعلمُ أنه إنما سَألَ عنها جهمِيًّا جاهِلًا بالكِتابِ والسُّنةِ، مُخالفًا للإجماعِ،

إن أخطأ فعليه خطؤه، وإن أصابَ لم يُلتفت لإصابتِه؛ لأنه المَأبونُ في دِينِ اللهِ، المُتَّهمُ علىٰ كتابِ اللهِ، الطاعِنُ في سُنَّةِ رسول الله ﷺ. اهـ

٢- محمد بن شُجاع الثلجي البغدادي الحنفي (٢٦٦هـ).

وهو الجهمي الثاني الذي كان المُعارض يَحتجُّ به في كتابه، فقد قال: (ثم ابتدأنا بعونِ الله في حِكاياتِ ابنِ الثلجي).

- قال ابن عدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكامل في الضعفاء» (٩/ ٤٢٣): مُحمد بن شجاع، أبو عبد الله الثلجي، مِن أصحابِ الرأي، مُتَعصِّب. اهـ

- وقال (٣/ ٣٦٤): ابن الثلجي كذَّابٌ، وكان يضع الحديث ويَدسُّه في كُتبِ أصحابِ الحديث بأحاديث كفريات. اهـ

- وقال الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٣/ ٣١٥): كان فقيه أهل العراق في وقته، وهو مِن أصحاب الحسن بن زياد اللؤلؤي.

وكان محمد بن شجاع يذهب إلىٰ الوقف في القرآن .. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت القواريري قبل أن يموت بعشرة أيام وذكر ابن الثلجي، فقال: هو كافرٌ.

فذكرتُ ذلك لإسماعيل القاضي، فسكت، فقلتُ له: ما أكفره إلَّا بشيء سمعه منه؟ قال: نعم.

- وعن عبد الرحمن بن يحيىٰ بن خاقان، أنه سأل أحمد بن حنبل عن ابن الثلجي، فقال: مبتدع، صاحب هوىٰ.

- وعن السري بن مكرم المُقرئ، قال: بعث المُتوكِّل إلىٰ أحمد بن حنبل يسأله عن ابن الثلجي ويحيىٰ بن أكثم في ولاية القضاء.

فقال: أمَّا ابن الثلجيّ فلا ولا علىٰ حارس.

- قال زكريا بن يحيىٰ الساجي: فأمَّا محمد بن شجاع الثلجي، فكان كذَّابًا، احتال في إبطال الحديث عن رسول الله ﷺ ورده؛ نصرة لأبي حنيفة ورأيه.

- قال أبو الفتح محمد بن الحُسين الأزدي الحافظ: محمد بن شجاع الثلجي البغدادي كذَّابٌ، لا تحلّ الرواية عنه؛ لسوء مذهبه، وزيغه عن الدين. اهـ

- قال المزي في «تهذيب الكمال» (٢٥/ ٣٦٢): كان فقيه أهل الرأي في وقته، وهو من أصحاب الحسَن بن زياد اللؤلؤي.

وكان أحد الجهمية القائلين بالوقف في القرآن والمُصنِّفين في ذلك.اهـ

- وفي «تاريخ الإسلام» (٦/ ٤٩٥) قال هارون بن يعقوب الهاشمي: سمعت أبا عبد الله وقيل له: ابن الثلجي وأصحابه. قال: جهمية.

قيل: أكان مِن أصحابِ المريسي ؟ قال: نعم.

وقد جاء عن غير واحدٍ: أن ابن الثلجي كان ينال مِن أحمدَ بن حنبل وأصحابه، ويقول: أيُّ شيءٍ قامَ به أحمد بن حنبل ؟!

قال المَرُّوذي: أتيته ولُمته، فقال: إنما أقول: (كلام الله) كما أقول: (سماء الله)، و(أرض الله). فقُمتُ وما كلمناه حتىٰ مات.

وكان المُتوكِّل قد هَمَّ بتوليته القضاء، فقيل له: هو مِن أصحاب بشر المريسي. فقال: نحن بَعدُ في بشرٍ ؟! فقطع الكتاب الذي كان كتب له في ذلك. اهـ

- قال عبد السلام القاضي: سمعتُ ابن الثلَّاج يقول: عند أحمد بن حنبل كتب الزندقة.

- وروىٰ المَروزي: حدثنا أبو إسحاق الهاشمي، سمعت الزيادي يقول: أشهدنا ابنُ الثلاج وصيتَه، وكان فيها: ولا يُعطىٰ مِن ثُلثي إلَّا مَن قال: القرآن مخلوق. اهـ

قلت: له كتاب «الردّ علىٰ المُشبِّهة» يردُّ فيه علىٰ أهل السُّنة.

ولهذا قال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» (٢١٩): المعروفُ في دينِهِ، المأبونُ في روايتِه، فإن لم تعرِفه بذلك فسَمِّ رجُلًا صالِحًا رَضِيَ بالثلجيِّ في الفُتيا والرِّوايةِ إمامًا، أو رَضِيَ به في السُّنةِ نِظامًا، أو روىٰ عنه شيئًا، أو حَمِدَ له مذهبًا. اهـ

٣- المُعارض.

ولم يُسمِّه الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا يُدرىٰ مَن هو، وقد كان في وقته مشهورًا بالعلمِ عند العامَّة، فبيَّن الإمام جهله، وقلّة بصيرته، وضعف حُجّته، وكان كثيرًا ما يصفه بـ (الجهلِ، وعدم الأمانة، وعدم المُبالاة، وتنقله بين مذاهب الجهمية واللفظية والواقفة لجهله وخبثه ومكره.

النسخة المُعتمدة في التحقيق

اعتمدتُ في تحقيقي لهذا الكتاب علىٰ ثلاث نسخ خطِّية:

١ - علىٰ نُسخة خطيَّة مِن محفوظات مكتبة (كوبولي) برقم (٨٥٠).

وعدد لوحات المخطوط: (٦٨ لوحة).

وجهان في كلِّ لوحة.

وفي كل لوحة ما يُقارب (٢٥) سطرًا.

وقد نُسخت بخطٍّ جيد واضح.

والمخطوط عليه سماعات، ومنها: سماعات لابن تيمية، والمزِّي، وابن المُحبّ، ويوسف بن عبد الهادي، وغيرهم، وتقع هذه السماعات في (١٤ صفحة). وقد تم نسخها سنة: (٧٣٥هـ).

وكتب عليها: ملك فضل بن يوسف بن عبد الهادي.

وقد جعلت هذه النسخة هي الأصل.

٢- النسخة الثانية: مصدرها: الجامعة الإسلامية بالمدينة، قسم المخطوطات (رقم/ ٢٨٣)، وهي من مخطوط الظاهرية.

عدد اللوحات: (١١٠)، في كل لوحة وجهان.

في كل صفحة: (٢١ سطرًا).

وكتبت بخطٍّ جيد مقروء. وتم الفراغ من نسخها: (٧٢١هـ).

ورمزت لها: (ب).

وما كان بين [ ] فهو منها، ولم أشر إلىٰ ذلك في الحاشية.

٢- النسخة الثالثة: مصدرها: مكتبة الرياض الوطنية العامة، ورقمها: (٨٦/٧٣٢).

وعدد اللوحات: (٧٣)، وقد تباينت عدد الأسطر في كل لوحة.

وخطها جيدٌ واضحٌ، وهي بخط الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

وهي منسوخة من المخطوطة السابقة، كما هو بَيِّنٌ في آخرها: (تم الفرغ من نسخها (٧٢١هـ)، وهي مقابلة ومصححة.

ونسخ في آخرها جميع سماعات الكتاب.

ورمزت لها: (ج).

صِحَّة نسبة الكتاب لمؤلفه:

اشتهرت نسبة كتاب «النقض علىٰ بشر المريسي» للإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم أقف علىٰ مَن شَكَّكَ في نسبتِه مِن أهل العلم المُعتبرين.

ولا يُمكن هاهنا حصر من نسب هذا الكتاب للمُصنِّف، ولا مَن نقل عنه من أهل العلم وغيرهم في كتبهم لكثرتهم، ومنهم:

١- ابن تيمية ونقل منه في كثيرٍ من كتبه.

٢- ابن القيم ونقل منه في كثيرٍ كتبه.

٣- وقال المزي في «تهذيب الكمال» (٢٥/ ٣٦٢) في ترجمة ابن الثلجي: وكان أحد الجهمية القائلين بالوقف في القرآن، والمُصنِّفين في ذلك، ولعثمان ابن سعيد الدارمي كتاب في الردِّ عليه، وعلىٰ صاحبه بشر بن غياث المريسي وغيرهما من الجهمية. اهـ

٤- الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٦/ ٥٧٤)، و«العرش» (٢/ ٣٣٣).

٥- قال ابن عساكر في «طبقات الشافعية» (٢/ ٣٠٤): وللدارمي ... كتاب في الردِّ علىٰ بشر المريسي. اهـ

٦- ابن حجر في «الفتح» (١١/ ١٢٥)، و(١٣/ ٣٨٩).

٧- ابن الوزير اليماني في «العواصم والقواصم» (٥/ ١٧٨).

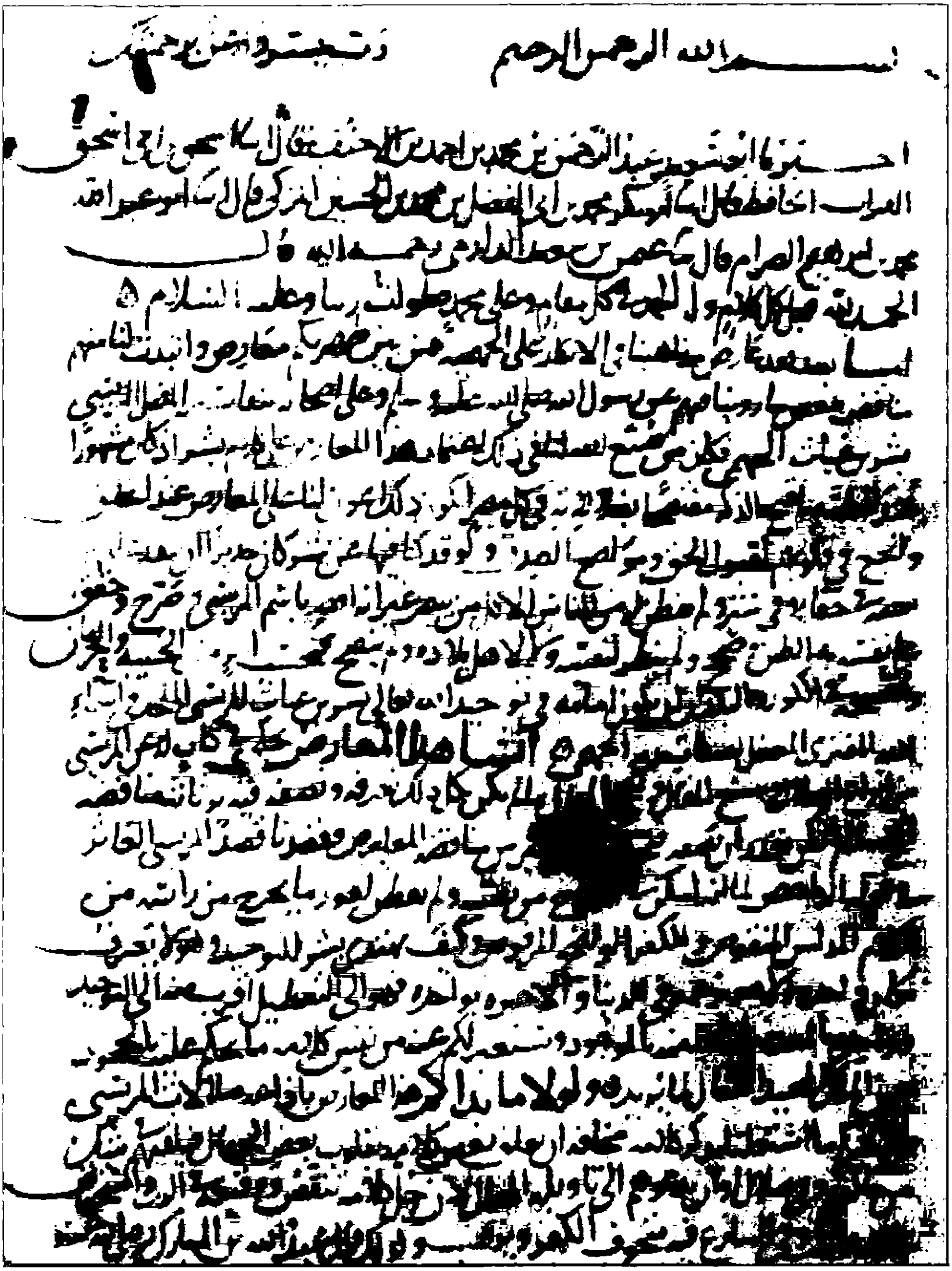
٨- الصفدي في «الوافي في الوفيات» (١٩/ ٣٢٠).

٩- السيوطي في «جامع الأحاديث» (١/ ١١).

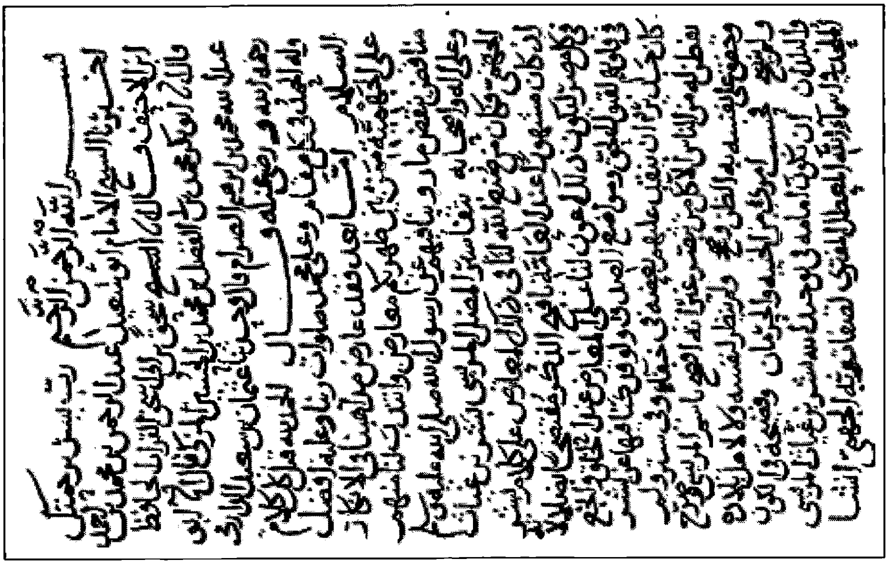
وغيرهم كثير ممَّن روىٰ من طريقه من هذا الكتاب ممن لا يمكن حصرهم هاهنا.

فنسبة هذا الكتاب للمُصنِّف مَحَلُّ اتفاقٍ بين أهل العلم، لا يُشكِّكُ في هذا إلَّا مَن أعمىٰ الله بصيرته.

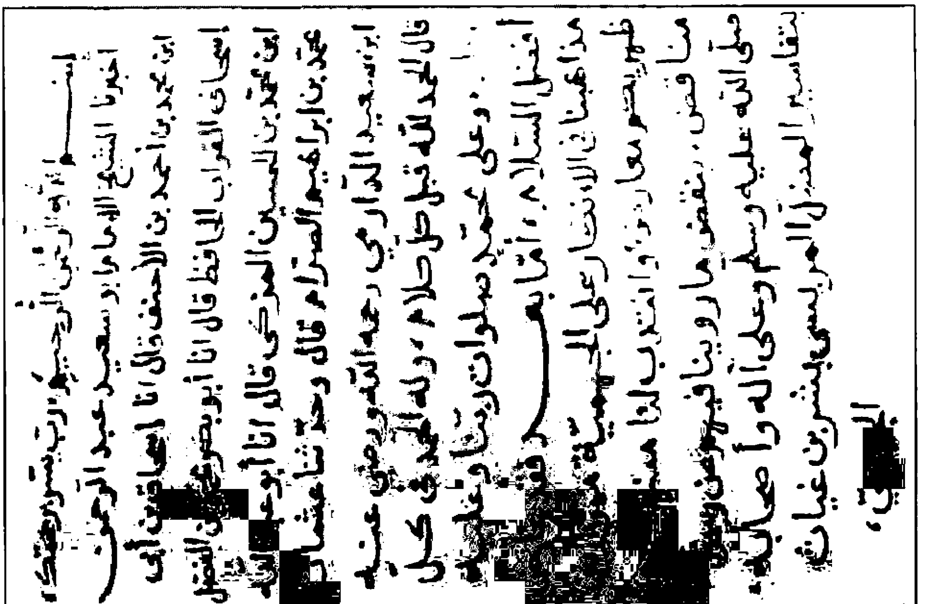
صورة المخطوط الأصل


بسم الله الرحمن الرحيم

صورة المخطوط الثانية



صورة المخطوط الثالثة



نص الكتاب المحقق

كتاب فيه «نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد، على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد».

- رواية أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الصرَّام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه.

- رواية أبي عبد الله بن أبي الفضل محمد بن الحُسين المُزكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه.

- رواية أبي يعقوب إسحاق بن أبي إسحاق القرَّاب الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه.

- رواية أبي سعد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الأحنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه.

- رواية الحافظ أبي نصر أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني، الغازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه.

- رواية أبي القاسم، عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الحرستاني القاضي إجازة عنه.

- رواية أبي حفص، عمر بن عبد المنعم بن عمر القواس إجازة عنه.

- رواية شيخ الإسلام، تفي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن برحمتك

أخبرنا [الشيخ الإمام] أبو سعيد، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الأحنف قال: أنبا إسحاق بن أبي إسحاق القراب الحافظ، قال: أنبا أبو بكر محمد بن أبي الفضل بن محمد بن الحُسين المزكي، قال: أنبا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الصرام، قال: ثنا عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال:

١- الحمدُ لله قبل كل كلامٍ، وله الحمدُ في كلِّ مَقامٍ، وعلىٰ محمدٍ صلوات ربنا وعليه [أفضل] السلام.

أمَّا بعد، فقد عارضَ مَذاهبَنا في الإنكارِ علىٰ الجهميةِ(١) مِمَّن بين ظهرَيكم مُعارضٌ(٢)، و[انتدبَ] لنا منهم مُناقِضٌ يَنقُضُ ما رَوينا فيهم عن

---

(١) والجهمية الذين سيرُدُّ عليهم المُصنِّف هاهنا: هم مُؤوِّلة الصفات، والنافون للعلوِّ لله تعالىٰ، والنافون لحقيقة كلامه وأنه بحرفٍ وصوتٍ، والقائلون بخلق القرآن.

(٢) ولكلِّ قومٍ وارثٌ، فإذا كان في عصرِ المُصنِّف في القرن الثالث الهجري مَن يُعارض ويُجادل عن الجهمية المريسية مُعطِّلة الأسماء والصفات، ونفاة علوّ الربِّ عَزَّوَجَلَّ فما عسانا سنقول نحن في هذا العصر الذي كثُرَت فيه الجهمية والأشعرية والماتريدية نفاة العلو ومُعطّلة الصفات؟! فقد كَثُرَ المُعارضون المُنافحون المُجادلون عنهم، وأصبحَ الذي يُبيّنُ للناسِ ضلالهم، ويُحذِّرُ مِن تأويلاتهم وتحريفاتهم لنصوص الصفات التي نشروها في تفاسيرهم وشروحاتهم هو المنبوذ المطعون فيه، المُحذَّر =

رسول الله ﷺ وعلىٰ [آله و] أصحابه بتفاسيرِ المُضِلِّ المَرِيسيِّ بشرِ بن غياثٍ الجهميِّ(١).

= منه، والمُتَّهمُ بمذهب الخوارج! فحسبنا الله ونِعم الوكيل، وعند الله تَجتمع الخصوم.

وهذه التُّهم قديمة، ولم يسلم منها أئمة السنة، فهذا الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما كفَّرَ أعيان الجهمية القائلين بخلق القرآن، اتّهموه بمذهب الخوارج وتكفير المسلمين!

فروىٰ الخلال في «السُّنة» (١٧٩٣) عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: بلغني أن أبا خالد، وموسىٰ بن منصور وغيرهم، يجلسون في ذلك الجانب، فيعيبون قولنا، ويَدْعُون إلىٰ هذا القول أن لا يُقال: (مخلوق، ولا غير مخلوق)، ويعيبون مَن يُكفِّر، ويزعمون أنا نقول بقول الخوارج! ثم تبسَّم أبو عبدالله كالمغتاظ، ثم قال: هؤلاء قومُ سُوءٍ). اهـ

وقد بَيَّنتُ في التعليق علىٰ الكتاب السابق (٢٥٧) أن الأمر زاد عن المُجادلة في إكفارهم إلىٰ اعتبار أنهم مجتهدون مأجورون علىٰ عقائدهم الكُفرية !

(١) وهو خليفة الجهم بن صفوان إمام الجهمية، كما قال هشام بن عبيد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المريسي عندنا خليفة جهم بن صفوان الضّال، وهو ولي عهده.

وهو الذي أحيا مذهبه ونشره كما تقدم بيان ذلك في «الرد علىٰ الجهمية».

وأحفاد هذا المريسي وخلفاؤه في نشر مذهبه في تأويل وتحريف الصفات هم الأشاعرة كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتوىٰ الحموية» (ص ٢٥٤ - ٢٦٠): وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثرِ التأويلاتِ التي ذكرها أبو بكر ابن فُورك في كتاب «التأويلات»، وذكرها أبو عبد الله محمد بن عُمر الرازي في كتابه الذي سمَّاه: «تأسيس التقديس»، ويوجدُ كثير منها في كلام خلقٍ غيرِ هؤلاءِ مثل: أبي علي الجُبَّائي، وعبد الجبار بن أحمد الهمَذاني، وأبي الحسين البصري، وأبي الوفاء ابن عقيل، وأبي حامد الغزالي وغيرهم، هي بعينها تأويلات بشر المَريسي التي ذكرها في كتابه، وإن كان قد يوجدُ في كلامِ بعضِ هؤلاءِ التأويل =

فكان مِن صُنع اللهِ لنا في ذلك؛ [اعتمادُ هذا] المُعارِضِ علىٰ كلامِ بشرٍ(١)؛ إذ كان مشهورًا عند العامَّةِ بأقبحِ الذِّكرِ، مُفتضحًا بضلالاتِه في كلِّ مِصرٍ(٢)، ليكونَ ذلك أعونَ لنا علىٰ المُعارِضِ عند الخلقِ، وأنجعَ في قلوبِهم

= وإبطاله أيضًا، ولهم كلامٌ حسنٌ في أشياء، فإنما بيّنت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المَريسي. ويدلُّ علىٰ ذلك كتاب «الرَّدِّ» الذي صنَّفه عثمان بن سعيد الدَّارمي أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري، صَنَّفَ كتابًا سمَّاه: «رَدّ عثمان بن سعيد علىٰ الكاذبِ العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله في التوحيد»، حَكىٰ فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المَريسي بكلام يقتضي أن المَريسي أقعدُ بها، وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المُتأخِّرين الذين اتصلت إليهم من جهته، ثم ردّ ذلك عثمان بن سعيد بكلامٍ إذا طالعه العاقل الذَّكي: عَلِمَ حقيقة ما كان عليه السَّلف، وتبيَّنَ له ظُهور الحُجَّة لطريقهم، وضعف حُجَّة من خالفهم، ثم إذا رَأىٰ الأئمة - أئمة الهدىٰ - قد أجمعوا علىٰ: ذمِّ المَريسية، وأكثرهم كفَّروهم، أو ضَلَّلوهم، وعَلِمَ أن هذا القول السَّاري في هؤلاءِ المُتأخِّرين [يعني: الأشاعرة] هو مذهب المَريسية، تَبيّن له الهدىٰ لمن يريد الله هِدايته، ولا حَولَ ولا قُوّة إلَّا بالله. اهـ

(١) لم يذكر المُصنِّف اسم هذا المُعارض الذي يحتجُّ ببشر المريسي، وابن الثلجي.

(٢) هذا عند انتشارِ السنة وأئمتها، وقمع البدع وأهلها، فقد كانوا يُحذِّرون الخاصَّة والعامَّة من الجهمية، بل ويربُّون صبيانهم علىٰ بُغضهم، والتحذير منهم.

- ففي «السُّنة» للخلال (١٧٥٧) قال الميموني: قلت لأحمد: يا أبا عبد الله، لما أُخرجت جنازة ابن طمراح [مِن الجهمية]، جعلوا الصبيان يَصيحون في جنازته: اكتب إلىٰ مالك [يعني: خازن النار]: قد جاء حطبُ النار.

قال: فجعل أبو عبد الله يُسَرُّ، وجعل يقول: يصيحون، يصيحون.

- وفيه (١٧٤٤) قال محمد بن عمار: قدمت بغداد سنة أربع عشرة أو ست =

لقبولِ الحقِّ، ومواضعِ الصِّدقِ.

ولو قد كنَّىٰ فيها عن بِشْرٍ كان جديرًا أن ينفُذَ عليهم بعضُه في خفاءٍ وفي سِترٍ، ولم يَفطُن له مِن الناسِ إلَّا كلُّ مَن يَبصُرَ(١)، غيرَ أنه أفصحَ باسمِ المَرِيسيِّ وصَرَّحَ، وحَقَّقَ علىٰ نفسِهِ به الظنَّ وصَحَّحَ، ولم ينظُر لنفسِهِ ولا لأهلِ بلادِهِ ولم يَنصح، **فحَسْبُ امرئٍ مِن الخيبةِ والحِرمانِ، وفضحةً في الكُوَرِ(٢) والبُلدانِ؛ أن يكونَ إمامَه في توحيدِ الله تعالىٰ: بِشرُ بن غِياثٍ المَرِيسيُّ، المُلحِدُ في أسماءِ اللهِ، المُفتري المُعطِّلُ لصفاتِ ربِّه، الجهميُّ.**

أنشأ هذا المُعارض يحكي في كتابٍ له عن المَرِيسيِّ مِن أنواعِ الضَّلالِ، وشَنعِ المَقالِ، والحُججِ المُحالِ ما لم يكن بكلِّ ذلك نعرِفُه، ونَصِفُه فيه برثاثَةِ مُناقضَةِ الحُججِ ما لم يكن يقدرُ أن يَصِفَه، فتَجافينا عن كثيرٍ مِن مُناقضةِ المُعارِضِ، وقصدنا قصدَ المَرِيسيِّ العاثِرِ في قوله الداحِضِ(٣)؛ لِمَا

= عشرة، وقد مات المريسي بها، وبقي في داره ثلاثة أيام لا يَجسُرُ أحدٌ أن يدنو منه، حتىٰ ذهبوا إلىٰ السلطان، فقالوا: يتجيف فيؤذينا، قال: فبعث بشُرَطٍ. قال: فأُخرج، فأنا رأيتُ بين يديه مُسوِّدة، ومِن خلفه مُسوِّدة [يعني: الجنود]، ورأيتُ الصبيان يرمون بالحِجارةِ ويقع علىٰ السريرِ.

(١) في (ب): (تبصَّر).

(٢) في (ب): (وفضيحة في الكون). اهـ.

و (الكُوَر): جمع (الكُوْرة) وهي المدينة.

(٣) أي: الساقط في قوله الباطل.

أنه أمكنُ في الحِجاجِ مِن نفسِه، ولم يَفطن لِغَورِ(١) ما يخرُجُ مِن رأسِه مِن الكلامِ المُدَلَّسِ المنقُوضِ، والكفرِ الواضحِ المرفوضِ.

وكيف يَهتدي بِشرٌ للتوحيدِ، وهو لا يَعرفُ مكانَ واجدِهِ(٢)، ولا هو

(١) غور كل شيء: قعره. «الصحاح» (٢/ ٢١٢).

(٢) وكذلك المعتزلة والأشاعرة وسائر المُعطِّلة لا يعرفون مكان خالقهم، وينكرون علىٰ مَن أثبت المكان له بمعنىٰ العلو والارتفاع، ومن ذلك:

- قال القُرطبي في «المفهم شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٤٣) وهو يشرح قوله ﷺ: «**أين الله**»: .. وهو لا يصح إطلاقه علىٰ الله تعالىٰ بالحقيقة؛ إذ الله تعالىٰ منزَّهٌ عن المكان، كما هو مُنزَّهٌ عن الزمان. اهـ

- وقال ابن حزم في «الفصل» (٢/ ٩٨): الله تعالىٰ لا في مكانٍ، ولا في زمانٍ أصلًا .. وهو الذي لا يجوز غيره لبطلان كل ما عداه. اهـ

- وقال ابن عطية في «المُحرَّرِ الوجيز» (١/ ٣٤٢): ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة]: يُراد به: علوّ القدر والمنزلة، لا علوّ المكان. اهـ

- وقال ابن حجر في (١٣/ ٤٢٩): قوله: «**فأستأذن علىٰ ربي في دارِه فيؤذن لي عليه**»، قال الخطابي: هذا يُوهم المكان، والله مُنزَّهٌ عن ذلك. اهـ

وهذا كله باطلٌ وضلال، فنحن والحمد لله نعرف مكان خالقنا ومعبودنا، وأنه فوق سماواته، مستوٍ علىٰ عرشه، خلافًا لكلِّ معطِّلٍ لا يعرف مكان واجده.

- قال حرب الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ في «عقيدته» (٩٦): و(الجهمية) - أعداءُ الله - وهم الذين يزعمون .. أن اللهَ لا يتكلَّم، ولا يُرىٰ، ولا يُعرفُ لله مكانٌ ... اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٤٥): لا يقدرُ أحدٌ أن ينقلَ عن أحدٍ مِن سَلَفِ الأمّةِ وأئمتها في القرونِ الثلاثةِ حرفًا واحدًا يُخالف ذلك؛ لم يقولوا شيئًا من عِبارات النَّافية: إن اللهَ ليس في السَّماءِ .. ولا إن جميع الأمكنة بالنِّسبة إليه سواء، ولا إنه في كل مكانٍ، أو إنه ليس في مكانٍ، أو إنه لا تجوز الإشارة ⇦=

بزعمِه في الدنيا والآخرة بواجدِه، فهو إلىٰ التعطيلِ أقربُ منه إلىٰ التوحيدِ، وواجِدُه بالمعدومِ أشبهُ منه بالموجودِ.

وسنُعَبِّرُ لكم عنه مِن نفسِ كلامِه ما يَحكمُ عليه بالجُحودِ، بِعَونِ المَلِكِ المَجيدِ الفعَّالِ لما يُريدُ(١).

= إليه، ولا نحو ذلك من العبارات التي تطلقها النُّفاة بأن يكون فوق العرش لا نصًّا، ولا ظاهرًا .. اهـ

ومدار شُبهة المُعطّلة في نفي المكان تدور علىٰ أن إثباته يُوهم الجسميَّة والتحيُّز وغير ذلك مِن الشُّبه التي أملتها عليهم عقولهم التي أفسدتها كتب اليونان والكلام.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّواعق المرسلة» (٢/ ٤٠٧): شُبهتهم في نفي الجهة: أنه يوجبُ إثبات المكان، وإثبات المكان يُوجب إثبات الجسمية. اهـ

ولا يخفىٰ أن هذه الشُّبهات لا تلزم أهل السُّنة؛ لأنهم مُتَّبعون للنصوص.

فقد ثبت إثبات المكان لله تعالىٰ في حديث الإسراء الذي رواه البخاري في «صحيحه» (٧٥١٧)، وفيه: « ... **فعلا به إلىٰ الجبار، فقال وهو مَكانَه: يا ربِّ، خفِّفْ عنَّا؛ فإن أُمّتي لا تستطيع هذا ..**» الحديث.

- وسيأتي زيادة بيان من قول المُصنِّف عند قوله (١٩٣): (وزعمتَ أيها المعارِضُ أنك لا تصِفُ الله بحلولٍ في الأماكنِ).

وقد جمعت أقوال أئمة السُّنة في (إثبات المكان لله تعالىٰ) في مقدمات كتاب «إثبات الحدِّ لله تعالىٰ» للدشتي: (المبحث السَّابع: إثبات المكان لله تعالىٰ).

(١) لقد صدق أئمَّة السُّنة لَمَّا قالوا: إن الجهمية نُفاة العلو لا تعبدُ شيئًا، وإنما تعبد عدمًا.

- قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلُّ قوم يعرفون ما يَعبدون إلَّا الجهمية.

- وقال يزيد بن هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هم كفارٌ لا يعبدون شيئًا. =

ولولا ما بدأكُم هذا المُعارِضُ بإذاعةِ ضلالاتِ المَرِيسيِّ، وبثِّها فيكم، ما اشتغلنا بذكرِ كلامِهِ؛ مَخافةَ أن يَعلَقَ بعضُ كلامِهِ بقلوبِ بعضِ الجُهَّالِ، فيُلقيهم في شكٍّ مِن خالِقِهم وفي ضلالٍ، أو أن يدعُوَهم إلىٰ تأويلِهِ المُحالِ؛ لأنَّ جُلَّ كلامِهِ تَنَقُّصٌ(١) ووقِيعةٌ في الرَّبِّ، واستِخفافٌ بجلالِه وسَبٌّ، وفي التنازُعِ فيه يُتخوَّفُ الكفرُ ويُرهَبُ(٢).

=

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الداء والدواء» (١/ ٢٩٩): الشرك والتعطيل مُتلازمان، فكلُّ مُشركٍ مُعطِّل، وكل مُعطِّلٍ مشركٌ، لكنّ الشرك لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المُشرك مقِرًّا بالخالِقِ سبحانه وصفاته، ولكنَّه عطّل حقَّ التوحيد.

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو: (التعطيل)، وهو ثلاثة أقسام:

- تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه.

- وتعطيلُ الصانع سبحانه عن كماله المقدّس، بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله.

- وتعطيل معاملته عمَّا يجب على العبد من حقيقة التوحيد... إلخ

وانظر التعليق علىٰ «الرد علىٰ الجهمية» (فقرة/ ١) ففيه زيادة بيان وإيضاح.

(١) في (ب): (كل كلامه نقض).

(٢) تقدم في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٩١) نهي أئمَّة السُّنة عن حكاية كلام الجهمية لِمَا يترتب علىٰ ذلك من الأضرار والمفاسد.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التسعينية» (٢/ ٦٩٤): قول الجهمية فيه مِن التنقُّصِ والسبِّ والطعن علىٰ السلفِ والأئمة وعلىٰ السُّنةِ ما ليس في قولِ الخوارجِ والروافضِ، فإن الخوارج يُعظِّمون القرآن، ويوجبون اتِّباعه، وإن لم يتِّبعوا السُّنن المُخالفة لظاهر القرآن ... وأمَّا الجهمية فإنها لا تُوجب، بل لا تُجوِّزُ اتِّباع القرآن في بابِ صفات الله، كما يُصرِّحون به كالرازي ونحوهم مِن المعتزلة وغيرهم، فضلًا

=

ولذلك قال عبدُ الله بنُ المبارك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [٢/ أ]: لَأَن أحكي كلامَ اليهودِ والنصارىٰ، أحبُّ إليَّ مِن أن أحكيَ كلامَ الجهميةِ.

٢- حدثنا الحَسن بن الصَّبَّاح البزَّار، قال: ثنا علي بن الحَسن بن شقيق، عن ابن المُبارك(١).

فمِن أجلِ ذلك كرِهنا الخوضَ فيه، وإذاعةَ نَقائِضِه حتىٰ أذاعها المُعارِض فيكم، وبثَّها بين أظهركم، فخشينا أنه لا يَسعنا إلَّا الإنكارُ علىٰ مَن بثَّها، ودعا الناسَ إليها، مُنافحةً عن اللهِ(٢)، وتثبيتًا لصفاتِه العُلىٰ، ولأسمائِه الحُسنىٰ، ودُعاءً إلىٰ الطريقةِ المُثلىٰ، ومُحاماةً عن ضُعفاءِ الناسِ، وأهلِ الغفلةِ مِن النساءِ والصِّبيانِ أن يَضلوا بها، [أو أن] يَفتتنوا؛ إذ بثَّها فيهم رجُلٌ كان يُشيرُ [إليه] بعضُهم بشيءٍ مِن فقهٍ وبَصرٍ، ولا يَفطنون لعثراتِه إذ هو عثَرَ، فيكونوا مِن أخواتِها منه علىٰ حَذرٍ(٣).

= عن أن يتَّبعوا السُّنن أو إجماع السلف، فالجهمية أعظم قدحًا في القرآن، وفي السُّنن، وفي إجماع الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين من سائر أهل الأهواء. اهـ

(١) رواه المُصنف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٦و٢٨٩)، وانظر بقية تخريجه هناك.

(٢) أي: مُخاصمة عن الله تعالىٰ.

(٣) كما قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشرح والإبانة» (٥٤٥) وهو يُبين سبب تحذيره من أئمة أهل البدع بأسمائهم، فقال: أنا أذكرُ طرفًا مِن أسمائِهم، وشيئًا مِن صِفاتِهم؛ لأنَّ لهم كُتبًا قد انتشرت، ومقالاتٍ قد ظَهرت، لا يَعرفُها الغِرُّ مِن النَّاسِ، ولا النَّشءُ مِن الأحداثِ، تَخفىٰ معانِيها علىٰ أكثرِ مَن يقرؤها؛ فلعلَّ الحدثَ يقعُ إليه الكتابُ لرجل مِن أهلِ هذه المقالاتِ؛ قد ابتدأ الكتابَ بحمدِ الله، والثَّناءِ عليه، والإطنابِ في الصَّلاةِ علىٰ النبيِّ ﷺ، ثم أتبعَ ذلك بدقيقِ كُفرِه، وخفيِّ اختراعِه =

٣- وقد كتبَ إليَّ عليُّ بن خشرم: أنه سمع عيسىٰ بن يونس يقول: لا تُجالِسُوا الجهميَّةَ، وبَيِّنوا للناسِ أمرَهم؛ كي يَعرِفُوهم فيَحذَرُوهم(١).

= وشرِّه، فيظُنُّ الحدثُ - الذي لا عِلمَ له -، والأعجميُّ، والغُمْرُ مِن الناسِ أن الواضعَ لذلك الكتابِ عالمٌ مِن العلماءِ، أو فقيهٌ مِن الفقهاءِ، ولعلَّه يَعتقدُ في هذه الأُمَّةِ ما يراه فيها عبدَةُ الأوثانِ، ومَن بَارزَ اللهَ، ووالىٰ الشَّيطان. - ثم ذكرهم بأسمائهم -، وقال: ذكرتُ طَرَفًا مِن أئمَّتهم؛ ليتجنَّبَ الحَدَثُ، ومَن لا عِلمَ له ذِكرَهم، ومُجالسةَ مَن يَستشهِدُ بقولِهم، ويُناظِرُ بكتُبهم. اهـ

(١) رواه الهروي في «ذم الكلام» (٧٠٣) من طريق المُصنِّف.
وسيأتي كذلك برقم (٢١٥).
- وفي «تاريخ بغداد» (٥/ ٤١٤)، و «ذم الكلام» (٧٠١) قال أبو جعفر الحذّاء: قلتُ لسُفيان بن عُيينة: إن هذا يتكلّم في القدرِ، - أعني: إبراهيم بن أبي يحيىٰ -.
قال: عرِّفوا الناسَ بدعته، وسلوا ربكم العافية.
- وفي «الكامل» لابن عدي (٥/ ٩٧)، و«تاريخ بغداد» (١٤/ ٧٨) قال عاصم الأحول: جلستُ إلىٰ قتادة فذكر عَمرو بن عُبيد [إمام المعتزلة] فوقعَ فيه، ونالَ منه. فقلت له: أبا الخطاب، ألَا أرىٰ العلماء يقع بعضهم في بعضٍ.
فقال: يا أحول، ألا تدري أن الرَّجلَ إذا ابتدع بدعةً، فينبغي لها أن تُذكرَ حتى تُحذر.
- وفي «الإبانة» (٢٤٤٩) قال المَرُّوذي: قلت لأبي عبد الله ونحن بالعسكر: جاءَني كتاب مِن بغداد: أن رجلًا قد تابع حُسينًا الكرابيسي علىٰ هذا القول. فقال لي: هذا قد تجهَّم وأظهر الجهميةَ، ينبغي أن يُحذَّر عنه، وعن كلِّ مَن اتَّبعه.
- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٣١): ومثل أئمَّة البدعِ مِن أهلِ المقالاتِ المُخالفة للكتابِ والسُّنة، أو العبادات المُخالفة للكتابِ والسُّنة؛ فإن بيان حالهم، وتحذير الأُمّة منهم واجبٌ باتِّفاقِ المسلمين؛ حتىٰ قيل لأحمد بن حنبل: الرَّجلُ يصومُ ويُصلّي ويعتكف، أحبّ إليك، أو يتكلّم في أهل =

*** قال أبو سعيد:**

٤- افتتحَ هذا المُعارِضُ كِتابَه بكلامِ نفسِهِ مُثنِّيًا بكلامِ المَرِيسي، مُدلِّسًا علىٰ الناسِ بما يَهِمُ أن يَحكي ويُري مَن قِبلَه مِن الجُهَّال، ومن حواليه مِن الأغمَارِ(١) أن مذاهِبَ جَهمٍ والمَرِيسيِّ في التوحيدِ كبعضِ اختلافِ الناسِ في الإيمانِ في القولِ والعملِ، والزيادةِ والنُّقصانِ، وكاختلافِهم في التشيُّعِ والقدرِ ونحوِها؛ كي لا يَنفِروا مِن مذاهبِ جهمٍ والمَرِيسيِّ أكثر مِن نُفورِهم مِن كلامِ الشيعةِ والمُرجئةِ والقدريةِ.

وقد أخطأَ المُعارِضُ مَحجَّةَ السبيلِ، وغَلِطَ غلطًا كثيرًا في التأويلِ، لِمَا أنَّ هذه الفِرقَ لم يُكفِّرهم العُلماءُ بشيءٍ مِن اختلافِهم، والمَرِيسيُّ وجَهمٌ

= ☜

البدع؟ فقال: إذا قام وصلّىٰ واعتكف فإنّما هو لنفسهِ، وإذا تكلّمَ في أهلِ البدعِ فإنّما هو للمسلمين، هذا أفضل.

فبيَّنَ أن نفع هذا عامٌّ للمسلمين في دينهم، مِن جنسِ الجهادِ في سبيلِ الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاءِ وعدوانهم علىٰ ذلك واجبٌ علىٰ الكفاية باتِّفاق المسلمين، ولولا مَن يُقيمه الله لدفع ضررِ هؤلاءِ لفسدَ الدِّين، وكان فساده أعظم مِن فسادِ استيلاء العدوِّ من أهلِ الحربِ، فإن هؤلاءِ إذا استولوا لم يُفسدوا القلوب وما فيها من الدِّين إلَّا تبعًا، وأَمَّا أولئك فهم يُفسدون القلوب ابتداء. اهـ

وسيأتي عند المُصنِّف برقم (٢٢٧) زيادة بيانٍ في سببِ ردِّ أئمَّة السُّنة علىٰ أهل البدع والضلال مع نهيهم عن مُناظرتهم، ومُجادلتهم، والردِّ عليهم.

(١) رجل غُمْر وغَمَرٌ: ضَعِيف لم يُجرِّب الأمور. «المخصص» (١/ ٢٧٢).

وأصحابُهما(١)؛ لم يشُكَّ أحدٌ منهم في إكفارِهم(٢).

(١) زاد في (ب): (وجهمٌ وأصحابهما يكفروا أهل الفرق).

(٢) ينقلُ المُصنِّف هاهنا قضايا مُهمَّة ينبغي التنبيه عليها:

الأولىٰ: الإجماع علىٰ تكفير الجهمية، وأن كفرهم كفر أكبر مُخرج عن المِلَّة.

- وقد روىٰ الخلال في «السنة» (١٧٥٨) عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه لما ذُكِرَ له قول ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: (الذي ينتقمُ مِن الحجَّاج، هو ينتقمُ للحجَّاجِ مِن الناس).

فقال: أيُّ شيءٍ يشبه هذا مِن الحجَّاج؟! هؤلاء أرادوا تَبديل الدِّينِ.

- وفيه أيضًا (١٧٦٤) قال أحمد بن حنبل: ما أحد أضرَّ علىٰ أهل الإسلام مِن الجهمية، ما يريدون إلَّا إبطال القرآن، وأحاديث رسول الله ﷺ.

- وفي «خلق أفعال العباد» (٧٩) سُئِل عبد الله بن إدريس، عن الصلاة خلف أهل البدع. فقال: لم يزل في الناسِ إذا كان فيهم مرضيٌّ أو عدلٌ، فصلِّ خَلْفَه.

قلت: فالجهمية؟ قال: لا، هذه من المقاتل، هؤلاء لا يُصلَّىٰ خَلْفهم، ولا يُناكحون، وعليهم التوبة. اهـ

قلت: لهذا وصفهم غير واحدٍ مِن الأئمة بأنهم زنادقة، وأن عقائدهم أشد ضلالًا وكفرًا مِن عقائد اليهود والنصارىٰ كما تقدم في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٥٩).

والثانية: أن البدع تتفاوت في الحُكم عليها بين بدعٍ مُكفِّرة مُخرجة عن المِلَّة، وبدعٍ مُفسِّقة غير مُكفِّرة، وسيأتي قريبًا زيادة بيان.

والثالثة: إجماع أئمة السُّنة علىٰ عدم تكفيرِ الشيعة، والمُرجئة، والقدرية.

ويُريد بـ(الشيعة): الذين يُقدِّمون عليًّا علىٰ عثمان رضي الله عنهما.

وبـ(المُرجئة): الذين يُخرجون العمل عن مُسمَّىٰ الإيمان، وهم المشهورون بمُرجئة الفُقهاء. وقد بيَّنتُ ذلك في «المدخل إلىٰ الجامع في كتب الإيمان».

وبـ(القدرية): نُفاة خلق أفعال العباد، علىٰ خلاف فيهم بين أئمة السُّنة.

وإلّا فإن هناك طوائف مِن هذه الفرق قد غلوا في البدعة حتىٰ أخرجهم أئمة السُّنة مِن الإسلام، كـ(الشيعة) الذين يشتمون الصحابة رضي الله عنهم ويُكفِّرونهم.
⇦=

٥- سمعت محبوبَ بن موسىٰ الأنطاكي: أنه سَمِعَ وكيعًا يُكفِّرُ الجهمية(١).

٦- وكتبَ إليَّ عليُّ بن خَشْرَمٍ: أن ابنَ المُباركِ كان يُخرجُ الجهميةَ مِن عِدادِ المسلمين(٢).

= و(مُرجئة الجهمية) الذين قالوا: الإيمان هو التصديق. و(القدرية) نُفاة علم الله تعالى.

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٧٤).

وروىٰ عبد الله بن أحمد في «السنة» (٣١-٤٠) أقوال وكيع بن الجرَّاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تكفير الجهمية، وإخراجهم عن المِلَّة، ومنها: عن إسحاق ابن أبي عَمرو، قال: قيل لوكيعٍ: في ذبائحِ الجهمية؟ قال: لا تؤكلُ؛ هم مُرتدُّون.

(٢) لم أقف عليه عند غير المُصنِّف. وسيأتي هاهنا برقم (٢٤٧).

- وفي «السنة» لعبد الله بن أحمد (١٥): حدثني الحسن بن عيسىٰ - مولىٰ عبدالله بن المبارك - قال: كان ابنُ المُبارك يقول: الجهميةُ كفَّار.

- وفي «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٠٧) قال ابن المبارك: الجهميةُ كفارٌ زنادقة.

- وفيها (٢٩٥) قال حفص بن حميد: قلت لابن المُبارك: علىٰ كم افترقت هذه الأُمَّة؟ فقال: الأصل أربع فرق: هم الشيعة، والحرورية، والقدرية، والمرجئة؛ فافترقت (الشيعة) علىٰ اثنتين وعشرين فرقة، وافترقت (الحرورية) علىٰ إحدىٰ وعشرين فرقة، وافترقت (القدرية) علىٰ ست عشرة فرقة، وافترقت (المُرجئة) علىٰ ثلاث عشرة فرقة.

قال: قلت: يا أبا عبد الرحمن، لم أسمعك تذكُرُ الجهمية؟!

قال: إنما سألتني عن فرق المسلمين.

وقد تقدَّم قول المُصنّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٥٧): (ما الجهميةُ =

٧- **وسمعت** يَحيىٰ بن يَحيىٰ، وأبا تَوبة، وعليَّ بن المديني: يُكفِّرون الجهمية، ومَن يَدَّعي أن القرآنَ مخلوقٌ(١).

فلا يَقيسُ الكُفرَ ببعضِ اختِلافِ هذه الفِرقِ إلَّا امرؤٌ جَهِلَ العِلمَ، ولم يُوفَّق فيه لِفَهمٍ [علىٰ كُفرِهم](٢).

٨- فادَّعىٰ المُعارِضُ: **(أن الناسَ [قد] تَكلَّموا في الإيمانِ، وفي التشيُّعِ، والقدرِ ونحوه، ولا يجوزُ لأحدٍ أن يَتأوَّلَ في التوحيدِ غيرَ الصوابِ، إذ جميعُ خلقِ اللهِ يُدرَكُ بالحواسِّ الخمسِ: اللمسِ، والشمِّ، والذوقِ، والبصرِ بالعينِ، والسمعِ، واللهُ - بزعمِ المُعارِضِ - لا يُدرَكُ بشيءٍ مِن هذه الخَمسِ)**.

فقلنا لهذا المُعارِضِ الذي لا يَدري كيف يُناقِضُ(٣):

= عندنا مِن أهلِ القبلةِ، وما نُكفِّرهم إلَّا بكتابٍ مَسطورٍ، وأثرٍ مأثورٍ، وكُفرٍ مشهورٍ). انتهىٰ، وانظر التعليق عليه.

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٧٧)، واللالكائي (٢٩٠ و٤١٨ و٤١٣).

(٢) في كلام المُصنِّف ردٌّ علىٰ مَن يحكم بالكفر الأكبر علىٰ جميع فرق أهل البدع، ويجعلهم جميعًا في منزلةٍ واحدةٍ، ولا يُفرِّق بين البدع المُكفِّرة، والبدع المُفسِّقة.
وقد نصَّ غير واحدٍ علىٰ أن أصول فرق أهل البدع أربعة: (الشيعة، والقدرية، والمُرجئة، والخوارج)، ومنها تشعَّبت جميع الفرق الاثنان والسبعون، ولم يعدُّوا (الجهمية) مِنهم لإجماعهم علىٰ أن كفرهم أكبر مُخرجٌ عن الملَّةِ كما تقدم قريبًا عن ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد وافقه علىٰ ذلك غير واحدٍ من أهل العلم كما بينتُ ذلك في «المدخل للجامع لكتب الإيمان»: (فصل الإرجاء من أصول البدع).

(٣) في (ب): (يتناقض).

أمَّا قولُكَ: (**لا يجوزُ لأحدٍ أن يَتأوَّلَ في التوحيدِ غيرَ الصوابِ**).

فقد صَدقتَ، وتفسيرُ التوحيدِ عند الأُمَّةِ وصوابُه قولُ: (لا إله إلَّا الله وحْدَه لا شَريكَ له)، التي قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن جاءَ بها مُخلِصًا دَخَلَ الجنةَ**»(١).

• و «**أُمرتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتىٰ يقولوا: لا إله إلَّا الله**»(٢).

مَن قالها فقد وحَّدَ اللهَ.

• وكذلك روىٰ جابرُ بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ: أنه أهلَّ بالتوحيدِ في حجَّتِه، فقال: «**لبيكَ اللهم لبيكَ، لبيكَ لا شريكَ لك** [٣/ أ] **لبيكَ، إنَّ الحمدَ والنعمةَ لك والمُلكَ، لا شريكَ لك**».

٩- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، عن حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر رضي الله عنه(٣).

---

(١) روىٰ أحمد (٢٢٠٦٠) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن شَهِدَ أن لا إله إلَّا الله مُخلصًا مِن قلبِه، أو يَقينًا مِن قلبه، لم يدخلِ النار، أو دخلَ الجنةَ**».

- وروىٰ البخاري (١٢٨) عن أنس رضي الله عنه: أن النبي رضي الله عنه ومعاذ رديفه علىٰ الرَّحْلِ، قال: «**يا معاذ بن جبل**»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**ما مِن أحدٍ يشهدُ أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، صِدقًا مِن قلبِهِ، إلَّا حرَّمَه اللهُ علىٰ النارِ**».

(٢) رواه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢١ و٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة (١٤٩٢٥)، وأحمد (١٤٤٤٠)، ومسلم (١٢١٨).

فهذا تأويلُ التوحيدِ وصوابُه عند الأُمَّةِ.

فمَن أدخلَ الحواسَّ الخمسَ أيُّها المُعارِضُ في صوابِ التأويلِ مِن أُمَّةِ محمدٍ ومَن عدَّها فأشر إليه، غيرَ ما ادعيتُم فيه مِن الكذبِ علىٰ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما مِن روايةِ بشر المَرِيسي، ونُظرائه، ولِمَن تأوَّلَ في التوحيدِ الصوابَ، لقد تأوَّلتَ أنت فيه غيرَ الصوابِ؛ إذ ادَّعيتَ: أنَّ اللهَ لا يُدرَكُ، ولم يُدرَك بشيءٍ مِن هذه الحَواسِّ الخمسِ؛ إذ هو في دعواكَ لا شيءَ(١).

---

(١) (التوحيد) عند الجهمية ومَن تبعهم مِن الأشاعرة: هو نفي الصفات، و(الشركُ) عندهم: هو إثباتُ الصفات.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق» (٣/ ٩٣١): توحيد الجهمية: وهو مُشتَقٌّ مِن توحيد الفلاسفة، وهو نفي صفات الرب كعلمه، وكلامه، وسمعه، وبصره وحياته، وعلوّه علىٰ عرشه، ونفي وجهه، ويديه، وقطب رحىٰ هذا التوحيد جحد حقائق أسمائه وصفاته. اهـ

وقد أَلَّفَ إمامهم المريسي الجهمي كتابًا فيه سمَّاه: «التوحيد وكُفر المُشبِّهة».

وسار علىٰ هذا الضلال كثيرٌ مِن مُتأخِّري الأشاعرة، كأمثال الرازي المُعطِّل في «تفسيره» (٢٧/ ١٣٠)، فقد سمَّىٰ كتاب «التوحيد» لابن خزيمة: (كتاب الشِّرك)!

وذلك لأن (التوحيد) عند المُعطِّلة لا يصحُّ إلَّا بإنكار الصفات!

وأمّا التوحيد عند أهل السُّنة فلا يصحُّ إلَّا بإثبات الصفات.

- قال المُصنف (٢٢٢): (والعجبُ مِن المريسيِّ .. يدَّعي توحيدَ الله .. وقد عطَّل جميعَ صفاتِ الواحِدِ الأحد ... ويلك! إنما المُوحِّدُ الصادقُ في توحيدِه الذي يُوحِّدُ الله بكماله، وبجميعِ صفاته في علمِه، وكلامِه، وقبضِه وبسطه... إلخ.

- وفي «الصِّفات» لابن المُحبّ (٨٨٢) عن محمد بن إسماعيل الترمذي، قال: سمعتُ المُزَني يقول: لا يصحّ توحيدٌ حتىٰ يُعلمَ أنَّ الله علىٰ العرش بصفاته.

قلت: مثل أيّ شيء. قال: سميعٌ، بصيرٌ، عليمٌ، قدير.

=⇦

=

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «درء التعارض» (١/ ٢٢٤): فهم يريدون بلفظ (التوحيد، والواحد) في اصطلاحهم: ما لا صفة له، ولا يُعلم منه شيء دون شيء، ولا يُرىٰ. والتوحيد الذي جاء به الرسول ﷺ لم يتضمن شيئًا مِن هذا النفي، وإنما تضمن إثبات الإلهية لله وحده؛ بأن يشهد أن لا إله إلَّا هو، ولا يعبد إلَّا إياه، ولا يتوكَّل إلَّا عليه، ولا يُوالي إلَّا له، ولا يُعادي إلَّا فيه، ولا يعمل إلّا لأجله، وذلك يتضمّن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات ... وليس المراد بالتوحيد مُجرَّد (توحيد الربوبية)، وهو اعتقاد أن الله وحده خلقَ العالم، كما يظنُّ ذلك مَن يظنه مِن أهلِ الكلامِ والتصوّف، ويظنُّ هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليلِ فقد أثبتوا غاية التوحيدِ..

و(الإله) هو بمعنىٰ المألوه المعبود الذي يستحقُّ العبادة، ليس هو الإله بمعنىٰ: (القادر علىٰ الخلق)، فإذا فسَّرَ المفسِّر الإله بمعنىٰ: القادر علىٰ الاختراع، واعتقد أن هذا أخصّ وصف الإله، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من مُتكلّمة الصِّفاتية، وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن [يعني: الأشعري] وأتباعه، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله، فإن مشركي العرب كانوا مُقرِّين بأن الله وحده خالق كل شيءٍ، وكانوا مع هذا مُشركين ... ولهذا كان مِن أتباع هؤلاءِ من يسجد للشمسِ والقمرِ والكواكب، ويدعوها كما يدعو الله تعالىٰ، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرّب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشركٍ، وإنما الشِّرك إذا اعتقدت أنها هي المُدبِّرة لي، فإذا جعلتها سببًا وواسطة لم أكن مُشركًا. ومن المعلوم بالاضطرار مِن دينِ الإسلام أن هذا شِركٌ، فهذا ونحوه من التوحيد الذي بعث الله به رسله، وهم لا يُدخِلونه في مُسمىٰ التوحيد الذي اصطلحوا عليه، وأدخلوا في ذلك نفي صفاته. اهـ

[وانظر كذلك: «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٩٤)].

- وقال في «التسعينية» (٣/ ٧٤٧): إن قوله [أي: الباقلاني]: والربُّ واحد

=

=
ومتَّصفٌ بالوحدانية، ومُتقدِّسٌ عن التجزيء والتبعيض.

وقول ابن فورك: لأن الرب مُتكلِّمٌ واحد. ونحو ذلك مِن أقوالهم التي يصفون فيها الربّ بأنه واحدٌ، ويشعرون الناس أنهم بذلك مُوحِّدون، وأن مَن خالفهم في ذلك فقد خالفهم في التوحيد، هي من أعظم أصول أهل الشرك والإلحاد والتي أفسدوا بها التوحيد الذي بعثَ الله به رسله، وأنزل به كتبه .. إلخ.

- وقال (٣/ ٧٨٨): وهذا التوحيد الذي يذكره هؤلاء مأخوذ مِن قول بشر المريسي وذويه، وهذا التوحيد الذي ذكروه هو التعطيل بعينه، فإنه لا يصلح إلَّا أن يكون صفة للمعدوم. اهـ

ثم بيَّن أن من أسباب طعن الأئمة في ابن كُلَّاب والأشعري والقلانسي تلقيهم أصول التوحيد عن المعتزلة ! ثم نقل بعض ما رواه الهروي في «ذم الكلام» في ذم الأشعري والطعن فيه. ثم أطال في بيان التوحيد الصحيح الذي جاءت به الرسل.

- وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «الدُّرر السَّنية» (١/ ١١٢) وهو يتكلم عن معنىٰ المعبود عند مُتكلِّمي الأشاعرة: والمُتكلِّمون ممَّن يدعي الإسلام؛ لكن أضلّهم الله عن معرفةِ الإله، فذُكِرَ عن الأشعري ومَن تَبِعه: أنه القادرُ، وأن (الألوهية) هي: القُدرة. فإذا أقررنا بذلك، فهي معنىٰ قوله: (لا إله إلَّا الله)، ثم استحوذ عليهم الشَّيطان؛ فظنوا أن التوحيد لا يتأتَّىٰ إلَّا بنفي الصِّفات، فنفوها، وسمَّوا مَن أثبتها: (مُجسمًا) !!

وردَّ عليهم أهل السُّنة بأدلة كثيرة، منها: أن التوحيد لا يَتمّ إلَّا بإثباتِ الصِّفات؛ وأن معنىٰ (الإله): هو المعبود ... فمَن أنكر الصِّفات، فهو مُعطّل؛ والمُعطل: شرٌّ مِن المُشرك. ولهذا كان السلف، يُسمّون التصانيف في إثبات الصِّفات: (كتب التوحيد)، وختم البخاري «صحيحه» بذلك، قال: (كتاب التوحيد)؛ ثم ذكر الصِّفات بابًا بابًا.

فنُكتة المسألة: أن المُتكلِّمين يقولون: التوحيد لا يتمُّ إلّا بإنكار الصفات.

فقال أهل السُّنة: لا يتمُّ التوحيد إلّا بإثبات الصِّفات، وتوحيدكم هو: التعطيل، =

١٠- واللهُ مُكذِّبُ مَن ادَّعىٰ هذه الدعوىٰ في كتابه، إذ يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء].

• ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ [البقرة:١٧٤].

• و ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة].

= ولهذا آل هذا القول ببعضهم إلىٰ إنكار الرَّب تبارك وتعالىٰ، كما هو مذهب ابن عربي، وابن الفارض، وفئام مِن الناس، لا يحصيهم إلّا الله ..

فبَيَّنَ السلفُ: أن العبادة إذا كانت كلُّها لله عن جميع المخلوقات فلا تكون إلّا بإثبات الصِّفات والأفعال، فتبيَّن: أن منكر الصِّفات، منكر لحقيقة الألوهية؛ لكن لا يدري. وتبيَّن لك: أن مَن شهد أن لا إله إلّا الله صدقًا مِن قلبه، لا بُدَّ أن يثبت الصفات والأفعال؛ ولكن العجب العُجاب: ظنُّ إمامهم الكبير [يعني: الأشعري]، أن (الألوهية): هي القُدرة، وأن معنىٰ قولك: (لا إله إلّا الله)؛ أي: لا يقدر علىٰ الخلق إلّا الله.! اهـ

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق» (٣/ ٩٣٣): سموا (التوحيد) الذي بعث الله به رسله: (تركيبًا) و(تجسيمًا) و(تشبيهًا)، وجعلوا هذه الألقاب لهم سهامًا وسلاحًا يقاتلون بها أهله، فتترَّسوا بما عند أهل الحقِّ من الأسماء الصحيحة، وقاتلوهم بالأسماء الباطلة ... ومن العجبِ أنهم سمَّوا توحيد الرسل: (شِركًا) و(تجسيمًا) و(تشبيهًا) مع أنه غاية الكمال، وسمَّوا تعطيلهم واتحادهم ونفيهم: (توحيدًا)، وهو غاية النقص، ونسبوا أتباع الرسل إلىٰ تنقيص الربِّ، وقد سلبوه كل كمال، وزعموا أنهم أثبتوا له الكمال وقد نزَّهوه عنه، فهذا توحيد الملاحدة والجهمية والمُعطِّلة. وأمَّا توحيد الرسل فهو إثبات صفات الكمال له، وإثبات كونه فاعلًا بمشيئته وقدرته واختياره، وأن له فعلًا حقيقة، وأنه وحده الذي يستحق أن يُعبد ويُخاف ويُرجىٰ ويُتوكل عليه... إلخ

فأخبرَ اللهُ في كتابِهِ: أن موسىٰ أدركَ منه الكلامَ بسمعِهِ، وهو أحَدُ الحواسِّ عندك وعندنا.

١١- ويُدرَكُ في الآخرةِ بالنظرِ إليه بالأعيُنِ، وهي: الحاسَّةُ الثانيةُ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة].

• وكما قال رسولُ الله ﷺ: **«ترون ربَّكم يومَ القيامةِ كما ترونَ الشمسَ والقمرَ جهرًا لا تُضامُّون في رُؤيتِه»**(١).

• وروىٰ عنه عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما منكم مِن أحدٍ إلَّا سَيُكلِّمه الله ليس بينَه وبينَه تَرجمان»**.

١٢- **حدثناه** عَمرو بن عون الواسطي، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عدي [بن حاتم] رضي الله عنه، عن النبي ﷺ(٢).

فذاك الناطقُ مِن قولِ الله، وهذا الصحيحُ المشهورُ مِن قولِ رسولِ اللهِ ﷺ فأيُّ حواسٍّ بأبْيَن مِن هذا؟

فلذلك قُلنا: إن المُعارضَ مَن تأوَّلَ فيه غيرَ الصوابِ(٣).

---

(١) سيأتي تخريجه برقم (٣٢).

(٢) رواه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦). وقد تقدم في «الرد» (٢٢٥).

(٣) عقد المُصنف الباب الثاني في الردِّ علىٰ من أنكر أن الله تعالىٰ لا يُدركُ بالحواس.
وانظر كلامه في إثبات الرؤية ونقضه على المريسي: (٣٠-٤٣)، و(١٢٢-١٢٤).

١- باب

الإيمان بأسماءِ الله تعالى وأنها غير مخلوقة

١٣- ثم اعترَضَ المُعارِضُ أسماءَ اللهِ المُقدَّسةَ فذهبَ في تأويلِها مذهبَ إمامِهِ المَريسيّ.

فادَّعىٰ أن: **(أسماءَ اللهِ) (غيرُ اللهِ)، وأنها مُستعارةٌ مخلوقةٌ، كما أنه قد يكون شخصٌ بلا اسمٍ، فتَسميتُه لا تزيدُ في الشخصِ ولا تَنقُصُ**(١)).

(١) الجهمية هم الذي أحدثوا مسألة: (الاسم غير المُسمَّىٰ)، يريدون بذلك: أن أسماء الله غير الله، فهي مخلوقة مُحدثة.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ١٨٥): والذي كان معروفًا عند أئمة السُّنة أحمد وغيره: الإنكار علىٰ الجهمية الذين يقولون: (أسماء الله مخلوقة)، فيقولون: (الاسم غير المُسمَّىٰ)، و(أسماء الله) غيره، وما كان غيره فهو مخلوق؛ وهؤلاء هم الذين ذمّهم السلف، وغلَّظوا فيهم القول؛ لأن أسماء الله مِن كلامه، وكلام الله غير مخلوق، بل هو المُتكلِّم به، وهو المُسمِّي لنفسِه بما فيه من الأسماء.

والجهمية يقولون: (كلامه مخلوق)، و(أسماؤه مخلوقة)؛ وهو نفسه لم يتكلّم بكلامٍ يقوم بذاته، ولا سمَّىٰ نفسه باسمٍ هو المُتكلِّم به؛ بل قد يقولون: إنه تكلَّم به، وسمَّىٰ نفسه بهذه الأسماء بمعنىٰ أنه خلقها في غيرِه؛ لا بمعنىٰ أنه نفسه تكلَّم بها الكلام القائم به.

والمقصود هنا: أن المعروف عن أئمة السُّنة إنكارهم علىٰ مَن قال: (أسماء الله مخلوقة)، وكان الذين يطلقون القول بأن (الاسم غير المُسمَّىٰ) هذا مُرادهم، فلهذا ⇦=

=

يروىٰ عن الشافعي والأصمعي وغيرهما أنه قال: إذا سمعتَ الرجل يقول: (الاسم غير المُسمَّىٰ) فاشهد عليه بالزندقة.

ولم يعرف أيضًا عن أحدٍ من السلف أنه قال: (الاسم هو المُسمَّىٰ)، بل هذا قاله كثيرٌ مِن المنتسبين إلىٰ السُّنة بعد الأئمة، وأنكره أكثر أهل السُّنة عليهم. اهـ

ثم أطال في الرد علىٰ من قال: (الاسم هو المُسمَّىٰ)، و(الاسم غير المُسمَّىٰ)، وبيّن أن أكثر أهل السنة يقولون: (الاسم للمُسمَّىٰ).

* «**فائدة**» في موقف الأشاعرة من أسماء الله تعالىٰ الحُسنىٰ، وموافقتهم للجهمية في أنها مخلوقة ! أنقلها مِن كتاب «قلب الأدلة» لتميم القاضي (١/ ٥٣٢).

قال: ومِن أعظمِ بدعِ (الأشاعرة) فيما يتعلّق بأسماء الله الحُسنىٰ، موقفهم مِن مسألة خلق الأسماء الحُسنىٰ، ذلك أنهم يُظهرون بأن الأسماء الحُسنىٰ غير مخلوقةٍ، ويبدون النكيرَ علىٰ المُعتزلةِ لقولهم بخلقها، ولكن عند التحقيقِ نجدُ أن مذهبهم في ذلك يرجع إلىٰ مذهب المُعتزلة، وذلك يتبيَّن بما يلي:

قولهم: إن الاسم هو المُسمَّىٰ، وسيأتي تفصيله، وهو يدلُّ علىٰ أن قولهم: إن أسماء الله غير مخلوقة، أي: أن ذاتَ الله غير مخلوق، وهذا أمر خارج عن محلِّ النزاع، ولا يُخالف فيه المُعتزلة، بل لا يُخالف فيه كلّ مَن يقرُّ بالخالقِ من أهل الشرك والإشراك.

وأمَّا ما يعنيه أهل السنة في كلامهم عن الأسماء الحُسنىٰ، وهي الأسماء المعلومة (كاسم: الرحمن الرحيم ... إلخ)، فهذه مخلوقة عندهم، وهم يُسمُّونها: (تَسميات) لا أسماء، وهم قالوا: إنها قد يطلق عليها (أسماء)، أي: أن هذا ليس هو الأصل فيها، وإنما قالوا ذلك هروبًا مِن استدلال أهل السنة عليهم - والمعتزلة أيضًا - بأن النصوص جاءت بالجمع في الأسماء، والمُسمَّىٰ واحد، فاضطروا إلىٰ أن يقولوا: إن تلك (تسميات لا أسماء)، إنما الاسم واحد، وهو المُسمَّىٰ، وهو ذات الله تعالىٰ، أمَّا تلك الأسماء فهي ألفاظ مخلوقة.

وبذلك فهم خالفوا الحقَّ في عدَّة أمور: قولهم: (إن الاسم هو المُسمَّىٰ).
=

يعني: أنَّ اللهَ كان مَجهولًا كشخصٍ مجهولٍ، لا يُهتدىٰ لاسمِه، ولا يُدرىٰ ما هو، حتىٰ خلقَ الخلقَ فابتدعوا له أسماءً مِن مخلوقِ كلامِهم، فأعاروها إيَّاه مِن غيرِ أن يُعرفَ له اسمٌ قبلَ الخَلقِ.

ومَن ادَّعىٰ هذا التأويل [في أسماءِ الله]؛ فقد نَسَبَ اللهَ تعالىٰ إلىٰ العَجزِ، والوهَنِ، والضرورةِ، والحاجةِ إلىٰ الخلقِ؛ لأن المُستعيرَ مُحتاجٌ مُضطرٌ، والمُعير أبدًا أعلىٰ منه وأغنىٰ.

ففي هذه الدعوىٰ استجهالُ الخالقِ؛ إذ كان بزعمِهِ هَمَلًا لا يُدرىٰ ما اسمُه؟ وما هوَ؟ وما صِفتُه؟ واللهُ المُتعالي عن هذا الوصفِ المُنزَّه عنه؛ لأن أسماءَ اللهِ هي تحقيقُ صِفاتِه، سواءٌ عليك قلتَ: عبدتُ اللهَ، أو عبدتُ الرحمنَ، أو الرحيمَ، أو المَلِكَ العزيزَ الحكيمَ.

وسواءٌ علىٰ الرجلِ قال: كفرتُ باللهِ، أو قال: [٣/ ب] كفرتُ بالرحمنِ الرحيمِ، أو بالخالقِ العزيزِ الحكيمِ.

وسواءٌ عليك قلتَ: عبدُ الله، أو عبدُ الرحمن، أو عبدُ العزيز، أو عبدُ المجيد.

=

قولهم: (إن اللهَ ليس له أسماء، بل له اسمٌ واحدٌ، واسمه هو ذاته).

قولهم عن أسماء الله المعروفة: (هي تسميات وليست أسماء).

قولهم عن هذه المُسمَّيات: (إنها ألفاظ مخلوقة، وإنها غير ثابتة في الأزل، بل حدثت بعد أن لم تكن)، وهذا أعظم بدعهم، في هذا البابِ، وبه وافقوا المعتزلة المصرِّحين بأن أسماء الله مخلوقة.

ثم أطال في تقرير هذا عن الأشاعرة، ونقل عن أئمّتهم ما يثبت هذا عنهم.

وسَواءٌ عليك قلتَ: يا اللهُ، [أو] يا رحمنُ، أو يا رحيمُ، أو يا مَلِكُ، يا عزيزُ، يا جبَّارُ، بأيٍّ اسمٍ دعوتَه مِن هذه الأسماء، أو أضفتَه إليه، فإنما تدعو اللهَ نفسَه، مَن شكَّ فيه فقد كفرَ(١).

وسَواءٌ عليك قلتَ: ربِّيَ اللهُ، أو ربِّيَ الرحمنُ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء].

• وقال الله تعالىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ [وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ]﴾ [الحشر: ١].

• وقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) عند اللالكائي (٣٢٥): ذكره ابن أبي حاتم: ثنا أحمد بن سلمة، قال: ثنا إسحاق بن راهويه، قال: أفضَوا إلىٰ أن قالوا: (أسماءُ الله مخلوقةٌ)؛ لأنه كان ولا اسمَ، وهذا الكفرُ المحضُ؛ لأن لله الأسماء الحُسنىٰ، فمَن فرَّق بين (اللهِ) وبين (أسمائه)، وبين (عِلمِه) و(مشيئتِه)، فجعل ذلك مخلوقًا كلَّه، واللهُ خالِقُها؛ فقد كفرَ، و «للهِ عَزَّوَجَلَّ تِسعةٌ وتسعونَ اسمًا»، صحَّ ذلك عن النبي ﷺ أنه قاله.

– وفي «السُّنة» للخلال (١٨٦٣) قال أحمد بن حنبل: ومن قال: إن أسماء الله مخلوقة؛ فكأن أسماء الله لم تكن حتىٰ خُلقت، وإن كلَّ مخلوق يبيد، فهذا عندي كافر إذا قال هذا.

– وفي «الإبانة الكبرىٰ» (٢١٩٥) قال أحمد: ... فالقرآن مِن عِلمِ الله، ألا تراه يقول: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمن]، والقرآن فيه أسماءُ الله، أي شيءٍ يقولون؟! لا يقولون: إن أسماءَ الله غير مخلوقةٍ مَن زعم أن أسماءَ الله مخلوقةٌ فقد كفر، لم يزل الله قديرًا، عليمًا، حكيمًا، سميعًا، بصيرًا، فلسنا نشُكُّ أن أسماءَ الله عَزَّوَجَلَّ غير مخلوقةٍ، ولسنا نشُكُّ أن علم الله غير مخلوق، فالقرآن من علم الله، وفيه أسماء الله، لا نشُكُّ أنه غير مخلوق، وهو كلام الله، ولم يزل الله مُتكلِّمًا.

كذلك قال في الاسمِ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى]، كما يُسبَّحُ اللهُ، ولو كان مخلوقًا مُستعارًا غيرَ الله، لم يأمُرِ اللهُ أن يُسبَّحَ مخلوقٌ غيرُه.

• وقال: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر].

ثم ذكرَ الآلِهةَ التي تُعبدُ مِن دونِ اللهِ بأسمائِها المُستعارةِ المخلوقةِ، فقال: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ [النجم:٢٣].

وكذلك قال هودٌ لقومِه حين: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ﴾ [الأعراف:٧٠]، فقال لهم ينهاهُم: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ [الأعراف:٧١].

يعني: أن أسماءَ الله تعالىٰ لم تزل، كما لم يزلِ اللهُ، وأنها بخلافِ هذه الأسماءِ المخلوقةِ التي أعارُوها للأصنامِ والآلهةِ التي عبدوها مِن دونه، فإن لم تكن أسماءُ اللهِ بخلافِها، فأيُّ توبيخٍ لأسماءِ الآلهةِ المخلوقةِ؛ إذ كانت أسماؤُها وأسماءُ اللهِ مخلوقةً مُستعارةً عندكم بمعنًىٰ واحدٍ، وكلُّها مِن تسميةِ العبادِ، ومِن تسميةِ آبائهم بزعمِكم؟!

ففي دعوىٰ هذا المُعارضِ: (**أن الخلقَ عرَّفوا اللهَ إلى عبادِه بأسماءٍ ابتدعوها، [لا أن] اللهَ عرَّفهم بها نفسَه**)؛ فأيُّ تأويلٍ أوحشُ في أسماءِ اللهِ مِن أن يتأوَّلَ رجلٌ أنه كان كشخصٍ مجهولٍ، أو بيتٍ، أو شجرةٍ، أو بهيمةٍ، لم يشتقَّ لشيءٍ منها اسمٌ، ولم يُعرَف ما هو، حتىٰ عرَّفَه الخلقُ بعضُهم بعضًا؟!

١٤- ولا تُقاسُ أسماءُ اللهِ بأسماءِ الخلقِ؛ لأن أسماءَ الخلقِ مخلوقةٌ مُستعارةٌ، وليست أسماؤُهم نفسَ صِفاتِهم، بل هي مُخالِفةٌ لصفاتِهم.

وأسماءُ اللهِ صِفاتُه، ليس شيءٌ منها مُخالِفٌ لصفاتِه، ولا شيءٌ من صفاتِه مُخالفٌ(١) للأسماءِ.

فمَن ادَّعىٰ أنَّ صِفةً مِن صِفاتِ اللهِ تعالىٰ مخلوقةٌ، أو مُستعارةٌ فقد كفَرَ وفجَرَ؛ لأنك إذا قلتَ: (اللهُ)؛ فهو اللهُ، وإذا قلتَ: (الرحمنُ) فهو الرحمنُ، وهو اللهُ، وإذا قلتَ: (الرحيمُ) فهو كذلك، وإذا قلتَ: حكيمٌ، عليمٌ، حميدٌ، مجيدٌ، جبارٌ، مُتكبرٌ، قاهرٌ، قادرٌ، فهو كذلك، وهو اللهُ سَواءً، لا يُخالِفُ اسمٌ له صفتَه، ولا صِفتُه اسمًا.

وقد يُسمَّىٰ الرجلُ: حكيمًا وهو جاهِلٌ، وحَكمًا وهو ظالمٌ، وعزيزًا وهو حَقيرٌ، وكريمًا وهو لئيمٌ، وصالحًا وهو طالحٌ، وسعيدًا وهو شقيٌّ، ومحمودًا وهو مذمومٌ، وحبيبًا وهو بغيضٌ، وأسدًا وحِمارًا وكلبًا وجُرَيًّا وكُليبًا وهِرًّا وحَنظلةَ وعلقمةَ وليس كذلك.

واللهُ تبارك وتعالىٰ اسمُه كأسمائِه سَواءً، لم يزل كذلك، ولا يزالُ، لم تحدُث له صفةٌ ولا اسمٌ لم يَكُن، [٤/أ] كذلك قبلَ الخلقِ كان خالِقًا قبلَ المخلوقين، ورازِقًا قبل المرزوقين، وعالِمًا قبل المعلومين، وسَميعًا قبل أن يَسمعَ أصواتَ المخلوقين، وبَصيرًا قبل أن يَرىٰ أعيانَهم مخلوقةً.

---

(١) كذا (مخالفٌ) في الموطنين، والجادة: (مخالفًا).

• قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه][(١)].

• وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [السجدة: ٤].

• فقال مرَّةً: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

وقال مرَّةً: اللهُ علىٰ العرشِ استوىٰ؛ لأنهما بمعنًى واحدٍ.

---

(١) قال الحافظ أبو عمر أحمد الطلمنكي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «الوصول إلىٰ معرفة الأصول»: قال أهل السُّنة في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]: أن الاستواء مِن الله علىٰ عرشه علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز، فقد قال قومٌ مِن المعتزلة والجهمية: لا يجوزُ أن يسمّىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الأسماء علىٰ الحقيقة، ويُسمىٰ بها المخلوق. فنفوا عن الله الحقائق مِن أسمائه وأثبتوها لخلقه.

فإذا سُئلوا: ما حملهم علىٰ هذا الزيغ؟

قالوا: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه.

قلنا: هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها؛ لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا يحصل بالتسمية، وإنما تشبيه الأشياء بأنفسها أو بهيئات فيها، كالبياض بالبياض، والسواد بالسواد، والطويل بالطويل، والقصير بالقصير، ولو كانت الأسماء توجب اشتباهًا لاشتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشيء لها وعموم تسمية الأشياء به، فنسألهم: أتقولون إن الله موجود؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: يلزمكم علىٰ دعواكم أن يكون مُشبهًا للموجودين.

وإن قالوا: موجود ولا يوجب وجود الاشتباه بينه وبين الموجودات.

قلنا: فكذلك هو حيٌّ، عالمٌ، قادرٌ، مُريدٌ، سميعٌ، بصيرٌ، مُتكلِّمٌ، يعني: ولا يلزمُ مِن ذلك اشتباهه بمن اتّصف بهذه الصفات. اهـ

ولو كان كما ادَّعىٰ المُعارِضُ وإمامُه المَرِيسيُّ، لكان الخالقُ والمخلوقُ استويا جميعًا علىٰ العرشِ، إذ كانت أسماؤه مخلوقةً عندهم؛ إذ كان اللهُ في دعواهم في حدِّ المجهول أكثرَ منه في حدِّ المعروفِ؛ لأن لحدوثِ الخلقِ حدًّا ووقتًا، وليس لأزليَّة الله حدٌّ ولا وقتٌ، لم يزل، ولا يزالُ، وكذلك أسماؤه لم تزل، ولا تزالُ.

١٥- ثم احتجَّ المُعارِضُ لترويجِ مذهبه هذا بأقبحِ قياسٍ؛ فقال: (**أرأيتَ لو كتبتَ اسمًا في رُقعةٍ ثم احترقتِ الرُّقعةُ، أليس إنما تحترقُ الرُّقعةُ ولا تضرُّ النارُ الاسمَ شيئًا؟**).

فيقالُ لهذا التائه الذي لا يَدري ما يَخرجُ مِن رأسِهِ: إنَّ الرُّقعةَ وكتابةَ الاسمِ ليس كنفسِ الاسم، إذا احترقتِ الرُّقعةُ احترقَ الخطُّ وبقي اسمُ الله له وعلىٰ لسانِ الكاتبِ، كما لم يزل قبل أن يُكتبَ، لم تُنقِصِ النارُ مِن الاسمِ ولا مِمَّن له الاسمُ شيئًا.

وكذلك لو كانت أسماءُ المخلوقين، لم تَنقصِ النارُ مِن أسمائِهم ولا مِن أجسامِهم شيئًا.

وكذلك لو كتبتَ: (الله) بِهجائِه في رُقعةٍ لاحترقتِ الرُّقعةُ، وكان اللهُ بكمالِهِ علىٰ عرشِهِ.

وكذلك لو صُوِّرَ رجلٌ في رُقعةٍ، ثم أُلقيت في النارِ، لاحترقتِ الرُّقعةُ، ولم [تَضُرَّ المُصَوَّرَةَ][١] شيئًا.

---

(١) في (الأصل): (يضر الصورة)، والمثبت من (ب).

وكذلك القرآنُ، لو احترقتِ المَصاحفُ كلُّها لم ينقص مِن نفسِ القرآنِ حرفٌ واحدٌ.

وكذلك لو [احترق القُرّاءُ](١) كلُّهم، أو قُتِلوا، أو ماتوا، لبَقيَ القرآنُ بكمالِه كما كان، لم يُنتقَص منه حرفٌ واحدٌ؛ لأنه منه بدأَ، وإليه يعودُ عند فناءِ الخلقِ بكمالِه غيرَ منقوصٍ.

١٦- وقد كان لإمامِهِ المَرِيسيِّ في (أسماءِ اللهِ) مَذهبٌ كمذهبِه في القرآنِ.

كان (القرآنُ) عنده مخلوقًا مِن قولِ البَشرِ، لم يَتكلَّمِ اللهُ بحرفٍ منه في دعواه(٢)، وكذلك (أسماءُ اللهِ) عنده مِن ابتداعِ البشرِ مِن غيرِ أن يقولَ اللهُ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾ [القصص] بزعمِه قطُّ.

وزعمَ أني متىٰ اعترفتُ بأن اللهَ تكلَّمَ بـ «أنِّي أنا الله ربّ العالمين»؛ لزمني أن أقولَ: تكلَّمَ اللهُ بالقرآنِ، ولو اعترفنا بذلك لانكسَرَ علينا مذهبُنا في القرآنِ.

---

(١) في (الأصل): (احترقتِ القَرَأةُ)، والمثبت من (ب).

(٢) والأشاعرة كذلك ساروا علىٰ هذا المذهب في إنكارِ الحرفِ في كلامِ الله تعالىٰ، فعندهم أن القرآن كلامُ الله علىٰ المجازِ لا الحقيقة؛ لأنَّ اللهَ لا يتكلَّم بحرفٍ ولا صوت، وإنما القرآن عندهم عبارةٌ عن كلامِ الله تعالىٰ، فرجع مذهبهم إلىٰ مذهب الجهمية المريسية كما تقدم تقريرُ ذلك في التعليق علىٰ كتاب «الرد علىٰ الجهمية» برقم (١٩٠ و٢٣٤ و٢٦٠).

وقد بيَّن ضلالهم وموافقتهم للجهمية في إنكار الحرف والصوت في كلام الله عَزَّوَجَلَّ: السجزي في «رسالة إلىٰ أهل زبيد في الرد علىٰ مَن أنكر الحرف والصوت».

وقد كسَرَ اللهُ عليهم علىٰ رَغمِ أُنوفهم، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ [القصص]، لا يَستحِقُّ مخلوقٌ أن يَتكلَّمَ بهذا، فإن فعلَ ذلك كان كافرًا، كفرعونَ الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ [النازعات](١).

فهذا الذي ادَّعوا في (أسماءِ اللهِ)؛ أصلٌ كبيرٌ مِن أصولِ الجهميةِ التي بَنَوا عليها مِحنَهم، وأسَّسُوا بها ضَلالتَهم، غالطوا بها الأغمارَ والسُّفهاءَ، وهم يرون أنهم يُغالِطون بها الفُقهاءَ، ولَئن كان السُّفهاءُ [٤/ب] في غَلَطٍ مِن مذاهبِهم، إنَّ الفُقهاءَ منهم لعلىٰ يقينٍ(٢).

١٧- أرأيتُم قولَكم: إنَّ (أسماءَ اللهِ) مخلوقةٌ، فمَن خلَقَها؟

أو كيف خلَقَها؟

أجعلها أجسامًا وصورًا تشغلُ أعيانُها أمكِنةً دونَه مِن الأرضِ والسماءِ؟

---

(١) انظر الرد علىٰ الجهمية (٢١٣ و٢٧٠). وسيأتي كذلك نحوه برقم (٢١٦).

(٢) عند اللالكائي (٣٢٣) قال خلف بن هشام: ... ورأيتُ يَدورُ أمرُ الإسلام علىٰ هذا الاسم. قال رسول الله ﷺ: «**أُمرتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتىٰ يقولوا: لا إله إلَّا الله**».

أرأيتَ الوضوءَ حين يَبدأ فيه الإنسانُ يقول: (بسمِ الله)، فإذا فرغَ قال: (سُبحانَك اللهم).

ورأيت الأذانَ أولُه: (الله أكبر)، ولا يزال يُردِّدُ: (أشهد أن لا إله إلَّا الله).

ثم رأيت الصلاة حين يبتدِئُ فيها يفتتِحُ بقوله: (الله أكبر)، فلا يزال في ذلك حتىٰ يختم بقوله: (السلام عليكم ورحمة الله)، فأوَّلُها وآخِرُها: (الله).

ورأيت الحجَّ: (لبيك اللهم لبيك)، ورأيت الذبيحةَ: (بسم الله).

ورأيت أمرَ الإسلام يدور علىٰ هذا الاسمِ، فمَن زعمَ أن (أسماء الله مخلوقةٌ)؛ فهو كافرٌ، وكفرُه عندي أوضحُ مِن هذه الشمسِ.

أم موضِعًا دونه في الهواءِ؟

فإن قلتُم: (لها أجسامٌ دونه)؛ فهذا ما تنفيه عقولُ العُقلاءِ.

وإن قلتُم: (خلقها على ألسنةِ العبادِ، فَدَعَوْهُ بها، وأعاروها إيَّاه)؛ فهو ما ادَّعينا عليكم: أنَّ اللهَ بزعمكم كان مجهولًا لا اسمَ له حتى حدث الخلق فأحدثوا أسماءً مِن مخلوقِ كلامِهم.

وهذا هو الإلحادُ باللهِ، وفي أسمائِه، والتكذيبُ بها.

• قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة]، كما نُضيفه إلى اللهِ ربِّ العالمين، ولو كان كما ادَّعيتم لقيل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة]، المُسمَّى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة].

• وكما قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران].

• وكما قال: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:١]، كذلك قال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [فصلت]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت].

• ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [النمل]، كلُّها بمعنًى واحدٍ، وكلُّها هي الله، واللهُ هو أحدُ أسمائه، كالعزيزِ، الحكيمِ، الجبَّارِ، المُتكبِّرِ،

كذلك روىٰ زعيمُكم الأوسط يعقوبُ أبو يوسف(١)، عن الشعبي، إن قنعتم

(١) هو القاضي يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الكوفي المُتوفىٰ سنة: (١٨٢هـ).
مِن كبار أئمة المذهب الحنفي، وهو رأسٌ مِن رُؤوسِ المُرجئة، وأمَّا الزعيمُ الأكبر فهو فيما يظهرُ: إمام أهل الرأي أبو حنيفة النعمان بن ثابت.
قال أبو يوسف: صحبتُ أبا حنيفة سبع عشرة سنة.
قال الإمام أحمد: أول ما كتبتُ الحديث اختلفت إلىٰ أبي يوسف، كان أميل إلىٰ المُحدِّثين من أبي حنيفة ومحمد [الشيباني]. «السير» (٨/ ٥٣٥).
* وفي قول المُصنِّف: (زعيمكم الأوسط)، أمران:
الأول: أن المريسي وابن الثلجي وأصحابهم الذين ردَّ عليهم المُصنِّف كانوا في الفروع علىٰ مذهب الأحناف، وممَّن جالسوا أبا يوسف، وأخذوا عنه المذهب.
وكذا ذكروا ذلك في ترجمة شيخهم الجهم بن صفوان.
والآخر: في قوله: (زعيمكم) إشارة إلىٰ أنه مُتكلَّم فيه من قِبل أئمَّة السُّنة، وهو كذلك، فقد كان مِن المُرجئة الذين يخرجون العمل مِن مُسمَّىٰ الإيمان كما في «الضعفاء» للعُقيلي (٦/ ٤٢٤)، والخلال (١٠٢٤)، واللالكائي (١٣٨٠).
- وفي «الجرح والتعديل» (٩/ ٢٠١) قال عبد الله بن أحمد: سألتُ أبي عن أبي يوسف؟ فقال: صدوق؛ ولكن مِن أصحابِ أبي حنيفة، لا ينبغي أن يُروى عنه شيء.
- وفي «المجروحين» (٣/ ٧١) قال زياد بن أيوب: سألتُ أحمد بن حنبل عن الرِّواية عن أبي حنيفة، وأبي يوسف؟ فقال: لا أرىٰ الرِّواية عنهما.
- وفي «تاريخ بغداد» (١٦/ ٣٧٢) قال زكريا الساجي: يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف صاحب أبي حنيفة مذمومٌ مُرجئ.
- وفيه (١٤/ ٢٥٨) قال أبو حفص عمرو بن علي: سمعت يحيىٰ القطان، وقال له جارٌ له: حدثنا أبو يوسف، عن أبي حنيفة، عن جوَّاب التيمي.
فقال: مُرجئٌ، عن مُرجئٌ، عن مُرجئٌ.
- وفيه (١٦/ ٣٧٢) قال نُعيم بن حماد: سمعتُ ابن المبارك وذكروا عنده أبا
⇦=

بروايتِه.

١٨- حدثناه موسىٰ بن إسماعيل، ثنا أبو يوسف، عن مُجالِدٍ، عن الشَّعبي، قال: اسمُ اللهِ الأعظمُ: هو (اللهُ)(١).

١٩- حدثنا هُدبة بن خالد، أخبرنا أبو هلال الراسبي، عن حيان الأعرج، عن جابر بن زيد، قال: اسمُ اللهِ الأعظم: هو (الله)، ألم تَروا أنه يُبدأ به قبل الأسماءِ كلها(٢).

أفلا يَستحي عبدٌ مِن خالقِه، ومِن خلقِ ربِّه؛ فيدَّعي أنَّ (اللهَ) اسمٌ مخلوقٌ مُستعارٌ!

=

يوسف، فقال: لا تُفسِدوا مجلسنا بذكر أبي يوسف.

- وفيه (١٤/ ٢٥٩) قال ابن إدريس: سمعت وكيعًا- وسأله رجلٌ عن مسألة -، فقال الرجل: إن أبا يوسف يقول كذا وكذا، فحوَّل رأسَه، وقال: أما تتقي الله ! بأبي يوسف تَحتجُّ عند الله عَزَّوَجَلَّ؟!

وقد هجره الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما كلَّمه وسأله، فلم يُجبه حتىٰ قال له أمير المؤمنين هارون الرشيد: يا أبا عبد الله، هذا يعقوب قاضينا يسألك.

فأقبل عليه مالكٌ، فقال: يا هذا، إذا رأيتنا جلسنا لأهل الباطلِ فاحضر معهم نُجبك. رواها الهروي في «ذم الكلام» (٩٠٨)

وانظر كذلك ما سيأتي (٢١٩ و٢٢٥ و٢٥٠) مِن كلام المُصنِّف في شأن أبي يوسف.

قلت: فمَن تكلَّم عليه فإنما تكلَّم عليه من قِبلِ الإرجاء، أمَّا الجهمية فقد كان أبو يوسف مُنكِرًا عليهم، كما سيأتي بيان ذلك برقم (٢١٩).

(١) رواه ابن أبي شيبة (٢٩٣٦٧ و٣٥٦١٣)، (باب اسم الله الأعظم).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٢٩٣٦٦)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٥٠).

٢٠- حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم]؛ اسمٌ مِن أسماءِ الله(١).

وقد رُوي لنا في تفسيرِها عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما.

٢١- حدثنا أحمد بن يونس، ثنا هُشيم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد ابن جُبير، عن ابنِ عباس رضي الله عنهما قال: (كاف): مِن كريمٍ، و(عين): مِن عليمٍ، و(ياء): مِن حكيمٍ، و(هاء): مِن هادٍ، و(صاد): مِن صَدُوقٍ(٢).

• وحتىٰ إنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان يُجمِلُها فيقول: (يا كهيعص)،

---

(١) رویٰ البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٦٣) من طريق المُصنِّف، عن عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن ابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالىٰ: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم]، و﴿طه ۝١﴾ [طه]، و﴿طسٓ﴾ [النمل]، و﴿طسٓمٓ ۝١﴾ [الشعراء]، و﴿يسٓ ۝١﴾ [يس]، و﴿صٓ﴾ [ص]، و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى]، و﴿قٓ﴾ [ق]، ونحو ذلك، قسمٌ أقسمه الله، وهي مِن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

ورواه ابن جرير (١٥/ ٤٥١)، وابن أبي حاتم كلاهما في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٧).

ورویٰ الطبري (١٥/ ٤٥٢) نحوه عن أبي العالية رَحِمَهُ اللَّهُ.

وانظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي: (باب ما جاء في حروف المُقطَّعات في فواتح السور وأنها من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ) ففيه زيادة بيان.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٠٢٣)، والحاكم في «المُستدرك» (٣٤٠٥)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وهو كذلك.

اغفر لي. كما يقول: (يا الله) اغفِر لي.

٢٢- حدثنا رَوْح بن عبد المؤمن المُقرئ، ثنا محمد بن مسلم، ثنا نافع ابن أبي نُعيم، عن فاطمة ابنة عليٍّ رضي الله عنها، أنها سمعت عليًّا رضي الله عنه يقول: (يا كهيعص) اغفر لي[١].

فمَن خلقَ: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم] في دعواكم؟ ومَن تكلَّمَ بها قبلَ الله؟ ومَن اهتدىٰ لها غيرُ الله؟

وكما قال اللهُ في كتابِه: ﴿أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ [القصص]، كذلك قال علىٰ لسانِ نبيِّه ﷺ: (أنا الرحمن).

٢٣- حدثناه مُسَدَّدٌ، ثنا سفيان، عن الزُّهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن عبدِ الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال: سمعتُ

---

(١) رواه ابن ماجه في «التفسير» كما في «تهذيب الكمال» (٢٩/ ٢٨٤)، مِن طريق نافع به.
ورواه الطبري (١٥/ ٤٥١)، وفي إسناده: أبو بكر الهذلي، وهو متروك.
- قال الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣١٨): وروي أن ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم]، اسمٌ من أسماء الله تعالىٰ.
ورُوِيَ أن عَلِيًّا رضي الله عنه أقسم بـ(كهيعص)، أو قال: (يا كهيعص).
والدعاء لا يدلُّ علىٰ أنه اسمٌ واحد، لأن الداعي إذا عَلِمَ أن الدُّعاءَ بهذه الحروف يدلُّ علىٰ صفات الله عَزَّوَجَلَّ فدعا بها، فكأنه قال: (يا كافي)، (يا هادي)، (يا عَالِم)، (يَا صَادِق)، فكأنه دعا بـ(كهيعص) لِذكرها في القرآن، وهو يدلُّ علىٰ هذه الصفات، فإذا أقسم فقال: و(كهيعص)، فكأنه قال: (والكافي)، (والهادي)، (والعالم)، (والحكيم)، (والصادق). اهـ

[٥/ أ] رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «قال اللهُ: (أنا الرحمنُ)، وهي الرَّحِمُ، شققتُ لها مِن اسمِي، فمَن وصلَها وصلته، ومَن قطعها بتتُّه»(١).

فيقولُ اللهُ: أنا شققتُ لها مِن اسمي.

وادَّعتِ الجهمية المُكذِّبين للهِ ولرسولِهِ أنَّهم أعارُوه الاسمَ الذي شقَّها منه!

ومِن أينَ علِمَ الخلقُ أسماءَ الخالقِ قبلَ تعليمِه إيَّاهم؟ فإنه لم يَعلم آدمُ ولا الملائكةُ أسماءَ المخلوقين، حتىٰ علَّمَهم اللهُ مِن عنده، وكان بُدُوُّ عِلمِها منه، فقال: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة].

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ للهِ تِسعةً وتِسعينَ اسمًا، مَن أحصاها وحَفِظَها دخلَ الجنَّةَ».

٢٤- حدثنا علي بن المديني، ثنا سُفيان بن عُيينة، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «للهِ تِسعةٌ وتِسعونَ(٢)

---

(١) رواه أحمد (١٦٨٠ و ١٦٨٦)، وأبو داود (١٦٩٤)، والترمذي (١٩٠٧).

وقد اختلف في إسناده، وأطال الكلام عنه الدارقطني في «العلل» (٥٥٠).

(٢) في الأصل: (تسعين)، وما أثبته من (ب).

اسْمًا، مائةٌ إلَّا واحد[1]، لا يَحفظُها أحدٌ إلَّا دخلَ الجنةَ، وهو وِترٌ، يُحبُّ الوِترَ»[2].

٢٥- حدثنا هشام بن عمَّار الدمشقي، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا خُليد بن دَعلج، عن قتادة، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «للهِ تِسعةٌ وتِسعونَ[3] اسمًا، مَن أحصاها كلَّها دخَلَ الجنةَ»[4].

٢٥/ أ- قال هِشامٌ: وحدثنا الوليد بن مسلم، ثنا سعيد بن عبد العزيز مثل ذلك، وقال: كلُّها في القرآنِ: هو الله الذي لا إله إلَّا هو [الرحمنُ، الرحيمُ]، المَلكُ القُدُّوسُ، السلامُ، المُؤمنُ، المُهيمنُ، العزيزُ، الجبارُ، المُتكبِّرُ، الخالقُ، البارئُ، المُصوِّرُ، الغفَّارُ، القهَّارُ، الوهَّابُ، الرزَّاقُ، الفتَّاحُ، العليمُ، القابضُ، الباسطُ، الخافضُ، الرافعُ، المُعزُّ، المُذلُّ، السميعُ، البصيرُ، الحكمُ، العدلُ، اللطيفُ، الخبيرُ، الحليمُ، العظيمُ، الغفورُ، الشكورُ، العليُّ، الكبيرُ، الحفيظُ، الحسيبُ، الجليلُ، الكريمُ، المُحصيُ، الرقيبُ، المجيبُ، الواسعُ، الحكيمُ، الودودُ، المجيدُ، الباعثُ، الشهيدُ، الحقُّ، الوكيلُ، القويُّ، المتينُ، الوليُّ، الحميدُ، المُبدئُ، المُعيدُ، المُحيي، المُميتُ، الحيُّ، القيومُ، الماجدُ، الواجدُ، الأحدُ، [الفرد]، الصمدُ، القادرُ، المُقتدرُ، المُقدم، المُؤخِّرُ، الأولُ،

---

(١) كذا في الأصل. وعند مَن خرجه: (واحدًا).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٣) في الأصل: (تسعين)، وما أثبته من (ب).

(٤) رواه البزار (٩٩٦٠)، والطبراني في «الدعاء» (٩٦)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٨٩).

الآخِرُ، الظاهرُ، الباطنُ، الوالي، المُتعالي، البرُّ، التوابُ، المُنتقمُ، العفوُّ(١)، الرؤوفُ، مالِكُ المُلكِ، ذو الجلالِ والإكرامِ، المُقسِطُ، الجامعُ، [المُغنيُّ]، المُعطي، المانِعُ، الضَّارُّ، النافِعُ، النورُ، الهادي، البديعُ، الغنيُّ، الباقي، الوارثُ، الرشيدُ، الصبُورُ(٢).

---

(١) في (ب): (الغفور).

(٢) لم يُسند المُصنِّف سرد هذه الأسماء مِن تمام الحديث، وهو الصحيح، فإنه مِن قول سعيد بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما عند المُصنِّف.

- قال ابن كثير في «التفسير» (٣/ ٥١٦): والذي عوَّل عليه جماعة من الحُفَّاظ أن سردَ الأسماء في هذا الحديث مدرجٌ فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني، عن زُهير بن محمد: أنه بلغه عن غيرِ واحدٍ من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي: أنهم جمعوها من القرآنِ كما ورد عن جعفر بن محمد، وسفيان بن عيينة، وأبي زيد اللغوي، والله أعلم. اهـ

- وروىٰ الترمذي (٣٥٠٧) هذا الحديث، وأدرج هذه الأسماء فيه، وقال: هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحدٍ عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلَّا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث.

وقد روي هذا الحديث مِن غيرِ وجه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، ولا نعلم في كبير شيءٍ مِن الروايات ذكر الأسماء إلَّا في هذا الحديث.

وقد روىٰ آدم بن أبي إياس، هذا الحديث بإسنادٍ غير هذا عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، وذكرَ فيه الأسماء، وليس له إسنادٌ صحيح. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتاوىٰ» (٦/ ٣٧٩): وقد اتَّفق أهل المعرفة بالحديث علىٰ أن هاتين الروايتين ليستا مِن كلام النبي ﷺ، وإنما كل منهما من كلام بعض السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مُفسَّرًا في بعض طُرق حديثه.

⇦=

فهذه كلُّها أسماءُ الله، لم تَزل له كما لم يَزل، بأيِّها دعوتَ فإنما تَدعو اللهَ نفسَه.

وفي أسماءِ اللهِ حُججٌ وآثارٌ أكثرُ ممَّا ذكرنا، تركناها مخافةَ التطويل.

٢٦- وفيما ذكرنا مِن ذلك [٥/ ب] بيانٌ بيِّنٌ، ودلالةٌ [قاطعةٌ] ظاهرةٌ علىٰ

= ولهذا اختلفت أعيانهما عنه؛ فروي عنه في إحدىٰ الروايات من الأسماء بدل ما يذكر في الرواية الأُخرىٰ؛ لأن الذين جمعوها قد كانوا يذكرون هذا تارة وهذا تارة؛ واعتقدوا - هم وغيرهم - أن الأسماء الحُسنىٰ التي من أحصاها دخل الجنة ليست شيئًا مُعينًا؛ بل من أحصىٰ تسعة وتسعين اسمًا مِن أسماء الله دخل الجنة، أو أنها وإن كانت مُعيَّنة فالاسمان اللذان يتفق معناهما يقوم أحدهما مقام صاحبه كـ(الأحد) و(الواحد)؛ فإن في رواية هشام بن عمَّار، عن الوليد بن مسلم عنه، رواها عثمان بن سعيد: (الأحد) بدل (الواحد)، و(المُعطي) بدل (المُغني)، وهما مُتقاربان، وعند الوليد هذه الأسماء بعد أن روىٰ الحديث عن خليد بن دعلج، عن قتادة، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ثم قال هشام: وحدثنا الوليد، حدثنا سعيد بن عبد العزيز مثل ذلك، وقال: كلها في القرآن: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: ٢٢] ... مثل ما ساقها الترمذي؛ لكن الترمذي رواها عن طريق صفوان بن صالح، عن الوليد، عن شعيب، وقد رواها ابن أبي عاصم، وبين ما ذكره هو والترمذي خلاف في بعض المواضع، وهذا كله مما يُبيِّن لك أنها من الموصول المُدرج في الحديث عن النبي ﷺ في بعض الطرق؛ وليست من كلامه، ولهذا جمعها قومٌ آخرون علىٰ غير هذا الجمع، واستخرجوها من القرآن منهم: سفيان بن عيينة، والإمام أحمد بن حنبل، وغيرهم. اهـ

قلت: جمع الإمامان سفيان بن عيينة وأحمد بن حنبل رَحِمَهُمَا اللهُ أسماء الله الحُسنىٰ، ورواها عنهما الخلال في «السنة» (١٨٩٦ و١٨٩٨).

إلحادِ هؤلاءِ المُلحدينَ في أسمائه، المُبتدعينَ أنَّها مُحدثةٌ مخلوقةٌ، قاتلهم الله أنَّىٰ يَخرُصُون، وعزَّ ربُّنا وجلَّ عمَّا غَمَصوه(١)، وتبارك وتعالىٰ عمَّا تنقَّصوه، وهو المُنتقمُ منهم فيما افتَرَضُوه.

وأيُّ تأويلٍ أوحشُ مِن أن يدَّعي رجلٌ: أن اللهَ كان ولا اسمَ له؟!

ما مُدَّعي هذا بمؤمنٍ، ولن يَدخُلَ الإيمانُ قلبَ رجلٍ حتىٰ يَعلمَ أنَّ اللهَ لم يزل إلهًا واحِدًا بجميعِ أسمائِه، وجميعِ صفاتِه، لم يَحدُث له منها شيءٌ، كما لم تزل وحدانِيَّتُه تبارك وتعالىٰ.

---

(١) أي: عابوه واستنقصوه وحقّروه.

٢- باب

٢٧- وادَّعىٰ المُعارِضِ: **(أنَّ اللهَ [تعالى] لا يُدرَكُ بشيءٍ مِن الحواسِّ الخمسِ)**.

وهي في دعواه: اللمسُّ، والشمُّ، والذوقُ، والبصرُ بالعينِ، والسمعُ.

واحتجَّ لدعواه بحديثٍ مُفتَعلٍ مَكذوبٍ علىٰ ابنِ عباس رضي الله عنهما، معه شواهِدُ ودلائلُ كثيرةٌ أنه مَكذوبٌ مُفتعلٌ(١).

فأوَّل شواهدِه:

أنه رواه المُعارِضُ: عن بشرِ بن غياث المَريسيّ المُتَّهمِ في توحيدِ الله، المُكذِّبِ بصفاتِهِ.

والثاني: أنه رواه بِشرٌ عن قومٍ لا يُوثَقُ بهم، ولا يُعرفون.

رواه المَرِيسي، عن أبي شهابٍ الخولاني، عن نُعيمِ بن أبي نُعيم، عن إبراهيمَ بن ميمون، عن عطاءٍ، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما.

[فيقال لهذا المُعارضِ: مَن بِشرٌ، وأبو] شِهابٍ الخولاني؟ و[مَن] نُعيمُ ابن أبي نُعيم؛ فيُحكمُ برواياتهم عن ابنِ عباس رضي الله عنهما علىٰ رِوايةِ قومٍ أجلَّةٍ

---

(١) سيذكر المُصنِّف برقم (٣٠٤) هذا الأثر، ويُبيِّن أنه بوضعِ الزنادقة أشبه.

- قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٨٣): فإذا وجدوا حديثًا قد وهِمَ المُحدِّث في روايتِه، وكان في ألفاظِ متنِه بعضُ التلبيسِ والتوهُّم، انتحلوه دينًا، وجعلوه أصلًا، ووثَّقوا روايتَه وإن لم يعرفوه، وصحَّحوه وإن كانوا لا يُثبتونه. اهـ

مشهورين مِن أهلِ العلمِ، قد رووا عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما خِلافَه؟!

فمن ذلك:

٢٨- ما حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي نَضرة، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«آتي يومَ القيامةِ بابَ الجنةِ، فيُفتحُ لي، فأرىٰ ربي وهو علىٰ كُرسيِّهِ - أو سريرِهِ - فيتجلَّىٰ لي، فأخرُّ له ساجِدًا»**(١).

فهذا أحدُ الحواسِّ، وهو: النظرُ بالعينِ، والتجلِّي، رواه هؤلاء المشهورون عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما علىٰ رَغمِ بِشرٍ.

ومن ذلك ما:

٢٩- حدثنا عثمان بن أبي شيبة، عن جرير بن عبد الحميد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: إذا تكلَّمَ اللهُ بالوحيِ، سَمِعوا له مثلَ سِلسِلَةِ الحديدِ علىٰ الصفوان(٢).

وهذه الحاسَّة الثانية(٣) بأسماعِ الملائكةِ علىٰ رغمِ بِشرٍ، وروايةِ بِشرٍ، فما تُغني عن بشرٍ روايتُه عن هؤلاءِ المغمورين إذا ما كذَّبَ بروايةِ هؤلاءِ المشهورين مع تكذيبِ الله إيَّاه قبلُ، وفي كتابه إذ يقول: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء].

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٢٨) بأطول من هذا.

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢١٦) بأتم من هذا.

(٣) في الأصل: (وهذا الحواس الثاني)، وما أثبته من (ج).

• و ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٥٣].

• وقال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة].

فأخبرَ الله تعالىٰ أنه قد أَسْمعَ موسىٰ نفسَ كلامِهِ، [وسَمِعَه موسىٰ بِسَمعِه].

وسيُكلِّمُ مَن يشاءُ يومَ القيامة.

ويراه المؤمنون يومَ القيامةِ عِيانًا بأَعيُنِهم، كما قال الله ورسوله ﷺ.

ويُحِسُّ الملائكةُ بكلامِه عند نزولِ وحيه حتىٰ يَصعقوا مِن شِدَّةِ صوته(١)، كما قال ابنُ عباسٍ وابنُ مسعودٍ رضي الله عنهما، وتأوَّلا فيه قولَ الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ](٢).

فهل مِن حَواسَّ أقوىٰ مِن السَّمعِ والنظرِ؟

فمَن يَلتفتُ إلىٰ بِشرٍ، وتفسيرِ بشرٍ، ويَتركُ الناطِقَ مِن [٦/أ] كتابِ اللهِ، والمأثورَ مِن قولِ رسولِ اللهِ ﷺ، إلَّا كلُّ مَخبولٍ مَخذولٍ(٣)؟

---

(١) في الأصل: (حواسه)، وفي الهامش: (صوابه: صوته).

(٢) أثر ابن مسعود رضي الله عنه رواه المُصنِّف في «الرد على الجهمية» (٢١٥)، وهو صحيح عنه.
وأثر ابن عباس رضي الله عنهما تقدم قريبًا.

(٣) بَيَّنَ الإمام الدارمي رحمه الله هاهنا أن الملائكة يصعقون مِن شدَّةِ صوتِ الربِّ جلَّ جلاله، لا كما حرَّفه بعض شُرَّاح الصحيح كالعيني (٢٥/ ١٢٥)، والكرماني (٢٥/ ١٧٩)، وغيرهما مِن المُعطِّلة مِن أن الصوت صوت المخلوقِ مِن الملائكة أو غيرهم، لتعالي الله عز وجل عندهم عن أن يكون له صوتٌ يُسمع، لاستحالته في =

=

حقِّه كما زعموا.

وقد تأثر بهذا القول بعض المُعاصرين فأصبح يُقرِّره في دُروسه، فليُتنبّه لهذا.

– قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية» (٣٠): وقد سَمَّتِ الملائكةُ كلام الله: (كلامًا)، ولم تسمِّه: (خلقًا)، قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ].

وذلك أن الملائكة لم يسمعوا صوت الوحي ما بين عيسىٰ ومحمد صلىٰ الله عليهما وسلم، وبينهما كذا وكذا سنة، فلمَّا أوحىٰ الله إلىٰ محمد ﷺ سَمِعَ الملائكةُ صوت الوحي كوقعِ الحديد علىٰ الصفا، فظنوا أنه أمرٌ مِن الساعةِ، فَفَزِعوا وخرُّوا لوجوههم سُجَّدًا، فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ [سبأ:٢٣]، يقول: حتىٰ إذا انجلىٰ الفزع عن قلوبهم، رفع الملائكة رُؤوسهم، فسأل بعضهم بعضًا، فقالوا: ماذا قال ربكم؟ ولم يقولوا: ماذا (خلق) ربكم؟ فهذا بيان لمَن أراد الله هداه. اهـ

– وفي «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٥١٨): سألتُ أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن قومٍ يقولون: لما كلّم الله عَزَّوَجَلَّ موسىٰ لم يتكلّم بصوتٍ.

فقال أبي: بلىٰ، إن ربَّك عَزَّوَجَلَّ تكلّم بصوتٍ، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت، وقال: حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إذا تكلَّم الله عَزَّوَجَلَّ سمعَ له صوتٌ كجرِّ السِّلسِلة علىٰ الصَّفوان. قال أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا الجهمية تُنكِرُه.

– وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «خلق أفعال العباد» (٤٧٨): وفي هذا دليلٌ أن صوت الله لا يشبه صوت الخلق؛ لأن صوت الله يُسمعُ مِن بُعدٍ كما يُسمع من قُربٍ، وأن الملائكة يصعقون مِن صوته، فإذا تنادىٰ الملائكة لم يصعقوا. اهـ

وقد استدلَّ ابن المُحبّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصفات» (٣/ ١٢١٢) بهذا الحديث علىٰ إثبات صوت الرب تعالىٰ، وبوَّب عليه بقوله: (ذِكرُ الصوت)، وذكر ألفاظًا كثيرة لهذا الحديث صريحة في أن المسموع هو صوت الرب تعالىٰ، ومنها:

=

٣٠- ثم طعنَ المُعارِضُ في رُؤيةِ اللهِ تعالىٰ يومَ القيامةِ ليرُدَّه بتأويلِ ضلالٍ(١)، وبقياسٍ مُحالٍ، فقال: (لم تره عَينٌ فتَستوصِفُه).

فنظرنا إلىٰ ما قالوا في قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

و﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

ورُوي فيه أقاويلُ مُسندةٌ، وغيرُ مُسندةٍ، فلا بُدَّ مِن معرفةِ ذلك(٢).

٣١- فيَزعمُ المُعارِض: **(أن عمر بن حماد بن أبي حنيفة، روى عن أبيه، [عن] أبي حنيفة: أنَّ أهلَ الجنةِ يَرون ربَّهم كما يشاءُ أن يَروه.**

فبيَّن في ذلك صِفاتِ هذه الأحاديثِ كلِّها: يَحتمِلُ أن يكونَ على ما ذهبَ إليه مَن قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام] - يعني: المَريسيَّ ونُظراءَه، الذين قالوا: لا تُدركه الأبصار في الدنيا والآخرةِ - أنَّ تفسيرَ ذلك(٣): أنه يُرى يومئذٍ: آياتُه وأفعالُه، فيجوزُ أن يقول: (رآه)، يعني(١):

= «إذا تكلّم بالوحي سَمِعَ أهلُ السماءِ صَلصلة كجرِّ السلسلة ..»، وقوله: «إذا أرادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أن يُوحي بالأمرِ تَكلَّمَ بالوحي، أخذت السماوات منه رجفةً ..».

و«.. وسمعوا صوت الوحي كأشدّ ما يكون مِن صوتِ الحديدِ علىٰ الصَّفا».

(١) فطريقتهم في تعطيل نصوص الصفات هي: التأويل والتحريف، كما بيَّنتُ ذلك في التعليق علىٰ «الرد علىٰ الجهمية» (برقم/ ٢٥ و٧٠)

(٢) تقدم برقم (١١ و١٢) الكلام عن الرُّؤية ، وسيأتي كذلك برقم (١٢٢-١٢٤) زيادة بيان مِن المُصنِّف عند عرضِ تحريفات المريسي للرؤية، والرد عليها.

وقد نقض المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (٣٧٢-٣٧٣) تفسير الجهمية للرؤية بالعلم.

(٣) أي: تفسير رؤية الله تعالىٰ بـ(رؤية آياته وأفعاله)، وهذا مِن تحريف الجهمية.

أفعالَه، وأُمورَه، وآياتِه، كما قال الله في كتابه: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ [آل عمران]، **فالموتُ لا يُرى وهو مَحسوسٌ، إنما يُدرك عملُ الموتِ.**

فإن كان أبو حنيفة أرادَ هذا، أو غيرَ ذلك فقد آمنَّا باللهِ، وبما أرادَ مِن هذه المعاني، ووَكلنا تفسيرَها وصفتَها إلى اللهِ [تعالى]).

فيُقالُ لهذا التائِهِ الذي لا يَدري ما يخرجُ مِن رأسِه، وينقُضُ آخِرُ كلامِه أوَّلَه: أليس قد ادَّعيتَ في أولِ كلامِك: أنه على ما ذهبَ إليه مَن قال: (**لا تُدركه الأبصار في الدنيا والآخرةِ**)، أنه يُرى: آياتُه وأفعالُه؟ فيجوزُ أن يقولَ: (رآه)، ثم قلتَ في آخرِ كلامِكَ: (**فقد وكلنا تفسيرَها إلى اللهِ**)، أَفَلا وكَلْتَ التفسيرَ إلى اللهِ قبلَ أن تُفسِّرَه؟

وزعمتَ أيضًا في أولِ كلامِك أنه لا بُدَّ مِن معرفةِ ذلك، ثم رجعتَ عن قولِك فقلتَ: (**لا، بل نَكِلُه إلى اللهِ**)، فلو كان لك ناصِحٌ لحجَرَ عليك الكلامَ!

والعجبُ مِن جاهِلٍ فسَّرَ له رسول الله ﷺ تفسيرَ الرُّؤيةِ مَشروحًا مُخلَّصًا ثم يقول: (**إن كانَ كما فسَّرَ أبو حنيفةَ فقد آمنَّا باللهِ**).

ولو قُلتَ أيها المُعارِضُ: (آمنَّا بما قال رسول الله ﷺ وفسَّره)، كان أولىٰ بك مِن أن تقول: (**آمنَّا بما فسَّرَ أبو حنيفة**)، ولا تدري قال ذلك أبو حنيفة أو لم يَقُله؟

=

(١) في (ب): (بعين).

وهل تركَ النبيُّ ﷺ في تفسيرِ الرُّؤيةِ **لأبي حنيفةَ والمَريسيِّ** وغيرِهما مِن المُتأوِّلين موضعَ تأويلٍ، إلَّا وقد فسَّرَه وأوضحَه بأسانيدَ أجودَ مِن عمرَ بن حمادِ بنِ أبي حنيفة؟.

٣٢- رواه إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**تَرونَ ربَّكم يومَ القيامةِ كما تَرون الشمسَ والقمرَ ليلةَ البدرِ ليس دونهما سَحابٌ لا تُضامون في رُؤيته**»(١).

ورواه غيرُه مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ، [عن النبيِّ ﷺ].

فكيفَ تَستحلُّ أن تقولَ: يَحتمِلُ أن يكون علىٰ ما ذهبَ إليه أبو حنيفةَ ولا يَحتمِلُ عندك أن يكونَ [٦/ ب] كما فسَّر رسولُ الله ﷺ؟ ولم يقُل رسولُ الله ﷺ: (يراه أهلُ الجنَّةِ كما يشاء)، كما رَويتَ عن أبي حنيفة - إن كان قاله - ولكن قال: «**كما تَرونَ الشمسَ والقمرَ صَحوًا ليس دونها سَحابٌ**»، فالتفسيرُ مقرونٌ بالحديثِ بإسنادٍ واحدٍ(٢).

---

(١) رواه المُصنِّف مُتَّصلًا في «الرد علىٰ الجهمية» (١١٧)، وهو حديث متفق عليه.

(٢) وهذه قاعدة ينبغي التنبُّه لها: وهي أن تفسير الحديث إذا كان مُقترنًا بالحديثِ بإسنادٍ واحدٍ فلا يجوز مُخالفته وتفسيره بغيره.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ٤٣٣): فشبَّه لهم رؤيته برؤية الشمس والقمر، وليس ذلك تشبيهًا للمرئي بالمرئي، ومن المعلوم أنه إذا كانت رؤيته مثل رؤية الشمس والقمر وجب أن يرىٰ في جهة من الرائي، كما أن رؤية الشمس والقمر كذلك، فإنه لو لم يكن كذلك لأخبرهم برؤية مُطلقة، نتأولها علىٰ ما يتأوّل من يقول بالرؤيةِ في غير جهة، أما بعد أن يستفسرهم عن رؤية ⇐

فمَن اضطرَّ الناسَ أيها المُعارِض إلىٰ الأخذِ بالمُبهمِ مِن كلامِ أبي حنيفة الذي رويتَ عنه - إن كان قاله - مع تَركِ قولِ رسولِ اللهِ ﷺ المنصوصِ المُفسَّرِ؟ هذا إذًا ظُلمٌ عظيمٌ، وجَورٌ جسيمٌ.

٣٣- وأمَّا قولُكَ: (**ولم تره عَينٌ فتَستوصِفُه**)، فلو احتجَّ بهذا صَبيٌّ صَغيرٌ لم يزد علىٰ ما قلتَ جهالةً.

أفرأىٰ [أحدٌ](١) الجنةَ والنارَ وما فيهما بعينِه فيَستوصِفَه؟!

وهل يَصِفُهما ويَصفُ ما فيهما إلَّا بما وصَفَهما الله في كتابه: أنَّ في الجنةِ حُورًا عِينًا، وطعامًا وشرابًا، وأنهارًا، ونَخلًا، ورُمانًا، وشجرًا، وقُصورًا مِن دُرٍّ وياقوتٍ، ولِباسًا مِن سُندُسٍ وإستبرقٍ، وحريرًا وما أشبهها.

وكذلك النارُ فيها: أنكالٌ، وقيودٌ، ومقامِعُ مِن حديدٍ، وأغلالٌ، وسلاسِلُ، وحَميمٌ، وزَقومٌ.

أفتصِفُ الجنةَ والنارَ أيُّها المُعارِضُ بهذه الصِّفاتِ عمَّن رآها بعينِهِ، أو عمَّا أخبرَ اللهُ في كتابِه، وأخبرَ الرسولُ ﷺ؟

وكذلك تَصِفُ رُؤيةَ اللهِ وتُفسِّرُها عن اللهِ، وعن رسولِه، وإن لم تَرَه عَينٌ تَستوصِفُه.

= الشمس صحوًا، ورؤية البدر صحوًا، ويقول: «**إنكم ترون ربكم كذلك**»، فهذا لا يمكن أن يتأوّل علىٰ الرؤية التي يزعمونها، فإن هذا اللفظ لا يحتملها لا حقيقةً ولا مجازًا. اهـ

(١) في الأصل: (أهل)، وما أثبته من (ب).

• قال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة].

• وقال رسولُ الله ﷺ: «**تَرونَ اللهَ جهرًا يومَ القيامةِ كما تَرونَ الشمسَ والقمرَ ليلةَ البدرِ**».

فأَخَذنا هذا الوصفَ عن اللهِ، وعن رسولِه، كما أخذنا صِفةَ الجنةِ والنارِ عنهما، وإن لم نرَ شيئًا منهما بأعيُننا، ولا أخبرنا عنهما مَن رآهما بعينيه.

فتدبَّر أيُّها المُعارضُ كلامَكَ ثمَّ تكلَّم، فلوا احتجَّ بما احتججتَ به صبيٌّ لم يبلُغ الحِنثَ(١) ما زاد.

٣٤- وأعجبُ مِن ذلك ما رويتَ عن أبي حنيفة - إن صَدَقَتْ عنه رِوايتُك - أنه ذهبَ في (**الرُّؤيةِ**) إلىٰ أن: (**يَروا آياتِهِ، وأفعالَه، وأموره**)، فيَجوزُ أن يُقالَ: (رَآه).

وهذا أيضًا مِن حُججِ الصِّبيانِ، لِمَا أنَّ آياتِه وأُموره وأفعالَه مَرئيَّةٌ منظورٌ إليها في الدنيا كلَّ يومٍ وساعةٍ، فما معنىٰ توقيتِها وتَحديدِها وتفسيرِها يومَ القيامةِ؟ مَن أنكرَ هذا فقد جَهِلَ.

وإن كان كما ادَّعيتَ ورَويتَ عن أبي حنيفةَ: ما خصَّ النبيُّ ﷺ بها يومَ القيامةِ دونَ الأيام.

ففي دعواك: يجوزُ للخلقِ كلِّهم، مؤمنهم وكافرهم أن يقولَ: نرىٰ ربَّنا في الدنيا كلَّ يومٍ وساعةٍ، لِمَا أنهم يَرون كلَّ ساعةٍ، وكلَّ ليلةٍ، وكلَّ يومٍ: أموره،

---

(١) في «العين» (٣/ ٢٠٦): يقال: بلغ الغلام الحِنث، أي: بلغ مبلغًا جرىٰ عليه القلم في المعصية والطاعة. اهـ

وآياتِـه، وأفعالَـه، فقـد بَطَـلَ في دعـواك قولـه: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]؛ لأن الأبصارَ كلَّ يومٍ وساعةٍ تُدرِكُ أُمورَه وآياتِه في الدنيا قبل الآخرةِ.

فأنكرتُم علينا رُؤيتَه في الآخرةِ، وأقررتُم برؤيةِ الخلقِ كلِّهم إيَّاه في الدنيا مؤمنِهم وكافرِهم، لِمَا أنهم جميعًا [٧/ أ] لا يَزالون يَرون: أُموره وآياتِه آناءَ الليلِ والنهارِ، فخالفتُم بسلوكِ هذه المَحجَّةِ جميعَ العالمين، ورددتُم قول الله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]؛ إذ ادعيتُم أن رُؤيتَه، تعني: إدراكَ آياتِهِ، وأُمورِه، وأفعالِه.

٣٥- وأمَّا دعواك: أنَّ رؤيةَ اللهِ كقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾ [آل عمران].

فلو قد عقَلتَ تفسيرَ هذه الآيةِ وفيمَ أُنزِلت؛ لكان احتجاجُك إقرارًا برُؤيةِ اللهِ عِيانًا؛ لأن هذه الرُّؤيةَ كانت رُؤيةَ عِيانٍ.

وتفسيرُ ذلك: رُؤيةُ القتلِ والقِتالِ، فقد رَأوه بأعيُنِهم وهم يَنظرون، فلم يَصبروا له، وإنما نزلت هذه الآيةُ: في قومٍ غابوا عن مشهدِ بدرٍ، فقالوا: لئن أرانا اللهُ قِتالًا ليَرَينَّ ما نَصنعُ، ولنُقاتِلنَّ.

فأراهم اللهُ القِتالَ عِيانًا، وهم يَنظرون إليه بأعيُنهم، فولَّوا مُدبرينَ كما قال الله، ولم يَصبِروا للقتالِ، فعفَا اللهُ عنهم، فقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾ [آل عمران].

فكان هذا رُؤيةَ عِيانٍ لا رُؤيةَ خفاءٍ.

٣٦- **حدثناه** موسىٰ بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن ثابتٍ، عن أنسٍ ﵁ قال: تَغيَّبَ أنسُ بن النضر عن بَدرٍ، فقال: تَغيَّبتُ عن أوَّلِ مشهدٍ شَهِدَه رسول الله ﷺ، لئن أرانِيَ اللهُ قِتالًا؛ ليَرَينَّ [اللهُ] ما أصنعُ(١).

٣٧- **حدثنا** العباس بن الوليد النَّرْسِي، عن يزيد بن زُرَيع، عن سعيد، عن قتادة: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ [آل عمران]، قال: كان أُناسٌ لم يشهدوا بدرًا، وكانوا يَتمنَّونَ أن يَروا قِتالًا فيُقاتِلوا(٢).

فهذه رُؤيةُ عِيانٍ، لا رُؤيةُ خَفاءٍ.

فإن أنكرتَ ما قلنا، فقد قال رسول الله ﷺ: إن الموتَ يُرىٰ في الآخرةِ، قال: «**يُؤتىٰ بالموتِ يومَ القيامةِ كأنَّه كَبشٌ أملَحُ، فيُذبحُ بينَ الجنةِ والنارِ، فيُقالُ: يا أهلَ الجنةِ، خُلودٌ ولا مَوتَ، ويا أهلَ النارِ، خُلودٌ ولا مَوتَ**»(٣).

ولولا كثرةُ ما يَستنكرُ الحقَّ ويرُدُّه بالجهالةِ لم نَشتغِل بكُلِّ هذه المُنازعةِ

(١) رواه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٧٩٧٠)، وهو صحيح عنه.

وروىٰ ابن جرير نحوه عن عامة المُفسِّرين، كمجاهد، والحسن، والربيع، والسدي، وابن إسحاق.

(٣) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﵁.

في الرُّؤيةِ؛ لِما أنَّ رسولَ الله ﷺ فسَّرَها تفسيرًا لم يدع لمُتأوِّلٍ فيها مَقالًا، إلَّا أن يُكابِرَ رجُلٌ غيرَ الحقِّ وهو يَعلَمُه، إذ سُئِلَ رسولُ الله ﷺ فقيل له: هل نرىٰ ربَّنا يومَ القيامةِ؟ فقال: «**هل تُضامُّون في رُؤيةِ الشمسِ والقمرِ صَحوًا؟ فكذلك لا تُضَامون في رُؤيتِه**»(١).

٣٨- حدثناه نُعيم، عن ابنِ المُبارك، عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهري، عن عطاء ابن يزيد، عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ(٢).

٣٩- وحدثناه نُعيم بن حماد، ثنا إبراهيم بن سعد، عن الزُّهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ(٣).

٤٠- وحدثنا عبد الله بن صالح، عن ليثِ بن سعد، عن هشام بن سعد،

---

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٩٠) بعد ذكره لهذا الحديث: (وسائر ما في هذا المعنىٰ من الأحاديث الصحيحة الصريحة المتواترة، مع ورودها علىٰ سؤال السائل وجوابه بهذا التصريح هو من أبلغ ما يكون في إثبات هذه الرؤية، وأبعد عن التشابه كما يظنه الرازي وغيره ممن يُحرِّف الرؤية عن حقيقتها اتِّباعًا للمريسي وغيره مِن الجهمية، وإن كان الرازي في الظاهر مُقرًّا بالرُّؤية؛ فإن إقراره بها كإقرار المريسي وذويه بألفاظها، ثم يُحرِّفون الكَلِم عن مواضعه). اهـ

قلت: وهذا الكلام يُؤكِّد ما تقدَّم التنبيه عليه (فقرة/ ١) مِن أن مذهب التأويل الذي عليه الأشاعرة والماتريدية اليوم هو مذهب المريسية، فهم ورثته والدَّاعون إليه مِن بعده.

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٢٢).

(٣) رواه المُصنِّف في «الرد على الجهمية» (١٢٢). ورواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

[عن زيدِ بن أسلم](١)، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

٤١- **وحدثناه** أحمد بن يونس، عن أبي شِهابِ الحنَّاط، [٧/ ب] عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جريرِ بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣).

٤٢- **وحدثنا** علي بن المديني، عن سُفيان بن عُيينة، عن إسماعيل بإسناده مثله(٤).

قال ابنُ المديني: لا يكونُ مِن الإسنادِ شيءٌ أجودَ مِن هذا(٥).

---

(١) ما بين [ ] من «الرد على الجهمية» (١٢٣).
(٢) رواه المُصنِّف في «الرد» (١٢٣). ورواه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣).
(٣) رواه البخاري (٥٥٤ و٥٧٣ و٤٨٥١)، ومسلم (٦٣٣).
(٤) رواه المُصنِّف في «الرد على الجهمية» (١١٨).
ورواه الحُميدي في «مُسنده» (٨١٧)، والدراقطني في «الرؤية» (٧٦).
(٥) نقله المُصنف في «الرد على الجهمية» (١١٨).
ولقد عدَّ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «حادي الأرواح» (٢/ ٦٣٦) رواة هذا الحديث، ثم قال: فكلٌّ هؤلاء شهدوا على إسماعيل بن أبي خالد، وشَهِدَ إسماعيل بن أبي خالد على قيس بن أبي حازم، وشَهِدَ قيس بن أبي حازم على جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشَهِدَ جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكأنَّك تسمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقوله ويُبلِّغه لأمَّته، ولا شيءَ أقرُّ لأعينهم منه، وشهدت الجهمية، والفرعونية، والرافضة، والقرامطة، والباطنية، وفروخ الصابئة والمجوس واليونان بُكفرِ مَن اعتقد ذلك، وأنه مِن أهل التشبيه والتجسيم، وتابعهم على ذلك كلُّ عدوٍّ للسُّنة وأهلها، والله ناصرٌ كتابه، وسُنة رسوله ولو كَرِهَ الكافرون. اهـ.

وقد رَوينا فيه بابًا كبيرًا في الكتابِ الأول بأسانيدها(١).

فمَن لم يُؤمن بها ولم يَرجُها كان مِن المَحجوبين يومَ القيامةِ، مِن الذين قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين]؛ لأنه يُقالُ: (مَن كذَّبَ بفضيلةٍ لم يَنلها)، وقد كذَّبتِ الجهميةُ بهذه الفضيلةِ أشدَّ التكذيبِ(٢).

(١) يعني: كتابه «الرد علىٰ الجهمية» (٩ / باب الرؤية).

(٢) رویٰ هنّاد في «الزُّهد» (١٨٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مَن كَذَّبَ بالشَّفاعةِ فليسَ له فيها نَصيبٌ، ومَن كَذَّبَ بالحوضِ فليسَ له فيه نصَيبٌ. وإسناده صحيح.

وقد رواه أبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده» (٣٤٤٣)، وابن عدي في «الكامل» (٣١٤٠) مرفوعًا ولا يصح.

- وفي «تاريخ بغداد» (٧/ ٥٣١) عن الحسن بن محمد بن الأزهر، قال: سمعت عثمان بن سعيد الرازي، قال: حدثنا الثقة من أصحابنا، قال: لمَّا مات بشر بن غياث المريسي لم يشهد جنازته مِن أهل العلم والسُّنة أحدٌ إلَّا عُبيد الشونيزي، فلمَّا رجعَ مِن جنازة المريسي أقبل عليه أهل السُّنة والجماعة، قالوا: يا عدوَّ الله، تنتحل السُّنة، وتشهدُ جنازة المريسي؟!

قال: أنظروني حتىٰ أخبركم، ما شهدتُ جنازة رجوت لها مِن الأجرِ ما رجوت في شهود جنازته، لما وُضِعَ في موضع الجنائز قُمتُ في الصفِّ، فقلتُ:

اللهم عبدك هذا كان لا يؤمن برؤيتك في الآخرة، اللهم فاحجُبه عن النظرِ إلىٰ وجهك يوم ينظر إليك المؤمنون.

اللهم عبدك هذا كان لا يؤمن بعذاب القبر، اللهم فعذِّبه اليوم في قبره عذابًا لم تُعذِّبه أحدًا مِن العالمين.

اللهم عبدك هذا كان يُنكر الميزان، اللهم فخفِّف ميزانه يوم القيامة.

اللهم عبدك هذا كان يُنكر الشفاعة، اللهم فلا تُشفِّع فيه أحدًا مِن خلقك يوم ⇐

٤٣- وكتب إليَّ علي بن خشرم، قال: مَن نازعَ في حديثِ الرُّؤيةِ؛ ظهَرَ أنه جهميٌّ(١).

= القيامة.

قال: فسكتوا عنه وضحكوا.

(١) وفي «خلق أفعال العباد» (٣٢) قال وكيع: مَن كذَّبَ بحديث الرُّؤية فهو جهمي، فاحذروه.

- قال عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٥٢): سمعتُ بعض المشايخِ يقول: سألوا وكيعًا عن حديث الرُّؤية؟ فحدَّث بها؛ قال: ثم جعل يقول: غُمُّوا الجهمية بهذه الأحاديث. مرَّتين.

- وعند الخلال (١٧٠٩) قال عبيد الله الحلبي: سمعت أحمد - وحدثني بحديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه في الرؤية -، فلما فرغ قال: على الجهمية لعنة الله.

- وفي «طبقات الحنابلة» (١/ ٤٦١) عن شاهين بن السَّميدَع قال: سألتُ أبا عبدالله عمَّن يُبطلُ الرُّؤيةَ، ويقول: إن اللهَ تبارك وتعالى لا يُرى في القيامة؟

فقال: هذا مِن الجهمية، مَن زعمَ أن الله لا يُرى في القيامةِ فقد أبطلَ حديث رسول الله ﷺ.

وسيأتي برقم (١٢٢) بيان موقف الأشاعرة من إثبات الرؤية في الآخرة، وأنهم نافون لها في الحقيقة، وقد تقدم الإشارة إلى شيء من ذلك في «الردِّ» (١٤٧).

٣- باب
النزول(١)

وادَّعىٰ المُعارِضُ - أيضًا - أن قول النبي ﷺ: «**إنَّ اللهَ ينـزِلُ إلىٰ السماءِ الدنيا إذا مضىٰ ثلثُ الليلِ فيقولُ: هل مِن تائبٍ؟ هل مِن مُستغفرٍ؟ هل مِن داعٍ**».

٤٤- حدثناه القَعنبي، وابن بُكير، عن مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن الأغر، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَنزِلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلىٰ سماءِ الدنيا حين يَبقىٰ ثُلثُ الليلِ الآخرُ، فيقولُ: مَن يَدعُني أستجبُ(٢) له، مَن يَسألُني فأعطيَه؟ مَن يَستغفِرُني فأغفِرَ له؟**»(١).

---

(١) عقد المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» الباب (٤) في إثبات نزول الله تعالىٰ.

واعلم أن أحاديث نزول الله تعالىٰ مِن أشدِّ الأحاديث علىٰ الجهمية؛ لأنها تدلُّ علىٰ العلو، وتستلزم إثبات المجيء والحركة وغير ذلك مما تنكره الجهمية وتستبشعه، كما سيأتي عند قول المُصنِّف (١٩٧): أغيظ حديث للجهميةِ وأنقض شيء لدعواهم؛ لأنهم لا يُقرُّون أن الله فوق عرشه، فوق سمواته... إلخ.

* (**فائده**): قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان فضل علم السلف علىٰ علم الخلف»: وقد اعترض بعض من كان يعرف هذا علىٰ حديث النزول ثلث الليل الآخر، وقال: ثُلث الليل يختلف باختلاف البلدان، فلا يمكن أن يكون النزول في وقتٍ معين. ومعلومٌ بالضرورة مِن دينِ الإسلام قُبح هذا الاعتراض، وأن الرسول ﷺ أو خلفاءه الراشدين لو سَمِعوا مَن يعترض به لما ناظروه، بل بادروا إلىٰ عقوبته، وإلحاقه بزُمرة المُخالفين المُنافقين المُكذِّبين. اهـ

(٢) في الأصل: (أستجيب)، وما أثبته من (ب).

٤٥- **حدثنا** أبو عُمر الحَوضي، عن هشام الدستوائي، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاءِ بن يسار، عن رِفاعةَ الجُهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مضىٰ ثلُثُ الليلِ - أو شطرُ الليلِ - يَنزلُ اللهُ إلىٰ السماءِ الدنيا، فيقولُ: لا أسألُ عن عبادي غيري، فمَن يستغفِرْني أغفِرْ له، مَن يَدعُني أستجب له، مَن يَسألْني أُعطِه، حتىٰ يَنفجرَ الفجرُ**»(٢).

وهذا بابٌ طويلٌ قد جمعناه في الكتابِ الأول(٣).

٤٦- فادَّعىٰ المُعارِضُ: (**أنَّ اللهَ لا يَنزلُ بنفسِهِ إنما يَنزلُ أمرُه ورحمتُه، وهو علىٰ العرشِ [و]بكلِّ مكانٍ، مِن غيرِ زوالٍ؛ لأنه الحيُّ القيومُ، و(القيومُ) - بزعمه -: مَن لا يَزولُ**)(٤).

فيُقالُ لهذا المُعارِض: وهذا أيضًا مِن حُججِ النِّساءِ والصِّبيانِ، ومَن ليس عندَه بَيانٌ، ولا لمذهبِه بُرهانٌ؛ لأنَّ أمرَ اللهِ ورحمتَه ينزلُ في كلِّ ساعةٍ ووقتٍ

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٨٦).
ورواه مالك في «الموطأ» (٧٢٤)، والبخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٨٧).

(٣) يعني: كتابه «الرد علىٰ الجهمية»، فقد عقد فيه أبوابًا في (نزول الربِّ تعالىٰ)، ثم قسَّمها إلىٰ أبواب في نزول الله في كلِّ ليلة، ونزوله عَزَّوَجَلَّ عشيَّة عرفة، ونزوله ليلة النصف من شعبان، ونزوله يوم القيامة، ونزوله لأهلِ الجنة.

(٤) سيأتي كذلك نقض المُصنِّف لهذا التأويل عند قوله (١٩٤): (فكان مِن أعظمِ المُعارضِ لدفعِ حديثِ رسولِ الله ﷺ في النزولِ؛ حكاية حكاها عن أبي معاوية الضرير لعلَّها مَكذوبةٌ عليه أنه قال: (نزولُه): أمرُه وسُلطانُه وملائكتُه ورحمتُه..).

وأوانٍ، فما بالُ النبيِّ ﷺ يَحدُّ لنزولِه الليلَ دون النهار؟ ويُوقِّتُ مِن الليلِ شَطرَه أو الأسحارَ؟

أفبأمرِه ورحمتِه يدعو العِبادَ إلىٰ الاستغفار؟

أوَيقدِرُ الأمرُ والرحمةُ أن يَتكلَّما دونه؛ فيقولا: (هل مِن داعٍ فأجيب؟ هل مِن مُستغفرٍ فأغفر له؟ هل مِن سائلٍ فأُعطي؟).

فإن قرَّرتَ مذهبَك لزِمَكَ أن تدَّعِيَ أن الرَّحمةَ والأمرَ الَّذين(١) يَدعوانِ إلىٰ الإجابةِ والاستغفارِ بكلامِهما دون اللهِ، وهذا مُحالٌ عند السُّفهاءِ، فكيف عند الفُقهاءِ؟! وقد عَلِمتُم ذلك ولكن تُكابِرون.

وما بالُ رَحمتِه وأمرِه يَنزلانِ مِن عنده شَطرَ الليلِ، ثم لا يَمكُثانِ إلَّا إلىٰ طلوعِ الفجرِ ثم يُرفعانِ [٨/ أ]؛ لأن رِفاعةَ ﷺ يَرويه يقولُ في حديثه: «**حتَّىٰ يَنفجرَ الفجرُ**».

قد علمتُم - إن شاء الله - أنَّ هذا التأويلَ أبطلُ باطلٍ، لا يَقبَلُه إلَّا كلُّ جاهِلٍ(٢).

---

(١) كذا في المخطوطتين، ولعلّ الصواب: (اللذين).

(٢) ومع ظهورِ بطلان وتناقض هذا التحريف إلَّا أنه هو الدَّارج عند كثير مِن شُرَّاح الأحاديث الذين سلكوا مسالك أهل التعطيل فِرارًا منهم من إثبات العلو، وبعض اللوازم التي يدّعونها. ومن ذلك:

- قال ابن حبان في «صحيحه» (٣/ ٢٠٠): ينزلُ بلا آلةٍ، ولا تَحرُّكٍ، ولا انتقالٍ مِن مكانٍ إلىٰ مكان. اهـ

- وقال ابن حزمٍ في «المُحلَّىٰ» (١/ ٣٢) وهو يتكلّم عن أحاديث النزول في ⇦=

=
الثلث الأخير مِن الليل: (فصحَّ أنه فعلٌ يفعله الباري عَزَّوَجَلَّ مِن قبول الدعاء في هذه الأوقات لا حركة، والحركة والنُّقلة مِن صفات المخلوقين حاشا لله تعالى منها). اهـ

- وقال ابن العربي المالكي في «القبس» (١/ ٢٨٩): إنَّ الله مُنزَّهٌ عن الحركة والانتقال لأنه لا يحويه مكان .. والنزول في اللغة في الحقيقةِ: حركة، والحركة لا تجوز علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، فلم يبق إلَّا العدول عن حقيقةِ النزول إلىٰ مجازه وهو النزول بالمعاني .. إلخ.

- وقال ابن حجر في «الفتح» (١١/ ١٢٩) قال الكرماني: .. النزول محالٌ علىٰ الله؛ لأن حقيقته: الحركة مِن جهةِ العلوِّ إلىٰ السُّفل، وقد دلَّت البراهين القاطعة علىٰ تنزيهه عن ذلك، فليتأوَّل ذلك بأن المرادَ نزول مَلَكِ الرَّحمة ونحوه، أو يفوَّض مع اعتقاد التنزيه. اهـ

- وقال ابن حجر (٣/ ٣٠): وقد اختُلِف في معنىٰ النزول علىٰ أقوالٍ، فمنهم من حمله علىٰ ظاهره وحقيقته وهم المُشَّبهة تعالىٰ الله عن قولهم !!. اهـ

- وكذا النووي في «شرحه لصحيح مسلم» (٦/ ٣٦) ذكر الخلاف فيه، ثم رجَّح: إمَّا تفويضه، وإمَّا تأويله بنزول أمره ورحمته !

- وقال ابن حجر الهيتمي في «الزواجر» (ص٦٥): نُزول الله كناية عن نزول رحمته، أو بعض ملائكته؛ لتعاليه عَزَّوَجَلَّ عن الجهة، والمكان، والجسم، والزمان. اهـ

قلت: فكلّ هذا تحريفٌ وتكذيبٌ لحقيقة نزول الله تعالىٰ إلىٰ السماءِ الدنيا، وسيأتي كذلك (برقم/ ١٩٤) نقض المُصنِّف لتأويل الجهمية لهذه الصفة.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١١٢٣): إن الأوهام الباطلة، والعقول الفاسدة، لما فهمت مِن نزول الربِّ ومجيئه، وإتيانه وهبوطه ودنوِّه ما يُفهم مِن مجيء المخلوق وإتيانه وهبوطه ودنوِّه، وهو أن يُفرغ مكانًا ويشغل مكانًا؛ نفت حقيقة ذلك، فوقعت في محذورين: محذور التشبيه، ومحذور التعطيل، ولو علمت هذه العقول الضعيفة أن نزوله سبحانه ومجيئه وإتيانه لا يشبه
=

٤٧- وأمَّا دعواك: أن تفسيرَ (القيوم): **(الذي لا يَزولُ مِن مَكانه، ولا يَتحرَّكُ)**(١)، فلا يُقبلُ منك هذا التفسيرُ إلَّا بأثرٍ صحيحٍ، مَأثورٍ عن

= ☜

نزول المخلوق وإتيانه ومجيئه، كما أن سمعه وبصره وعلمه وحياته كذلك، بل يده الكريمة ووجهه الكريم كذلك، وإذا كان نزولًا ليس كمثله نزول، فكيف تُنفىٰ حقيقته، فإن لم تنفِ المُعطِّلة حقيقة ذاته وصفاته وأفعاله بالكُليِّة وإلَّا تناقضوا، فإنهم أي معنًى أثبتوه لزمهم في نفيه ما ألزموا به أهل السُّنة المُثبتين لله ما أثبت لنفسه، ولا يجدون إلىٰ الفرق سبيلًا. فلو كان الربُّ سبحانه مُمَاثِلًا لخلقه لزم من نزوله خصائص نزولهم ضرورة ثبوت أحد المثلين للآخر. اهـ

- وقال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٧٦٦): فإذا قامت علىٰ الجهمي الحُجَّة، وعَلِمَ صحَّة هذه الأحاديث، ولم يقدر علىٰ جحدها، قال: الحديث صحيح، وإنما معنىٰ قول النبي ﷺ: «**ينزل ربُّنا في كل ليلة**»: ينزل أمرُه.

قلنا: إنما قال النبي ﷺ: «**ينزل الله عَزَّوَجَلَّ**»، و«**ينزل ربُّنا**»، ولو أراد أمره لقال: ينزل أمر ربنا.

فيقول: إن قلنا: ينزل، فقد قلنا: إنه يزول، والله لا يزول، ولو كان ينزل لزال؛ لأن كل نازلٍ زائل.

فقلنا: أوَلستم تزعمون أنكم تنفون التشبيه عن ربِّ العالمين؟ فقد صرتم بهذه المقالة إلىٰ أقبحِ التشبيه، وأشدّ الخلاف؛ لأنكم إن جحدتم الآثار، وكذَّبتم بالحديث، رددتم علىٰ رسول الله ﷺ قوله، وكذَّبتم خبره، وإن قلتم: لا ينزل إلَّا بزوالٍ، فقد شبَّهتموه بخلقه، وزعمتم أنه لا يقدر أن ينزل إلَّا بزواله علىٰ وصف المخلوق الذي إذا كان بمكانٍ خلا منه مكانٍ؛ لكنَّا نُصدِّقُ نبينا ﷺ، ونقبل ما جاء به، فإنا بذلك أُمرنا وإليه ندبنا، فنقول كما قال: «**ينزل ربُّنا عَزَّوَجَلَّ**»، ولا نقولُ: إنه يزول، بل ينزل كيف شاء، لا نصف نزوله، ولا نحدّه، ولا نقول: إن نزوله زواله. اهـ

(١) سيذكر المُصنِّف (برقم / ١٢٠) أثرًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير (القيوم)، وقد ☜=

رسول الله ﷺ، أو عن بعضِ أصحابِه، أو التابعين؛ لأن (الحي القيوم) يَفعلُ ما يشاءُ، ويَتحرَّكُ إذا شاء، ويَهبطُ ويَرتفعُ إذا شاءَ، ويَقبضُ ويَبسطُ، ويقومُ ويَجلسُ(١) إذا شاء؛ لأنَّ أمارةَ ما بين [الحيِّ] والميتِ: التحرُّكُ.

كلُّ حيٍّ مُتحرِّكٌ لا مَحالةَ، وكلُّ ميِّتٍ غيرُ مُتحرِّكٍ لا مَحالةَ(٢).

= بيَّن ضعفه، وذكر بعض ما فيه مِن العلل.

(١) يثبت المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الجلوس للربِّ تبارك تعالىٰ كما دلَّ عليه الحديث الذي سيورده عن جعفر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (برقم/ ١٥٠)، وفيه: (أَكِلُكَ إلىٰ يومٍ يَجلسُ الملكُ علىٰ الكُرسيِّ، فيَأخذُ للمظلومِ مِن الظالمِ).

وكذلك ما سيأتي (برقم/ ١٥٦) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**إنَّ كُرسيَّه وسِعَ السماوات والأرض، وإنه ليَقعُدُ عليه ...**».

وفي إثبات الجلوس للربِّ تبارك تعالىٰ علىٰ عرشه أحاديث وآثار كثيرة جمعتُ بعضها في مقدمة كتاب «إثبات الحدِّ لله تعالىٰ وأنه جالسٌ وقاعدٌ علىٰ عرشه» للدشتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذكرت هناك بعض مَن أثبتها.

(٢) ذكر المُصنِّف أن نفي الحركة عن الله تعالىٰ إنما هو مأخوذ عن الجهمية المُعطِّلة، وقد ذكر كذلك الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا عنهم في «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية»، ثم تلقَّىٰ هذا القول عنهم الكُلَّابية والأشاعرة وغيرهم مِن مُعطِّلة الصِّفات.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التسعينية» (٢/ ٤٩٤): وأمَّا كونه لا يتكلَّم إذا شاء، ولا يقدر أن يتكلَّم بما شاء، فهذا لا يصح إلَّا بما ابتدعته الجهمية مِن قولهم: لا يتحرَّك، ولا تحلّ به الحوادث، وبذلك نفوا أن يكون استوىٰ علىٰ العرش بعد أن لم يكن مُستويًا، وأن يجيء يوم القيامة، وغير ذلك ممَّا وصف به نفسه في الكتاب والسُّنة. اهـ

[انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٥٤٤)، و«حديث النزول» (ص٤٥٦)].

=

= ☜

قلتُ: ولا أعلم عن أحدٍ مِن أئمة السُّنة نفي الحركة عن الله تعالىٰ، وإنما منهم مَن صرَّح بإثباتها، ومنهم مَن توقَّف عن إطلاق اللفظ فقط مع إثبات لوازم الصفات، وما دلَّت عليه.

وممَّن صرَّح بها في «عقيدته» التي نقل فيها إجماع من أدركهم من أئمة السنة: الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: (هذا مذهب أئمة العلم، وأصحاب الأثرِ، وأهل السُّنة .. فمَن خالف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعنَ فيها، أو عاب قائلها، فهو مُبتدعٌ، خارجٌ عن الجماعة .. وهو مذهب: أحمد، وإسحاق، والحُميدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم أخذنا عنهم العلم، فكان قولهم: ... والله عَزَّوَجَلَّ سميعٌ لا يشكّ، بصير لا يرتاب ... يتكلم، ويتحرَّك، ويسمع ويبصر .. إلخ.

– وقال الكرجي القصّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نُكت القرآن» (١/ ١٦٠) قوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]: حُجَّة علىٰ الجهمية واضحة فيما يُنكِرون مِن الحركة والنزول إلىٰ سماء الدنيا. اهـ

– وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «درء التعارض» (٢/ ٧) بعد أن ذكر كلام الدارمي والكرماني في إثبات الحركة: صرَّحَ هؤلاء بلفظ: (الحركة)، وأن ذلك هو مذهب أئمة السُّنة والحديث مِن المُتقدِّمين والمُتأخِّرين، وذكر حرب الكرماني أنه قول مَن لقيه مِن أئمة السُّنة كأحمد، وابن راهويه، والحُميدي، وسعيد بن منصور.

وقال عثمان بن سعيد وغيره: (إن الحركة مِن لوازم الحياة فكلُّ حيٍّ مُتحرِّك)، وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات الذين اتفق السَّلف والأئمة علىٰ تضليلهم وتبديعهم. اهـ

وانظر: «شرح حديث النزول» (ص ٤٤٥ – ٤٥٩)، و«الاستقامة» (١/ ٧٠)، و«درء التعارض» (٢/ ٢٢)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٣/ ١٢٣٠).

وسيورد المُصنِّف (برقم/ ١٢٠ و١٢١) بعض ما استدلت به الجهمية علىٰ نفي الحركة عن الله تعالىٰ، وسينقضه عليهم، وهو نقض كذلك لكلام بعض المُحقِّقين =☜

ومَن يَلتفتُ إلىٰ تَفسيركَ وتفسيرِ صاحبِكَ مع تفسيرِ نبيِّ الرحمةِ ورسولِ ربِّ العزَّةِ؛ إذا فسَّرَ نُزولَه مَشروحًا منصوصًا، ووقَّتَ لنزولِهِ وقتًا مَخصوصًا، لم يدع لك ولا لأصحابِكَ فيه لَبسًا، ولا عَويصًا؟!

٤٨- ثم أجملَ المُعارِضُ [جميعَ] ما يُنكِرُ الجهميةُ مِن صفاتِ الله وذواته[١] المُسمَّاة في كتابِه، وفي آثارِ رسولِ اللهِ ﷺ، فعدَّ منها بِضعًا وثلاثين صِفةً، نَسَقًا واحِدًا، يَحكمُ عليها، ويُفسِّرُها بما حكمَ المَريسيُّ وفسَّرَها وتأوَّلَها حرفًا حرفًا، خِلافَ ما عنىٰ الله، وخلافَ ما تأوَّلَها الفقهاءُ الصالحون، لا يَعتمِدُ في أكثرِها إلَّا علىٰ المَريسيِّ[٢]، فبدأَ منها: بالوجهِ، ثم

= ممَّن اعترض علىٰ الإمام الدارمي إثباته الحركة لله تعالىٰ، كما أثبت ذلك في المقدمة.

(١) كذا في المخطوطتين. وفي «درء التعارض» (٢/ ٥١): (وذاته).

(٢) بين المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاهنا أن المذهب الذي سلكه المريسي في نصوص الصفات هو مذهب التأويل والتحريف، لا مذهب الجحود والإنكار.

وقد كان أئمة السنة يَعُدُّون مذهب التأويل والتحريف مذهبًا من مذاهب الجهمية المُعطِّلة، فالتجهُّم دركات، ومِن دركاته نفي الصفات وهذا عند غُلاتهم.

ومِن دركاته: تأويلها وتحريف معانيها لنفي حقيقتها عن الله تعالىٰ، فمذهب الإنكار والتأويل يشتركان في أن الله ليس له صفة تليق به سبحانه وتعالىٰ، هذا بنفيها وإنكارها، وهذا بتأويلها وصرفها عن حقيقتها، ولهذا كان الأئمة يَعدُّون التأويل نوعًا مِن أنواع التكذيبِ بالنصوصِ كما بيّنتُ ذلك في التعليق علىٰ «الرَّدِّ علىٰ الجهمية» تحت قول المُصنِّف (برقم/ ٧٠): (... فليس منها لمُتأوِّلٍ تأوُّلٌ، إلَّا لمُكذِّبٍ به في نفسِهِ، مُستترٍ بالتأويلِ). =

=

وبيَّنتُ كذلك أن هذه الطريقة هي وصيّة إمامهم المريسي المُعطِّل لأتباعه حتىٰ لا يفتضحوا أمام العامَّة والخاصَّة بنفي الصفات صراحة كما سيأتي هاهنا (٣٩١).

وأمَّا كلام أهل العلم مِن المُتقدِّمين والمُتأخِّرين في اعتبارِ أن مذهب التأويل والتحريف هو مذهب الجهمية فهو كثير جدًّا لا يُمكن حصره هاهنا، ومِن ذلك:

- ما في «الإبانة» (٢٦٥٣) قال المرُّوذي: سألت أبا عبد الله عن عبد الله التيمي.

قال: هو صدوق، وقد كتبتُ عنه شيئًا مِن الرَّقائق؛ ولكن حُكِيَ عنه أنه ذكر حديث الضحك، فقال: مثل الزرع إذا ضحك؛ وهذا كلام الجهمية.

- وقال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السُّنن» (٣/ ٥١): .. ذَكَرَ اللهُ تبارك وتعالىٰ في غير موضعٍ مِن كتابِهِ: اليد، والسَّمع، والبصر، فتأوَّلت الجهمية هذه الآيات، ففسّروها علىٰ غير ما فَسَّرَ أهل العلم، وقالوا: إنَّ الله لم يخلُق آدم بيدِهِ، وقالوا: إنَّ معنىٰ اليدِ ها هنا: القُوّة. اهـ

- وقال ابن خُزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ١٥): الدَّليل علىٰ أن قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، أراد عزّ ذِكره باليدين: اليدين، لا النعمتين كما ادَّعت الجهمية المُعطِّلة. اهـ

- وقال أبو الشَّيخ الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السُّنة»، وهو ينسب تأويل اليد بالنعمة للجهمية، قال: هذا محض كلام الجهمية، حيث يؤمنون بجميع ما وصفناه من صفات الله، ثم يُحرِّفون معنىٰ الصِّفات عن جهتها التي وصف الله بها نفسه. اهـ [«التسعينية» لابن تيمية (٢/ ٤٢٣)].

- وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٧٦٦): فإذا قامت علىٰ الجهميِّ الحُجَّة، وعلم صِحَّة هذه الأحاديث، ولم يقدر علىٰ جحدها، قال: الحديث صحيح، وإنما معنىٰ قول النبي ﷺ: «**ينزل ربُّنا في كل ليلة**»: ينزل أمرُه. اهـ

- وقال أيضًا (٢٨٣٦): قالت الجهمية: (معنىٰ اليد): النِّعمة. اهـ

- وقال محمد ابن أبي يعلىٰ الفرّاء الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الاعتقاد» (ص٣١):

=

=

وإن تأوّلها - يعني: الصِّفات - علىٰ مُقتضىٰ اللُّغةِ، وعلىٰ المَجازِ: فهو جهميٌّ. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الدرء» (٢/ ٩٥): وهم يثبتون الصِّفات لا يقولون بتأويل الجهمية النُّفاة التي هي صرف النُّصوص عن مقتضاها ومدلولها ومعناها.

- وقال في «جواب الاعتراضات المصرية» (ص١٠٨): فالمأوِّل بما يُخالف الظاهر مع أنه مُبتدع لهذه التأويلات، فهي بدعة مُخالفة لإجماع السلف، لا بدعة مسكوتٌ عنها ...، وبِشر المريسي ونحوه، فهؤلاء الذين ابتدعوا هذه التأويلات. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (١/ ٢١٦): والجهمية فإنَّهم سلكوا في تحريف النُّصوص الواردة في الصِّفات مسالك إخوانهم مِن اليهود، ولما لم يتمكَّنوا من تحريف نُصوص القرآن حرَّفوا معانيه، وسطوا عليها، وفتحوا باب التأويل لكُلّ مُلحدٍ يكيد الدِّين. اهـ

- وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح البخاري» (٧/ ٢٣٠): كان السَّلف ينسِبون تأويلَ هذه الآياتِ والأحاديثِ الصَّحيحة إلىٰ الجهمية. اهـ

- وقال عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في «الدُّرر السُّنية» (٣/ ٢٢٣): وأما قول الأشاعرة في نفي علوّ الله تعالىٰ علىٰ عرشه، فهو قول الجهمية سواء بسواء ... و«جوهرة السَّنوسي»، ذكر فيها مذهب الأشاعرة، وأكثره مذهب الجهمية المُعطِّلة، لكنهم تصرَّفوا فيه تَصَرُّفًا، لم يُخرجهم عن كونهم جهمية. اهـ

- وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أمّا التأويل للصِّفات وصرفها عن ظاهرها فهو مذهب أهل البدع مِن الجهمية والمُعتزلة، ومن سَار في ركابهم، وهو مذهب باطل أنكره أهل السُّنة والجماعة، وتبرؤوا منه، وحذروا مِن أهله، والله ولي التوفيق. اهـ

[«الإجابة علىٰ أسئلة طرحت بإحدىٰ المحاضرات بمكة بجامعة أُم القرىٰ»].

فإذا تقرَّر هذا فاعلم أن التأويلات الموجودة في كتب كثير من المُفسرين وشُراح الأحاديث هي بعينها تأويلات الجهمية وتأويلات المريسي، كما قال ابن تيمية

=

بالسَّمعِ والبصرِ، والغضبِ والرِّضا، والحُبِّ والبُغضِ، والفَرحِ والكُرهِ، والضَّحِكِ، والعَجَبِ، والسَّخَطِ، والإرادةِ، والمَشيئةِ، والأصابعِ، والكفِّ، والقدمينِ.

وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، و﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]، و﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤]، و﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠]، و﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]، وقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، و﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠]، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر]، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة]، و﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه]، و ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ [غافر:٧]، وقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨]، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران:٧٧]، و ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:١٢]، و﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]، و﴿اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة].

= رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثرِ التأويلاتِ التي ذكرها أبو بكر ابن فورك في كتاب «التأويلات»... هي بعينها تأويلات بشر المريسي التي ذكرها في كتابه ... إلىٰ آخر كلامه الذي تقدم نقله (فقرة/ ١).

عَمَدَ المُعارِضُ إلىٰ هذه الصِّفاتِ والآياتِ فنَسَقها، ونَظَمَ بعضها إلىٰ بعضٍ، كما نظمها شيئًا بعد شيءٍ، ثم فرَّقها أبوابًا في كتابه، وتَلطَّفَ بردِّها بالتأويلِ كتلطُّفِ الجهميَّةِ، مُعتمِدًا فيها علىٰ تفاسيرِ الزائغِ الجهميِّ بشرِ بن غياثٍ دون مَن سِواه، مُستترًا عند الجُهَّالِ بالتشنيعِ بها علىٰ قومٍ يؤمنون بها، ويُصدِّقون اللهَ ورسولَه فيها بغير تكييفٍ ولا بمثالٍ(١).

فزعمَ: (**أن هؤلاءِ المؤمنين بها يُكيِّفُونها ويُشبِّهونَها بذواتِ أنفسِهم**(٢)، **وأن العُلماءَ بزعمِه قالوا: ليس في شيءٍ منها اجتهادُ رأيٍ لتُدرَكَ كيفية ذلك، أو يُشبَّه شيءٌ منها بشيءٍ مما هو في الخلقِ موجودٌ**).

---

(١) وعلىٰ هذا درجَ كثيرٌ مِن مُعطِّلة الصفات فقد صنَّفوا مُصنفات جمعوا فيها آيات وأحاديث الصفات، ثم عطّلوها وحرَّفوا معانيها، ورموا مَن أمرَّها علىٰ ظاهرها اللائق باللهِ تعالىٰ بالتشبيه والتجسيم اتِّباعًا لإمامهم الأكبر بشر المريسي الذي سنَّ لهم هذا الضلال، فقد ألَّف كتابًا سمَّاه: «التوحيد وكفر المُشبِّهة»، ثم تتابعت المُصنفات علىٰ هذا النسق، ومِن ذلك: كتاب «الردّ علىٰ المُشبِّهة» لمحمد بن شُجاع الثلجي، وكتاب «دَفع شُبَه التَّشبيه بأكفّ التَّنزيه» لابن الجوزي (٥٩٨هـ)، وكتاب «تأويل الأحاديث المُشكلة الموضحة وبيانها بالحُجَّة والبرهان» لأبي الحسن الطبري (٣٨٠هـ) تلميذ أبي الحسن الأشعري، وكتاب «مُشكل الحديث» لابن فورك (٤١٠هـ)، وكتاب «الرَّدِّ علىٰ المُشبِّهة» لابن عساكر (٥٧١هـ)، وكتاب «تأويل الأحاديث المُوهِمة للتَّشبيه» للسّيوطي (٩١١هـ)، وغيرها كثير.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ١٥٣): وابن فورك جمع في كتابه مِن تأويلات بشر المَريسي ومَن بعده ما يُناسب كتابه. اهـ

(٢) ولهذا فهم يُسمّون أهل السنة: مُشبِّهة مُجسِّمة، وورثها منهم جميع المعطِّلة إلى يومنا هذا، ولهذا قال أئمة السنة: إذا رأيت الرجل يقول: (فلانٌ مُشَبِّه) فاعلم أنه جهمي.

قال: (**وهذا خطأٌ لما أنَّ اللهَ تعالى ليس كمثلِهِ شيءٌ، فكذلك ليس** [٨/ب]، **ككيفيَّتِه شيءٌ**).

٤٩- قال أبو سعيد: فقلنا لهذا المُعارِضِ المُدَّلسِ بالتشنيعِ:

أمَّا قولُكَ: (**إن كيفيةَ هذه الصِّفاتِ وتَشبيهَها بما هو مَوجودٌ في الخلقِ خَطأٌ**).

فإنَّا لا نقولُ: إنه خطأٌ كما قُلتَ، بل هو عِندَنا كُفرٌ(١)، ونحنُ لكيفيَّتِها

(١) أجمع أهل السُّنة علىٰ تكفير مَن شَبَّه الله تعالىٰ بخلقه، ومِن ذلك:

- ما رواه اللالكائي (٨٨١) عن نُعيم بن حماد قال: مَن شَبَّه الله بشيءٍ مِن خلقِه فقد كفَرَ، ومَن أنكرَ ما وَصَفَ اللهُ به نفسَه فقد كفَرَ، وليس ما وصَفَ اللهُ به نفسَه ورسوله تَشبيهًا.

- وفيه (٨٨٢) قال إسحاق بن راهويه: مَن وصفَ الله فشبَّه صفاتِه بصفاتِ أحدٍ مِن خلق الله فهو كافرٌ بالله العظيم؛ لأنه وصفٌ لصفاته، إنما هو استِسلامٌ لأمرِ الله، ولِمَا سَنَّ الرسولُ ﷺ.

- وفيه (٨٨٠) عن وكيع قال: وَصَفَ داود الجواربي - يعني: الربَّ عَزَّوَجَلَّ -، فكفَرَ في صفتِه، فردَّ عليه المَريسيُّ؛ فكفرَ المريسيُّ في ردِّه عليه إذ قال: هو في كلِّ شيءٍ.

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإيمان الأوسط» (ص٣٧٤): المحفوظ عن أحمد وأمثاله مِن الأئمة إنما هو تكفير: الجهمية، والمُشبِّهة، وأمثال هؤلاء. اهـ

- وقال في «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٤٨٢): فمَن قال: إن علم الله كعلمي، أو قُدرته كقدرتي، أو كلامه مثل كلامي ... أو نزوله كنزولي ... فهذا قد شبَّه الله ومثَّله بخلقه، تعالىٰ الله عمَّا يقولون؛ وهو ضالٌّ خبيثٌ مُبطلٌ، بل كافرٌ. اهـ

وقد جمعت آثار السلف في ذمِّ المُشبِّهة في كتاب «الاحتجاج بالآثار السلفية =

وتَشبيهها بما هو مَوجودٌ في الخلقِ أشدُّ اتِّقاءً(١) منكم.

غيرَ أنَّا كما لا نُشبِّهُها ولا نُكيِّفُها لا نَكفُرُ بها، ولا نُكذِّبُ، ولا نُبطِلُها بتأويلِ الضلال، كما أبطلَها إمامُك المريسيُّ في أماكِنَ مِن كتابِك، سَنُبيِّنُها لمَن غفَلَ عنها ممَّن حواليك مِن الأغمارِ إن شاء الله [تعالىٰ](٢).

علىٰ إثبات الصفات الإلهية» (المبحث الثالث عشر: نهي أهل السنة عن التشبيه والتمثيل والتكييف في صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وتكفير المُشبِّهة).

(١) في نسخة (ج): (أنفًا).

(٢) ينفي أهلُ السُّنة التشبيه عن الله تعالىٰ، وكذا الجهمية المُعطلة تنفي التشبيه عن الله تعالىٰ، ولكن شَتَّان ما بين المذهبين!

فالتشبيه المنفيّ عند أهل السُّنة هو كما قال الإمام إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما يكون التشبيه إذا قال: يدٌ كيدٍ، أو مِثلُ يدٍ، أو سمعٌ كسمعٍ أو مثل سمعٍ، فإذا قال: سَمعٌ كسمعٍ أو مثلُ سمعٍ فهذا التشبيه، وأمَّا إذا قال كما قال الله تعالىٰ: يدٌ، وسَمعٌ، وبصرٌ، ولا يقولُ: كيفَ؟ ولا يقول: مثلُ سمعٍ ولا كسمعٍ، فهذا لا يكون تشبيهًا، وهو كما قال الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]. [«سنن الترمذي» (٣/ ٥١)].

- وفي «الطبقات» (٣/ ٢٣٩) قيل لإبراهيم بن أحمد بن شاقِلَّا: أنتم المُشبِّهة.

فقال: حاشا لله، المُشبِّهة الذي يقول: وجهٌ كوجهي، ويدٌ كيدي، فأمَّا نحن فنقول: له وجهٌ كما أثبت لنفسه وجهًا، وله يدٌ كما أثبت لنفسه يدًا، و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]، ومن قال هذا فقد سلِمَ. اهـ

وأمَّا التشبيه الذي تنفيه الجهمية فهو: إثبات حقيقة الصفات، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الردِّ علىٰ الزنادقة والجهمية» (ص ١٠٤): وزعمَ - يعني: الجهم ابن صفوان - أن مَن وصفَ الله بشيءٍ ممَّا وصفَ به نفسه في كتابه، أو حدثَ عنه رسوله ﷺ كان كافرًا، وكان مِن المُشبِّهةِ، فأضلَّ بكلامِهِ بَشرًا كثيرًا .. اهـ

٥٠- وأمَّا ما ذكرتَ: (**مِن اجتهادِ الرأيِ في تكييفِ صِفاتِ الربِّ**).

فإنَّا لا نُجيزُ اجتهادَ الرأيِ في كثيرٍ مِن الفرائضِ والأحكامِ التي نَراها(١) بأعيُنِنا، ونسمعُ في آذانِنا، فكيفَ في صِفاتِ اللهِ التي لم تَرَها العيونُ، وقصُرَت عنها الظنونُ؟(٢).

=

- وفي «السُّنة» لغلام الخلال (٣٥) قال حنبل: قلتُ لأبي عبد الله: المُشَبِّهةُ ما يقولون؟ قال: بصرٌ كبصري، ويدٌ كيدي، وقدمٌ كقدمي، فقد شبَّهَ اللهَ بخلقِه، وهذا كلامُ سوءٍ، والكلام في هذا لا أُحِبُّه.

(١) في المخطوطتين: (نريها).

(٢) أئمة السُّنة يقولون: لا اجتهاد في مسائل الاعتقاد، وإنما المُتعيِّن فيها الاتِّباع والاقتداء بما أجمع عليه السلف، وتلقَّوه بالقبول والتسليم.

- قال ابن منده رَحِمَهُ اللَّهُ في «التوحيد» (١/ ٣١٤): ذِكرُ الدَّليلِ على أن المُجتهدَ المُخطِئ في مَعرفةِ الله عَزَّوَجَلَّ ووحدَانيته كالمُعانِد. اهـ

- وقال ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ اللَّهُ في «كتاب الجامع» (ص١٢١): ومِن قول أهل السُّنة: إنه لا يُعذر مَن أدّاه اجتهاده إلى بدعةٍ؛ لأن الخوارج اجتهدوا في التأويل فلم يُعذَروا، إذ خرجوا بتأويلهم عن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، فسمَّاهم ﷺ: (مَارِقينَ مِن الدِّين)، وجَعلَ المجتهد في الأحكام مأجورًا وإن أخطأ. اهـ

- وقال يوسف بن عبد الهادي الشهير بابن المِبْرَد رَحِمَهُ اللَّهُ في «جمع الجيوش والدساكر»: فإن باب الصِّفات موقوف على النقل والتقليد لا على الاجتهاد، وكلّ العلم يسوغ فيه الاجتهاد إلَّا هذا. اهـ

- وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُمُ اللَّهُ في «منهاج التأسيس» (ص١٨): المسائل التي يسقط الذَّمّ عن المُخطئ فيها إذا اجتهد واتقى الله ما استطاع هي: المسائل الاجتهادية؛ أي: التي يسوغ الاجتهاد فيها، أو ما يخفى دليله في نفسِه، ولا يعرفه إلَّا الآحاد؛ بخلاف ما عُلِمَ بالضَّرورة من دين =

غيرَ أنَّا لا نقولُ فيها كما قال إمامُك المَرِيسيُّ: إنَّ هذه الصِّفات كلَّها لله كشيءٍ واحدٍ، وليس السمعُ منه غيرَ البصرِ، ولا الوجهُ منه غيرَ اليدِ، ولا اليدُ منه غيرَ النفسِ، وأنَّ الرحمنَ ليس يَعرِفُ - بزعمكم - لنفسِه سَمعًا مِن بصرٍ، ولا بصرًا مِن سمعٍ، ولا وجهًا مِن يدينِ، ولا يدينِ مِن وجهٍ، هو [كلُّه] - بزعمكم -: سَمعٌ، وبصرٌ، ووجهٌ، وأعلىٰ وأسفلُ، ويدٌ ونفسٌ، وعِلمٌ ومشيئةٌ، وإرادةٌ، مثل: خلقَ الأرضين، والسماء، والجبال، والتِّلال، والهواء التي لا يُعرفُ لشيءٍ منها شيءٌ مِن هذه الصفاتِ والذَّواتِ، ولا يُوقفُ لها منها علىٰ شيءٍ، فاللهُ المُتعالي عندنا أن يكون كذلك(١).

= الإسلام: كمعرفةِ الله بصفاتِه، وأسمائِه، وأفعالِه، وربوبيّتِه، ومعرفةِ أُلوهيته، وكتوحيدِه بأفعالِ العبدِ، وعباداتِه، فأيّ اجتهادٍ يسوغ هنا؟ وأيّ خفاءٍ ولبسٍ فيه؟

وليس يصحُ في الأذهان شيءٌ ... إذا احتاج النّهار إلىٰ دليلِ

وجميع الكفار - إلَّا مَن عاند منهم - قد أخطأوا في هذا الباب، واشتبه عليهم، أفيُقال بُعذرِهم وعَدمِ تأثيمهم، أو أجرهم؟. اهـ

وإن أردت الاستزادة فانظر: «الاحتجاج بالآثار السلفية علىٰ إثبات الصفات الإلهية» (المبحث السابع: لا اجتهاد في مَسَائل الاعتقاد).

(١) وهذا الذي يُقرِّره ابن حزم الظاهري في كتبه، فيقول في «الفصل» (٢/ ١٠١): فصحَّ أن علم الله تعالىٰ حقٌّ، وقُدرته حقٌّ، وقوَّته حقٌّ، وكل ذلك ليس هو غير الله تعالىٰ، ولا العلم غير القدرة، ولا القدرة غير العلم. اهـ

وكذا يقول: ليس السمع غير البصر، ولا البصر غير السمع.

وكذا يُقرِّرُ هذا في سائر الصفات بعد أن أثبتها أسماء مُجرَّدة عن حقائقها موافقة للمُعتزلة المُعطِّلة.

فقد ميَّزَ اللهُ في كتابِهِ السمعَ مِن البصرِ، فقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه]، و﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥﴾ [الشعراء]، وقال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ [آل عمران:٧٧].

ففرَّقَ بين الكلامِ والنظرِ دون السمعِ، فقال عند السماعِ والصوتِ: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة]، و﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١]، ولم يقُل: قد رأىٰ اللهُ قولَ التي تُجادِلُك في زوجِها.

• وقال في موضعِ الرُّؤيةِ: إنه ﴿يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ [الشعراء].

• وقال: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾ [التوبة:١٠٥]، ولم يقُل: يسمعُ اللهُ تقلُّبك، ويَسمعُ [اللهُ] عملَك، فلم يذكُر الرُّؤيةَ فيما يُسمعُ، ولا السماعَ فيما يُرىٰ، لما أنهما عنده خِلافُ ما عندكم.

• وكذلك قال: ﴿وَدُسُرٖ ۝١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر]، ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور:٤٨]، ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ۝٣٩﴾ [طه]، ولم يقُل لشيءٍ مِن ذلك: علىٰ سمعي.

فكما نحنُ لا نُكيِّفُ هذه الصفات، لا نُكذِّب بها كتكذيبكم، ولا نُفسِّرُها كباطلِ تفسيرِكم(١).

(١) في هذا الكلام للإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمرانِ مُهمَّان ينبغي التنبيه عليهما:

=⇦

=

الأول: فيه ردٌّ صريحٌ علىٰ المفوِّضة الذين يُفوِّضون معاني نصوص الصفات، ويقولون: الله أعلم بمُراده منها.

فالمُصنِّف في هذا الكلام يرُدُّ عليهم، ويُفسِّر النصوص الواردة في الصفات بما هو معروف في كلام العربِ، وبما يعرفه العقلاء مِن مفهومِ الخطاب.

والأمر الآخر: فيه الردُّ علىٰ مَن يتتبَّع المُتشابه مِن كلامِ أئمة السنة من نهيهم عن تفسير نصوص الصفات، ويحملون ذلك علىٰ ترك الكلامِ في معانيها، وأن مرداهم مِن ترك تفسيرها هو تفويض معانيها إلىٰ الله تعالىٰ.

فالمُصنِّف بعد أن بيَّن المراد منها وفسَّرها علىٰ ظاهرها المعروف من خطاب العرب، نهىٰ عن تفسيرها، أي: بتفسيرات الجهمية الذين يُحرِّفونها عن ظاهرها وعن حقيقتها، فقال: (ولا نُفسِّرُها كباطلِ تفسيرِكم).

فهذا مراد الأئمة مِن النهي عن تفسير نصوص الصفات.

- قال سُفيان بن عُيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الصِّفات، والنُّزول، والرُّؤية، حقٌّ نؤمن بها، ولا نُفسرها إلَّا مَا فُسِّرَ لنا مِن فوق.

[رواه ابن منده في «التوحيد» (٨٩٧)].

- وقال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السُّنن» (٣/ ٥١): وقد ذكرَ الله عَزَّوَجَلَّ في غيرِ موضعٍ مِن كتابه: اليدَ، والسَّمعَ.. فتأوَّلت الجهميةُ هذه الآياتِ ففسَّروها علىٰ غيرِ ما فسَّرَ أهلُ العلمِ، وقالوا: إن اللهَ لم يخلق آدمَ بيده، وقالوا: إن معنىٰ اليد هاهنا: القُوَّة. اهـ

- وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الصُّغرىٰ» (ص٢١٣ - ٣١٨): ثم الإيمان، والقبول، والتصديق بكلِّ ما روته العلماء ... لا تُردُّ بالمعاريض، ولا يُقال: لم؟ وكيف؟ .. ولا يُعمَل لها التفاسير؛ إلَّا مَا فسَّره رسول الله ﷺ، أو رَجلٌ مِن علماء الأمّة ممَّن قوله شِفاء وحُجّة، مثل: أحاديث الصِّفات، والرُّؤية. اهـ

٤- باب
الحدّ والعرش(١)

(١) قال أبو القاسم التيمي الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدُّ كلّ شيءٍ موضع بينونته عن غيره، فكلّ موجود له حدٌّ ينتهي إليه، ويُميّزه عن غيره في صفته وقدره. اهـ

أثبت أئمة السُّنَّة الحدَّ لله، ومرادهم به: إثبات علوِّه سبحانه وتعالىٰ، وبينونته عن خلقه، واستوائه علىٰ عرشه، لا أنها صفة زائدة لله يقال لها: صفة الحدّ.

وما رُوي عن بعض أئمة السُّنة مِن نفي الحدِّ عن الله تعالىٰ فلا يُخالف ولا يُناقض ما تقدّم نقله عنهم، وإنما يحمل هذا النفي علىٰ معنيين:

الأول: عدم إحاطة شيء مِن المخلوقات به، كما قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه].

والآخر: نفي عِلمِ الخلقِ بحدِّهِ سبحانه وتعالىٰ، فلا يَعلَم كيفية حدِّه إلّا هو.

وممَّن روي عنه إثبات الحدِّ ونفيه: الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والجمع بينهما ما قاله ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «درء التعارض» (٢/ ٣٣ - ٣٦): (فهذا الكلام مِن الإمام أبي عبدالله أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُبيِّن أنه نفىٰ أن العباد يحدُّون الله تعالىٰ، أو صفاته بحدٍّ، أو يقدرون ذلك بقدرٍ، أو أن يبلغوا إلىٰ أن يصفوا ذلك، وذلك لا يُنافي ما تقدَّم من إثباتِ أنه في نفسِه له حَدٌّ يعلمه هو لا يعلمه غيره، أو أنه هو يصف نفسه، وهكذا كلام سَائر أئمة السَّلف: يُثبتون الحقائق، وينفون علم العباد بكنهها). اهـ

واعلم أن سبب إثبات أئمة السُّنة للحدِّ لله تعالىٰ: أن الجهمية المُعطِّلة نفوا علوّ الله تعالىٰ علىٰ خلقه حقيقة، وقالوا: إن الله لا يُباين خلقه، وليس بينه وبينهم حَدٌّ، وإنما عُلُوّه عُلو قهرٍ وغلبةٍ، فقال أئمة السنة: بل هو عالٍ علىٰ خلقه علو ذات وحقيقة، وعلو قهر وغلبة، وأثبتوا الحدّ بينه وبين خلقه مِن بابِ تأكيد إثبات العلو ⇦=

= ☜
الذي تنفيه المُعطِّلة.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٤٣): لما كان الجهمية يقولون ما مضمونه: إن الخالقَ لا يتميَّز عن الخلقِ، فيجحدون صفاته التي تميّز بها، ويجحدون قدره، حتىٰ يقول المُعتزلة: إذا عرفوا أنه: حيٌّ، عالمٌ، قديرٌ، قد عرفنا حقيقته وماهيته.

ويقولون: إنه لا يُباين غيره، بل إمَّا أن يصفوه بصفة المعدوم فيقولون: لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا كذا، ولا كذا، أو يجعلوه حالًّا في المخلوقات، أو وجود المخلوقات، فبيَّن ابن المبارك أن الرَّب سبحانه وتعالىٰ علىٰ عرشِه، مُباينٌ لخلقه، مُنفصلٌ عنه، وذكر: (الحدَّ)؛ لأن الجهمية كانوا يقولون: (ليس له حدٌّ)، وما لا حدَّ له لا يُباين المخلوقات، ولا يكون فوق العالم؛ لأن ذلك مُستلزمٌ للحَدِّ. فلما سألوا أمير المؤمنين في كلِّ شيءٍ عبد الله بن المُبارك: بماذا نعرفه؟

قال: بأنه فوقَ سمواته علىٰ عرشِه، بائنٌ من خلقِه.

فذكروا له لازمَ ذلك الذي تنفيه الجهمية، وبنفيهم له ينفون ملزومه الذي هو موجود فوق العرش ومُباينته للمخلوقاتِ، فقالوا له: بحدٍّ؟ قال: بحدٍّ.

وهذا يفهمه كلّ مَن عرفَ ما بين قول المؤمنين أهل السُّنةِ والجماعة، وبين الجهمية الملاحدة مِن الفرق. اهـ

وقد شنَّع الخطَّابي علىٰ أهل السُّنة إثباتهم (الحدَّ) لله تعالىٰ، فزعم أنهم زادوا لله عَزَّوَجَلَّ صفةً مِن الصِّفات التي لم ينطق بها الكتاب والسُّنة.

وقد تعقَّبه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٤٢)، فقال: أهل الإثبات المنازعون للخطَّابي وذويه يُجيبون عن هذا بوجوه:

أحدها: أن هذا الكلام الذي ذكره إنما يتوجَّه لو قالوا: إن له صفة هي (الحدّ) كما توهّمه هذا الرَّادّ عليهم! وهذا لم يقله أحدٌ، ولا يقوله عاقلٌ؛ فإن هذا الكلام لا حقيقة له؛ إذ ليس في الصِّفات التي يوصف بها شيء من الموصوفات - كما يوصف
⇦=

٥١- قال أبو سعيد:

وادَّعىٰ المُعارِضُ أيضًا أنه: (**ليس للهِ حَدٌّ، ولا غَايةٌ، ولا نِهايةٌ**).

وهـذا هـو الأصـلُ الـذي بنـىٰ عليـه جَهـمٌ جميـعَ ضـلالاتِه، واشـتقَّ منهـا أغلوطاتِه، وهي كلمةٌ لم يبلُغنا أنه سبقَ جَهمًا إليها أحدٌ مِن العالمين(١).

=

باليد والعلم - صفة مُعينة يقال لها: (الحدّ)، وإنما الحدّ ما يتميّز به الشيء عن غيره من صفته وقدره، كما هو المعروف مِن لفظ (الحدّ) في الموجودات ... إلخ.

وقال: ويقول هؤلاء المُثبتَة: ... قد دلَّ الكتاب والسنة علىٰ معنىٰ ذلك كما تقدم احتجاج الإمام أحمد لذلك بما في القرآن ممَّا يدلُّ علىٰ أن الله تعالىٰ له حدٌّ يتميَّز به عن المخلوقات، وأن بينه وبين الخلق انفصالاً ومُباينة، بحيث يصحُّ معه أن يعرج الأمر إليه، ويصعد إليه، ويصحُّ أن يجيء هو ويأتي ... إلخ.

وقد صنَّف الدشتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا في «إثبات الحدِّ لله تعالىٰ»، حققته وذكرتُ في مُقدِّمته المباحث المُتعلِّقة بهذه المسألة، وموقف أئمة السُّنة ممَّن أنكرها، ثم ذيَّلته بردِّ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الخطابي في إنكاره علىٰ أهل السُّنة إثباتهم الحدَّ.

* وأمَّا (العرش) وما يتعلَّق به مِن مسائل فقد تقدم الكلام عنها في كتاب «الرد علىٰ الجهمية»، تحت باب: (١/ باب الإيمان بالعرش).

وسيأتي مناقشة الجهمي في إنكاره للعرش تحت (فقرة/ ١٦١).

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ١٦٤) مُعلِّقًا علىٰ كلام الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا: أي مِن هذه الأُمة، وإلَّا فهذا النفي كان موجودًا قبل هذه الأُمَّة في كثيرٍ مِن مبتدعة اليهود والنصارىٰ، وفي طائفة مِن المشركين والصابئين، والفلاسفة لهم في ذلك قولان مشهوران قبل الإسلام. اهـ

- وقال (٣/ ٦٨٣): ذكر الأئمةُ أن جهمًا وأتباعه هم أول مَن أحدث في الإسلام هذه الصفات السلبية، وإبطال نقيضها، مثل قولهم: ليس فوق العالم، ولا هو داخل

=

فقال [٩/ أ] له قائلٌ ممَّن يُحاوِرُه: قد علمتُ مُرادك بها أيُّها الأعجميُّ، وتعني: أنَّ اللهَ لا شيءَ؛ لأن الخلقَ كلَّهم علموا أنه ليس شيءٌ يقعُ عليه اسمُ الشيءِ إلَّا وله حدٌّ، وغايةٌ، وصفةٌ، وأن لا شيءَ ليس له حدٌّ، ولا غايةٌ، ولا صفةٌ، فالشيء أبدًا موصوفٌ لا محالة، ولا شيءَ يوصفُ بلا حدٍّ ولا غايةٍ.

وقولك: (لا حدَّ له)، يعني: أنه لا شيءَ(١).

*** قال أبو سعيد:**

واللهُ تعالىٰ له حدٌّ لا يَعلمُه أحدٌ غيره، ولا يجوزُ لأحدٍ أن يَتوهَّمَ لحدِّه غايةً في نَفسِه، ولكن يؤمنُ بالحدِّ، ويكلُ عِلمَ ذلك إلىٰ اللهِ.

ولمكانِه أيضًا حدٌّ(٢)، وهو علىٰ عرشِه، فوق سماواتِه، فهذانِ حدَّان اثنانِ.

= العالم، ولا خارجه، وليس في مكان دون مكان، وليس بمُتحيّز، ولا جوهر، ولا جسم، ولا له نهاية، ولا حدّ، ونحو هذه العبارات، فإن هذه العبارات جميعها وما يشبهها لا تؤثر عن أحدٍ من الصحابة والتابعين، ولا من أئمة الدين المعروفين، ولا يروىٰ بها حديث عن رسول الله ﷺ، ولا توجد في شيء من كتب الله المنزلة من عنده، بل هذه هي من أقوال الجهمية، ومن الكلام الذي اتّفق السلف علىٰ ذمِّه لَمَّا أحدثه مَن أحدثه، فحيث ورد في كلام السلف ذمّ الجهمية كان أهل هذه العبارات داخلين في ذلك، وحيث ورد عنهم ذمّ الكلام والمُتكلِّمين كان أهل هذه العبارات داخلين في ذلك ... اهـ

(١) تقدم (برقم/ ١) بيان أن الجهمية لا يعبدون شيئًا، وإنما يعبدون عدمًا.

(٢) تقدم الكلام عن إثبات المكان لله (برقم/ ١).

وانظر كذلك هاهنا رقم (٥٢ و٥٣ و١٦٣ و١٩٣).

• وسُئِلَ [عبدُ الله] بنُ المُبارِكِ: بمَ نعرِفُ ربَّنا؟

قال: بأنه علىٰ العرشِ، بائنٌ مِن خلقه.

قيل: بحدٍّ؟ قال: بحَدٍّ(١).

٥٢- حدثناه الحسن بن الصباح البزار، عن علي بن الحسن بن شقيق، عن ابنِ المُبارك(٢).

---

(١) في «السنة» للخلال (٢٣٣٧/ الذيل) عن محمد بن إبراهيم القيسي، قال: قلتُ لأحمدَ بن حنبل: يُحكىٰ عن ابنِ المُبارك، قيل له: كيف نعرفُ ربنا تعالىٰ؟

فقال: في السماءِ السابعةِ علىٰ عرشه بحدٍّ.

فقال أحمدُ: هكذا هو عندنا.

- وفيه (٢٣٣٦) قال أبو بكر المَرُّوذِي: سمعتُ أبا عبد الله وقيل له: رُوِيَ عن علي بن الحَسن بن شقيق، عن ابنِ المُبارك أنه قيل له: كيف نعرِفُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ؟

قال: علىٰ العرشِ بحدٍّ.

فقال: بلغني ذلك عنه، وأعجَبَه. ثم قال أبو عبدالله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ثم قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر].

- وفيه (٢٣٣٨) قال يعقوب الهاشمي: كنا عند أبي عبدالله، فسألناه عن قولِ ابن المُبارك: علىٰ العرشِ استوىٰ بحدٍّ.

قال - يعني: أحمدَ بن حنبل -: ... لهذا شواهد من القرآن في خمسةِ مواضِعَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١١١).

⇦=

فمن ادَّعىٰ أنه ليس للهِ حَدٌّ: فقد ردَّ القرآنَ، وادَّعىٰ أنه لا شيءَ؛ لأنَّ الله [وصَفَ] حدَّ مكانِه في مواضعَ كثيرةٍ مِن كتابِه، فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، و﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ [وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ]﴾ [فاطر:١٠].

فهذا كلُّه وما أشبهُهُ شواهدُ ودلائلُ علىٰ الحدِّ.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ١٨٤): وهذا مشهورٌ عن ابن المبارك، ثابتٌ عنه من غير وجهٍ، وهو أيضًا صحيحٌ ثابتٌ عن أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغير واحدٍ من الأئمة. اهـ

قلت: وأول مَن صرَّحَ بإثبات الحد لله تعالىٰ كما يذكر أهل السُّنة: هو الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم تتابع أئمة السنة مِن بعده علىٰ إطلاقه، ولم يُنكروا كلامه ولم يُأوِّلوه.

- قال أسود بن سالم رَحِمَهُ اللَّهُ: كان ابن المبارك إمامًا يُقتدىٰ به، كان من أثبت الناس في السُّنة، إذا رأيت رجلًا يغمز ابن المبارك بشيء فاتَّهمه علىٰ الإسلام.

- قال اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٧٥): لقي عبدالله بن المبارك جماعة من التابعين مثل: سُليمان التيمي، وحُميد الطَّويل وغيرهما، وليس في الإسلام في وقته أكثر رحلة منه، وأكثر طلبًا للعلم، وأجمعهم له، وأجودهم معرفة به، وأحسنهم سيرة، وأرضاهم طريقة مثله، ولعلَّه يروي عن ألفِ شيخٍ من التابعين. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «التسعينية» (٢/ ٥٦٣): عبد الله بن المبارك الذي أجمعت فرق الأُمّة علىٰ إمامتِه وجلالتِه حتىٰ قيل: إنه أمير المؤمنين في كلِّ شيءٍ.

وقيل: ما أخرجت خُراسان مثل ابن المبارك. اهـ

ومَن لا يعترفُ به؛ فقد كفرَ بتنزيلِ اللهِ، وجحدَ آياتِ اللهِ(١).

• وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ فوقَ عرشِهِ فوقَ سماواته**»(٢).

• وقال للأمةِ السَّوداءِ: «**أين اللهُ؟**».

قالت: في السماءِ.

فقال: «**أعتِقْها فإنها مؤمنةٌ**»(١).

---

(١) الحدُّ ليس صفة مِن صفات الله تعالىٰ كما تقدم التنبيه عليه، وإنما هو من باب الإخبار وزيادة البيان لإثبات حقيقة علوّ الله تعالىٰ، واستوائه علىٰ عرشه، فنفي الحدِّ عن الله تعالىٰ عند أئمة السُّنة مستلزم لنفي العلو، ولهذا اشتدّ نكيرهم علىٰ مَن أنكر الحدَّ، كما صنعوا مع ابن حبان صاحب «الصحيح».

- قال أبو إسماعيل الهروي في «ذم الكلام» (٤/ ٤٠٢): سألت يحيىٰ بن عمَّار عن أبي حاتم ابن حبان البُستي، قلتُ: رأيتَه؟

قال: كيف لم أره، ونحن أخرجناه من سجستان ! كان له علمٌ كثير، ولم يكن له كبير دينٍ، قدِمَ علينا فأنكرَ الحدَّ لله؛ فأخرجناه مِن سجستان. اهـ

- قال أبو القاسم عبد الرحمن بن الحافظ أبي عبدالله ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا دين لمَن لا يرىٰ لله الحدَّ؛ لأنه يُسقط مِن بينه وبين الله الحاجز، والحِجاب، والإشارات، والخطاب. اهـ انظر: «إثبات الحد» للدشتي (٩).

قلت: فإنكار الحدِّ لله تعالىٰ لم يأتِ غالبًا إلَّا مِن نُفاة علوّ الله تعالىٰ، ولهذا انتصر ابن حجر - وهو مِن نُفاة العلو - لابن حبان في هذه المسألة، فقال «لسان الميزان» (٥/ ١١٤) مُعلِّقًا علىٰ قول الذهبي: (بَدَت مِن ابن حبان هفوة طعنوا فيه بها)، فتعقَّبه ابن حجر: (فليست هذه بهفوة، والحقُّ أن الحقَّ مع ابن حبان فيها) !.

(٢) سيأتي مسندًا برقم (١٧٥).

فقولُ رسول الله ﷺ: «**إنها مؤمنةٌ**»(٢)، دليلٌ علىٰ أنها لو لم تؤمن بأن الله في السماءِ لم تكُن مؤمنةً، وأنه لا يجوزُ في الرقبةِ المؤمنةِ إلَّا مَن يَحُدُّ الله أنه في السماءِ، كما قال الله ورسوله(٣).

٥٣- **فحدثنا** أحمد بن منيع البغدادي الأصم، ثنا أبو معاوية، عن شبيب

=

(١) سيأتي مسندًا برقم (١٩٢)، والحديث رواه مسلم.

(٢) ورد في حاشية (الأصل): (وحكم النبي ﷺ عند إشارة الأمة إلىٰ السماء بكونها مؤمنة باعتبار أنه يظن بها أنها مِن عبدةِ الأوثان، فبإشارتها إلىٰ السماءِ عُلِمَ أن معبودها ليس من الأصنام)، كذا قال النسفي في كتابه بـ «الاعتماد في الاعتقاد»). اهـ

قلت: هذا بعينه كلامُ أهل التعطيل الذين صنَّف الإمام الدارمي كتابه هذا للردِّ عليهم، ونقض شبهاتهم وتحريفاتهم للنصوص، وقد تقدم التعليق علىٰ نحو هذا التحريف في «الرد علىٰ الجهمية» تحت فقرة (٣٩ و٤٢). وانظر التعليق التالي.

(٣) قال قوام السنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحُجَّة» (٥١٢): قال ﷺ: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»، فحكم النبي ﷺ بإيمانها حين قالت: (إن الله في السماء)، وتحكُم الجهمية بُكفر مَن يقول ذلك. اهـ

- وقال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته في الحرف والصوت» (ص ٨١) بعد ذكره لحديث الجارية: وعند الأشعري أن مَن اعتقد أن الله بذاته في السماء فهو كافر. اهـ

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النونية» (١٧١٢-١٧١٥):

واذكر شهادتَه لمن قد قال ربـ ... ـي في السما بحقيقةِ الإيمان

وشهادةَ العدلِ المُعطِّل للذي ... قد قال ذا بحقيقةِ الكُفرانِ

واحكم بأيِّهِمَا تشاءُ وإنَّني ... لأراكَ تَقبلُ شاهِدَ البُطلان

إن كنت مِن أتباع جهمٍ صاحب التـ ... ـعطيل والبُهتانِ والعُدوانِ

ابن شيبة، عن الحسن، عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال لأبيه: «**يا حُصين، كم تعبُدُ اليومَ إلهًا؟**».

قال: سبعةً؛ سِتةً في الأرض، وواحدًا في السماء.

قال: «**فأيُّهم تَعُدُّه لرغبتِك ولرهبَتِكَ؟**».

قال: الذي في السماءِ(١).

فلم يُنكِرِ النبيُّ ﷺ على الكافرِ إذ عرفَ أن إلهَ العالمين في السماءِ، كما قاله النبي ﷺ.

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١)، والترمذي (٣٤٨٣)، وقال: حسن غريب.

ورواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٥٥)، والطبراني في «الدُّعاء» (١٣٩٣)، و«الأوسط» (١٩٨٥)، وقال: لم يرو هذا الحديث عن شبيب بن شيبة إلَّا أبو معاوية. اهـ

وفي إسناده: شبيب بن شيبة، ضعَّفه ابن معين، والنسائي، والدارقطني، والبرقاني، وقال أبو داود: ليس بشيء. «تهذيب الكمال» (١٢/ ٣٦٢ - ٣٦٤).

قال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «العلل الكبير للترمذي» (ص٣٦٤): سألت محمدًا [يعني: البخاري] عن هذا الحديث، فلم يعرفه إلَّا من حديث أبي معاوية.

قال محمد: وروىٰ موسىٰ بن إسماعيل هذا الحديث عن جويرية بن بشير، عن الحسن، عن النبي ﷺ مرسلًا.

قال أبو عيسىٰ: وحديث الحسن عن عمران في هذا أشبه عندي وأصح. اهـ

وللحديث شواهد انظرها في «إثبات الحد» (٨).

- قال الطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصحيح أنّ حصينًا أسلم. «الإصابة» (٢/ ٧٦).

فحُصينٌ الخُزاعي في كُفرِه يومئذٍ كان أعلمَ باللهِ الجليلِ الأجلِّ مِن المَريسيِّ وأصحابِه، مع ما يَنتَحِلون مِن الإسلامِ؛ إذ ميَّزَ بين الإلهِ الخالقِ الذي في السماءِ، وبين الآلهةِ والأصنامِ المخلوقةِ التي في الأرضِ(١).

وقد اتّفقت الكلمةُ مِن المسلمين والكافرين: أنَّ اللهَ في السماءِ، وحدُّوه بذلك إلَّا المَريسيّ الضالَّ وأصحابَه، حتىٰ الصِّبيانُ الذين لم يَبلغوا الحِنثَ قد عرفوه بذلك، إذا حَزَبَ الصبيَّ شيءٌ يَرفعُ يديه إلىٰ ربِّه يدعوه في السماءِ دون ما سِواها(٢).

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النونية» (١٧٠٧-١٧١١):

واذكُر حديثَ حُصينٍ بن المنذرِ الثـ ... ـقـةِ الرضا أعني أبا عِمرانِ

إذ قال ربي في السماءِ لرغبتي ... ولِرهبتي أدعُوه كلَّ أوانِ

فأقرَّه الهادي البشيرُ ولم يقُل: ... أنت المُجسِّمُ قائِلٌ بمكانِ

حَيَّزتَ بل جَهَّيْتَ بل شَبَّهتَ بل ... جَسَّمتَ لست بعارفِ الرحمنِ

هذي مقالتُهم لمِن قد قال ما ... قد قاله حقًّا أبو عمران

فاللهُ يأخذُ حقَّه منهم ومِن ... أتباعِهم فالحقُّ للدَّيّان

(٢) قال ابن قُتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تأويل مختلف الحديث» (ص ٣٩٥): والأمم كلها - عربيها وعجميها- تقول: إن الله تعالىٰ في السماء ما تُرِكت علىٰ فطرها، ولم تُنقل عن ذلك بالتعليم. اهـ

قلت: وذلك لأنها فطرةٌ فَطَرَ اللهُ عليها المولود ما لم يُجهِّمه أبواه أو يُمشعِرانه فينشأ علىٰ التعطيل وإنكار العلو، ولهذا قال ابن قُتنية: (ولو أن هؤلاء رجعوا إلىٰ فطرهم، وما رُكِّبت عليه خلقتهم من معرفة الخالق، لعلموا أن الله تعالىٰ هو العلي، وهو الأعلىٰ، وهو بالمكان الرفيع، وإن القلوب عند الذكر تسمو نحوه، والأيدي ⇐

فكلُّ أحدٍ باللهِ وبمكانِه أعلمُ مِن الجهميةِ(١).

= ترفع بالدعاء إليه، ومن العلوّ يُرجىٰ الفرج، ويتوقع النصر، وينزل الرزق).

* وقول الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يرفع يديه إلىٰ ربِّه يدعوه في السماءِ دون ما سِواها).

هذا عند مُثبتة العلو، أمّا النُّفاة فإنهم يقولون: تُرفع الأيدي إلىٰ السماء لأنها قبلة الدعاء لا أن الله تعالىٰ في العلو كما تقدم التنبيه عليه في «الرد» (برقم/ ٣٨).

(١) ومن الأشعرية والكُلَّابية والماتريدية نفاة علو الله تعالىٰ ومُعطِّلة الصفات، وقد ملؤوا تفاسيرهم وشروحاتهم للأحاديث بهذه العقيدة الفاسدة، ومِن ذلك:

– قال ابن عطية في «المُحرَّر الوجيز» (١/ ٣٤٢): ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة]: يُراد به علو القدر والمنزلة، لا علو المكان؛ لأن الله منزَّهٌ عن التحيُّز، وحكىٰ الطبري عن قومٍ أنهم قالوا: هو العليّ علىٰ خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه، وهذا قول جهلة مُجسِّمين، وكان الوجه أن لا يُحكىٰ. اهـ

– وقال القُرطبي في «تفسيره» (٧/ ١٠): ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، يعني: فوقية المكانة والرُّتبة، لا فوقية المكان والجهة. اهـ

– وقال النووي في شرحه «لصحيح مسلم» (٥/ ٢٤): .. قال عياض: لا خِلاف بين المسلمين قَاطبةً فقيههم ومُحدّثهم ومُتكلّمهم ونُظّارهم ومُقلدهم أن الظَّواهر الواردة بذكر الله تعالىٰ في السَّماء كقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [الملك]، ونحوه ليست علىٰ ظاهرِها بل مُتأوّلة عند جميعهم).

قلت: فانظر كيف يحكي الإجماع علىٰ نفي علو الله تعالىٰ علىٰ خلقه.

– وقال ابن حجر في «الفتح» (١/ ٥٠٨) في حديث: «**إن رَبَّه بينه وبين القبلة**»: وفيه الرَّدّ علىٰ مَن زَعَمَ أنه علىٰ العرش بذاته. اهـ

– وقال (١٣/ ٤١٢): قال الكرماني: قوله: «**في السَّماء**» ظاهره غير مُراد، إذ الله مُنزَّهٌ عن الحلولِ في المكان؛ لكن لما كانت جهة العلوّ أشرف من غيرها أضافها إليه إشارة إلىٰ علوّ الذَّات والصِّفات. اهـ =

٥٤- ثم انتدبَ المُعارِضُ لتلك الصفاتِ التي أَلَّفها وعدَّدَها في كتابِه مِن: الوجهِ، والسمعِ، والبصرِ، وغير ذلك يتأوَّلُها(١)، ويَحكمُ علىٰ اللهِ و[علىٰ] رسولِه فيها حرفًا بعد حرفٍ، وشيئًا بعد شيءٍ [٩/ب] بحُكم بِشرِ بن غياثٍ

=

- وقال ابن حجر الهيتمي: «مَن في السَّماءِ» أي: عِزُّه، وسُلطانه، وخزائن رحمته، وهكذا مُجمل سائر الأحاديث والآثار الموهم ظاهرها مكانًا أو جهة. اهـ

- وقال في «الإعلام بقواطع الإسلام» (ص١٣٩): لو قال: (الله في السماء)، فقيل: يكفر، وقيل: لا يكفر، والقائلون بالجهةِ لا يكفرون علىٰ الصحيح، نعم إن اعتقدوا لازم قولهم مِن الحدوث أو غيره كفروا إجماعًا. اهـ

- وقال الشوكاني في «تفسيره»: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، فوقية الاستعلاء بالقهرِ والغلبة عليهم، لا فوقية المكان، كما تقول: السُّلطان فوق رعيته، أي: بالمنزلة، والرِّفعة.

قلت: فقد صرَّح هؤلاء المُتأخِّرون بما لم يجترئ عليه أئمة الجهمية الأوائل.

- ففي «السُّنة» لعبد الله (٦٨) قال عباد بن العوَّام: كلمتُ بشرًا المريسي، وأصحاب بشرٍ؛ فرأيتُ آخِرَ كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السَّماءِ شيء.

- وفيه (٤١) قال حماد بن زيد: إنما يُحاوِلون أن يقولوا: ليسَ في السماءِ شيءٌ.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيانِ تلبيس الجهمية» (٣/ ٥٢٢): .. الجهمية أظهروا مسألة القرآن وأنه مخلوق، وأظهروا أن الله لا يُرىٰ في الآخرة، ولم يكونوا يُظهرون لعامَّة المؤمنين وعلمائهم إنكار أن اللهَ فوقَ العرش، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، وإنما كان العلماء يعلمون هذا منهم بالاستدلال والتوسّم، كما يعلم المنافقون في لحنِ القولِ .. إلخ.

(١) فتأويل الصفات وتحريفها عن معانيها هو مذهب المريسية الجهمية كما تقدم التنبيه علىٰ ذلك برقم (٤٨).

المَرِيسيِّ، لا يعتمِدُ فيها علىٰ إمامٍ أقدمَ منه، ولا أرشدَ منه عنده.

فاغتنمنا ذلك منه، إذ صرَّحَ باسمِه، وسَلَّمَ فيها لحُكمِه؛ لِمَا أنَّ الكلمةَ قد اجتمعت مِن عامَّةِ الفُقهاءِ في كُفرِه، وهُتوكِ سِترِه، وافتِضاحِه في مصرِه، وفي سائرِ الأمصارِ الذين سَمِعوا بذكرِه(١).

٥٥- فروىٰ المُعارِضُ عن بشرٍ المَرِيسيِّ قِراءةً منه بزعمه - وزعم أن بِشرًا قال له: اروِهِ عنِّي -، أنه قال في قول الله لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

فادَّعىٰ أن بِشرًا قال: (**يعني: الله بذلك: (أني وليتُ خلقه)، وقوله: (بيديَّ) تأكيدٌ للخلقِ، لا أنه خلقَه بيدٍ**)(٢).

---

(١) قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُمَاٱللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية» كما عند اللالكائي (٦٠٧): سمعت أبي يقول: أول مَن أتىٰ بخلق القرآن: جعد بن درهم، وقال: في نيف وعشرين ومائة.

ثم من بعدهما: بشر بن غياث المريسي - لعنه الله -، وكان والده صباغًا يهوديًّا. وكفَّرَه: سُفيانُ بن عُيينة، وعبد الله بن المبارك، وعبَّادُ بن العوام، وعليُّ بن عاصم، ويحيىٰ بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، ووكيعٌ، وأبو النضر هاشم بن القاسم، وشَبابةُ بن سَوَّار، والأسودُ بن عامر، ويزيدُ بن هارون، وعبد الرزاق بن همام، والفريابي، والفضل بن دُكين، والقعنبي، والحُميدي، وابن المديني.. وذكر جماعة.

(٢) فذهب المريسي إلىٰ تأويلها لا إنكارها، وسيأتي (برقم/ ٦٧) أن التأويل نوعٌ من أنواع التكذيب بالنصوص، وهذا المذهب الذي سار عليه الأشاعرة كما قال السجزي في «رسالته» (ص ١١١): (الفصل السابع: في بيان فعلهم في إثباتِ

⇐=

فيُقالُ لهذا المَريسيِّ الجاهلِ باللهِ وبآياتِه: فهل علمتَ شيئًا ممَّا خلقَ اللهُ وليَ خلقَ ذلك غيرُه حتىٰ خَصَّ آدمَ مِن بينهم أنه ولِيَ خلقَه مِن غيرِ مَسيسٍ بيده؟! فسَمِّه، وإلَّا فمَن ادَّعىٰ أنَّ الله لم يلي(١) خلقَ شيءٍ صغيرٍ أو كبيرٍ فقد كفرَ، غيرَ أنه ولِيَ خلقَ الأشياءَ بأمرِه وقولِه وإرادتِه، وولِيَ خلقَ آدمَ بيدِه مَسيسًا، لم يخلق ذا رُوحٍ بيديه غيرَه، فلذلك خَصَّه [به] وفضَّلَه، وشرَّفَ بذلك ذِكرَه، لولا ذلك ما كانت له فضيلةٌ في ذلك علىٰ شَيءٍ مِن خلقِهِ، إذ [كلّهم] خلقَهم بغيرِ مَسيسٍ في دعواك(٢).

=

الصفات في الظاهر، وعدولهم إلىٰ التأويل في الباطن): .. مِن ذلك: اعترافُهم بأن الله سبحانه موصوفٌ بأن له يدًا وأن هذه الصفة إنما عُرِفت من جهة السمعِ، وأظهروا الردَّ علىٰ المُعتزلةِ في ذلك. وأهلُ السُّنة مُتَّفقون علىٰ أن للهِ سبحانه يَدين، بذلك وردَ النصُّ في الكتابِ والأثرِ، قال الله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]..

وعند الكُلَّابية أن له يدًا واحِدةً، ومَن أثبت له يدي صفةٍ فقد ضلَّ، ثم فسَّروا اليد وعدلوا في التفسيرِ عن الظاهرِ إلىٰ تأويلٍ مُخالف له، فعادوا إلىٰ المُعتزلة.

والأشعري أثبتَ يدينِ، لكنَّه وافق ابنَ كُلَّابٍ في التأويلِ. وكلُّ حديثٍ جاء في الصحيحِ ممَّا يتعلَّق بالصفات عدلوا به إلىٰ معنىً غير الصِّفة. اهـ

(١) كذا في الأصل.

(٢) صرَّح بعضُ أئمة السُّنة بلفظِ (المسيس) لله تعالىٰ لوروده في الأخبار والآثار الصحيحة، ومنها ما سَيُورده المُصنِّف برقم (٧٠ و٣٣٣)، وفيه: (أن الله تعالىٰ لم يمسّ مِن خلقه إلَّا ثلاثة: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجنة عدن، وكتب التوراة بيده).

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ٤٤) وهو يتكلم عمَّا دلَّت عليه هذه الآثار مِن إثباتِ المسيس، قال: وأمَّا السَّلف وأئمة السُّنة المشاهير =

وأمَّا قولك: (تأكيدٌ للخلقِ)، فلعمري إنه لتأكيدٌ جَهِلتَ معناه فقلَبْتَه، إنما هو تأكيدُ اليدينِ[١]، وتحقيقُهما وتفسيرُهما، حتىٰ يعلمَ العِبادُ أنها تأكيدُ مَسيسٍ بيدٍ، لِمَا أن اللهَ قد خلقَ خلقًا كثيرًا في السماواتِ والأرضِ أكبرَ مِن آدمَ وأصغرَ، وخلقَ الأنبياءَ والرسُلَ، وكيف لم يُؤكِّد في خلقِ شيءٍ منها ما أكَّدَ في آدمَ، إذ كان أمرُ المخلوقين في معنىٰ (يدي الله) كمعنىٰ آدمَ عند المَريسيِّ.

= فلم أعلمهم تنازعوا في ذلك، بل يقرُّون ذلك كما جاءت به النصوص. اهـ

ثم نقل كلام الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا.

- وقال أيضًا (٤/ ٣٤٣): لا جرم جاءت الأحاديث بثبوت المُماسَّة، كما دلَّ علىٰ ذلك القرآن، وقاله أئمة السلف، وهو نظيرُ الرؤية وهو مُتعلِّقٌ بمسألةِ العرش، وخلق آدم بيده، وغير ذلك من مسائل الصفات، وإن كان قد نفاه طوائف مِن أهل الكلام والحديث مِن أصحاب الإمام أحمد وغيرهم. اهـ

- وذكر ابن أبي يعلىٰ في «طبقات الحنابلة» (٣/ ٢٢٩-٢٤٤) مُناظرة حصلت بين أبي إسحاق ابن شَاقِلَّا الحنبلي، وبين أبي سُليمان الدمشقي، وأنه ذكر حديث: «**وضعَ يدَهُ بين كتِفيَّ، فوجدتُ بردها..**»، فقال أبو سُليمان: أنا لا أقولُ مَسَّه.

فقال ابن شاقلَّا: وكذا تقولُ في آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما خلقَهُ بيدِهِ؟

قال: كذا أقولُ، إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يمسُّ الأشياء.

فقلت له: سوَّيتَ بينَ آدمَ وسِواه، فأسقطت فضيلتَه، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. اهـ

* وقد جمع ابنُ المُحبِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الصفات» (٢/ ٨٥٤) الآثار المروية في هذا الباب، وبوَّب عليها بقوله: (ذكر ما خلق الله تعالىٰ بيده).

وقد بينت في المقدمة (١/ ٥١) سبب زيادة الأئمة هذه الألفاظ في أبواب الصفات.

(١) في حاشية الأصل هاهنا تعليق من تعاليق الجهمية التي ينفون به حقيقة اليد.

فإن يكُ صادقًا في دعواه؛ فليُسمِّ شيئًا نعرفُه، وإلَّا فإنه الجاحدُ بآياتِ الله، المُعطِّلُ ليدَي اللهِ.

وادَّعىٰ الجاهلُ المَريسيُّ أيضًا في تفسيرِ التأكيدِ مِن المُحالِ ما لا نَعلمُ أحدًا ادَّعاه مِن أهلِ الضلالةِ، فقال: (**هذا تأكيدٌ للخلقِ، لا لليدِ**)؛ كقول الله: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞ﴾ [البقرة:١٩٦].

فيُقالُ لهذا التائِهِ الذي سَلَبَ اللهُ عقلَه، وأكثرَ جهلَه: نعم هو تأكيدٌ لليدينِ كما قلنا، لا تأكيدٌ [لـ]ـلخلقِ، كما أن قوله: ﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ [البقرة:١٩٦]، تأكيدُ العددِ لا تأكيدُ الصيامِ؛ لأنَّ العددَ غيرُ الصيامِ، ويدُ اللهِ غيرُ آدمَ، فأكَّدَ اللهُ لآدمَ الفضيلةَ التي كرَّمَه وشرَّفَه بها، وآثرَه علىٰ جميعِ عبادِه؛ إذ كلُّ عبادِه خلَقَهم بغيرِ مَسيسٍ بيدٍ، وخلقَ آدمَ بمسيسٍ، فهذه عليك لا لك، وقد أخذنا فألَكَ مِن فِيكَ(١) مُحتجِّينَ بها عليك كالشاةِ التي تَحمِلُ حتفَها بأظلافِها(٢).

فإن أجابَ [هذا] المَريسيُّ أعلمناه تأكيدَ الخلقِ إذ كان به جاهِلًا، وهو قوله: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ [النمل:٨٨]، و ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ

---

(١) روىٰ أحمد (٩٠٤٠)، وأبو داود (٣٩١٧) عن سهيل، عن رجل، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ سمع صوتًا، فأعجبه، فقال: «**قد أخذنا فألَكَ مِن فِيك**». (وتقريره: قد أخذنا فألك الحسن أيّها المُتكلِّم مِن فيك، وإن لم تقصد خطابنا).

(٢) في «الأمثال» للهاشمي (١/ ١٢٢) قال العسكري: يراد به الرجل يبحث عمّا يكره فيستخرجه على نفسه ... وأصله أن رجلًا غيّبَ شفرةً له في الأرض، ثم طلبها ليذبح بها كبشًا فلم يجدها، فبينا الكبش ينزو ضرب بيده فأثارها، فذبحه بها الرّجل. اهـ

خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ [١٠/أ] ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة] الآية، وقوله ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [غافر:٦٧] الآية، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون].

فهذا تأكيدُ الخلقِ وتفسيرُه، لا ما ادَّعىٰ الجاهِلُ.

وقولُه لإبليس: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥]، تأكيدُ يديه لا تأكيدُ خلقِ آدمَ، وما كان حاجةُ إبليسَ إلىٰ أن يؤكِّدَ اللهُ له خلقَ آدمَ؟ وقد كان مِن أعلمِ الخلقِ بآدمَ، رآه قبلَ أن يُنفخَ فيه الرُّوحُ طينًا مُصوَّرًا مَطروحًا بالأرضِ، ثم رآه بعدما نُفِخَ فيه الرُّوحُ، ثم كان معه في الجنةِ، حتىٰ وسوسَ إليه فأخرجَه منها، ثم كان يراه إلىٰ أن ماتَ، فإنما أكَّدَ اللهُ له مِن أمرِ آدمَ ما لم يرَ، [لا] ما رأىٰ؛ لأنه لم يرَ يدي اللهِ وهما [تخلُقانِه](١).

فليَعلمِ الجاهِلُ المَريسيُّ، بأنا ما ظننا [أن] عنده مِن رَثاثةِ الحُجَجِ والبيانِ، وقِلَّةِ الإصابةِ والبُرهانِ، قدرَ ما كشفَ عنه هذا الإنسانُ، والحمدُ للهِ

---

(١) انظر في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥] ما سيأتي برقم (٨٥).

الذي نَطَّقَ به لسانَه، وعرَّفَ الناسَ شأنَه، ليَعرِفُوه فيُجاوِزوا مكانه.

٥٦- ثم [لم] يرضَ الجاهلُ المَرِيسيُّ مع سخافةِ هذه الحُجج، حتىٰ قاسَ اللهَ في يديه اللتين خلقَ بِهما آدمَ أقبحَ القياسِ وأسمجَه، بعدما زعمَ أنه لا يَحِلُّ أن يُقاسَ اللهُ بشيءٍ مِن خلقِه، ولا بشيءٍ هو موجودٌ في خلقِه، ولا يتوهَّمُ ذلك(١).

ثم قال: (**أليسَ يُقالُ لرجلٍ مُقطَّعِ اليدينِ مِن المنكبينِ إذا هو كفَرَ بلسانِه: إن كُفرَه ذلك بما كسبت يداه، وإن لم يكُن كفرُه بيديه؟**).

فيُقالُ لهذا الضالِّ المُضِلِّ: أليس قد زعمتَ أن اللهَ لا يُشبَّه بشيءٍ من خلقِه، ولا يَتوهَّمُ الرجلُ في صفاتِه ما يَعقِلُ مثلَه في نفسِه؟ فكيفَ تُشبِّه اللهَ في يديه اللتينِ خلقَ بهما آدمَ بأقطعَ مجذومِ(٢) اليدينِ مِن المنكبينِ؟ وتَتوهَّمُ في قياسِ يدي اللهِ ما تَعقِلُه في ذلك المَجذومِ المقطوعِ، وتَتوهَّمُ ذلك، فقد توهَّمتَ أقبحَ ما عِبتَ علىٰ غيرِك، إذ ادَّعيتَ: أنَّ اللهَ لا يدانِ له كالأقطعِ المقطوعِ اليدينِ مِن المنكبينِ.

ويلكَ ! إنما يقالُ لمَن كفرَ بلسانِه وليست له يدانِ: (ذلك بما كسبت يداه)، مَثلًا معقولًا، يقال ذلك للأقطعِ، وغيرِ الأقطعِ مِن ذوي الأيدي، غير

(١) وهذا معنىٰ قول الأئمة في عقائدهم: (ليس في السُّنة قياسٌ)، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عقيدته» التي رواها عبدوس، والمشهورة بـ «أصول السُّنة»: وليس في السُّنَّةِ قياسٌ، ولا تُضربُ لها الأمثالُ، ولا تُدركُ بالعقولِ ولا الأهواءِ، إنما هو الاتِّباعُ، وتركُ الهوىٰ. اهـ

(٢) أي: مقطوع.

أنه لا يُضربُ هذا المثلُ، ولا يقالُ ذلك إلَّا لمَن هو مِن ذوي الأيدي، أو كان مِن ذوي الأيدي قبلَ أن تُقطعا.

والله بزعمِكَ لم يكُن قطُّ مِن ذوي الأيدي، فيَستحيلُ في كلامِ العربِ أن يقالَ لمَن ليس بذي يدينِ، أو لم يكُ قطُّ ذا يدين: إنَّ كفرَه وعَمَلَه بما كسبت يداه.

وقد يجوزُ أن يُقالَ: بيدِ فلانٍ أمري ومالي، وبيده الطلاقُ والعِتاقُ والأمرُ، وما أشبهه، وإن لم تكن هذه الأشياءُ موضوعةً في كفِّهِ بعد أن يكون المُضافُ إلىٰ يده مِن ذوي الأيدي، فإن لم يكن المُضافُ إلىٰ يده مِن ذوي الأيدي، يَستحيلُ أن يُقالَ: بيدِه شيءٌ مِن الأشياءِ.

وقد يُقالُ: بين يدي الساعةِ كذا وكذا، [١٠/ب] وكما قال الله تعالىٰ ﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ]، وكقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة:٦٦]، وكما قال الله تعالىٰ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة:٩٧].

فيجوزُ أن يُقالَ: (بين يدي كذا وكذا، كذا وكذا)، لِمَا هو مِن ذوي الأيدي، وممَّن ليس مِن ذوي الأيدي.

ولا يجوز أن يُقالَ: (بيدِه) إلَّا لِمَن هو مِن ذوي الأيدي؛ لأنك إذا قلتَ: بيد الساعةِ كذا وكذا، كما قلت: بين يديها؛ استحال.

وبيدِ العذابِ كذا وكذا، وبيدِ القرآن الذي هو (مُصدِّقٌ لما بين يديه كذا وكذا)، وبيدِ القريةِ التي جعلها نكالًا كذا وكذا؛ استحالَ ذلك كلُّه.

ولا يَستحيلُ أن يُقالَ: (بين يديك)؛ لأنك تعني: أمامَه، وقُدَّامَه بين يديه.

فلذلك يجوزُ أن يُقالَ للأقطعِ إذا كفرَ بلسانِه: (إنه بما كسبت يداه)؛ لأنه كان مِن ذوي الأيدي قُطِعتا أو كانتا معه.

ويستحيلُ أن يُقالَ: (بما كسبت يدُ الساعة)، و(يدُ العذابِ)، و(يدُ القرآنِ)؛ لأنه لا يُقالُ: بيدِ شيءٍ شيءٌ إلَّا وذلك الشيءُ معقولٌ في القلوبِ أنه مِن ذوي الأيدي(١).

وأنت أولُ ما نفيتَ عن اللهِ يديه أنه ليس بذي يدينِ، ولم يكن قطُّ له يدانِ، ثم قُلتَ: بيدِ الله كذا وكذا، و(خلقتُ آدمَ بيديَّ)، ولا يدانِ له عندك، فهذا مُحالٌ في كلامِ العربِ، لا شكَّ فيه، أو سَمِّ شيئًا يُخالِفُ دعوانا(٢).

---

(١) ورد في حاشية (الأصل): (قف على الفرق بين اليدين واليد).

(٢) صدقَ أئمة السنة لما قالوا: إنما بلاءُ أهل البدع مِن العُجمة، وجهلهم بالعربية.

- ففي «المزهر في علوم اللغة» (٢/ ٢١٧) قال الأصمعي: تزندق هؤلاء القوم لجهلهم باللغة العربية، ولو كانوا مُطَّلعين على خفايا اللغة؛ لتفهموا القرآن والحديث، ولَمَا اعتراهم الشَّك في الدين.

- وفي «كتاب الزينة» (١/ ١١٧) قال أبو عَمرو ابن العَلاء: أكثر مَن تزندق بالعراق لجهلهم بالعربية.

- وفي «خلق أفعال العباد» (٣٢٦)، و«الاعتصام» (٢/ ٢٩٩) قال الحسن البصري في أهل البدع: إنما أهلكتهم العُجمة، يتأوَّلون القرآن على غير تأويله.

- وقال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (٢٨٣٧): فالجهميُّ الملعون إنما أُتي مِن جهله باللسان العربي، ومَن تعاشيه عن الجادة الواضحة، وطلبه المُتشابه، وبُنيَّات الطُّرُق ابتغاء الفتنة. اهـ

٥٧- وكذلك الحُجَّةُ عليك فيما احتججتَ به أيضًا في نفي يدي الله عنه أنه عندك كقول الناسِ في الأمثال: (يداكَ أوكتا، وفُوكَ نَفَخَ)[(١)]، وكقولِ الله: ﴿بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ [البقرة:٢٣٧].

فادَّعيتَ: (**أن العُقدةَ بعينها ليست موضوعةً في كفِّهِ، ويجوزُ أن يقالَ ذلك في الكلام**).

فقُلنا لك: أجل أيُّها الجاهلُ، هذا يجوزُ لِمَا أن الموصوفَ بهما مِن ذوي الأيدي؛ فلذلك جازَ، ولولا ذاك لم يَجُز، ولو لم يكن للذي[(٢)] بيده عُقدةُ النكاح، ولا للمُوكي، ولا للنافخِ يدانِ، أو لم يكونوا من ذوي الأيدي، كمعبودِكَ في نفسِكَ لم يجُز أن يُقالَ: بيده.

ولو لم يكُن لله تعالىٰ يدانِ بهما خلقَ آدمَ، ومسَّهُ بهما مَسيسًا كما ادَّعيتَ لم يجُز أن يُقالَ: (بيده الخير)، ﴿وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:٢٩]، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك:١]، للمذهبِ الذي فسَّرنا.

---

(١) قال المُفضّل الضبي في «أمثال العرب» (ص٧٧): (يداك أوكتا، وفوك نفخ): زعموا أن قومًا كانوا في جزيرة مِن جزائر البحر في الدهر الأول، ودونها خليج مِن البحر، فأتاها قومٌ يريدون أن يعبروها، فلم يجدوا مَعبرًا، فجعلوا ينفخون أسقيتهم ثم يعبرون عليها، فعمد رجلٌ منهم فأقلّ النفخ، وأضعف الربط، فلمَّا توسَّط الماء جعلت الريحُ تخرجُ حتىٰ لم يبق في السقاء شيء، وغشيه الموت، فنادىٰ رجلًا من أصحابه: أن يا فلان، إني قد هلكتُ.

فقال: (ما ذنبي، يداك أوكتا، وفوك نفخ)، فذهب قوله مثلًا. اهـ

(٢) في الأصل: (الذي)، وما أثبته من (ج).

فإن كنت لا تُحسنُ العربيةَ فسل مَن يُحسِنُها ثم تكلَّمَ.

وقد يجوزُ للرجلِ أن يقولَ: بَنيتُ دارًا، أو قَتلتُ رجُلًا، وضربتُ غلامًا، ووزنتُ لفلانٍ مالًا، وكتبتُ له كِتابًا، وإن لم يتولَّ شيئًا مِن ذلك بيدِه، بل أمرَ البَنَّاءَ ببنائِه، والكاتبَ بكتابه، والقاتِلَ بقتله، والضارِبَ بضربِه، والوازنَ بوزنِه، فمِثلَ هذا يجوزُ علىٰ المجازِ الذي يَعقِلُه الناسُ بقلوبِهم علىٰ مجازِ كلامِ العربِ(١).

---

(١) أي: علىٰ ما يجوز في كلام العرب واستخداماتهم، وسيأتي مِن كلام المُصنِّف كيفية معاملة الألفاظ التي تحتمل عِدَّة معانٍ.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٢/ ٦٩٢): ... كلام الأئمة مُدوَّنٌ بحروفه لم يُحفظ عن أحدٍ منهم تقسيم اللغة إلىٰ (حقيقةٍ ومجاز)، بل أول مَن عُرِفَ عنه في الإسلام سمَّاه: «مجاز القرآن»، وليس مراده به قَسِيمَ الحقيقة، فإنه تفسير لألفاظه بما هي موضوعة له، وإنما عنىٰ بالمجازِ: ما يُعبر به مِن اللفظ، ويُفسّر به، كما سمَّىٰ غيره كتابه: «معاني القرآن»، أي: ما يُعنىٰ بألفاظه ويُراد بها، كما يُسمِّي ابن جرير الطبري وغيره ذلك: تأويلًا.

وقد وقع في كلامِ أحمد شيءٌ مِن ذلك، فإنه قال في «الرَّدِّ علىٰ الجهميةِ فيما شكت فيه من مُتشابه القرآن»: وأمَّا قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ [المائدة: ١٢]، فهذا من مجاز اللغة، يقول الرجلُ للرجل: سيجري عليك رزقك، أنا مشتغل به.

وفي نسخةٍ: وأمَّا قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه]، فهو جائز في اللغة، يقول الرجل للرجل: سأجري عليك رزقك، وسأفعل بك خيرًا.

قلت [ابن القيم]: مُراد أحمد: أن هذا الاستعمال ممَّا يجوز في اللغة، أي هو مِن جائز اللغة لا مِن ممتنعاتها، ولم يُرد بالمجاز: أنه ليس بحقيقة، وأنه يصحُّ نفيه، وهذا كما قال أبو عُبيدة في «تفسيره»: إنه مجاز القرآن.

⇐=

وإذا قال: كتبتُ بيدي كِتابًا كما قال الله تعالىٰ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، أو قال: وزنتُ بيدي، وقتلتُ بيدي، وبنيتُ بيدي، وضربتُ بيدي، كان ذلك تأكيدًا ليديه، دون يدي غيرِه، ومعقولُ المعنىٰ عند العُقلاءِ، كما أخبرنا اللهُ أنه خلق الخلائقَ بأمرِهِ، فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل].

فعلمنا أنه خلق الخلائق بأمرِهِ، وإرادتِه، [١١/ أ] وكلامِهِ، وقوله: ﴿كُن﴾، وبذلك كانت، وهو الفعَّالُ لما يريد.

فلمَّا قال: (خلقتُ آدمَ بيديَّ)، علِمنا أن ذلك تأكيدٌ[١] ليديه، وأنه خلقَه بهما مع أمرِهِ وإرادتِه.

فاجتمعَ في آدمَ: تخليقُ اليدينِ نصًّا، والأمرُ والإرادةُ، ولم يجتمعا في خلقِ غيره مِن الرُّوحانيِّين؛ لأنَّ الله تعالىٰ لم يَذكر أنه مسَّ خلقًا ذا رُوحٍ بيديهِ غيرَ آدمَ، إذ لم يذكُر ذلك في أحدٍ مِمَّن سِواه، ولم يَخُصَّ به بَشرًا غيرَه مِن الأنبياءِ

=

ومراد أحمد: أنه يجوز في اللغة أن يقول الواحد المُعظِّم نفسه: (نحن فعلنا كذا)، فهو مما يجوز في اللغة، ولم يُرد: أن في القرآن ألفاظًا استعملت في غير ما وضُعِت له، وأنها يفهم منها خلاف حقائقها ... إلخ.

وقد أطال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في مواضع من كتبهم إنكار تقسيم الكلام إلىٰ حقيقة ومجاز، وأن هذا التقسيم مُحدثٌ لم يتكلَّم به السلف الأوائل، ومَن تكلَّم به من الأئمة إنما أراد به أمرًا آخر غير ما أراده المُتأخِّرون.

(١) في الأصل: (تأكيدًا)، وما أثبته من (ب).

وغيرِهم.

ولو كان علىٰ ما تأوَّلتَ: أنه أرادَ (بيديه): أنه ولِيَ خلقَه فأكَّده؛ لَمَا كان علىٰ إبليسَ إذًا فيما احتجَّ اللهُ به عليه مِن أمرِ اليدينِ لآدمَ في ذلك فضلٌ ولا فخرٌ، إذ ولِيَ خلقَ إبليسَ في دعواكَ كما ولِيَ خلقَ آدمَ سَواء، وأكَّده كما أكَّده.

ولو كان ذلك علىٰ ما تأوَّلتَ لحاجَّ إبليسُ ربَّه في ذلك كما حاجَّه في أن قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف].

وكما قال: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الحجر].

فيقولُ: خلقتني أيضًا يا ربِّ بيديك، علىٰ معنىٰ ما خلقتَ به آدمَ، أي: وَليتَ خلقي، فأكَّدته(١) - في دعواك -، ولكن كان الكافرُ الرجيمُ أجودَ معرفةً بيدي اللهِ منك أيها المَريسيُّ، بل عَلِمَ عدوُّ اللهِ تعالىٰ إبليسُ أن لو احتجَّ بها علىٰ اللهِ كذَّبَه.

٥٨- وأمَّا دعواك أيها المَريسيُّ في قول الله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

فزعمتَ [أن] تفسيرهما [عندك]: (رِزقاه)، **رِزقٌ موسَّعٌ، ورِزقٌ مقتورٌ، ورِزقٌ حلالٌ، ورِزقٌ حرامٌ.**

---

(١) في (ب): (فأكذبه).

فقوله: (يداه) عندكَ: (رِزقَاه)، فقد خرجتَ بهذا التأويلِ مِن حَدِّ العربيةِ كلها، أو مِن حدِّ ما يفقَهُه الفُقهاءُ، ومِن جميعِ لُغاتِ العربِ والعجمِ، فممَّن تلقَّفتَه؟! وعمَّن رويتَه مِن أهلِ العلمِ بالعربيةِ والفارسيةِ؟! فإنك جئتَ بمُحالٍ لا يَعقِلُه [أ]عجميٌّ ولا عربيٌّ، ولا نعلمُ أحدًا مِن أهلِ العلمِ والمعرفةِ سبقكَ إلىٰ هذا التفسيرِ.

فإن كنتَ صادِقًا في تفسيرِكَ هذا فأْثُره عن صاحبِ عِلمٍ، أو صاحبِ عربيةٍ، وإلَّا فإنكَ مع كُفرِكَ بهما مِن المُدلِّسين.

وإن كان تفسيرُهما عندك ما ذهبتَ إليه فإنه كذِبٌ مُحالٌ، فضلًا علىٰ أن يكون كفرًا(١)؛ لأنك ادَّعيت: أنَّ للهِ رِزقًا مُوسَّعًا، ورِزقًا مُقتَّرًا، ثم قُلتَ: (**إنَّ رِزقيهِ جميعًا مَبسوطانِ**)، فكيفَ يكونانِ مَبسوطينِ، والمقتورُ أبدًا في كلامِ العربِ غيرُ مبسوطٍ؟!

وكيف قال اللهُ تعالىٰ: إنَّ كلتيهما مبسوطتانِ، وأنتَ تَزعمُ أن إحديهما مَقتورةٌ؟

فهذا أولُ كذِبكَ وجهالتِكَ بالتفسيرِ.

وقد كفانا الله ورسوله مؤنةَ تفسيرِكَ هذا، بالناطقِ مِن كتابِه، وبما أخبرَ الله علىٰ لسانِ نبيِّه ﷺ.

---

(١) ذكر المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية» (فقرة/ ٢٦٢) مِن أوجه تكفير الجهمية: تأويلهم لصفة اليد بالأرزاق والنِّعم.

• **فأمَّا الناطق من كتابه:**

• فقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

• وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤].

• وقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠](١).

• وقوله: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران:٢٦].

• وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:٢٩].

• وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١].

• وقوله: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات:١](٢).

---

(١) سيأتي قول المُصنِّف برقم (٣٠٩): (فثبَّتَ له (اليدَ) التي هي اليدُ عند ذِكرِ المُبايعةِ، إذ سمَّىٰ اليدَ مع اليدِ، واليدُ معه علىٰ العرشِ).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (١/ ٧٣): إن لفظ اليد جاء في القرآن علىٰ ثلاثة أنواع: مُفردًا ومُثنًّىٰ ومجموعًا، فالمُفرد كقوله: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١]، والمُثنَّىٰ كقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، والمجموع كقوله: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس:٧١]، فحيثُ ذَكَرَ اليد مُثنَّاة أضاف الفعل إلىٰ نفسه بضمير الإفراد، وعدَّىٰ الفعل بالباء إليهما، فقال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وحيث ذكرها مجموعةً أضاف العمل إليها، ولم يعد الفعل بالباء.

فهذه ثلاثة فروق، فلا يحتمل: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، من المجاز ما يحتمله: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس:٧١]، فإن كل أحدٍ يفهم من قوله: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾، ما يفهمه =

فهل يجوزُ لك أن تتأوَّلَ، [١١/ ب] في جميعِ ما ذكرنا مِن كتابِه أنه رِزقاه، فتقولُ: (بِرزقِهِ الخير)، و(بِرزقِه الفضل)، و(بِرزقِه المُلك)، (ولا تُقدِّموا بين رزقِ اللهِ ورسوله)؟!

• **وأمَّا المأثور مِن قولِ رسولِ اللهِ ﷺ:**

• فقوله ﷺ: «**إنَّ المُقسِطين علىٰ مَنابِرَ مِن نورٍ عن يمينِ الرحمنِ، وكِلتا يديه يَمينٌ**».

٥٩- حدثنا ابن المديني، ونُعيم بن حماد، وابن أبي شيبة، عن سُفيانَ بن عُيينة، عن عَمرو بن دينارٍ، عن عَمرو بن أوس، عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ(١).

= من قوله: عملنا وخلقنا، كما يفهم ذلك من قوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠].

وأمّا قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، فلو كان المراد منه مُجرَّد الفعل لم يكن لذكر اليدِ بعد نسبةِ الفعل إلىٰ الفاعل معنىٰ، فكيف وقد دخلت عليها الباء؟ فكيف إذا ثُنِّيت؟

وسرُّ الفرق: أن الفعل قد يضاف إلىٰ يدِ ذي اليد، والمراد: الإضافة إليه، كقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج:١٠]، ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠]. وأما إذا أضيف إليه الفعل، ثم عُدِّي بالباء إلىٰ يده مُفردة أو مُثنّاة فهو مما باشرته يده، ولهذا قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (إن الله لم يخلق بيده إلَّا ثلاثًا: خلق آدم بيده، وغرس جنة الفردوس بيده، وكتب التوراة بيده). فلو كانت اليد هي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك. اهـ

(١) رواه مسلم (١٨٢٧).

فتفسيرُ قولِ النبيِّ ﷺ في تأويلِكَ أيُّها المَرِيسيُّ: أنهم علىٰ منابِرَ مِن نُورٍ عن رِزقي الرحمنِ، وكلا رِزقيهِ يَمينٌ.

٦٠- **حدثنا** مهدي بن جعفر الرملي، ثنا عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن عُبيد الله[(١)] بن مِقْسَم، عن ابنِ عُمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأخذُ الجبَّارُ سماواتِه وأَرَضِيه بيديه**»، وقبضَ كفَّيه، أو قال: يديه - فجعلَ يَقبضهما ويَبسُطهما، ثم يقول: «**أنا الجبَّارُ، أنا المَلِكُ، أينَ الجبَّارون؟ أين المُتكبِّرون؟**»، ويَميلُ رسول الله ﷺ عن يمينه، وعن شِماله، حتىٰ نظرتُ إلىٰ المِنبرِ مِن أسفلِ شيءٍ منه حتىٰ إني لأقول: أساقِطٌ هو برسولِ الله ﷺ؟[(٢)].

فيجوزُ أيها المَرِيسيُّ أن تتأوَّلَ هذا الحديثَ: أنه يأخُذُ السماواتِ والأرضينَ بِرزقيه، بموسِّعِه وبِمقتورِه، وحلالِهِ وحرامِه؟!

---

(١) في الأصل: (عبد الله)، وما أثبته من (ب).

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٨). ورواه البخاري (٧٤١٢) مختصرًا.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٤٢٠): وكان ﷺ أعلم الناس بتفاصيل الأسماء والصفات وحقائقها، وكان أفصح الناس في التعبير عنها وإيضاحها، وكشفها بكلِّ طريقٍ كما يفعله بإشارته وحاله كما في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول: «**يقبض الله سماواته بيده والأرض باليد الأخرىٰ**»، وجعل رسول الله ﷺ يقبض يده ويبسطها يحكي ربه تبارك وتعالىٰ، تحقيقًا لإثبات اليد، وصفة القبض والبسط، لا تشبيهًا وتمثيلًا. اهـ

ثم ساقَ أحاديث كثيرة في هذا البابِ، وفيها الإشارة الحسيَّة بالفعل مع إثبات الصفة لله تعالىٰ من باب إثبات حقيقة الصفات.

ما أراك إلَّا وستعلَمُ أنك تتكلَّمُ بالمُحالِ، لتُغالطَ(١) بها الجُهَّالَ، وتُروِّجُ عليهم الضُّلال.

٦١- وقول النبيِّ ﷺ: «**والذي نفسي بيدِهِ، ونفسُ محمدٍ بيدِهِ، لا تَدخلوا الجنَّةَ حتىٰ تُؤمنوا، ولا تؤمنوا ...**» الحديث(٢).

٦٢- **حدثنا** نُعيم بن حمَّاد، ثنا ابن المبارك، أبنا يونس، عن الزُّهري، حدثني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**يَقبضُ [اللهُ] الأرضَ يومَ القيامةِ، ويطوي السماواتِ بيمينِه، ثم قال: أنا المِلكُ، أين الملوك؟**»(٣).

أفيجوزُ أن يقولَ: يطوي اللهُ السماءَ بأحدِ رِزقَيهِ؟ فأيُّهما الموسَّعُ عندك مِن المقتورِ؟ وأيُّهما الحلالُ مِن الحرامِ؟ لأن النبيَّ ﷺ قال: «**وَكِلتا يديه يَمينٌ**»، وادَّعيت أنت: أن أحدَهما مُوسَّعٌ، والآخرَ مَقتورٌ.

٦٣- **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد بن سلمة، أبنا محمد بن عمرٍو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**لقِيَ آدمَ**

---

(١) في الأصل: (لتُغاط)، وما أثبته من (ج).

(٢) رواه مسلم (٥٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٠٨)، وهو حديث متفق عليه.

وبوَّب ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ في «التوحيد» لهذا الحديث بابًا وهو يتكلم علىٰ إثبات اليدين، فقال: (٢٢/ باب ذكر سُنَّة عاشرة، تُثبت يدَ الله، وهي: إعلامُ النبيِّ ﷺ أُمَّتَه قبضَ الله الأرض يوم القيامة، وطيّه جلَّ وعلا سماواته بيمينه، مثل المعنىٰ الذي هو مسطورٌ في المصاحف).

موسىٰ، فقال له: **أنتَ الذي خلقَكَ اللهُ بيدِهِ؟ ...**»(١).

أفيجوزُ أيُّها المَرِيسيُّ أن تتأوَّلَ قولَ موسىٰ: خلقَكَ اللهُ بأحدِ رِزقيه بحلالِهِ أم حَرامِهِ؟!(٢).

٦٤- **حدثنا** مسلم بن إبراهيم الأزدي، وأبو عمر الحوضي(٣)، وعَمرو ابن مرزوق، قالوا: حدثنا شعبة، عن عَمرو بن مُرَّة، عن أبي عُبيدة، عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ يَبسُطُ يده بالليلِ؛ ليتوبَ مُسيءُ**

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٩٧)، وهو حديث مُتفق عليه.

(٢) قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ في «الشريعة» (٨٦٣): يقال للجهمي الذي يُنكر أن الله خلق آدم بيده: كفرتَ بالقرآن، ورددت السُّنة، وخالفت الأُمة.

فأمَّا القرآن: فإن الله عَزَّوَجَلَّ لما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فسجدوا إلَّا إبليس، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص]... فحسدَ إبليسُ آدم؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ خلقه بيده، ولم يخلق إبليس بيده.

ولما التقىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مع آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فاحتجَّا، فكان مِن حُجَّة موسىٰ لآدم أنه قال له: «**أنت أبونا آدم، خلقك الله تعالىٰ بيده، ونفخ فيك مِن رُوحه، وأمر الملائِكة فسجدوا لك**». فاحتجَّ موسىٰ علىٰ آدم بالكرامة التي خصَّ الله عَزَّوَجَلَّ بها آدم ممَّا لم يخصّ غيره بها من أن الله عَزَّوَجَلَّ خلقه بيده، وأمر ملائِكته فسجدوا له. فمن أنكر هذا فقد كفر.

ثم احتجَّ آدم علىٰ موسىٰ، فقال آدم: أنت موسىٰ الذي اصطفاك الله بكلامه، وخطَّ لك التوراة بيده ... وذكر الحديث. اهـ

(٣) في الأصل: (عمر بن الحوضي)، وما أثبته من (ب).

النهارِ، ويَبسُطُ يدَه بالنهارِ؛ ليتوبَ مُسيءُ الليلِ، حتىٰ تَطلعَ الشمسُ مِن مغربِها»(١).

أفيجوزُ أن [يُقالَ]: يَبسُطُ حَلالَه بالليلِ وحرَامَه بالنهارِ ليتوبَ المُسيئانِ؟

٦٥- **حدثنا** نُعيم بن حماد، ثنا ابن المُبارك، أخبرنا عَنبَسة بن سعيد، عن حبيب بن أبي عَمْرَة، [١٢/أ] عن مُجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن عائشة رضي الله عنها: أنها سألت رسول الله ﷺ عن قول الله: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]، فأين [يكونُ] الناسُ يومئذٍ يا رسول الله؟

قال: «**علىٰ جِسْرِ جهنَّم**»(٢).

أفيجوزُ أن يُقالَ: إنَّ الأرضَ جميعًا رِزقُ اللهِ يومَ القيامةِ، والسماواتُ

---

(١) رواه أحمد (١٩٥٢٩)، ومسلم (٢٧٥٩).

(٢) رواه أحمد (٢٤٨٥٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٣٨٩)، والترمذي (٣٢٤١)، وقال: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه. اهـ

ورواه مسلم (٢٧٩١)، ولفظه: فأين يكون الناس يومئذ؟ فقال: «**على الصراط**».

وروىٰ مسلم (٣١٥) من حديث ثوبان مولىٰ رسول الله ﷺ الطويل، وفيه: أن يهوديًا سأل النبي ﷺ أين يكون الناس يوم تُبدَّلُ الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هم في الظُّلمة دون الجِسر**».

- قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التخويف من النار» (ص٢٣٥): ويمكن الجمع بين الحديثين، بأن الظُّلمة دون الجِسرِ حُكمها حكم الجِسرِ، وفيها تقسيم الأنوار للجواز علىٰ الجسر، فقد يقع تبديل الأرض والسموات وطي السماء مِن حين وقوع الناس في الظُّلمة، ويمتدّ ذلك إلىٰ حال المرور علىٰ الصراط، والله أعلم. اهـ

مطوياتٌ برزقِه، حلالِه وحرامِه، وموسَّعِه ومُقتَّره؟

لقد عَلِمَ الخلقُ[١] - إلَّا مَن جَهِلَ - استحالَةَ هذا التأويلِ.

فلو أنَّك إذا أردتَ مُعاندةَ اللهِ ورسولِه، ومخالفةَ أهلِ الإسلامِ؛ احتججتَ بكلام أسترَ عورةً، وأقلَّ استحالةً مِن هذا، كان أنجعَ لك في قلوبِ الجُهَّالِ مِن أن تأتيَ بشيءٍ لا يشُكُّ عاقِلٌ ولا جاهِلٌ في بُطُولِه واستِحالتِهِ.

٦٦- حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني ابن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ حينَ خلقَ الخلقَ، كتبَ بيدِهِ علىٰ نفسِهِ: إنَّ رَحمتِي تَغلِبُ غَضَبي**»[٢].

فهل مِن بيانٍ أشفىٰ مِن هذا أنه كتبَ بيدِه علىٰ نفسِه: إنَّ رحمتِي تَغلِبُ غضبي؟

أفيَجوزُ لهذا المَريسيِّ أن يقولَ: كتبَ برزقِهِ حَلالِهِ وحرامِهِ علىٰ نفسِهِ؟!

٦٧- وفي هذا البابِ أحاديثُ كثيرةٌ، تركناها مخافةَ التطويلِ[٣]، وفيما

---

(١) في (ب): (الحق).

(٢) رواه أحمد (٩٥٩٧)، والترمذي (٣٥٤٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه البخاري (٧٤٠٤)، ومسلم (٢٧٥١)، ولفظهما: «**لمَّا خلقَ اللهُ الخلقَ كتبَ في كتابه ...**» الحديث، وليس عندهما لفظة: (بيده).

وروىٰ هذا الحديث ابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (٨٦)، وقال عقبه: (روىٰ هذا الحديث جماعة عن أبي هريرة رضي الله عنه، لم يذكر فيه: (بيده) غير ابن عجلان. اهـ

(٣) أطال ابن المُحبّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الصفات» (٢/ ٧٣٧) في ذكر النصوص في إثبات ⇐=

ذكرنا مِن ذلك بيانٌ بيِّنٌ ودلالةٌ ظاهرةٌ في تثبيتِ يدي الله عَزَّوَجَلَّ أنهما على خِلافِ ما تأوَّلَه هذا المَرِيسيُّ الضالُّ، الذي خرجَ بتأويله هذا من جميعِ لُغاتِ العربِ والعَجمِ.

فليعرِض هذه الآثارَ رجلٌ على عقلِهِ، هل يجوزُ لعربيٍّ أو عجميٍّ أن يتأوَّلَ: أنها أرزَاقُه، وحلالُه، وحرامُه؟(١).

وما أحسِبُ هذا المَرِيسيَّ إلَّا وهو على يقينٍ مِن نفسِهِ أنها تأويلُ ضلالٍ،

= اليدين لله تعالى، فقال: (باب إثبات اليدين لربنا جل ثناؤه)، وقال (٢/ ٧٦٤): (باب في اليمين - وكلتا يدي ربنا يمين - والشمال ولفظ اليسرى)، وقال (٢/ ٧٩٤): (باب إثبات الكفَّينِ لله، والأنامل، والكنف).

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مختصر الصواعق» (٣/ ٩٨٤): وَرَدَ لفظُ اليد في القرآن والسُّنة وكلام الصحابة رضي الله عنهم والتابعين في أكثر مِن مائة موضعٍ ورُودًا مُتنوِّعًا مُتصرِّفًا فيه مقرونًا بما يدلُّ على أنها يد حقيقة مِن: الإمساكِ، والطي، والقبض والبسط، والمُصافحة، والحثيات، والنضح باليد، والخلق باليدين، والمُباشرة بهما، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده .. وكتابته بيده على نفسه أن رحمته تغلب غضبه .. وأن يمينه ملأى لا تغيضها نفقة سحَّاء الليل والنهار .. إلخ.

- وقال أيضًا (٣/ ٩٥٦): فهذا القبض، والبسط، والطي واليمين، والأخذ، والوقوف عن يمين الرحمن، والكفّ، وتقليب القلوب بأصابعه، ووضع السماوات على إصبع، والجبال على إصبع، فذكر إحدى اليدين ثم قوله: «**وبيده الأخرى**» ممتنعٌ فيه اليد المَجازيَّة، سواء كانت بمعنى (القُدرة)، أو بمعنى (النِّعمة)، فإنها لا يتصرَّف فيها هذا التصرُّف، هذه لغة العرب، نظمهم ونثرهم هل تجدون فيها ذلك أصلًا. اهـ

ودعوىٰ مُحالٍ، غيرَ أنه مُكذِّبُ الأصلَ، مُتلطِّفٌ لتكذيبه بمُحالِ التأويلِ؛ كيلا يَفطنَ لتكذيبِهِ أهلُ الجهلِ(١).

ولئن كان أهلُ الجهلِ في غلَطٍ مِن أمرِهِ، إنَّ أهلَ العلمِ منه لعلىٰ يقينٍ.

فلا يَظننَّ المُنسلِخُ مِن دِينِ اللهِ أنه يُغالطُ بتأويلِهِ هذا إلَّا مَن قد أضلَّه اللهُ، وجعلَ علىٰ قلبِهِ وبَصرِه وسمعِهِ غِشاوةً.

ثم إنَّا ما عرفنا لآدمَ مِن ذُرِيَّته ابنًا أعقَّ ولا أحسدَ منه، إذ ينفي عنه أفضلَ فضائلِه، وأشرفَ مناقبِه، فيُسوِّيه في ذلك بأخسِّ خلقِ اللهِ؛ لأنه ليس لآدمَ فضيلةٌ أفضلُ مِن أنَّ اللهَ خلقَه بيدِه مِن بين خلائقِه، ففضَّلَه بها علىٰ جميعِ الأنبياءِ والرُّسلِ والملائكةِ.

ألا ترون موسىٰ حين التقىٰ مع آدمَ في المُحاورَةِ احتجَّ عليه بأشرفِ مناقبه، فقال: «**أنتَ الذي خلقَكَ اللهُ بيدِه؟**»، ولو لم تكُن هذه مخصوصةً لآدمَ دون مَن سِواه؛ ما كان يخُصُّه بها فَضيلةً دون نفسِه؛ إذ هو وآدمُ في خلقِ

---

(١) ولقد صدق أهل السُّنة لما قالوا: التأويل نوعٌ مِن التكذيب بالنصوصِ، وإنما يلجأ إليه هؤلاء المُعطِّلة دِلسة لهم يستترون به حتىٰ لا يفتضحوا.

- قال ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرَّدِّ علىٰ الجهمية»: التأويلُ عند أصحابِ الحديثِ: نَوعٌ مِن التكذيبِ. اهـ [«طبقات الحنابلة» (١/ ٦٤)].

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٤٦) وهو يتكلّم عن أنواع التكذيب بنصوص الصِّفات: ولو أقرّ بلفظِهِ مع جحد معناه، أو حرَّفه إلىٰ معانٍ أُخر غير مَا أُريد به لم يكن مُصدِّقًا بل هو إلىٰ التّكذيب أقرب. اهـ

وقد قررَّتُ ذلك بزيادة بيان في التعليق علىٰ «الرد علىٰ الجهمية» (فقرة/ ٧٠).

يدي اللهِ سواءٌ في دعوىٰ المَرِيسيّ.

ولذلك قُلنا: إنه لم يكن لآدمَ ابنٌ أعقُّ منه، إذ ينفي عنه ما فضَّلَه اللهُ به علىٰ الأنبياءِ والرُّسلِ والملائكةِ المُقرَّبين.

ومِمَّا يُبيِّنُ ذلك: حديثُ عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما.

٦٨- حدثناه عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني هشام بن سعد(١)، عن زيد [١٢/ب] بن أسلم، عن عطاء بن يسار: أن عبد الله بن عَمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال: لقد قالتِ الملائكةُ: يا ربَّنا، مِنَّا الملائكةُ المُقرَّبون، ومِنَّا حملةُ العرشِ، ومِنَّا الكِرامُ الكاتبون، ونحن نُسبِّحُ اللهَ الليلَ والنهارَ، لا نسأمُ ولا نفتُرُ، خلقتَ بني آدمَ فجعلتَ لهم الدنيا، وجعلتَهم يأكلون ويشربون ويتزوَّجون، فكما جعلتَ لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة.

فقال: لن أفعلَ.

ثم عادوا فاجتهدوا المسألةَ، فقالوا مثلَ ذلك، فقال: لن أفعلَ.

ثم عادوا فاجتهدوا المسألةَ، فقالوا مثل ذلك، فقال: لن أفعلَ(٢).

[ثم عادوا فاجتهدوا المسألةَ بمثل ذلك]، فقال: لن أجعلَ صالحَ ذُرِّيَّةِ مَن خلقتُ بيديَّ، كمن قلتُ [له: كُن]؛ فكان(٣).

---

(١) في الأصل: (سعيد)، وما أثبته من (ب).

(٢) في (الأصل): (أجعل)، والمُثبت من (ب).

(٣) ذكره الذهبي في «العلو» عن المُصنِّف (١٦٧)، وقال: إسناده صالح. اهـ

وقال ابن القيم كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ٩٨٨): وذكر الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإسناد صحيح عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما ... وذكره.

=⇦

أَوَلا ترىٰ أيُّها المَرِيسيُّ، كيف ميَّزَ بين آدمَ في خِلْقتِه بيدي اللهِ مِن بين سائرِ الخلقِ؟ ولو كان تفسيرُه علىٰ ما ادَّعيتَ؛ لاحتجَّتِ الملائكةُ علىٰ ربِّها إذ احتجَّ عليهم بيديه في آدمَ، أن يقولوا: يا ربَّنا، نحن وآدمُ في معنىٰ خلقه بيديك سواءٌ، ولكن علمتِ الملائكةُ مِن تفسيرِ ذلك ما عمي عنه الضالُّ المَرِيسيُّ.

واللهِ ما رضيَ اللهُ لذريةِ آدمَ حتىٰ أثبتَ لهم بذلك عنده منقبةَ آدم، إذ خلقَ أباهم بيدِهِ خصوصًا مِن بين الخلائقِ حتىٰ احتجَّ به علىٰ الملائكةِ، وفضَّلَ ولدَه بذلك عليهم، فكيف آدمُ نفسُه؟

لقد حسدتَ أباكَ أيها المَرِيسيُّ كما حسَدَه إبليسُ، حيث قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ [الأعراف].

وأيُّ عقوقٍ لآدمَ أعظمُ مِن أن يقولَ اللهُ: (خلقتُ أباكَ آدمَ بيدي دون مَن سِواه مِن الخلائقِ)، فتقول: لا، ولكن خلقتَه بإرادتِك دون يديك، كما خلقتَ القِردةَ، والخنازيرَ، والكِلابَ، والخنافسَ، والعقارِبَ سواء.

= ويشهد له: ما رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١٠٤٣)، عن عُروة بن رُوَيم، يقول: أخبرني الأنصاري، عن النبي ﷺ ... وذكر نحوه.

وروي كذلك نحوه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، صحَّحه عنه ابن تيمية في «بغية المرتاد» (ص ٢٢٤). وانظر التعليق علىٰ «السنة» لعبد الله بن أحمد (١٠٤٣).

* وانظر اللالكائي: (٩٨/ سياق ما دلَّ من كتاب الله وسُنة نبيه ﷺ في أن بني آدم خيرٌ من الملائكة).

ومِمَّا يزيدُك بيانًا لاستحالةِ دعواك: قول ابنِ عمرَ ﵄: خلقَ اللهُ أربعةَ أشياءَ بيدِهِ، ثم قال لسائرِ الخلقِ: كُن، فكان.

٦٩- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا عبد الواحد بن زياد، ثنا عبيد بن مهران - وهو المُكْتِب - ثنا مجاهد، قال: قال عبد الله بن عمر ﵄: خلقَ اللهُ أربعةَ أشياءَ بيدِهِ: العرشُ، والقلمُ، وعَدْنٌ، وآدمُ، ثم قال لسائرِ الخلقِ: كُن؛ فكانَ(١).

أفلا ترىٰ أيها المَرِيسيُّ كيف ميَّزَ ابنُ عمرَ ﵄ وفرَّقَ بين آدمَ وسائرِ الخلقِ في خلقِه [البُدَآء؟ أفأنت] أعلمُ مِن ابنِ عمرَ بتأويلِ القرآنِ، وقد شَهِدَ التنزيلَ، وعاينَ التأويلَ، وكان بلُغاتِ العربِ غيرَ جَهولٍ؟

٧٠- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا أبو عوانة، عن عطاء بن السائب، عن ميسرة، قال: إنَّ اللهَ لم يَمسَّ شيئًا مِن خلقِهِ غيرَ ثلاثٍ: خلقَ آدمَ بيده، وكتبَ التوراةَ بيدِه، وغرسَ جنَّةَ عدنٍ بيدِهِ(٢).

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» (٨٧١)، واللالكائي (٦٨٧)، وإسناده صحيح.
قال الذهبي في «العلو» (١٦٨): إسناده جيد. اهـ
وروىٰ أيضًا نحوه (١٠٩٥) عن ابن عباس ﵄.
وله شواهد كثيرة انظرها في «السُّنة» لعبد الله: (٥٣٣ و٥٥٢ و٥٥٦ و٥٥٧ و٥٦٦).

(٢) رواه هناد في «الزهد» (٤٤)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١٢٠١)، ولفظهما: (خلقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بيدِهِ أربعةٌ: خلقَ آدمَ بيدِه، وكتبَ التَّوراةَ بيدِه، وغرسَ جنَّة عدنٍ بيدِه...).
وميسرة هو أبو صالح مولىٰ كندة، أحد التابعين، روىٰ عن علي ﵁.

٧١- **حدثنا** محمد بن المِنهال، ثنا يزيد بن زُريعٍ، ثنا سعيد بن أبي عَروبة، عن قتادة، عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لم يخلُقِ اللهُ بيده غيرَ ثلاثٍ؛ [١٣/أ] خلقَ آدمَ بيده، وكتبَ التوراةَ بيدِهِ، وغرسَ جنَّةَ عدنٍ بيدِهِ، ثم قال لها: تكلَّمي، قالت: قد أفلحَ المؤمنون(١).

ولو كان كما ادَّعىٰ المريسيُّ لكان معنىٰ هذه الأحاديث: أنَّ الله لم يلي(٢) خلقَ شيءٍ غير هذه الثلاثِ، وهذا كفرٌ بالله.

ومَن يُحصي ما في تثبيتِ يدِ اللهِ مِن الآثارِ والأخبارِ؟ غيرَ أنا أحببنا أن نأتي منها بألفاظٍ، إذا فكَّرَ فيها العاقِلُ؛ استدلَّ علىٰ ضلالِ هذا الجاهل.

٧٢- **حدثنا** نُعيم بن حماد، ثنا ابن المُبارك، أبنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن طلق بن حبيبٍ حدَّثه، عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» (٨٧٤)، ولفظه: (إن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يمسَّ بيده إلَّا ثلاثة ..).

ورواه عبد الرزاق في «التفسير» (١٩٥٢)، وعن الطبري (٢٥٦٠٩)، عن معمر، عن قتادة، عن كعب دون ذكر أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو صحيح عن كعب الأحبار رَحِمَهُ اللَّهُ.

وذكره ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٢٣١)، وقال عَقبه: وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة أن موسىٰ يقال له: «**أنت موسىٰ، اصطفاك الله بكلامه، وخطَّ لك الألواح بيده**».

وفي لفظ: «**وكتب لك التوراة بيده**»، وثبت في «صحيح مسلم» عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده**». اهـ

(٢) كذا في الأصل، و(ب)، وهي لغة صحيحة.

[الزمر:٦٧]، قال: كلُّهنَّ بيمينه(١).

٧٣- **حدثنا** أحمد بن يونس، ثنا إسرائيل، عن أبي يحيىٰ، عن مجاهد: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧]، وكِلتا يدي الرحمن يمينٌ.

---

(١) رواه الطبري (٣٠٤٥٨)، وقال: وروي عن ابن عباس ﷺ وجماعة غيره أنهم كانوا يقولون: الأرض والسموات جميعًا في يمينه يوم القيامة. ثم أسند هذا عنهم.

- وفي «الصِّفات» لابن المُحبِّ (١٤٢٢) من طريق وكيع بن الجراح، عن أبي حُجير، عن الضحاك: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر:٦٧]، يعني: بين أصابعه.

ورفع وكيعٌ إصبعيه السبابة والوسطىٰ.

- وفي «إبطال التأويلات» (٣١١): وقد حمل أبو بكر عبد العزيز [غلام الخلال] قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧]، علىٰ ظاهره وأن ذلك راجع إلىٰ ذاته، ذكر ذلك في كتاب «التفسير» في الكلام علىٰ قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر:٦٧]، فقال: قد قال بعضُ أهل العربية في قوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧]، يقول: (في قدرته)، واستشهد علىٰ ذلك بقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ [المؤمنون:٦]، وليس المراد بالملك اليمين دون سائر الجسد، ولأنك تقول: هذا الشيء في قبضتك، أي: في قدرتك.

ثم أجاب عن ذلك بأن قال: ما روي عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين يشهد علىٰ بطلان هذا القول، وهو يؤول إلىٰ قول جهم، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥]، وقول النبي ﷺ: «**فوضع يده بين كتفي**»، وقال ﷺ: «**فأقوم عن يمين ربي مقامًا لا يقومه غيري**». اهـ

قال: قلتُ: فأين الناسُ يومئذٍ؟ قال: علىٰ جِسرِ جهنَّمَ(١).

٧٤- **حدثنا** محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن فِطر بن خليفة، عن عبد الرحمن بن سابط، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: خلقَ اللهُ الخلقَ فكانوا في قبضتِه، فقال لمن في يمينِه: ادخلوا الجنة بسلامٍ، وقال لمن في الأُخرىٰ: ادخلوا النارَ ولا أُبالي، فذهبت إلىٰ يومِ القيامةِ(٢).

٧٥- **حدثنا** عمرو بن عون الواسطي، أبنا خالد، عن سُهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ العبدَ إذا تصدَّقَ بالتمرةِ مِن الكسبِ الطيبِ فيضعها في حقِّها، فيقبلُها اللهُ بيمينِه، فما يَبرحُ يُربِّيها كما يُربِّي أحدكم فَلُوَّه(٣)، حتىٰ يكونَ أعظمَ مِن جبلٍ**»(٤).

٧٦- **حدثنا** مُسدَّد، ثنا يحيىٰ - يعني: القطان - عن شعبة، قال: حدثني عبد الله بن السائب، قال: سمعت أبا قتادة - رجلًا من مُحارب - قال: سمعتُ ابن مسعودٍ رضي الله عنه يقول: ما مِن رجلٍ يَتصدَّق بصدقةٍ إلَّا وقعت في يدي اللهِ قبلَ أن تقعَ في يدي السائل، وقرأ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ

---

(١) تقدم برقم (٦٥) مرفوعًا من طريق مجاهد.

(٢) رواه معمر في «جامعه» (٢٠٠٩٤/ «المُصنف»)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٤٤٨)، واللالكائي (١١١٢)، وهو منقطع. وشواهده كثيرة من المرفوع والموقوف.

(٣) (الفَلُوُّ) بتشديد الواو: المُهْر، لأنه يُفتلىٰ، أي: يُفطم. «الصحاح» (٦/ ٢٤٥٦).

(٤) رواه البخاري (١٤١٠ و٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤).

﴿وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة:١٠٤](١).

٧٧- **حدثنا** محمد بن كثير، ثنا سُفيان، عن سُليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سَلمان، أو عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: إنَّ اللهَ خَمَّرَ طينةَ آدمَ أربعين يومًا، أو أربعين ليلةً، ثم قال بيده هكذا، فخرجَ في يمينهِ كلُّ طيِّبٍ، وخرجَ في الأُخرىٰ كل خبيثٍ، ثُم قال: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ [الروم:١٩].

قال: يُخرِجُ المؤمنَ مِن الكافرِ، ويُخرجُ الكافِرَ مِن المؤمنِ(٢).

٧٨- **حدثنا** الربيع بن نافع أبو توبة، ثنا معاوية بن سلَّام، أنه سمِعَ أبا سلَّام قال: ثنا عامر بن زيد البِكَالي، أنه سمع عُتبة بن عبدٍ السُّلمي يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ ربي وعدني أن يُدخِلَ الجنةَ مِن أُمَّتي سبعينَ ألفًا بغيرِ حسابٍ، ويُشَفِّع كُلَّ ألفٍ لسبعينَ ألفًا، [و] يَحثي بكفِّه ثلاثَ حثياتٍ**». فكبَّرَ عمرُ رضي الله عنه(٣).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٢٥)، والطبري (١٧٢٤٦)، وهو صحيح عنه.

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (١٠)، والآجري في «الشريعة» (٥١٣)، والصحيح أنه موقوف كما قال الدارقطني في «العلل» (٥/ ٣٣٨): يرويه سُليمان التيمي، عن أبي عثمان النَّهدي، عن سَلمان، أو ابن مسعود موقوفًا، وهو الصحيح، ومن رفعه فقد وهم. انتهىٰ. قلت: ولكن له حُكم الرفع.

وسيأتي برقم (٣١٣) نقض المُصنِّف للجهمي في تحريفه لهذا الحديث.

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٧٢٤٧)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ (٣١٢)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٧٤)، وإسناده حسن.

٧٩- وحدثنا الربيع بن نافع أبو توبة، ثنا معاوية بن سلَّام، عن زيد بن سلَّام، أنه سمع أبا سلَّامٍ، قال: حدثني عبد الله بن عامر: أن قيسًا الكِندي حدَّث الوليد: أن أبا سعيد الخير الأنماري حدَّثه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ ربي وعدني أن يُدخِلَ الجنةَ** [١٣/ ب] **مِن أُمَّتي سبعينَ ألفًا، ويُشَفِّع كُلَّ ألفٍ لسبعين ألفًا، ثم يَحثي لي ثلاثَ حثياتٍ بكفِّه**».

قال قيسٌ: فأخذتُ بتلبيب(١) أبي سعيدٍ فجذبتُه، فقلتُ: أنت سمعتَ هذا مِن رسولِ اللهِ ﷺ؟

قال: نعم بأُذُنيَّ، ووعاه قلبي(٢).

وهو قيس بن الحارث الكِندي.

٨٠- حدثنا الهيثم بن خارجة، ثنا إسماعيل بن عياش، عن حُميد بن أبي سُويد، عن عطاءٍ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، [قال في تأكيدِ الكفِّ]، قال: سمعتُ النبيّ ﷺ يقول: «**مَن فاوَضَ الحجَرَ؛ فإنما يُفاوِضُ كفَّ الرحمنِ**»(٣).

---

(١) في (ب): (بمنكب).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٧٧١)، وفي «مسند الشاميين» (٢٨٦٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٨٢٥)، وفي «السنة» (٨١٤)، وأبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» (١٣٣١)، وهو حديث صحيح.

وله شاهد صحيح من حديث أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه بنحوه، رواه أحمد (٢٢١٥٦)، والترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٩٥٧) مطوَّلًا، وابن عدي في «الكامل» (٤٧٣١) مطوَّلًا في ترجمة: حُميد بن أبي سويد المكي، وقال: أحاديثه غير محفوظة. اهـ

=⇦

يعني: استلامَ الحجرِ الأسود(١).

٨١- حدثنا نُعيم بن حماد، ثنا ابن المبارك، أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر، قال: سمعت بسُر(٢) بن عبيد الله، قال: سمعت أبا إدريس الخولاني يقول: سمعت النوَّاسَ بن سمعان الكِلابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**المِيزانُ بيدي الرحمنِ، يَرفعُ أقوامًا، ويَخفِضُ آخرينَ إلىٰ يومِ القيامةِ**»(٣).

= وقد روي من حديث عبد الله بن عَمرو، وجابر بن عبد الله، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، ولا تخلو أسانيدها من الضعف.

ورُوي موقوفًا مِن قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (الحجرُ الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها عباده - أو قال: خلقه - كما يصافح الناس بعضهم بعضًا).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٣٩٧): فقد روي عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت، والمشهور إنما هو عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. اهـ

(١) سيأتي برقم (٣٠٩) نقض المُصنِّف علىٰ الجهمي احتجاجه علىٰ التأويل بأثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (الرُّكنُ: يمينُ اللهِ في الأرضِ، يُصافحُ به خَلْقَه).

(٢) في الأصل: (بشر)، وما أثبته من (ب)، وهو الصواب كما في «التاريخ الكبير» للبخاري (٢/ ١٢٤)، و«الجمع بين رجال الصحيحين» للكلاباذي (١/ ٥٦).

(٣) رواه أحمد (١٧٦٣٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٦٩١)، وابن ماجه (١٩٩)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١٢٠٢)، والآجري في «الشريعة» (١٠٤١)، وهو حديث صحيح.

- قال ابن منده رَحِمَهُ اللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية» (٦٩): حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديث ثابت، رواه الأئمة المشاهير ممن لا يمكن الطعن علىٰ واحدٍ منهم. اهـ

وإنما جئتُ بهذه الأخبارِ كلِّها ليَعلمَ الناسُ أن القومَ مُخالِفون لما قال اللهُ ورسولُه، وما مضىٰ عليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين، وأنهم في ذلك علىٰ غيرِ سبيلِ المؤمنين، ومَحجَّةِ الصَّادِقين.

٨٢- وقد ادَّعىٰ المَرِيسيُّ أيضًا وأصحابُه: **(أن (يدَ الله): نِعمتُه)**.

قلتُ لبعضهم: إذًا يَستحِيلَ في دعواكم أن يُقالَ: خلقَ اللهُ آدمَ بِنعمتِه(١).

أم قولُه: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، أنِعمتانِ مِن أنعُمِهِ قطُّ مبسوطتانِ؟ فإن أنعُمَه أكثرُ مِن أن تُحصىٰ، أفلم يَبسُط منها علىٰ عبادِهِ إلَّا ثنتينِ وقبضَ عنهم ما سواهما في دعواكم؟ فحين رأينا كثرةَ نعمِ الله المبسوطاتِ علىٰ عباده، ثم قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾، علِمنا أنهما بخلافِ ما ادَّعيتُم، ووجدنا أهلَ العلمِ ممَّن مضىٰ يتأوَّلُونها خِلاف ما تأوَّلتُم، ومحجَّتُهم أرضىٰ، وقولُهم أشفىٰ(٢). [٢٠/أ]

---

(١) قال ابن خُزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ١٤٧): (باب ذكر صفة خلق آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، والبيان الشافي أنه خلقه بيده، لا بِنعمتِه علىٰ ما زعمت الجهميةُ المُعطّلة، إذ قالت: إنَّ اللهَ يقبض بنعمته مِن جميع الأرض قبضةً فيخلقُ منها بشرًا). اهـ

وكذلك سيأتي زيادة بيان (برقم/ ٣١٠) عند قوله: (وكذلك ادَّعىٰ الجاهلُ الثلجيُّ: (أنَّ اللهَ خلقَ آدمَ بيدِه)، قال: بنعمتِهِ التي أنعمَ بها عليه ..).

(٢) قال ابن قُتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٥٤) وهو ينقل تفسير أهل الباطل من أهل الكلام: وقالوا في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾: إن اليد هاهنا: النِّعمة؛ لقول العرب: لي عند فلانٍ يدٌ، أي: نعمة ومعروف.

وليس يجوز أن تكون اليد، هاهنا النِّعمة؛ لأنه قال: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾، معارضة ⇐

٨٣- **حدثنا** نُعيم بن حماد، ثنا الفضلُ بن موسىٰ، عن حُسين بن واقدٍ، عن يزيد النحوي، عن عِكرمة، قال: قوله ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، قال: يعني: اليدينِ(١).

٨٤- **حدثنا** سعيد بن أبي مريم، عن نافع بن عمر الجُمحي، قال: سألتُ ابنَ أبي مُليكة عن (يدِ الله): أوَاحدةٌ أو اثنتانِ؟ قال: بل اثنتان(٢).

٨٥- **وحدثنا** هُدبة بن خالد، ثنا سلَّام بن مسكين، عن عاصم الجَحدري في قول الله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، قال: بيديه(٣).

= عمَّا قالوه فيها، ثم قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، ولا يجوز أن يكون أراد: غُلَّت نِعمهم، بل نِعمتاه مبسوطتان؛ لأن النِّعم لا تُغلُّ، ولأن المعروف لا يُكنَّىٰ عنه باليدينِ، كما يكنىٰ عنه باليدِ، إلَّا أن يُريد جِنسين مِن المعروف، فيقول: لي عنده يدان. ونِعَمُ الله تعالىٰ أكثر مِن أن يُحاطَ بها. اهـ

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٥٨٠). وهو صحيح عنه.

(٢) ذكره الذهبي في «صفات رب العالمين» (٧٩)، وصحَّحه.

وهذا الأثر صريحٌ في إثبات حقيقة اليد لله عَزَّوَجَلَّ، وإبطال حملها علىٰ المجاز أو القوَّة أو النِّعمة.

(٣) في «السُّنة» لغلام الخلال (١٤) قال الميموني: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: مَن زعمَ أن (يدَاه): نِعمَتاه كيفَ يصنعُ بقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، مُشدَّدة؟.

- وقال محمد بن علي الكرجي القصَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نكت القرآن» (١/ ٣١٦):

.. قد ثنَّىٰ يديه فقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، فأبطل تأويل القوَّة؛ إذ =

فمَن يَلتفِتُ بعد هذا إلىٰ تأويلِ هذا المَريسيِّ، ويدعُ تأويلَ هؤلاءِ الأئمةِ [العلماءِ الصَّالحين؟].

• أرأيتُم إذا تأوَّلتُم أنَّ يدَ اللهِ نِعمتُه، أفيَحسُنُ أن تقولوا في قول رسول الله ﷺ: «**يَطوي اللهُ السماواتِ بيمينه يومَ القيامةِ**»[1]، أنه يطويها بنعمتِه؟!

• أم قوله: «**المُقسِطونَ علىٰ منابرَ مِن نورٍ عن يَمينِ الرحمن**»[2]، وكِلتا نِعمتي الرحمنِ نِعمةٌ واحِدةٌ؟!

هذا أقبحُ مُحالٍ، وأسمَجُ ضلالٍ، وهو مع ذلك ضُحكةٌ وسُخريةٌ ما سبقكم إلىٰ مثلِها أعجميٌّ أو عربيٌّ.

• أم قولُ رسول الله ﷺ: «**إنَّ الصدقةَ تقعُ في يدي اللهِ قبل يدي السائل**»[3]، أنها تقعُ في نِعمتي اللهِ؟!

• أم قولُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (خلقَ اللهُ الخلقَ فكانوا في [١٤/أ]

= كانت القوَّة لا تُثنَّىٰ، وكذا في سورة (ص)، قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] فثنَّاها، فالعجب لقومٍ لا يرضون للخالق بما رضيه لنفسه فيُنزِّهونه بجهلهم عما ليس بتنزيه، ويمدحونه بما هو ذمٌّ، بل داعٍ إلىٰ التعطيل وتكذيب القرآن، والله المُستعان. اهـ

(١) تقدم تخريجه برقم (٦٢).

(٢) تقدم تخريجه (٥٩). وسيأتي (٣١١) نقض المُصنِّف على الجهميِّ في هذا الحديث.

(٣) تقدم تخريجه برقم (٧٦) موقوفًا من قول ابن مسعود رضي الله عنه، وله حُكم الرفع. وسيأتي (برقم / ٣٠٩) معنىٰ هذا الحديث.

قبضتِه)(١)، أي: نِعمته! قال لِمَن في نِعمتِه اليُمنىٰ: ادخلوا الجنةَ، وقال لِمَن في نِعمتِه الأُخرىٰ: ادخلوا النارَ.

• أم قولُ ابنِ عمر رضي الله عنهما: خلقَ اللهُ أربعةَ أشياء بيدِه، ثم قال لسائرِ الأشياءِ: (كُن) فكان(٢). أفيجوزُ أن تقولوا: خلقَ اللهُ أربعةَ أشياءَ بِنعمتِه ورِزقِه، ثم قال لسائرِ الخلقِ: كونوا بلا نِعمةٍ ولا رِزقٍ، فكانوا؟!

قد علمتَ أيُّها المَريسيُّ أنَّ هذه تفاسيرُ مقلوبةٌ، خارِجةٌ مِن كلِّ مَعقولٍ، لا يَقبلُه إلَّا كلُّ جَهولٍ(٣).

---

(١) تقدم تخريجه (٧٤).

(٢) تقدم تخريجه (٦٩).

(٣) ومع ذلك قد قَبِلها كثيرٌ مِن المُتأخِّرين مِن الأشاعرةِ والكُلَّابية والماتريديّة وغيرهم مِن المُعطِّلة، ونشروها في تفاسيرهم وشروحاتهم، وقد نقلتُ بعض كلامهم في التعليقِ علىٰ «الرد علىٰ الجهمية» (رقم/ ٢٦٢)، وأزيد هاهنا كذلك:

- قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٢١٥): والظاهر أن قوله تعالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، عبارة عن إنعامه علىٰ الجُملة. اهـ

- وقال القُرطبي في «تفسيره» (٦/ ٢٣٩): قوله تعالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، ابتداء وخبر، أي: بل نعمته مبسوطة، فـ(اليد) بمعنىٰ: النعمة. اهـ

- وقال المازري في «شرحه لصحيح مسلم» (٢/ ٤٧): ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، أي: نعمتاه، علىٰ تأويل اليد هاهنا علىٰ النعمة. اهـ

- وقال القُرطبي في «المفهم» (١/ ١٢٧): اعلم أنَّ اللهَ مُنزَّهٌ عن يد الجارحة، واليد في كلام العرب تطلق علىٰ: القُدرة، والنِّعمة، والمُلك. اهـ

- وقال النووي في «شرح لمسلم» (١٧/ ١٣٢): وأمَّا إطلاق اليدين لله تعالىٰ

=⇦

٨٦- فإذا ادَّعيتَ: أن اليدَ عُرِفت في كلامِ العربِ أنها: (نِعمةٌ)، و(قوَّةٌ).

قُلنا لك: أجل، ولسنا بتفسيرِها منك أجهلَ، غيرَ أن تفسيرَ ذلك يَستبينُ في سياقِ كلام المُتكلِّمِ حتىٰ لا يحتاجُ له مِن مِثلِكَ إلىٰ تفسيرٍ، إذا قال الرجلُ: (لفلانٍ عندي [٢٠/ ب] يدٌ أكافِئُه عليها)، عَلِمَ كلُّ عالمٍ بالكلامِ أن يَدَ فلانٍ ليست ببائنةٍ منه، موضوعةٍ عند المُتكلِّمُ، وإنما يُرادُ بها النِّعمةُ التي يُشكرُ عليها.

وكذلك إذا قال: (فلانٌ لي يدٌ وعضدٌ وناصِرٌ)، علمنا أن فلانًا لا يُمكِنُه

=

فمُتأول علىٰ: (القُدرة). اهـ

- وقال ابن حجر في «الفتح» (١/ ٣٥٢): قوله ﷺ: **«والذي نفسي بيدِه»**: والمرادُ باليدِ هنا: (القُدرة). اهـ

- وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٦/ ٢٥): قوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، نقض لكلامهم، وإثبات سعة فضله تعالىٰ، وبسط اليدين تمثيل للعطاءِ، وهو يتضمن تشبيه الإنعام بأشياء تُعطىٰ باليدين. وذكر (اليد) هنا بطريقة التثنية لزيادة المُبالغة في الجود، وإلَّا فاليد في حال الاستعارة للجودِ أو للبخل لا يقصد منها مُفردٌ ولا عدد، فالتثنية مستعملة في مطلق التكرير. اهـ

قلت: فكل هذا تأويل وتحريف لما دلت عليه النصوص من إثبات اليدين.

- قال ابن خُزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ١٢٥): قول عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾، أراد عَزَّوَجَلَّ باليدين: اليدين، لا النعمتين كما ادعت الجهمية المُعطِّلة.

- وقال (١/ ١٨٧): وزعمت الجهمية المُعطِّلة أن معنىٰ قوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، أي: نِعمتاه، وهذا تبديل لا تأويل. اهـ

أن يكون نفسَ يدِه: عُضوه، ولا عَضُده، فإنما عنىٰ به: النُّصرةَ، والمعونةَ، والتقويةَ.

فإذا قال: ضربني فلانٌ بيدِه، وأعطاني الشيء بيدِه، وكتبَ لي بيدِه، استحالَ أن يُقالَ: ضربني بنعمتِه، وعَلِمَ كلُّ عالمٍ بالكلامِ أنها اليدُ التي بها يَضرِبُ، وبها يَكتبُ، وبها يُعطِي لا النِّعمةُ، كما قال الله تعالىٰ ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص]، أي: أُولي البصرِ والعقولِ بدينِ الله؛ لأنَّ كل الناسِ أولوا[(١)] أيدي وأبصارٍ، فلما خَصَّ هؤلاءِ الأنبياءَ بها، عَلِمَ كل عالمٍ أنها ليست بالأيدي التي يُضربُ بها ويُكتبُ [بها]؛ لما أنَّ الناسَ كلَّهم أولو أيدي وأبصارٍ، التي هي الجوارح[(٢)].

ولا يجوزُ لك أيُّها المريسيُّ أن تنفي اليدَ التي هي اليدُ لِمَا أنه وُجِدَ في فرطِ كلامِ العربِ: أن اليدَ قد تكون نِعمةً وقوَّةً، ولكن هذا في سياقِ الكلام معقولٌ[(٣)]، وذلك في سياق الكلامِ معقولٌ، فلمَّا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] استحالَ فيهما كل معنًى إلَّا اليدين، كما قال العلماءُ الذين

(١) في الأصل: (أولي)، وما أثبته من (ج).

(٢) زاد في (ب): (لا يجوز الكلام في آية الصفات وأحاديث الإثبات لها ونفي المثلية عنها، والإيمان بها بما يعرف من اللغة العربية علىٰ سياق الكلام وملازمته، والله أعلم).

(٣) زاد في (ب): (ولا تنفىٰ المثلية إلَّا من بين موجودين بالإضافات، إلَّا بمدح وكمال، وإمَّا بذم ونقصان).

حكينا عنهم(١).

فليس مِن ذِكرِ هذه الأيدي شيءٌ إلَّا والشاهدُ بتفسيرها ينطقُ في نفسِ كلامِ المُتكلِّمِ، فإن صرَفتَ منه معنًى مفهومًا إلىٰ غيرِ مفهومٍ استحالَ، وإن صرَفت عامًّا إلىٰ خاصٍّ استحالَ، وإن صرَفت خاصًّا منه إلىٰ عامٍّ استحالَ أو بطلَ معناه(٢).

وأظنُّ أنه ليس بك مِن الجهلِ بمعاني الكلامِ كلُّ ما لا يَعْقِلُ(٣) ما قلنا، ولكنَّك فيه كالغرقِ، تتعلَّقُ بكلِّ عودٍ.

وقد قلنا: يكفينا في مسِّ اللهِ آدمَ بيده بأقلَّ ممَّا ذكرنا، ولو لم يكن إلَّا أنا لا نسمعُ في شيءٍ مِن كتابٍ ولا علىٰ لسانِ أحدٍ مِن عبادِ الله: أنَّ اللهَ خلقَ نوحًا بيدِهِ، وهودًا، أو صالحًا، أو إبراهيمَ، أو إسماعيلَ، وإسحاقَ، وموسىٰ،

---

(١) وفي هذا ردٌّ علىٰ المُفوِّضة الذين يقولون: الله أعلم بالمرادِ باليدِ في نصوصِ الصفاتِ التي وصف الله بها نفسه. وانظر فقرة رقم (٣١١) ففيها كذلك زيادة بيان.

(٢) قال عبد العزيز المكي الكناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رده علىٰ الجهمية والزنادقة»: زعم الجهمي أن (يد الله): (نعمته)، فبدَّلَ قولًا غير الذي قيل له، فأراد الجهميّ أن يُبدِّل كلام الله، إذ أخبر الله أن له يدًا بها ملكوت كل شيء، فبدلَّ مكان (اليد): (نعمة)، وقال: العرب تُسمِّي (اليد): نعمة.

قلنا له: العربُ تُسمِّي النعمة يدًا، وتُسمّي يد الإنسان يدًا، فإذا أرادت يد الذات جعلت علىٰ قولها عَلَمًا ودليلًا يعقل به السامع أنها أرادت الذات، وإذا أرادت يد النعمة جعلت علىٰ قولها دليلًا يعقل السامع كلامها أنها تريد باليدِ النعمة، ولا تجعل كلامها مُشتبهًا علىٰ سامعه. اهـ [«مختصر الصواعق» (٣/ ٩٧٢)]

(٣) في (ب): (تقبل).

وعيسىٰ، ومحمدًا صلوات الله عليهم لكان كافيًا.

ولو كان معناه أيُّها المريسيُّ علىٰ ما ادَّعيتَ: أنَّ الله أراد باليدينِ: (**تأكيد الخلقِ لا تأكيد اليدِ**)، لأكَّدَ أيضًا في خلقِ نبيٍّ أو رسولٍ، كما أكَّدَ في خلقِ آدمَ في دعواك، حتىٰ إن أهلَ الآخرةِ يَعرفون لآدمَ تلك الفضيلةَ في الموقفِ يومَ [١٤/ ب] القيامةِ فيقولون: «**اذهبوا بنا إلىٰ آدمَ، فيأتونَه فيقولون: يا آدمُ، أنتَ أبو الناسِ، خلقكَ اللهُ بيدِه، اشفع لنا إلىٰ ربِّك**».

٨٧- **حدثنا** مسلم بن إبراهيم، عن هشام الدستوائي، عن قتادة، عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

[يأتون آدمَ]، ثم يأتون إبراهيمَ وموسىٰ وعيسىٰ، ولا يقولون لأحدٍ منهم: (أنت الذي خلقكَ الله بيده كما قالوا لآدم)، بل يقولون لإبراهيم: (اتَّخذكَ الله خليلًا)، ولموسىٰ: (كلَّمكَ اللهُ تكليمًا)، ولعيسىٰ: (كنتَ تُبرئُ الأكمَهَ والأبرصَ)، ويقولون لآدم مِن بينهم: (خلقَكَ اللهُ بيدِه)؛ لِمَا أنه مخصوصٌ بذلك مِن بينهم، كما أن كلَّ واحدٍ مِن هؤلاءِ الأنبياءِ مخصوصٌ بمنقبتِه التي هي له دون صاحبِهِ.

فأيُّ ضلالٍ أبينُ مِن ضَلالِ رجلٍ خالفَه في دعواه أهلُ الدنيا وأهلُ الآخرةِ، ولكن من ﴿يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الزمر].

---

(١) رواه البخاري (٤٤٧٦ و٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٣).

٨٨- فاحتجَّ مُحتجٌّ عن المَرِيسي في إبطالِ مسِّ اللهِ آدمَ بيدِهِ بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران]، فقال: (**جعلَه مِثلَ عيسى، وعيسى لم يَخلُقه بيدِهِ**).

قُلنا لهذا المُحتجِّ: غلِطتَ في التأويلِ، وضَللتَ عن سَواءِ السبيلِ، فإنه ليس عيسىٰ مِثلَ آدمَ في كلِّ شيءٍ مِن أمرِه، وهذا أنه كان بأمرِ اللهِ وكلمتِه مِن غيرِ أبٍ، كما أن آدمَ لم يَكُن له أبٌ، ثم هو في سائرِ أمرِه مُخالفٌ لآدمَ؛

أوَّلُه: خلقُ اللهِ إيَّاه بيديه.

والثاني: أنَّ اللهَ خلقَ آدمَ بتمامِه مِن طينٍ، لم يكن صغيرًا فيكبُرُ، ولم يَشتمل عليه بَطْنٌ ولا رَحِمٌ، ولم يَرضع بِلبنٍ صَغيرًا في المَهدِ، فكما هو في هذه الأشياءِ مُخالفٌ لآدمَ، فهو له مُخالفٌ في خلقِ يدي الله تعالىٰ، وكما أنه ليس كمثلِه شيءٌ، فليسَ كيدِهِ يَدٌ.

فافهم أيُّها المَرِيسيُّ أنك تأوَّلتَ في يدي اللهِ أفحشَ ممَّا تأوَّلتِ اليهودُ؛ لأن اليهودَ قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وادَّعيتَ أنها مَخلوقةٌ، ولَمَا أنك تأوَّلتَها النِّعَمَ والأرزاقَ وهي مخلوقةٌ(١).

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ٩٥٧): إن الله تعالى أنكر على اليهود نسبة يده إلىٰ النقص والعيب، ولم يُنكر عليهم إثبات اليد له، فقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، فلعنهم علىٰ وصف يده بالعيب دون إثباتِ يده، وقدر إثباتها له زيادة علىٰ ما قالوا بأنهما يدان مَبسوطتان، وبهذا يُعلم تلبيس الجهمية المُعطِّلة علىٰ أشباه الأنعام ⇦=

فماذا لقِيَ اللهُ مِن عماياتِكم هذه؟ تدَّعون أنَّ يدي الله مخلوقتانِ، إذ إنَّهما عندكم رِزقاه، حلالُه وحرَامُه، ومُوسَّعُه ومَقتُوره، وهذه كلُّها مخلوقةٌ(١).

٨٩- وادَّعىٰ المريسي أيضًا في قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج]، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران]: **أنه يسمعُ الأصواتَ، ويعرفُ الألوانَ، بلا سمعٍ ولا بصرٍ.**

وأن قوله: ﴿بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾، يعني: عالمٌ بهم، لا أنه يُبصرهم ببصرٍ، ولا ينظرُ إليهم بعينٍ، فقد يقال لأعمى: ما أبصرَه، أي: ما أعلمَه، وإن كان لا يُبصرُ بعينٍ(٢).

=

حيث قالوا: إنَّ الله لعن اليهود علىٰ إثبات اليد له سبحانه وأنهم مُشبِّهة، وهم أئمَّة المُشبِّهة، فتأمَّل هذا الكذب من هذا القائل والتلبيس، وأن الآية صريحة بخلافه.

(١) وانظر كذلك كلام المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٦٢) عن إثبات صفة (اليدين) لله تعالىٰ، وتكفيره للجهمية بسبب تحريفهم لها بالأرزاق والنِّعَم.

(٢) أفرد غير واحد من أهل السنة أبوابًا خاصَّة في إثبات السمع والبصر لله عَزَّوَجَلَّ.

- قال ابن خُزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ١١٣): (باب إثبات السمع والرؤية لله جل وعلا الذي هو كما وصف نفسه (سميع بصير)، ومن كان معبوده غير سميع بصير فهو كافر بالله السميع البصير، يعبدُ غير الخالق البارئ الذي هو سميع بصير).

- وقال غُلام الخلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السُّنة» (٩/ باب الله عَزَّوَجَلَّ يسمع ويبصر).

- وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ»: (٧٧/ باب الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ يسمع ويرىٰ، وبيان كفر الجهمية في تكذيبهم الكتاب والسُّنة).

- وقال (فقرة/ ٢٦٥٥): اعلموا رحمكم الله أن طوائف الجهمية والمُعتزلة تُنكِر أن الله يسمع ويرىٰ .. فردوا كتاب الله، وسُنة نبيه ﷺ. اهـ

فيُقالُ لهذا المريسيِّ الضالِّ: الحِمارُ، والكلبُ، أحسنُ حالًا مِن إلـهٍ علىٰ هذه الصفةِ؛ لأن الحمارَ يسمعُ الأصواتَ بسمعٍ، ويرىٰ الألوانَ بعينٍ، وإلهُكَ بزعمكَ: أعمىٰ أصمُّ، لا يسمعُ بسمعٍ، ولا يُبصرُ ببصرٍ، ولكن يُدرِكُ الصوتَ كما يُدرِكُ الحِيطانُ والجِبالُ التي ليسَ لها أسماعٌ، ويرىٰ الألوان بالمُشاهدةِ، لا يُبصرُ في دعواك.

فقد جمعتَ أيُّها المَريسيُّ في دعواكَ هذه جَهلًا وكُفرًا.

أمَّا (الكُفرُ): فتشبيهُك اللهَ تعالىٰ بالأعمىٰ الذي لا يُبصرُ ولا يرىٰ(١).

وأمَّا (الجَهلُ): فمعرفةُ الناسِ بأنه لا يستقيمُ في كلامِ العربِ أن يُقالَ لشيءٍ: هو سَميعٌ [١٥/أ] بصيرٌ، إلَّا وذلك الشيءُ موصوفٌ بالسمعِ والبصرِ، مِن ذوي الأعينِ والأسماعِ والأبصارِ، والأعمىٰ مِن ذوي الأَعيُنِ، وإن كان قد حُجِبَ.

فإن كنتَ تُنكِرُ ما قلنا، فسَمِّ شيئًا مِن الأشياءِ التي ليست لها أسماعٌ وأبصارٌ، هل يجوزُ أن يُقالَ: هو سميعٌ بصيرٌ؟ ونحن نقولُ: اللهُ سميعٌ بصيرٌ.

ثم نفيتَ عنه السمعَ والبصرَ اللذينِ هما السمعُ والبصرُ، ونفيتَ عنه العينَ، وكما يستحيلُ هذا في الأشياءِ التي ليست لها أسماعٌ وأبصارٌ؛ فهو في اللهِ السميعِ البصيرِ أشدُّ استحالةً(٢).

---

(١) تقدم (برقم/ ٤٩) نقل إجماع أهل السُّنة علىٰ تكفير المُشبِّهة.

(٢) وهذا كلام صريحٌ في الردِّ علىٰ المُفوِّضة الذين يقولون: (الله أعلم بمعاني نصوص الصفات التي خاطبنا الله بها، فإنا نُثبت ألفاظها كما جاءت بها النصوص، ونكِلُ ⇐=

وكيف استجزتَ أن تُسمِّي أهلَ السُّنةِ وأهلَ المعرفةِ بصفاتِ الله المُقدَّسةِ: (مُشبِّهةٌ)، إذ وصفوا اللهَ بما وَصَفَ به نفسَه في كتابِه بالأشياءِ التي أسماؤها موجودةٌ في صفاتِ بني آدمَ بلا تكييفٍ؟! وأنت قد شَبَّهتَ إلهَكَ في يديهِ وسَمعِه وبصرِه: بأعمىٰ وأقطع، وتَوهَّمتَ في معبودِكَ ما توهَّمتَ في الأعمىٰ والأقطع، فمَعبودُك - في دعواكَ - مُجدَّعٌ[1] مَنقوصٌ، أعمىٰ لا بصَرَ له، وأبكمُ لا كلامَ له، وأصمُّ لا سمعَ له، وأجذمُ لا يدانِ له، ومُقعدٌ لا حراكَ به، وليس هذه بصفةِ إلهِ المُصلِّين؟ فأنت أوحشُ مذهبًا في تشبيهِكَ إلهَكَ بهؤلاءِ العُميانِ والمَقطوعينِ، أم هؤلاءِ الذين سَمَّيتَهم: (مُشبِّهةً)؛ أن وصفوه بما وصَفَ به نفسَه بلا تَشبيهٍ؟[2].

= ونُفوِّض معانيها إلىٰ الله تعالىٰ).

فالمُصنِّف يَردُّ هاهنا علىٰ المُحرِّفة المُأوِّلة، وعلىٰ الجهلة المُفوِّضة، فيُمِرُّ النصوص كما جاءت علىٰ المعاني المعروفة في لغة العرب، مع إثبات حقيقتها اللائقة بالله تعالىٰ، وسيأتي في كلام المُصنِّف زيادة بيانٍ علىٰ تقرير هذا الأمر.

(١) في (ب): (مخدج).

(٢) والمُشبِّهةُ المُجسِّمُة عند الجهمية: هم مَن أثبت الصفات، وأمرَّها كما جاءت، ولم يتعرَّض لها بالتأويل والتحريف. وعلىٰ هذا سار أهل التعطيل مِن الأشاعرة والكُلَّابية وغيرهم، ولهذا تجدُ في كتبهم نبز ووصم أهل السُّنة مُثبتة الصفات بالتشبيه والتجسيم، وهذه علامة الجهمية كما قال غير واحدٍ مِن الأئمة.

والأمثلة علىٰ ذلك لا يُمكُن حصرها هاهنا، ومِن ذلك:

- قال الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ٩٣) وهو يتكلّم عن مُثبتة الصِّفاتِ: ثم إن جماعة مِن المُتأخِّرين زادوا علىٰ ما قاله السَّلف، فقالوا: لا بُدَّ من إجرائها =

=

علىٰ ظاهرها، فوقعوا في التشبيه الصِّرفِ، وذلك علىٰ خلاف ما اعتقده السَّلف.اهـ

- ونقل ابن حجر العسقلاني في «الفتح» عن كثيرٍ مِن مُعطِّلة الصِّفات رميهم لأهل السُّنة بالتشبيهِ والتجسيمِ ولم يتعقبهم بشيءٍ ! ومِن ذلك:

- قول ابن بطَّال (١٣/ ٤٠٦): وقالت الجِسميّة معناه - [يعني: الاستواء]-: الاستقرار. اهـ

- وقوله (١٣/ ٣٦٨): وفي الحديث إثبات اليمينِ صفة لله تعالىٰ مِن صفات ذاته، وليست جارحة !! خِلافًا للمُجسِّمة. اهـ

- وقال القُرطبي في «المفهم» (٦/ ٦٧٠): (المُجسِّمة): الذين جمعوا ما وقع في الكتاب والسُّنة ممَّا يوهم ظاهره الجِسْمية ! حتىٰ اعتقدوا أن الباري تعالىٰ جِسمٌ مُجسَّمٌ، وصورةٌ مُصوّرةٌ، ذات وجهٍ، وعينٍ، ويدٍ، وجنبٍ، ورجلٍ، وأصابع. اهـ

بل بلغ الحال بأئمة المُعطِّلة أن صنفوا كتبًا في نفي التشبيه، وذمِّ المُشبهة؛ يريدون بذلك أهل السُّنة مُثبتة الصفات، ومن ذلك: كتاب «كفر المُشبهة» للمريسي، وكتاب «الرد علىٰ المُشبِّهة» للجاحظ المعتزلي، وكتاب «المسترشد علىٰ مزاعم المُشبّهة والمُجسِّمة» للقاسم الزيدي المعتزلي، وكتاب «الرد علىٰ أهل الزيغ المُشبِّهين» ليحيىٰ بن الحُسين الزيدي المعتزلي، وكتاب «دفع شُبهة مَن شَبَّه وتمرَّدَ» للحصني الأشعري. و«دفع شُبهة التشبيه» لابن الجوزي وغيرها كثير.

- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية» (ص١٠٤) وهو يتكلم عن الجهم بن صفوان: وزعمَ أن مَن وصفَ الله بشيءٍ مما وصف به نفسه في كتابِه، أو حدَّثَ عنه رسوله ﷺ كان كافرًا، وكان مِن (المُشبِّهةِ)، فأضلَّ بكلامِهِ بَشرًا كثيرًا .. اهـ

- قال ابن خُزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ٧٦): فاسمعوا يا ذوي الحِجَا ما نقول في هذا البابِ ونذكر بُهت الجهمية وزُورهم وكذبهم علىٰ علماءِ أهل الآثار، ورَميهم خيار الخلقِ بعد الأنبياء بما الله قد نَزَّههم عنه، وبرّأهم منه، بتزوير الجهمية

=

فلولا أنها كَلمةٌ هي مِحنةُ الجهميةِ التي بها يَنبزون المؤمنين، ما سَمَّينا مُشبِّهًا غيرَك؛ لِسَماجةِ ما شبَّهتَ ومَثَّلتَ(١).

= على عُلمائنا أنهم: (مُشبِّهة). اهـ

- وعند اللالكائي (٢٩٣) عن أبي حاتم الرَّازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعلامةُ أهل البدعِ: الوقيعة في أهلِ الأثرِ، وعلامةُ الجهميةِ: أن يُسمُّوا أهل السُّنةِ: (مُشبِّهة).

- وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح السنة» (١٤١): وإن سمعتَ الرَّجلَ يقول: فُلانٌ مُشبّهٌ، وفُلان يتكلّم في التشبيه؛ فاعلم أنه جهميٌّ. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٣٧٩): ومَن نفىٰ الصفات مِن الجهمية والمعتزلة وغيرهم يُسمُّون مَن يقول: إنَّ لله عِلمًا وقُدرة، وإن القرآن كلام الله غير مخلوق، وإن الله تعالىٰ يُرىٰ في الآخرة: (مُشبِّهًا)، وهم من أكثر الطوائف لهجًا بهذا الاسم وذمِّ أصحابه؛ ولهذا كان السلف إذا رأوا رجلًا يُكثرُ من ذمِّ المُشبِّهة، عرفوا أنه جهميّ مُعطِّل؛ لعلمهم بأنَّ هذا الاسم قد أدخلت الجهمية فيه كلّ مَن آمن بأسماءِ الله تعالىٰ وصفاتِه. اهـ

(١) أهل السنة يقولون: إن المُعطِّلة هم المُشبِّهة، إذ لم يفهموا مِن نُصوص الصِّفات إلَّا ما هو اللائق بالمخلوقِ؛ فوقعوا في التشبيه أولًا، ثم أرادوا أن يَتخلّصوا مِن ذلك التشبيه ففرُّوا منه إلىٰ التعطيلِ ثانيًا، ثم وقعوا في التشبيه مَرَّةً أُخرىٰ، فشبَّهوا الله تعالىٰ بالناقص والجمادات.

- وسيأتي قول المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٥٨): (.. وأنتم دائبون تُكيِّفون وتُشبِّهون بأقبحِ الأشياءِ، وأبطَلِ الأمثالِ، فمَرَّةً تُكيِّفُه فتُشبِّهه بأعمىٰ، ومَرَّةً بأقطعَ).

- وعند اللالكائي (٨٨٣) قال إسحاق بن راهويه: علامةُ جهمٍ وأصحابه: دَعواهم علىٰ أهلِ الجماعة، وما أُولِعوا به من الكذب: أنَّهم (مُشبِّهةٌ)، بل هم (المُعطِّلةُ)، ولو جازَ أن يقال: هم (المُشبِّهةُ)؛ لاحتمل ذلك، وذلك أنهم يقولون: إنَّ الربَّ تبارك وتعالىٰ في كلِّ مكانٍ، بكمالِه في أسفلِ الأرضينَ، وأعلىٰ السموات، =

ويلك، إنما نصِفُه بالأسماءِ لا بالتكييفِ ولا بالتشبيه، كما يُقالُ: إنه

=

علىٰ معنًى واحدٍ. وكذبوا في ذلك، ولزِمَهم الكُفر. اهـ

- وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «خلق أفعال العباد» (١١١): وقال بعض أهل العلم: إن الجهمية هم المُشبِّهة؛ لأنهم شَبَّهوا ربهم: بالصَّنم، والأصم، والأبكم الذي لا يسمع، ولا يُبصر، ولا يتكلم، ولا يخلق. اهـ

- وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٧٨): والجهمي الخبيث ينفي الصِّفات عن الله، ويزعم أنه يريد بذلك أن ينفي عن الله التشبيه بخلقه، والجهمي الذي يُشبِّه الله بخلقه؛ لأنه يزعم أن الله عَزَّوَجَلَّ كان ولا عِلمَ، وكان ولا قُدرةَ، وكان ولا عِزَّةَ، وكان ولا سُلطان، وكان ولا اسم حتىٰ خلق لنفسه أسماءً، وهذه كلها صفات المخلوقين، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النونية» (٢٦٠٧-٢٦١٥):

وكذا المُعطِّلُ شَبَّه الرحمنَ بالـ ... ـمَعدومِ فاجتمعت له الوصفانِ
وكذاك شَبَّه قولَه بِكلامِنا ... حتىٰ نفاه وذانِ تشْبيهانِ
وكذاك شَبَّه وصفَه بصفاتِنا ... حتىٰ نفاه عنه بالبُهتانِ
وأتىٰ إلىٰ وصفِ الرسولِ لربِّهِ ... سمَّاه تشبيهًا فيا إخواني
باللهِ مَن أولىٰ بهذا الاسمِ مِن ... هذا الخبيثِ المُخبثِ الشيطانِ
إن كان تَشبيهًا ثُبوتُ صِفاتِه ... سُبحانَه فبكامِلٍ ذي شانِ
لكنَّ نفيَ صفاتِه تَشبيهُهُ ... بالجَامِداتِ وكلِّ ذي نُقصانِ
بل بالذي هو غيرُ شيءٍ وهْوَ مَعـ ... ـدومٌ وإن يُفرضْ ففي الأذهانِ
فمَنِ المُشَبِّه في الحقيقةِ أنتُمُ ... أم مُثبِتُ الأوصافِ للرَّحمنِ؟!

[وانظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٢٧ - ٢٨)، و«المدارج» (٣/ ٣٧٧)]

مَلِكٌ، كريمٌ، عليمٌ، حكيمٌ، [حليمٌ]، رحيمٌ، لطيفٌ، مؤمنٌ، عزيزٌ، جبَّارٌ، مُتكبِّرٌ.

وقد يَجوزُ أن يُدعىٰ البشرُ ببعضِ هذه الأسماء، وإن كانت مُخالِفةً لصفاتِهم، فالأسماءُ فيها مُتَّفِقةٌ، والتشبيه والكيفيَّة مُفترقةٌ، كما يقال: (ليس في الدنيا مما في الجنةِ إلَّا الأسماء)(١)، يعني: في الشِّبهِ، والطعمِ، والذوقِ، والمَنظرِ، واللونِ، فإذا كان كذلك، فالله أبعدُ مِن الشِّبه وأبعدُ(٢).

فإن كُنَّا (مُشبِّهةً) عندك أن وحَّدنا الله إلهًا واحِدًا بصفاتٍ أخذناها عنه وعن كتابِه فوصفناه بما وصَفَ به نفسَه في كتابِه، فاللهُ في دعواكم أوَّلُ المُشبِّهينَ بنفسِهِ، ثم رسولُ اللهِ الذي أنبأنا ذلك عنه(٣).

---

(١) روي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما كما عند الطبري (٥٣٤) عند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾ [البقرة:٢٥]، قال: ليس في الدنيا ممَّا في الجنة إلَّا الأسماء.

(٢) قال ابن خُزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ٦٧): نقول: ليس إيقاع اسم الوجه للخالق البارئ بموجب عند ذوي الحِجا والنُّهىٰ أنه يشبه وجه الخالق بوجوه بني آدم.

ثم أطال في ذكر الأمثلة على تشابه الأسماء في تلك الصفات بين الخالق والمخلوق، وقال (١/ ٩٠): فتفهموا يا ذوي الحِجا ما بينتُ في هذا الفصلِ تعلموا وتستيقنوا: أن لخالقنا عَزَّوَجَلَّ أسامي، قد تقعُ تلك الأسامي علىٰ بعضِ خلقه في اللفظِ لا علىٰ المعنىٰ، علىٰ ما قد بينتُ في هذا الفصلِ مِن الكتابِ، والسنةِ، ولغة العرب. اهـ

(٣) وقد تجرؤوا فوصفوا الأنبياء بالتشبيه، فهذا ثُمَامَة بن أشْرَس وهو من رُؤساء الجهمية يقول: ثلاثة مِن الأنبياء مُشبِّهة: موسىٰ حيث قال: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ [الأعراف:١٥٥]، وعيسىٰ حيث قال: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة:١١٦]، ومحمد حيث قال: «ينزلُ ربُّنا». [«مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ١١٠)].

=⇦

فلا تظلموا أنفسَكم، ولا تُكابِروا العِلمَ إذ جهلتموه، فإن التسمية مِن التشبيه بعيدةٌ(١).

٩٠- وأمَّا ما ادَّعيتَ في تفسير قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء]، **أنه إنمَّا عنَى: عالِمًا بالأصواتِ، عالِمًا بالألوان، لا يَسمعُ بسمعٍ، ولا يُبصرُ ببصرٍ**، ثم قلتَ: **ولم يجئ خبرٌ عن النبي ﷺ وغيره أنه يَسمعُ بسمعٍ، ويُبصرُ ببصرٍ، ولكنَّكم قَضيتُم على الله بالمعنى الذي وجدتموه في أنفُسِكم.**

فيُقالُ لك أيُّها المريسيُّ: أمَّا دعواك علينا أنَّا قضينا عليه بالمعنىٰ الذي وجدناه في أنفُسِنا، فهذا لا يَقضي به إلَّا مَن هو ضَالٌّ مثلُك، غيرَ أن اللهَ تبارك اسمُه أخبرَ عن نفسِهِ أنه [١٥/ ب] يَسمعُ بَسمعٍ، ويُبصرُ ببصرٍ، واتَّصلت عن رسول الله ﷺ بذلك أخبارٌ مُتَّصِلة، فإن حرمَك الله معرفتَها فما ذنبُنا؟!(٢).

• قال الله تعالىٰ لموسىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾ [طه](٣).

=

- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة» (٢٦٢٤): إن بعض المُعتزلة إذا وضح عندهم صحَّة الروايات، والآثار الصحيحة التي لا يجوز عليها التواطؤ والاستحالة، قالوا: قد قال النبي ﷺ ذلك؛ لكن النبي ﷺ كان مُشبِّهًا، والمُشبِّه عندهم كافر مُلحد. اهـ

(١) زاد في (ب): (وإذا لزم الاشتراك في الأسماء ما يلزم الاتحاد في الذوات القديمة والذات المحدثة فيما تقدم انتفىٰ القياس).

(٢) في كلام المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا ردٌّ علىٰ المُفوِّضة.

(٣) في «السنة» لعبد الله بن أحمد (١٠٣٨) عن أبي عِمران الجوني: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾ [طه]، قال: يُربَّىٰ بعينِ الله عَزَّوَجَلَّ.

• وقال: ﴿وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر](١).

• ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [هود:٣٧](٢).

• ثم ذَكَرَ رسولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ، فقال: «**إنَّه أعورُ، وإن ربَّكم ليسَ**

---

(١) في «السنة» لابن شاهين كما في «الصفات» لابن المُحبّ (٨٢٧)، واللالكائي (٦٥٥) عن ابن جُريج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، قال: أشارَ بيده إلىٰ عَينَيه.

(٢) في «السنة» لعبد الله بن أحمد (١٥٤٢/ الذيل) عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [هود:٣٧]، قال: بعين الله عَزَّ وَجَلَّ.

- وفي «تهذيب اللغة» (٣/ ١٣٠) قال ابن الأنباري في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [هود:٣٧]، قال أصحاب النقل والأخذ بالأثر: (الأعين) يريد به: العين. قال: وعين الله لا تُفسَّر بأكثر من ظاهرها، ولا يسع أحدًا أن يقول: كيف هي؟ أو ما صفتها؟.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصوعق» (١/ ٦٤): إذا أضيفت العين إلىٰ اسم الجمع ظاهرًا ومُضمرًا، فالأحسن جمعه مُشاكلة للفظ، كقوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وقوله: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [هود:٣٧]، وهذا نظير المشاكلة في لفظ (اليد) المُضافة إلىٰ المفرد: ﴿بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك:١]، ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾ [آل عمران:٢٦]، وإن أُضيفت إلىٰ ضمير جمع جُمعت: كقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾ [يس:٧١]، وكذلك إضافة اليد والعين إلىٰ اسم الجمع الظاهر كقوله: ﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١]، وقوله: ﴿فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنبياء:٦١]. اهـ

بأعورَ»(١).

و(العَـوَرُ) عنـد النـاسِ: ضُـدُّ البَصَـرِ، و(الأعـورُ) عنـدهم: ضُـدَّ البصـيرُ بالعينينِ.

٩١- ورَويت أنت أيُّها المَريسيُّ: عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ مُحتجًّا لمذهبك أنَّ النبيَّ ﷺ سَمِعَ أصحابه يَرفعونَ أصواتَهم بالتكبيرِ، فقال لهم: «**إنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا**»(٢).

(فالصممُ): ضِدُّ السمعِ الذي هو السمعُ عند الناس.

وهذا ممَّا رويتَه وثبَّتَّه عن النبيِّ ﷺ صحيحًا في [نقض](٣) دعواك به.

ففيما ذكرنا عن الله، وعن رسوله بيانٌ: أن السمعَ غيرُ البصرِ، وأنَّ البصرَ غيرُ السمعِ، وأنه يسمعُ بسمعٍ، ويُبصرُ ببصرٍ، غير مُكيَّفٍ ولا مُمثَّلٍ(٤).

٩٢- وممَّا يزيدُك بيانًا: قول إبراهيم الخليل، خليل اللهِ صلوات الله عليه حين قال لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ﴾ [مريم:٤٢]، يعني إبراهيمُ: أن إلهَهُ بخلافِ الصنمِ، يَسمعُ بسمعٍ، ويُبصِرُ ببصرٍ.

(١) سيأتي تخريجه برقم (١٠٦)، وسيأتي الاستدال به علىٰ إثبات العينين لله تعالىٰ.
(٢) سيأتي تخريجه برقم (١٠١).
(٣) في (الأصل): (بعضِ)، والمثبت من (ب).
(٤) انظر «شرح اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٢١/ سياق ما دلَّ مِن كتاب الله تعالىٰ، وسُنَّة رسول الله ﷺ بأن الله سميعٌ بسمعٍ، بصيرٌ ببصرٍ، قادرٌ بقُدرةٍ).

ولو كان علىٰ ما أَوَّلتَ أيها المريسيُّ لقال أبو إبراهيم لإبراهيم: فإلهُكَ أيضًا لا يَسمعُ بسمعٍ، ولا يُبصِرُ ببصرٍ(١).

وكذلك قال في أصنامِ العربِ: ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٩٥]، يعني: أنَّ اللهَ بخلافهم، له يدٌ يَبطشُ بها، و[له] عينٌ يُبصِرُ بها، وسَمعٌ يَسمعُ به(٢).

---

(١) في «السنة» لغلام الخلال (٧٠) قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم:٤٢]، فثبت أن الله سميعٌ بصيرٌ.
- قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ١٠٦): (باب إثبات السَّمع والرُّؤية لله عَزَّوَجَلَّ الذي هو كما وصفَ نَفسه سَميعٌ بصيرٌ، ومَن كان مَعبوده غير سَميعٍ بصير؛ فهو كافر بالله السميع البصير، يعبد غير الخالق الباري الذي هو سَميعٌ بصير).
وقال: وتدبروا أيها العلماء، ومُقتبسو العلم؛ مُخاطبة خليل الرحمن أباه، وتوبيخه إياه لعبادته مَن كان يعبد، تعقِلوا بتوفيق خالقنا جلَّ وعلا صِحّة مذهبنا، وبُطلان مُخالفينا مِن الجهمية المُعطّلة، قال خليل الرَّحمن صلوات الله وسلامه عليه لأبيه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم]، أفليس مِن المُحالِ يا ذوي الحِجا: أن يقول خليل الرَّحمن لأبيه آزر: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم:٤٢]، ويعيبه بعبادة ما لا يسمع ولا يُبصر، ثم يدعوه إلىٰ عبادة مَن لا يَسمع ولا يُبصر كالأصنام التي هي مِن الموتان لا مِن الحيوان أيضًا، فكيف يكون ربّنا الخالق البارئ السميع البصير كما يصفه هؤلاء الجُهّال المُعطِّلة، عزَّ رُبنا وجلّ عن أن يكون غير سَميعٍ ولا بصير .. اهـ
(٢) قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ٢٠٢): فأعلمنا ربنا جلّ وعلا أن مَن لا رِجلَ له، ولا يدَ، ولا عينَ، ولا سَمعَ فهو كالأنعامِ بل هو أضلّ. فالمُعطِّلة الجهمية: =

٩٣- وادَّعيتَ أيضًا أنَّا إن قلنا: **(إنَّ اللّهَ يَسمعُ بسمعٍ، ويُبصِرُ ببصرٍ، فقد ادَّعينا أن بعضَه عاجِزٌ، وبعضَه قويٌّ، وبعضَه تامٌّ، وبضعه ناقِصٌ، وبعضَه مُضطرٌ)**.

فإن قلتُم هو أيُّها المَريسي لا يجوز هذا القياسُ في صفةِ كلبٍ من الكلابِ، فكيف في صفةِ ربِّ العالمين؟ بل حرامٌ علىٰ السائلِ أن يسألَ عن مثلِ هذا، وحرامٌ علىٰ المُجيبِ أن يُجيبَ فيه.

والعجبُ مِن قائله، كيف لم يَخسِفِ اللهُ به؟!

غيرَ أنَّ اللهَ حليمٌ ذو أناةٍ، وحَلُمَ عمَّن قال: ﴿ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]، وعمَّن قال: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة:١١٦]، وعمَّن قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤﴾ [النازعات]، ومَن قال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤].

وكذلك حَلُمَ عن هذا المَريسيِّ، إذ لم يَخسِف به، ولم يُعجِزه هربًا.

ويلك أيُّها المَريسي! إنَّا لا نَدَّعي فيه هذه الخُرافاتِ التي احتججتَ بها مما ليس لمثلِها جوابٌ، ونُجلُّه أن نلفُظَ في صِفاتِه بهذه الخُرافاتِ، غيرَ أنا سمِعناه يقول: إنه ﴿سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ۝٧٥﴾ [الحج]، و﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه].

ففرَّق بين (السمعِ) و(البصرِ)، فأخذنا عن اللهِ، ورددنا عليك جهلَك

= الذين هم شَرٌّ مِن اليهود والنصارىٰ والمجوس: كالأنعام بل أضلّ. اهـ

وخُرافاتِك(١).

أوَلَم تَقُل أيها المَرِيسي: (**إنه لا يَحِلُّ لأحدٍ أن يَتوهَّمَ في صِفاتِ اللهِ بما يَعرِفُ معناه في نفسِه**)، فكيف نَسبتَ اللهَ إلىٰ العجزِ في سَمعِه وبصرِه علىٰ المعنىٰ الذي تعرِفُه مِن نفسِكَ؟!

---

(١) في «السُّنة» لغلام الخلال (٧٠) قال حنبل: سمعتُ أبا عبد الله يقول: قال الله عَزَّوَجَلَّ لموسىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه]، حِكايةُ الله عن نفسِه أنه يَسمعُ ويُبصِرُ، ولا تكون رؤية إلَّا ببصرٍ، كما وصفَ نفسَه: (يسمعُ ويرىٰ)، هذا القرآنُ فمَن ردَّ هذا فقد ردَّ علىٰ الله أمرَه وقوله وأنكرَ التنزيل.

- قال الكرجي القصاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نكت القرآن» (٢/ ٢٨٨): قوله: ﴿لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، حُجَّة علىٰ المُعتزلة والجهمية شديدة لا مخلص لهم منها، إذ لو كان معنىٰ السمع والبصر معنىٰ العلم والإحاطة لاقتصر - والله أعلم - علىٰ ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾، ولم يقل: ﴿أَسۡمَعُ﴾ .. فلما قال: ﴿أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه] بعد تمام المعنىٰ الذي يشيرون إليه أزال كل ريبٍ، وكشف كل غُمَّة عن أنه يسمع بسمعٍ، ويرىٰ ببصرٍ غير مخلوقين. اهـ

- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٨٤٠): وقالت الجهمية: إن معنىٰ سمعه: معنىٰ بصره. وقد أكذبهم الله في كتابه فقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه]، ففصل بينهما.

وأمَّا قولهم: (إن البصر بمعنىٰ: العلم)؛ فقد أكذبهم الله عَزَّوَجَلَّ حين فرَّق بين العلم والبصر. ألا ترىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ قد عَلِمَ أعمال العباد قبل أن يعملوها، وقد عَلِمَ أنك تُصلي قبل أن تُصلي، وأنك تُجاهِد قبل أن تُجاهد؛ ولكنه لا يراك مُصلِّيًا حتىٰ تُصلي، ولا عاملًا حتىٰ تعمل، وكذلك سائر الأعمال. اهـ

ثم قلتَ: (**فكما أنَّك بأحدِهِما مُضطرٌ إلى الآخرِ، كذلك اللهُ فيما** [١٦/أ] **ادَّعيت علينا مُضطرٌ إلى الآخرِ**)، فشبَّهتَ اللهَ في مذهبِكَ بالإنسانِ المُجدَّعِ المَنقوصِ.

أوَلم تسمع أيُّها المَريسيُّ قول الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وكما ليس كمثله شَيءٌ، ليس كسمعِهِ سَمعٌ، ولا كبصرِهِ بصرٌ، ولا لهما عند الخلقِ قياسٌ، ولا مثالٌ، ولا شَبيهٌ، فكيف تقيسُهما أنت بِشبهِ ما تعرفُ مِن نفسِكَ، وقد عبتَه علىٰ غَيرِكَ؟!(١).

٩٤- وأمَّا دعواكَ: (**أن قولَه: ﴿سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾، أنه يُدرِكُ الأصواتَ، ويعلمُ الألوان**).

فقد فهِمنا بحمدِ اللهِ معنىٰ كُفرِ ما تقصِدُه به إليه، فلا يجوزُ لك علينا في

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأمَّا الرسل وأتباعهم فإنهم قالوا: إنه حيٌّ وله حياة، وليس كمثله شيء في حياته، وهو قويٌّ وله القوة، وليس كمثله شيءٌ في قوَّته، وهو السميعُ البصير يسمع ويبصر، وليس كمثله شيءٌ في سمعه وبصره، ومُتكلِّم، وله يدان، ومستوٍ علىٰ عرشه، وليس له في هذه الصفات مثيل.

وقال: فعَكَسَ المُعطلة المعنىٰ فجعلوا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] جُنَّة يتترَّسون بها لنفي علوِّه سبحانه علىٰ عرشه، وتكليمه لرسله، وإثبات صفات كماله. اهـ

[«مختصر الصواعق» (٢/ ٢٨٦و٥٣٥)].

وانظر التعليق علىٰ (فقرة/ ٤١٤) ففيها إيضاح في بيان الفرق بين أهل السُّنة والجهمية في استدلالهم بهذه الآية.

ذلك أُغلوطةٌ إن شاء الله، يعني: أنَّ إلهكَ مُهمَلٌ، شَبَحٌ، هواءٌ، قائِمٌ [داخلٌ] في كلِّ مكانٍ، لا يوصفُ بسمعٍ، ولا بصرٍ، ولا علمٍ، ولا كلامٍ، ولا وجهٍ، ولا يدٍ، ولا نفسٍ، ولا حَدٍّ(١).

فالسمعُ عندك منه بصرٌ، والبصرُ منه سمعٌ، والوجه ظَهرٌ، والأعلىٰ منه أسفلَ، والأسفلُ منه أعلىٰ، يَسمعُ الأصواتَ - بزعمك - أنه يبلُغُه الصوتُ ولا يفهمُه؛ كما يبلُغُ الجبالَ التي ليست لها أسماعٌ ولا تفقَهُه، ويَعرِفُ الألوانَ بالترائي والمُشاهدةِ، لا أنَّ له سَمعًا يَسمعُ به فيَفقَهُه، ولا له بَصرٌ يُبصِرُ به فيراه ويعرِفُه، كما يُقالُ للدورِ والقصورِ: يرىٰ بعضُها بعضًا، أي: يتراءىٰ، وليست لها أبصارٌ، والجبالُ ينظرُ بعضُها إلىٰ بعضٍ بلا بصرٍ، فكما يُقالُ: ذهبَ فلانٌ بين سَمعِ الأرضِ وبَصَرِها، مِن غيرِ أن يكون للأرضِ سَمعٌ ولا بَصَرٌ هو السمعُ والبصرُ، فوصفتَ ربَّك بما وصفَ اللهُ به الأصنام.

ما تقولُ؟! ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) في «شرح مذاهب أهل السنة» لابن شاهين (٣٤) قال حماد بن زيد: مثل الجهمية مثل رجلٍ قيل له: أفي دارك نخلة؟ قال: نعم. قيل: فلها خوص؟ قال: لا.
قيل: فلها سَعفٌ. قال: لا. قيل: فلها كربٌ؟ قال: لا.
قيل: فلها جذعٌ؟ قال: لا. قيل: فلها أصلٌ؟ قال: لا.
قيل: فلا نخلة في دارك. هؤلاء الجهمية، قيل لهم: لكم ربٌّ؟ قالوا: نعم.
قيل: يتكلَّمُ؟ قالوا: لا. قيل: فله يدٌ؟ قالوا: لا.
قيل: فله قدمٌ؟ قالوا: لا. قيل: فله إصبعٌ؟ قالوا: لا.
قيل: فيرضىٰ ويغضبُ؟ قالوا: لا. قيل: فلا ربَّ لكم.

وكما قال للذين يدعون مِن دونه: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر:١٤].

ولو كان معنىٰ السمعِ والبصرِ: إدراكَ الأصواتِ، وترائي الأجسامِ، لكان ذلك يُدرِكُ الأصنامَ كما يُدرك الله في دعواكم، ولكن ما وصفتَ أيُّها المَريسيُّ: صفةُ الأصنامِ لا صِفةُ الله تعالىٰ، فإلىٰ مِثلِ هذا المعنىٰ تَقصِدُ في سَمعِ اللهِ وبصرِهِ(١).

وقد سَمِعناه مِن بعضِ خُطبائكم يُغالِطُ بمثلِ هذه الحُججِ أنباط كُوثىٰ(٢)، أو أبطاطا، أو يَهودَ الحِيرة(٣)؛ أهل مِلَّةِ أبيك، وجيرانه.

٩٥- فقد سمعتُ أبا هشامٍ الرفاعي يذكرُ أنه سَمِعَ أبا نُعيمٍ يقول: إنه رأىٰ أباك يَهوديًّا صابِغًا(٤) بالحِيرَةِ(٥).

---

(١) تحريف صفتي السمع والبصر بالإدراك يقوله الأشاعرة وغيرهم من المُعطلة، ومن ذلك قول ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٦): ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه]، عبارتان عن الإدراك الذي لا تخفىٰ معه خافية، تبارك الله رب العالمين. اهـ

(٢) (النبيط)، وهم: قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين، والجمع: أنباط، ورجل نبطي ونباطي ونباط، كيمني ويماني ويمان. «المطلع علىٰ أبواب المقنع» (ص٣٧٢). و(كُوثىٰ) بالعراق. «معجم البلدان» (٤/ ٤٨٧).

(٣) (الحِيرة): مدينة كانت علىٰ ثلاثة أميال من الكوفة. «معجم البلدان» (٢/ ٣٢٨).

(٤) في (ب): (صبَّاغًا).

(٥) في «مسائل أبي داود» (١٧٤٣) عن أبي النضر هاشم بن القاسم قال: كان أبو بشر المريسي يهوديًّا قصَّارًا أو صبَّاغًا في سويقة ابن نضر بن مالك.

=⇐

٩٦- وأمَّا دعواكَ: (أنَّ مَن وصفَ اللهَ بالسمعِ الذي هو السمعُ، والبصرِ الذي هو البصرُ، وميَّزَ بينهما، فقد نسبه إلى العجزِ).

فما ظننا أيُّها المريسيُّ أنه يشُكُّ أحدٌ مِن ولد آدمَ أن العاجِزَ الضعيفَ المُضطرَّ المُحتاجَ الذي لا سَمعَ له ولا بَصرَ حتىٰ ادَّعيتَ أنتَ علىٰ جهلٍ منك، وما يدعوك إلىٰ ذكرِ العاجز(١) والقوَّةِ وما أشبَهِهما مِن خُرافاتِك، صِفه بما وصفَ به نفسَه؛ فإنه أعلمُ بنفسِهِ إنه القويُّ المتينُ، الغنيُّ بجميعِ صفاته، وجميعِ الذواتِ، وعلىٰ كلِّ الحالاتِ، وهو بجميعِ ذلك إلهٌ واحدٌ لا

=

- وفي «السُّنة» للخلال (١٧٠٥) قال أبو بكر المروذي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ذَكَرَ بشرًا المريسي، فقال: مَن كان أبوه يهوديًّا، أيش تراه يكون؟!

- وقال العِجلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الثقات» (١٥٩): رأيت بشرًا المريسي عليه - لعنة الله - مرَّةً وَاحِدَة، شيخ قصير، دميم المنظر، وسخ الثِّياب، وافر الشّعر، أشبه شيء باليهود، وكان أبوه يهودِيًّا صباغًا بالكوفَةِ في سوق المراضع، ثم قال: لا يرحمه الله، فلقَد كان فَاسِقًا.

- وعند اللالكائي (٦٠٧ و٨٣٢) نحوه عن أبي حاتم الرازي، والفضل بن دُكين.

- وفي «الصفات» للدارقطني (٦٦) قال عقبة بن قَبيصة: أتينا أبا نعيم يومًا، فنزل إلينا من الدرجة التي في داره، فجلس في وسطنا كأنه مُغضبٌ. فقال ابتداء: حدثنا سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، وحدثنا زهير بن معاوية بن خديج بن رحيل الجعفي، وحدثنا حسن بن صالح بن حي، وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي، هؤلاء أبناء المهاجرين يُحدِّثون عن رسول الله ﷺ أن الله عَزَّوَجَلَّ يُرىٰ في الآخرة، حتىٰ جاء ابن يهوديٍّ صبَّاغٍ فزعم أن الله لا يُرىٰ. يعني: بشرًا المريسي .

(١) وفي (ب): (العجز).

شريكَ له، المُتعالي عمَّا نسبتَه إليه، قاتلَكَ اللهُ ! ما أكفركَ!(١).

ولقد كنتُ أسمعُ بكفرِكَ قديمًا، [١٦/ ب] وحُكِيَ لي بعضُه عنك، وما ظننتُ أنك تعتقِدُ مِن أنواعِ الكُفرِ كلَّ ما روىٰ عنك المُعارِضُ.

قلنا: وما إخالُه يعقلُ معاني كلامِكَ، وما يؤدِّيك إلىٰ صريحِ الكفرِ، فإن هو عَقِلَه واعتقدَه فهو مِثلُك، إذ يعتقِدُه ثم يبُثُّه ويَنشُرُه للعوامِّ، إذ لم تكن أنت تَجترِئُ أن تنشُرَه في بلدِكَ للأنامِ إلَّا مناجاةً بينك وبين جَهلةٍ طَغَامٍ(٢).

٩٧- وأمَّا ما ادَّعيتَ: (أنه لم يجئ خبرٌ عن النبيِّ ﷺ أنَّ اللهَ يسمعُ بسمعٍ، ويُبصرُ ببَصرٍ).

فسنروي لك فيه ما قد غَضِبتَ منه إن شاء الله.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (٢/ ٢٤٢): قاتل الله أصحاب التحريف والتأويل، وأصحاب التخييل، وأصحاب التجهيل، وأصحاب التشبيه والتمثيل، ماذا حرَّفوه مِن الحقائق الإيمانية والمعارف الإلهية؟ وماذا تعوضوا به من زبالة الأذهان ونخالة الأفكار؟ فما أشبههم بمن كان غذاؤهم المَنَّ والسلوىٰ بلا تَعبٍ ولا كُلفَة، فآثروا عليه الفوم والعدس والبصل، وقد جرت عادة الله سبحانه أن يذل من آثر الأدنىٰ علىٰ الأعلىٰ ويجعله عبرة للعقلاء.

فأول هذا الصنف إبليس ترك السجود لآدم كبراً فابتلاه الله بالقيادة لفُسَّاق ذريته، وعُبَّاد الأصنام لم يقروا بنبي مِن البشرِ، ورضوا بإلهٍ مِن الحَجَرِ.

والجهمية نزَّهوا الله عن عرشه لئلا يحويه مكان، ثم جعلوه في الآبارِ والأنجاس وفي كلِّ مكانٍ، وهكذا طوائف الباطل لم يرضوا بنصوص الوحي فابتلوا بزبالة أذهان المُتحيِّرين، وورثة الصابئين، وأفراخ الفلاسفة المُلحدين. اهـ

(٢) (الطغام): من لا عَقل له ولا معرفة. «النهاية» (٣/ ١٢٨).

٩٨- حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عُروة، قال: قالت عائشة ﵂: الحمدُ للهِ الذي وَسِعَ سمعُه الأصواتَ كلَّها، إن خَولةَ جاءت تشتكي زوجَها إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فيَخفىٰ عليَّ أحيانًا بعضُ ما تقولُ، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١](١).

٩٩- وحدثنا موسىٰ بن إسماعيل، أن جرير بن حازم حدثهم، قال: سمعت أبا يزيد المدني قال: لقيتْ امرأةٌ عمرَ، يقال لها: خَولَةُ ابنةُ ثَعلبةَ، فقال عمرُ: هذه امرأةٌ سَمِعَ اللهُ شكواها مِن فوقِ سبعِ سماواتٍ(٢).

١٠٠- حدثنا أبو الربيع الزهراني، ثنا أبو عبد الرحمن المُقرئ، ثنا حرملة

---

(١) رواه أحمد (٢٤١٩٥)، والنسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨).

وعلَّقه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ جازمًا به تحت: (باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝١٣٤﴾ [النساء]). وهو حديث صحيح.

- قال ابن خُزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ١١٤): وأخبرت الصديقة بنت الصديق ﵂ أنه يخفىٰ عليها بعض كلام المُجادِلة مع قُربِها منها، فسبَّحت خالقها الذي وَسِعَ سَمعُه الأصوات، وقالت: سُبحان مَن وَسِعَ سَمعُه الأصوات. فسَمِعَ الله جلَّ وعلا كلامَ المُجادِلة، وهو فوق سبع سماوات مستوٍ علىٰ عرشه، وقد خَفيَ بعضُ كلامها علىٰ مَن حضرها وقرُب منها.

وقال: فلفظ الاستماعين واحدٌ، ومعناهما مُختلف؛ لأن استماعَ الخالق غيرُ استماعِ المخلوقين، عزَّ ربُّنا وجلَّ عن أن يُشبهه شيءٌ من خلقِه، وجلَّ عن أن يكون فِعْلُ أحدٍ مِن خلقه شبيهًا بفعله. اهـ

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٥٣) بأتمَّ مِن هذا.

ابن عمران التُّجيبي، قال: حدثني أبو يونس سُليم بن جُبير مولىٰ أبي هريرة، عن أبي هريرة ﵁، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء](١)، فوضعَ أُصبُعَه الدَّعَّاءَ علىٰ عينَيه، وإبهامَه علىٰ أُذُنه(٢).

---

(١) في الأصل، و(ب): (إنه كان سميعًا بصيرًا).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٢٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٦)، وهو حديث صحيح.

- قال اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السنة» (٦٥٢): أخرجه أبو داود، وهو إسناد صحيح علىٰ شرط مسلم يلزمُه إخراجُه. اهـ

- قال أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سُننه» (٤٧٢٨): قال عبدالله بن يزيد المُقرئ: يعني: (إن الله سميع بصير)، يعني: إن لله سمعًا وبصرًا.

قال أبو داود: وهذا ردٌّ علىٰ الجهمية. اهـ

قلت: وهو كذلك ردٌّ علىٰ المُفوِّضة الذي يجهلون معاني نصوص الصفات.

وفي الحديث أيضًا جواز الإشارة بالفعلِ مع إثباتِ الصفة لله تعالىٰ، وقد دلَّت علىٰ ذلك كثير من الأدلة، ولم يثبت عن أحدٍ مِن السلف أنه نهىٰ عن ذلك كما بيَّنتُ ذلك في كتاب «الاحتجاج بالآثار السلفية علىٰ إثبات الصفات الإلهية»: (فصل في إثبات الصفات مع الإشارة إليها بما هو محسوس معهود).

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ٩٤٨): ولَمَّا أخبرهم رسول الله ﷺ جعل يَقبض يديه ويَبسطهما تَحقيقًا للصِّفةِ لا تَشبيهًا لها، كما قرأ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝١٣٤﴾ [النساء]، ووضَعَ يديه علىٰ عينيه وأُذنيه تحقيقًا لصفةِ السمعِ والبصرِ، وأنهما حقيقة لا مجاز. اهـ

هذا كلام أهل السُّنة في هذا الحديث، وأمَّا المُعطلة، فهم يحاولون ردَّ هذه الأحاديث، وتحريفها، والتشنيع علىٰ مَن أمرَّها وأثبتها كما جاءت، ومن ذلك:

- قال الخطابي في «معالم السُّنن» (٤/ ٣٣٠): ومعناه: إثبات صفة السَّمع والبصر لله سبحانه، لا إثبات الأُذن والعين؛ لأنهما (جَارحتان)، والله سبحانه

⇐

١٠١- حدثنا نُعيم بن حماد، ثنا ابن المبارك، أبنا خالد الحذَّاء، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاةٍ، فجعلنا لا نصعدُ شَرَفًا، ولا نَهبِطُ في وادي إلَّا رفعنا أصواتنا بالتكبيرِ، فَدَنا مِنَّا رسولُ الله ﷺ فقال: «**أيُّها الناس! ارْبَعُوا علىٰ أنفُسِكم**(١)**، فإنَّكم لا تَدعون أصمَّ ولا غائِبًا، إنَّما تدعون سَميعًا بَصيرًا**»(٢).

= موصوفٌ بصفاته، مَنفيٌّ عنه ما لا يليق به من صفات الآدميين ونعوتهم، ليس بذي (جوارح)، ولا (بذي أجزاء)، ولا (أبعاض). اهـ

- ونقل ابن حجر في «الفتح» (١٢/ ٣٩٠) عن ابن بطَّال قوله: احتجت (المُجسِّمة) بهذا الحديث، وقالوا في قوله: (وأشارَ بيده إلىٰ عينه)، دلالة علىٰ أن عينه كسائر الأعين، وتُعقِّب باستحالة (الجِسمية) عليه؛ لأن الجسم حادث وهو قديمٌ، فدلَّ علىٰ أن المراد: نفي النقص عنه. اهـ

- ونقل كذلك (١٣/ ٣٩٠) عن ابن المُنيِّر قوله: وهو علىٰ سبيل التمثيل والتقريب للفهم، لا علىٰ معنىٰ إثبات (الجارحة). اهـ

وكل هذا باطلٌ ولا يلزم أهل السُّنة منه شيءٌ.

وأمّا ذِكرُ (الجارحة) فسيأتي إنكار المُصنِّف علىٰ مَن ادَّعاها علىٰ أهل السُّنة.

(١) أي: ارفقوا بأنفسكم.

(٢) رواه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤).

- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١٢٥٢): فإن علوه سبحانه علىٰ سمواته من لوازم ذاته، فلا يكون قطّ إلَّا عاليًا، ولا يكون فوقه شيء ألبتة، كما قال أعلم الخلق به: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**»، وهو سبحانه قريبٌ في علوِّه، عالٍ في قُربه، كما في الحديث الصحيح عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فارتفعت أصواتنا بالتكبير، فقال: «**أيها الناس ارْبَعُوا..**» الحديث. فأخبر ﷺ - وهو أعلم الخلق به - أنه أقربُ إلىٰ =

أفلا تَرىٰ أيُّها المَريسيُّ أنَّ رسول الله ﷺ ذكَرَ الأصمَّ والسميعَ وهما مُتضادَّانِ، فأخبرَ أنَّ اللهَ سميعٌ بخِلافِ الأصمِّ.

١٠٢- حدثنا محمد بن كثير، أبنا سُفيان الثوري، عن الأعمش، عن عُمارة بن عُمير، عن وهب بن ربيعةَ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إني لمستترٌ بأستارِ الكعبةِ، إذ جاء ثلاثةُ نفرٍ: ثقفيٌّ وخَتناه قرشيانِ، كثيرٌ شحمُ بطونهم، قليلٌ فقه قلوبِهم، فتحدَّثوا الحديثَ بينهم، فقال أحدهم: أترىٰ اللهَ يسمعُ ما قُلناه؟

فقال أحدهُما: يَسمعُ إذا رفعنا، ولا يَسمعُ إذا خَفَضنا.

فقال الآخرُ: إن كان يسمعُ إذا رفعنا، إنه يسمعُ إذا خفضنا.

فأتيتُ النبيَّ ﷺ فذكرتُ ذلك له، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت](١).

= أحدكم مِن عُنقِ راحلته، وأخبر أنه فوق سماواته علىٰ عرشه مطَّلعٌ علىٰ خلقه، يرىٰ أعمالهم، ويعلم ما في بواطنهم، وهذا حقٌّ لا يناقض أحدهما الآخر.

والذي يسهل عليك فهم معرفة هذا: معرفة عظمة الربِّ، وإحاطته بخلقه، وأن السماوات السبع في يده كخردلةٍ في يدِ العبد، وأنه سبحانه يقبض السماوات بيده، والأرض بيده الأُخرىٰ ثم يَهُزُّهنَّ، فكيف يَستحيل في حقِّ مَن هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه، ويقرُب مِن خلقه كيف شاء وهو علىٰ العرش؟!. اهـ

(١) رواه البخاري (٤٨١٦ و٤٨١٧)، ومسلم (٢٧٧٥).

١٠٣- **حدثنا** عبد الله بن صالح، أن يحيىٰ بن أيوب المصري، حدثه عن عبد الله بن سُليمان، عن درَّاجٍ، [١٧/أ] قال: حدثني أبو الهيثم، عن أبي سعيد ﵁، وعن ابنِ حُجَيرَة الأكبر، عن أبي هريرة ﵁ أو أحدهما، عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان يومٌ حارٌّ، ألقىٰ الله سمعَه وبصرَه إلىٰ أهلِ السماءِ والأرضِ، فإذا قال الرجلُ: لا إله إلَّا الله، ما أشدَّ حرَّ هذا اليوم، اللهم أجرني مِن حرِّ جهنَّمَ، قال الله لجهنمَ: إن عبدًا مِن عبادي استجارني مِن حرِّكِ، فإني أُشهِدُكِ فقد أجرتُه منك، فإذا كان يومٌ شديدُ البردِ، ألقىٰ الله سمعه وبصرَه إلىٰ أهلِ الأرضِ، فإذا قال العبدُ: لا إله إلَّا الله، ما أشدَّ بردَ هذا اليوم، اللهم أجرني مِن زَمهريرِ جهنَّمَ، قال الله لجهنَّمَ: إن عبدًا مِن عبيدي استجارني مِن زمهرِيرك، وإني أُشهِدُكِ أني قد أجرتُه**».

قالوا: وما زمهريرُ جهنَّمَ يا رسول الله؟

قال: «**بيتٌ يُلقىٰ فيه الكُفَّارُ، يتميَّزُ مِن شدَّةِ بَردِه بعضُه مِن بعضٍ**»(١).

١٠٤- **قلت** لأبي اليمان: أخبرك شُعيبٌ، عن الزُّهري، قال: قال سالمٌ: قال عبد الله بن عمر ﵄: قامَ رسولُ الله ﷺ في الناسِ، فأثنىٰ علىٰ اللهِ بما هو أهلُه، ثم ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فقال: «**إني سأقولُ لكم قولًا لم يَقُله نبيٌّ لقومِه: تعلَّمُنَّ أنه أعورُ، وأنَّ اللهَ ليس بأعورَ**»(٢).

فأخبرني أبو اليمان، أن شعيبًا أخبرَه به.

---

(١) رواه ابن السُّني في «عمل اليوم والليلة» (٣٠٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٧٨)، وهو حديث ضعيف.

(٢) رواه البخاري (٣٣٣٧)، ومسلم (١٦٩).

ففي تأويل قولِ رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ ليس بأعورَ**»، بيان أنه بصيرٌ ذو عينينِ خلافُ الأعورِ(١).

١٠٥- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا جُويريةُ بن أسماء، عن نافع، عن عبد الله رضي الله عنه: أن الدَّجَّالَ ذُكِرَ عند رسولِ الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**ألا إنَّ المسيحَ الدَّجَّالَ أعورُ عينِ اليُمنىٰ، كأنَّ عينَه عِنبةٌ طافية**»(٢).

---

(١) وهذا دليل علىٰ إثبات العينين لله تعالىٰ خلافًا لمَن أثبت العين وأنكر وجود نصٍّ علىٰ إثبات العينين.

وذَكَرَ ابنُ خُزيمة رحمه الله في «التوحيد» (١/ ١٠٥) أحاديث الدَّجَّال في (باب ذكر إثبات العين لله جل وعلا)، وقال: بيَّن النبي ﷺ أن لله عينينِ، فكان بيانه موافقًا لبيان مُحكم التنزيل. اهـ

- وقال اللالكائي رحمه الله في «اعتقاد أهل السُّنة»: (٢٢/ سياق ما دلَّ مِن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ على أنَّ مِن صفات الله عز وجل: الوجه، والعينان، واليدان).

- وقد تقدم قول المُصنف رحمه الله (فقرة/ ٩٠): والعورُ عند الناسِ ضدّ البصر، والأعور عندهم ضد البصير بالعينين. اهـ

- وقال ابن القيم رحمه الله في «مختصر الصواعق» (١/ ٦٥): وقد نطق الكتاب والسنة بذكر العين مضافة إليه مُفردة ومجموعة، ونطقت السُّنة بإضافتها إليه مُثنّاة ... وقول النبي ﷺ: «**إن ربكم ليس بأعور**» صريحٌ بأنه ليس المراد إثبات عين واحدة، فإن ذلك عور ظاهر تعالىٰ الله عنه، وهل يفهم من قول الدَّاعي: (اللهم احرُسنا بعينك التي لا تنام)، أنها عينٌ واحدة ليس إلَّا، إلَّا ذهنٌ أقلف، وقلبٌ أغلف.

وقال عثمان الدارمي: (الأعور ضدّ البصير بالعينين). وقد استدلَّ السلف علىٰ إثبات العينين له تعالىٰ بقوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]... إلخ.

(٢) رواه البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (١٦٩).

١٠٦- **حدثنا** مسلم بن إبراهيم، ثنا شعبة، عن سِماك، عن عكرمة، عن ابن عباس ﵄: أن النبيَّ ﷺ ذكرَ الدَّجّال، فقال: «**أعورُ، جَعدٌ، وإنَّ ربَّكم ليسَ بأعورَ**»(١).

١٠٧- **حدثنا** علي بن الجعد، أبنا شريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحىٰ، عن ابن عباس ﵄ في قول الله: ﴿الٓمٓر﴾ [الرعد:١]، قال: أنا الله أرىٰ(٢).

١٠٨- **حدثنا** الزهراني أبو الربيع، ثنا أبو معشر المدني، عن سعيد - وهو المَقبري - عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِن نَبِيٍّ إلَّا وقد حذَّرَ أُمَّتَه الدَّجَّالَ، حتىٰ نوحٌ، وسأخبرُكم عنه بشيءٍ ما أخبرَ به نَبِيٌّ كان قبلي، إنه كان أعورَ، وإنَّ اللهَ ليس كذلك، مكتوبٌ بين عينيه كافِرٌ، يقرؤُه كلُّ مؤمنٍ**»(٣).

---

(١) رواه أحمد (٢١٤٨)، وابنه عبد الله في «السنة» (٩٨٠).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٠٥٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠٦٣١)، والطبري في «التفسير» (١٧٦٠٤ و٢٠١٣١).

(٣) رواه أبو داود الطيالسي (٢٤٤٥)، وفي إسناده ضعف، ولكن متنه صحيح، فقد البخاري (٣٣٣٨)، ومسلم (٢٩٣٦) نحوه من حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال ﷺ: «**ألا أحدثكم حديثًا عن الدَّجّالِ، ما حدَّث به نبيٌّ قومه: إنه أعور، وإنه يجيء معه بمثالِ الجنة والنار، فالتي يقول: إنها الجنة، هي النار، وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه**».

ورواه غلام الخلال في «السنة» (٦)، وزاد فيه: «... - ووضع يده علىٰ عينه - **ألا إنه أعور، وإنَّ اللهَ ليس بأعور**».

=⇦

١٠٩- حدثنا القعنبي - فيما قرأ علىٰ مالك بن أنس-، عن نافع، وعبد الله ابن دينار، وزيد بن أسلم كلهم يُحدّثه، عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ينظرُ اللهُ يومَ القيامةِ إلىٰ من جرَّ إزارَه خُيلاء**»(١).

١١٠- حدثنا القعنبي - فيما قرأ علىٰ مالك بن أنس -، عن مالك، عن أبي

=

وقد حاول ابن حجر العسقلاني أن يصرفه عن ظاهره فحرَّف معناه، فقال في «الفتح» (١٣/ ٣٩٠): وقد سُئلت هل يجوز لقارئ هذا الحديث أن يصنعَ كما صنع رسول الله ﷺ؟ فأجبتُ: أنه إن حضر عنده مَن يوافقه علىٰ مُعتقده [يعني: تعطيل الصفات وصرفها علىٰ ظاهرها]، وكان يعتقد تنزيه الله تعالىٰ عن صفات الحُدوث، وأراد التأسِّي محضًا جاز، والأولىٰ به الترك خشية أن يدخل علىٰ مَن يراه شُبهة التشبيه تعالىٰ الله عن ذلك، ولم أرَ في كلام أحدٍ من الشُّرَّاح في حمل هذا الحديث علىٰ معنىٰ خطر لي فيه إثبات التنزيه، وحَسمِ مادة التشبيه عنه، وهو أن الإشارة إلىٰ عينه ﷺ إنما هي بالنسبة إلىٰ عينِ الدجَّال، فإنها كانت صحيحة مثل هذه، ثم طرأ عليها العور لزيادة كذبه في دعوىٰ الإلهية، وهو أنه كان صحيح العين مثل هذه فطرأ عليها النقص، ولم يستطع دفع ذلك عن نفسه. اهـ

قلت: فهذا تأويل منه لم يسبق إليه كما أشار إلىٰ ذلك، وقد تقدم قريبًا قول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (ووضع يديه علىٰ عينيه وأُذنيه تحقيقًا لصفةِ السمع والبصر، وأنهما حقيقة لا مجاز).

والإشارة باليد مع ذكر الصفة لله تعالىٰ ثابتة في غير ما حديث كما تقدم التنبيه عليه قريبًا.

وروىٰ البخاري ومسلم نحو هذا الحديث عن غير واحدٍ مِن الصحابة رضي الله عنهم.

(١) رواه مالك في «الموطأ» (٣٣٨٩)، والبخاري (٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥).

وذكره ابن المُحبِّ في «الصفات» (١/ ٤٣)، وبوَّب عليه بقوله: (باب نظر الله).

الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمثله إلَّا أنه قال: «جَرَّ [١٧/ ب] إزارَه بَطَرًا»(١).

١١١- حدثنا القعنبي، عن مالك بن أنس، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثله(٢).

١١٢- حدثنا سهل بن بكَّار، ثنا عبد السلام أبو الجليل، قال: سمعتُ عبيدة الهُجَيميَّ يُحدِّث، عن أبي جُريٍّ(٣) جابر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: أتيتُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت: السلامُ عليك، فقال: «**وعليك**»، ثم قال: «**إنَّ رجلًا مِمَّن كان قبلكم لَبِسَ بُردينِ له، فتَبختَرَ فيهما، فنظرَ اللهُ إليه مِن فوقِ عرشِهِ فمقتَه، فأمرَ الأرضَ فأخذته، فهو يَتَجَلجَلُ بين الأرضين، فاحذروا وقائِعَ اللهِ**»(٤).

١١٣- فهاكَ خُذها أيُّها المريسيُّ، قد جئناك بها عن رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مأثورةً صَحيحةً، بعدما ادَّعيت بجهلِكَ أنه لم يأتِ فيه أثرٌ عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا

---

(١) رواه مالك في «الموطأ» (٣٣٨٨)، والبخاري (٥٧٨٨)، ومسلم (٢٠٨٧).

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (٣٣٩٠)، وأحمد (١١٣٩٧)، وأبو داود (٤٠٩٣).

(٣) في (ب): (جراني).

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (٦٣٨٤)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٥٣٢)، وقِوَام السنة في «المحجة» (٧١)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٣٦).

ذكره الذهبي في «العلو» (٦٧)، وقال: إسناده لين، وعبد السلام هو ابن عجلان، وللحديث طُرق، وخرجه أبو داود، وبعضه الترمذي. اهـ

وروىٰ البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨) نحوه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بينما رجلٌ يمشي قد أعجبته جُمَّتُه وبُرداه، إذ خسفَ به الأرض، فهو يتجلجلُ في الأرضِ حتىٰ تقومَ الساعة**».

عن غيرِهِ.

وما تَصنعُ فيه بأثرٍ بعد قولِ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء:٥٨]؛ لأنه لا يُقال لشيءٍ: (إنه سميعٌ بصيرٌ)، إلَّا لِمن هو مِن ذوي الأسماعِ والأبصارِ.

وقد يُقالُ في مَجازِ الكلامِ: (الجبالُ والقصور تتراءىٰ وتَسمعُ)(١)، علىٰ معنىٰ: أنها يُقابلُ بعضُها بعضًا، وتَبلُغُها الأصواتُ ولا تفقَه، ولا يقالُ: (جبلٌ سميعٌ بصيرٌ)، و(قَصرٌ سَميعٌ بصيرٌ) لأنه (سميعٌ) مُستحيلٌ ذلك إلَّا لمن يَسمعُ بسمعٍ، ويُبصرُ ببصرٍ.

فإن أنكرَ أصحابُ المريسيِّ ما قلنا فليُسمُّوا شيئًا ليس مِن ذوي الأسماعِ والأبصارِ أجازتِ العربُ أن يقولوا: (هو سميعٌ بصيرٌ)، فإنهم لا يأتون بشيءٍ يجوزُ أن يُقالُ له ذلك.

١١٤- وادَّعيتَ أيُّها المَريسيُّ في قول الله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨].

وفي قوله: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠].

فادَّعيتَ: **(أن هذا ليس منه بإتيانٍ؛ لما أنه غيرُ مُتحرِّكٍ عندك، ولكن يأتي [بـ]ـيومِ القيامةِ(٢) بزعمِك).**

---

(١) المراد بالمجاز هاهنا: ما يجوز في كلام العرب وخطابهم كما تقدم (برقم/ ٥٧).

(٢) ما بين [ ] يقتضيه السياق، وفي (ج): (يأتي بالقيامة).

وقوله: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، [يأتي اللهُ بأمرِه في ظُلَلٍ مِن الغَمامِ]، ولا يأتي هو بنفسِه(١).

ثم زعمتَ: أن معناه كمعنى قوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ [الحشر: ٢](٢).

فيُقالُ لهذا المريسيِّ: قاتَلَكَ اللهُ! ما أجرَأَكَ على اللهِ وعلى كتابِهِ بلا علمٍ ولا بصرٍ!(٣).

---

(١) سيأتي قول المُصنف برقم (٣٠٣): (أرأيتك إذا فسَّرتَ قوله: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، فزعمتَ أنَّ الله أضمرَ في ذلك أمرَه، كما أضمرَ في القريةِ والعِيرِ أهلَها).

(٢) سيكرر المُصنِّف برقم (٣٠٣) مناقشة الجهمي في دعواه هذه.

(٣) وقاتل الله جميع المُعطِّلة ممَّن حرَّفَ هذه النصوص الواضحة البيِّنة.

وإنك لتعجب أن يكون تحريف المريسي هذا هو الدارج في كثير من التفاسير وشروح الأحاديث التي تَسلَّطَ عليها المُعطِّلة بالتحريف، ومن ذلك:

- قال أبو الحسن الطبري الأشعري: فإن قيل: فما تقول في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، وفي قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] - وذكر نحوها من الآيات - قيل له: إن الله سبحانه قد صحَّ أنه لا يجوز وصفه بالإتيان والمجيء الذي بمعنى الانتقال والزوال، إذ كان ذلك من صفات الأجسام، تعالى الله أن يكون جسمًا عرضًا، وكلام العرب واسع له ظهرٌ وبطنٌ لاتِّساع العرب في المجازات وطرق الكلام... إلخ. ثم أولَّها بتأويلات المريسي.

- وقال ابن عطية في «المَحرَّر الوجيز» (١/ ٢٨٣): والمعنى يأتيهم حكمُ الله، وأمره، ونهيه، وعقابه إياهم .. وقال قوم: بل هو توعد بيوم القيامة، وقال قوم: قوله: ⇐

=

﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢١٠]، وعيد بيوم القيامة. اهـ

- وقال (٢/ ٣٦٦) في قوله: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨].. بحذف مُضاف تقديره: أمر ربِّك، أو بطش ربِّك، وإلَّا فالإتيان المفهوم مِن اللغةِ مُستحيلٌ في حقِّ الله تعالىٰ. اهـ

قلت: فمن الذي جعله مُستحيلًا في حقِّ الله تعالىٰ وقد أثبته سبحانه لنفسِه؟!

- وقال ابن فورك في «بيان مشكل الحديث» (ص٢٠٩): فقد قال بعض أهل التفسير: إن معناه: هل ينظرون إلَّا أن يأتيهم الله بالعذابِ في ظُللٍ من الغمام، وهذا سائغ في اللغة. اهـ

- وقال البيضاوي في «تفسيره» (١/ ١٣٤): ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢١٠]، أي: يأتيهم أمره أو بأسه. اهـ

- وفي «التفسير الوسيط» لجماعة من علماء الأزهر (١/ ٣٢٩): المرادُ من (إتيان الله لهم في ظُلل): إتيان بأسه وعذابه. ففي الكلام مُضافٌ مُقدَّر. اهـ

وكل ذلك تحريفٌ من تحريف المريسي يخالف ظاهر الآية ومدلولها.

- قال الكرجي القصَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نكت القرآن» (١/ ١٦٠): قوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]: حُجَّة علىٰ الجهمية واضحة فيما ينكرون مِن الحركة والنزول إلىٰ سماءِ الدنيا. اهـ

- وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح الباري» (٧/ ٢٢٨): ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠]، وقال: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ﴾ [الأنعام:١٥٨]، وقال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [الفجر]، لم يتأوَّل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ولا التابعون شيئًا مِن ذلك، ولا أخرجوه عن مدلوله، بل روي عنهم ما يدلُّ علىٰ تقريره، والإيمان به، وإمراره كما جاء. اهـ

=⇦

أنبأكَ اللهُ أنه إتيانٌ، وتقول: ليس إتيانًا، إنما هو قوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل:٢٦].

لقد ميَّزتَ بين ما جمعَ اللهُ، وجمعتَ بين ما ميَّزَ اللهُ، ولا يجمعُ بين هذين في التأويلِ إلَّا كلُّ جاهلٍ بالكتابِ والسُّنةِ؛ لأنَّ تأويلَ كلِّ واحدٍ منهما مقرونٌ به في سياقِ القراءةِ، لا يجهلُه إلَّا مثلُك(١).

وقد اتفقتِ الكلمةُ مِن المسلمين: أنَّ اللهَ تعالىٰ فوقَ عرشه فوق سماواته، وأنه لا ينزلُ قبلَ يومِ القيامةِ لعقوبةِ أحدٍ مِن خلقِه، ولم يَشُكُّوا أنه ينزلُ يومَ القيامةِ ليفصِلَ بين عبادِه، ويُحاسبَهم ويُثيبُهم، وتشقَّقُ السماواتُ يومئذٍ لنزولِه، ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان]، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة]، كما قال الله ورسوله.

=

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (١/ ١٤١): قول تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨]، فلما ذكر إتيانه سبحانه ربما تُوهَّم مُتَوَهِّمٌ أن المراد إتيان بعض آياته أزال هذا الوهم ورفعه بقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾، فصار الكلام مع هذا التقسيم والتنويع نصًّا صريحًا في معناه لا يحتمل غيره. اهـ

(١) وهذه قاعدة مُهمَّة ينبغي التنبه لها عند تفسير وتأويل نصوص الكتاب والسُّنة: أن تُحمل الألفاظ علىٰ لغة العرب التي خاطبنا الله تعالىٰ بها، وأن يُنظر في السياقِ التي سيقت فيه هذا الكلمات حتىٰ يستبين المعنىٰ فلا يأتي بمعنًى لم يرده الله عَزَّوَجَلَّ ولا رسوله ﷺ. وسيزيد المُصنف هذه القاعدة بيانًا فيما سيأتي مِن الأسطر.

فلمّا لم يشُكَّ المسلمون أنَّ اللهَ لا ينزلُ إلىٰ الأرضِ قبلَ يومِ القيامةِ لشيءٍ مِن [١٨/ أ] أُمورِ الدنيا، عَلِموا يقينًا أن ما يأتي الناسَ مِن العقوباتِ إنما هو أمرُه وعذابُه.

• فقوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ [النحل:٢٦]، يعني: مَكرُه مِن قِبَلِ قواعِدِ بُنيانِه، ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل:٢٦].

فتفسيرُ هذا (الإتيان): خُرورُ السقفِ عليهم مِن فوقِهم.

• وقوله: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْ﴾ [الحشر:٢]: مَكَرَ بهم، ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحشر:٢]، وهم بَنو قُريظة(١).

فتفسيرُ (الإتيان) مَقرونٌ بهما: خُرورُ السقف، والرُّعب.

١١٥- وتفسيرُ (إتيانِ الله) يومَ القيامةِ منصوصٌ في الكتابِ مُفسَّرٌ.

• قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة].

فقد فسَّرَ اللهُ تعالىٰ المعنيينِ تفسيرًا لا لَبسَ فيه، ولا يَشتَبِه علىٰ ذي عقلٍ.

---

(١) كذا في الأصل، والآيات نزلت في بني النضير.

فقال فيما يُصيبُ به مِن العقوباتِ في الدنيا: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس:٢٤].

فحينَ قال: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾، عَلِمَ أهلُ العلمِ أن أمرَه يَنزِلُ مِن عنده مِن السماءِ، وهو على عرشِهِ، فلمَّا قال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقة]، الآيات التي ذكرنا.

• وقال أيضًا: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان].

• و﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة](١).

• و﴿دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر].

عُلِمَ بما قصَّ اللهُ مِن الدليلِ، وبما حدَّ لنزولِ الملائكةِ يومئذٍ، أنَّ هذا إتيانُ اللهِ بنفسِهِ يومَ القيامةِ لِيَلِي مُحاسبةَ خلقِه بنفسِه، لا يلي ذلك أحدٌ غيره، وأنَّ معناه مُخالفٌ لمعنىٰ إتيانِ القواعدِ، لاختلافِ القضيتين.

ألا ترىٰ أيُّها المَريسيُّ أنه قال: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل:٢٦]، ولم يذكرُ عندها نفخَ الصورِ، ولا تَشقُّقَ السماءِ، ولا تنزُّلَ

---

(١) في «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (١١٤٨) عن قتادة في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠]، قال: يأتيهم الله عَزَّوَجَلَّ في ظُللٍ مِن الغمامِ، وتأتيهم الملائكةُ عند الموت.

الملائكةِ، ولا حملَ العرشِ، [ولا إتيان الملك صفًا صفًا]، ولا يومَ العرضِ، ولكن قال: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٢٦]، في دنياهم، ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [النحل]، فردَّ الإتيان إلىٰ العذابِ، ففرَّقَ بين المعنيينِ ما قرنَ بينهما[1] مِن الدلائلِ والتفسيرِ.

وإنما يُصرفُ كل معنًى إلىٰ معنَىٰ الذي يَنصرِفُ إليه، ويَحتمِلُه في سياقِ القولِ، إلَّا أن يَجِدَ الشيءَ اليسيرَ في الفَرطِ، يجوزُ في المجازِ بأقلِّ المعاني وأبعدِها عن العقولِ، فيَعمِدُ إلىٰ أكثر معاني الأشياءِ وأغلَبِها فيَصرِفُ المشهوراتِ منها إلىٰ المغموراتِ المُستحالاتِ؛ يُغالِطُ بها الجُهَّالَ، ويُروِّجُ عليهم به الضلالَ، فيكونُ ذلك دليلًا منه علىٰ الظِّنَّةِ والرِّيبة، ومُخالفةِ العامَّةِ، والقرآنُ عربيٌّ مُبينٌ، تُصرفُ معانيه إلىٰ أشهرِ ما تعرِفُه العربُ في لغاتِها، وأعمِّها عندهم.

فإن تأوَّلَ متأوِّلٌ مِثلُك جاهِلٌ في شيءٍ منه خصوصًا أو صرَفَه إلىٰ معنًى [١٨/ب] بعيدٍ عن العمومِ بلا أثرٍ، فعليه البيِّنةُ علىٰ دعواه وإلَّا فهو علىٰ العمومِ أبدًا كما قال الله تعالىٰ[2].

---

(١) في (ب): (ما فرَّق بهما).

(٢) وسيأتي كذلك زيادة بيان عند قوله (فقرة/ ٣٧٦): (لا يحكمُ للأغربِ مِن كلامِ العربِ علىٰ الأغلبِ، ولكن نصرف معانيها إلىٰ الأغلبِ، حتىٰ تأتوا ببُرهان أنه عنىٰ بها الأغرب...) إلخ.

- وتقدم قوله في (فقرة/ ٨٦): فإذا ادَّعيتَ أن اليد عُرفت في كلام العربِ أنها: ⇐

وقد كفانا رسولُ الله ﷺ وأصحابُه تفسير هذا (الإتيان)، حتىٰ لا نحتاجَ له منك إلىٰ تفسيرٍ، ولو لم يأتِ عن رسولِ الله ﷺ، وعن أصحابِهِ فيه أثرٌ؛ لم تكن ممَّن يُعتمدُ علىٰ تفسيرِكَ؛ لِمَا أنك فيه ظَنِينٌ[1] غيرُ أمينٍ.

= (نعمة)، و(قوَّة)؛ قلنا لك: أجل، ولسنا بتفسيرها منك أجهل، غير أن تفسير ذلك يستبين في سياقِ كلام المُتكلِّم حتىٰ لا يُحتاج له مِن مثلك إلىٰ تفسير. اهـ

– وقال السِّجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته في الحرف والصوت» (ص١٥٢): الواجب أن يُعلمَ أنَّ اللهَ تعالىٰ إذا وصفَ نفسَه بصفةٍ معقولة عند العربِ، والخطابُ وردَ بها عليهم بما يتعارفون بينهم، ولم يُبيِّن سبحانه أنّها بخلاف ما يعقِلونه، ولا فسَّرها النبي ﷺ لَمَّا أدّاها بتفسيرٍ يُخالف الظَّاهر، فهي علىٰ ما يعقلونه ويتعارفونه. اهـ

– وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (١/ ١٧٨): وأمَّا المعتزلة والجهمية وغيرهم مِن المُتكلِّمين فمرادُهم بالتأويل: (صرف اللفظِ عن ظاهرِه)، وهذا هو الشائع في عُرفِ المُتأخِّرين من أهلِ الأصولِ والفقهِ .. وقد حكىٰ غير واحدٍ إجماع السَّلفِ علىٰ عدمِ القولِ به. اهـ

وبيّن أن التأويل طاغوت من طواغيت أهل التحريف، وأطال في بيانه وبطلانه.

– وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمن بن حَسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عيون الرسائل» (٢/ ٥٦١): والتأويل في عُرف هؤلاء: (صرف الكلام عن ظاهرِه، وعن المعنىٰ الراجحِ إلىٰ المعنىٰ المرجوح)، ومن سلكَ هذه الطريقةَ في أخبار الرسول ﷺ، ونُصوص القرآن، فقد فتحَ علىٰ نفسِه باب الإلحادِ والزندقةِ، وليس في كلامِ الله، وكلام رسولِه ما ظاهره ومعناه الراجح غير مُراد؛ لأن الظاهر هو اللائق بحال الموصوف، وبلغة المتكلِّم وعُرفِهِ، لا ما يظنه الأغبياء الجُهّال مما لا يصح نسبته إلىٰ الله وإلىٰ رسوله ﷺ. اهـ

(١) في «الصحاح» (٦/ ٢١٦٠): (الظَّنينُ): الرجل المُتَّهَمُ. والظِنَّةُ: التُّهْمَة. اهـ

١١٦- حدثنا نُعيم بن حماد، ثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَجمعُ اللهُ الناسَ يومَ القيامةِ فيقولُ: مَن كان يَعبدُ شيئًا فليتَّبِعه، قال: فيقولُ المؤمنون: هذا مكاننا حتىٰ يأتينا ربُّنا. فإذا جاء ربُّنا عرفناه، فيأتيهم اللهُ، فيقولُ: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربُّنا فيَتَّبِعونه»(١).

١١٧- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في هذه الآية: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان]، قال: يُنزَّلُ أهلُ السماءِ الدنيا، وهم أكثرُ مِن أهلِ الأرض، ومِن الجنِّ والإنسِ، فيقولُ أهل الأرض: أفيكم ربُّنا؟ فيقولون: لا، وسيأتي. ثم تشَقَّقُ السماءُ الثانية، - وساقه إلى السماء السابعة -، قال: فيقولون: أفيكم ربُّنا؟ فيقولون: لا وسيأتي، ثم يأتي الربُّ تبارك وتعالىٰ في الكَرُوبيِّين(٢)، وهم أكثرُ مِن أهلِ السماواتِ والأرضِ(٣).

١١٨- حدثنا عبد الله بن صالح المصري، ثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال:- وتلا هذه الآية: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]، قال: يُبدِّلُها الله يومَ القيامةِ بأرضٍ مِن فِضةٍ، لم تُعمل عليها الخطايا، يَنزِلُ عليها

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٩٨)، والحديث متفق عليه.

(٢) وهم سادة الملائكة المقرَّبون كما تقدم معناه في «الرد علىٰ الجهمية» (١٠٢).

(٣) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٠٢)، ويشهدُ له الأثر رقم (١١٩).

الجبَّارُ(١).

١١٩- **وحدثنا** أحمد بن يونس، ثنا أبو شِهاب، عن عوفٍ، عن أبي المنهال، عن شهرِ بن حوشب، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا كان يومُ القيامةِ مُدَّتِ الأرضُ مَدَّ الأديم، فإذا كان ذلك قيضَت(٢) هذه السماءُ الدنيا علىٰ أهلِها فنُثِروا علىٰ وجهِ الأرضِ، فإذا أهلُ السماءِ الدنيا أكثرُ مِن جميعِ أهلِ الأرضِ، فإذا رآهم أهلُ الأرضِ فزعوا، وقالوا: أفيكم ربُّنا؟ فيقولون: ليس فينا وهو آتٍ. قال: ثم يَقِيضُ السماء الثانية - وساق [الحديث] إلىٰ السماء السابعة - قال: فلأهلُ السماءِ السابعةِ وحدهُم أكثر مِن أهلِ سِتِّ سماواتٍ، ومِن جميعِ أهلِ الأرضِ بالضعفِ، قال: ويجيء اللهُ تعالىٰ فيهم، والأُمم جُثًا صفوفٌ، قال: فيُنادي مُنادٍ: ستعلمون اليومَ مَن أصحابُ الكَرَمِ(٣).

ومَن يَلتفِتُ أيُّها المريسيُّ إلىٰ تفسيرِكَ المُحال في إتيانِ اللهِ يومَ القيامةِ، ويدعُ تفسيرَ رسولِ الله ﷺ وأصحابه إلَّا كلُّ جاهِلٍ مجنونٍ، خاسِرٍ مَفتونٍ، لما أنك مغبونٌ في الدِّينِ مأبونٌ(٤)، وعلىٰ تفسيرِ كتابِ اللهِ غيرُ مأمونٍ؟!

ويلكَ ! أيأتي اللهُ بالقيامةِ ويتغيَّبُ هو بنفسِهِ؟ فمَن يُحاسِبُ الناسَ يومئذٍ؟

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٠١).

(٢) (الأديم): الجلد. و(قيضت): قال شمر: قِيضَتِ السماءُ، أي: نُقِضَتْ، يقال: قُضْتُ البناءَ فانقاضَ. «تهذيب اللغة» (٩/ ١٧٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٧٥٢٩)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٧٣)، من طريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه يُحسَّن الأثر.

(٤) يقال: (رجل مأبون) أي: مقروف بخلة مِن السوء. «الغريب» لابن قتيبة (١/ ٥٠٦).

لقد خشيتُ علىٰ مَن ذهَبَ مذهبَك هذا واستيقنَ أنه لا يؤمنُ بيومِ الحسابِ(١). [١٩/أ]

١٢٠- وادَّعيتَ أيها المريسيُّ: **(أن قول الله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، **وادَّعيتَ أن تفسيرَ (القيوم) عندك: (الذي لا يزول)، يعني: الذي لا يَنزِلُ، ولا يَتحرَّكُ، ولا يَقبضُ، ولا يَبسُطُ**(٢)).

وأسندتَ ذلك عن بعضِ أصحابِك غيرَ مُسمَّىٰ: عن الكَلبيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال: (القيومُ): الذي لا يزولُ(٣).

وعند أهلِ البصرِ، ومع رِوايتِك هذه عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما دلائلُ وشواهِدُ أنها باطِلٌ.

إحداها: أنك أنت رَويتَها، وأنتَ المُتَّهمُ في توحيدِ اللهِ.

والثانية: أنك رَويتَه عن بعضِ أصحابِك غير مُسمَّىٰ، وأصحابُك مِثلُك في الظِّنَّةِ والتُّهمَةِ.

والثالث: أنه عن الكلبيِّ(٤)، وقد أجمعَ أهلُ العلمِ بالأثرِ علىٰ أن لا

---

(١) وسيأتي قوله كذلك (فقرة/ ٣٠٣): (ويلك ! لو كانت الملائكةُ هي التي تجيءُ وتأتي دونه؛ ما قالت الملائكةُ: (لم يأتِ ربُّنا، وهو آتٍ)، والملائكةُ آتيةٌ نازِلةٌ حين يقولون ذلك).

(٢) وهو كذلك عند الكُلَّابية والأشاعرة والماتريدية وسائر المُعطِّلة.

(٣) تقدم (برقم/ ٤٧) مناقشة المُصنِّف للمريسي في تفسيره (القيوم) بالذي لا يزول.

(٤) في «الميزان» (٣/ ٥٥٨): محمد بن السائب أبو النضر الكوفي المُفسِّر، النسابة =

يَحتجُّوا بالكلبيِّ في أدنىٰ حلالٍ ولا حرامٍ، فكيفَ في تفسيرِ توحيدِ اللهِ، وتفسيرِ كتابِه؟ وكذلك أبو صالح(١).

ولو قد صحَّت رِوايتُك عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال: (القيومُ: الذي لا يزولُ)، لم نَستنكِره، وكان معناه مفهومًا واضِحًا عند العلماءِ.

وعند أهلِ البصرِ بالعربيةِ أن معنىٰ: (لا يزولُ): لا يفنىٰ ولا يَبِيدُ، لا أنه لا يتحرَّكُ، ولا يزولُ مِن مكانٍ إلىٰ مكانٍ إذا شاء(٢)، كما كان يُقالُ للشيءِ الفاني: هو زَائلٌ، كما قال لبيدُ بن ربيعة:

ألاَ كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطِلُ ... وكلُّ نعيمٍ لا مَحَالةَ زَائِلُ

= الأخباري. قال سفيان الثوري: قال لي الكلبي: كل ما حدَّثتك عن أبي صالح فهو كذب. وقال الجوزجاني وغيره: كذابٌ. وقال الدارقطني وجماعة: متروك. اهـ

- قال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «الجرح والتعديل» (٧/ ٢٧١): الناس مجتمعون علىٰ ترك حديثه، لا يشتغل به، هو ذاهب الحديث. اهـ

(١) أبو صالح باذام، ويقال: باذان مولىٰ أم هانئ رضي الله عنها، تابعيٌّ.

قال يحيىٰ بن معين: أبو صالح مولىٰ أم هانئ ليس به بأس، فإذا روىٰ عنه الكلبيِّ فليس بشيءٍ، وإذا روىٰ عنه غير الكلبيِّ فليس به بأس؛ لأن الكلبيَّ يُحدِّث به مرَّة من رأيه، ومرَّة عن أبي صالح، ومرَّة عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال أبو حاتم: أبو صالح باذان صالح الحديث، يُكتب حديثه، ولا يُحتجُّ به.

انظر: «الجرح والتعديل» (٢/ ٤٢٢).

(٢) انظر التعليق علىٰ هذه العبارة عند قول المُصنِّف (فقرة/ ٣٠٢): (وأمَّا ما ادَّعيتَ مِن (انتقالِ مكانٍ إلىٰ مكانٍ) أنَّ ذلك صفة المخلوقين، فإنا لا نُكيِّفُ مَجيئَه وإتيانَه أكثرَ ممَّا وصفَ الناطِقُ من كتابه، ثم ما وصف رسولُه ﷺ).

يعني: فانٍ، لا أنه مُتحرِّكٌ.

فإنَّ أمارةَ ما بين الحي والميتِ: التحرُّكُ، وما لا يتحرَّكُ فهو ميِّتٌ، لا يُوصفُ بحياةٍ، كما وصفَ اللهُ تعالىٰ الأصنامَ الميِّتةَ، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ۝٢١﴾ [النحل].

فاللهُ الحيُّ القيومُ القابضُ الباسطُ، يتحرَّكُ إذا شاءَ، ويفعلُ ما يشاءُ، بخلافِ الأصنامِ الميِّتةِ التي لا تَزُولُ حتىٰ تُزَالَ(١).

١٢١- واحتججتَ أيضًا أيُّها المريسي في نفي التحريكِ عن الله عَزَّوَجَلَّ والزوال بحُجَجِ الصِّبيانِ فزعمتَ: (**أن إبراهيمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حين رأى كوكبًا وشمسًا وقمرًا**، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ۝٧٦﴾ [**الأنعام**]).

ثم قلتَ:

(**فنفىٰ إبراهيمُ المَحبةِ مِن كلِّ إلهٍ زائلٍ، يعني: أن اللهَ إذا نزلَ مِن سماءٍ إلى سماءٍ، أو نزلَ يومَ القيامةِ لمُحاسبةِ العبادِ، فقد أفلَ وزالَ كما أفلَ الشمسُ والقمرُ، فتَنصَّلَ مِن رُبوبيَّتِهما إبراهيم**(٢)).

---

(١) تقدم برقم (٤٧) الكلام عن إثبات الحركة لله تعالىٰ.

(٢) وقد تابع كثير مِن المُعطِّلة للصِّفات إمامهم المريسي في الاستدلال بهذه الآية علىٰ نفي صفات الله تعالىٰ الاختيارية بدعوىٰ نفي حدوث الحوادث عنه، ومِن ذلك:

- قال أبو الحسن الطبري الأشعري: ولا يجوز حمل ذلك علىٰ النزول والنُّقلة ⇐

=

... لما فيه مِن تفريغ مكانٍ وشغل آخر، والقديم قد جلَّ أن يكون موصوفًا بشيءٍ مِن ذلك كذلك، وقد حكىٰ الله عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾. اهـ

– وقال الرازي في استدلاله علىٰ نفي صفات الأفعال: (الثالث): قول الخليل: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾، يدلُّ علىٰ أن المُتغيّر لا يكون إلهًا. اهـ

[«درء تعارض العقل» (٢/ ٢١٦)].

– وقال أبو السعود في «تفسيره» (٣/ ١٥٣): ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أي: غرب، ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾، أي: الأرباب المُنتقلين مِن مكانٍ إلىٰ مكانٍ، المُتغيِّرين من حالٍ إلىٰ حالٍ، المُحتجبين بالأستار، فإنهم بمعزلٍ مِن استحقاق الربوبية. اهـ

– وقال الآمدي: الحُجَّة الرابعة: أنه لو قامت الحوادث بذاته لكان مُتغيِّرًا، والتغير علىٰ الله مُحالٌ، ولهذا قال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾، أي: المُتغيرين. [«الدرء» (٤/ ٧١)]

– وقال ابن حزم في «الفصل» (٢/ ١٣٢): وقد حَمِدَ الله إبراهيم خليله ورسوله وعبده ﷺ إذ بيَّن لقومه بنقلة القمر أنه ليس ربًّا، فقال: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾، وكل مُنتقل عن مكانٍ فهو آفِلٌ عنه تعالىٰ الله عن هذا، وكذلك القول في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [الفجر]، وقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، فهذا كله علىٰ ما بيَّنا من أن المجيء والإتيان يوم القيامة فِعلٌ يفعله الله تعالىٰ في ذلك اليوم يُسمَّىٰ ذلك الفعل: مجيئًا وإتيانًا. اهـ

فهذا كله علىٰ مذهب المريسي الجهمي وطريقته في التحريف ونفي الصفات.

– قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الدرء» (١/ ٣١٠): ومِن عجائب الأمور: أن كثيرًا مِن الجهمية نُفاة الصفات والأفعال، ومَن اتَّبعهم علىٰ نفي الأفعال: يستدلون علىٰ

=

= ذلك بقصَّة الخليل ﷺ، كما ذكر ذلك بشر المريسي، وكثيرٌ مِن المعتزلة، ومَن أخذ ذلك عنهم، أو عمَّن أخذ ذلك عنهم، كأبي الوفاء ابن عقيل، وأبي حامد [الغزالي]، والرازي، وغيرهم، وذكروا في كُتُبِهم أن هذه الطريقة هي طريقة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾، قالوا: فاستدلَّ بالأفول الذي هو الحركة والانتقال علىٰ حدوث ما قام به ذلك، كالكوكب والقمر والشمس... إلخ - ثم بيَّنَ بطلان هذا القول من أوجه كثيرة -، وقال: إن هذا القول الذي قالوه لم يقله أحدٌ مِن علماء السلف أهل التفسير، ولا مِن أهل اللغة، بل هو من التفسيرات المبتدعة في الإسلام، كما ذَكَرَ ذلك عثمان بن سعيد الدارمي وغيره مِن علماء السُّنة، وبَيَّنوا أن هذا من التفسير المُبتدع. اهـ

- وقال في «جامع الرسائل» (٢/ ٥٠): قالوا: حلول الحوادث به أفول؛ والخليل قد قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾، و(الآفل) هو المُتحرِّك الذي تقوم به الحوادث، فيكون الخليل قد نفىٰ المَحبَّة عمَّن تقوم به الحوادث فلا يكون إلهًا.

و(الجواب): أن قصَّة الخليل حُجَّة عليهم لا لهم؛ وهم المخالفون لإبراهيم ولنبينا ولغيرهما مِن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ وذلك أن الله تعالىٰ قال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ ... الآيات، فقد أخبر الله في كتابه: أنه مِن حين بزغ الكوكب والقمر والشمس وإلىٰ حين أفولها لم يقل الخليل: (لا أُحب البازغين، ولا المُتحرِّكين، ولا المتحوِّلين، ولا أُحب مَن تقوم به الحركات، ولا الحوادث، ولا قال شيئًا ممَّا يقوله النُّفاة حتىٰ أفل الكوكب والشمس والقمر. و(الأفول) باتِّفاق أهل اللغة والتفسير: هو المغيب والاحتجاب؛ بل هذا معلوم بالاضطرار مِن لغة العرب التي نزل بها القرآن، وهو المراد باتِّفاق العلماء.

فلم يقل إبراهيم: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾، حتىٰ أفل وغابَ عن الأبصار، فلم يبق =

فلو قاسَ هذا القياسَ تُركيٌّ طُمطُماني(١)، أو رُوميٌّ أعجميٌّ؛ ما زادَ علىٰ ما قِستَ قُبحًا وسَماجةً.

ويلكَ ! ومَن قال مِن خلقِ اللهِ: إنَّ الله تعالىٰ إذا نَزلَ، أو تَحرَّكَ، أو نَزلَ ليومِ الحسابِ أفلَ في شيءٍ، كما تأفُلُ الشمسُ في عينٍ حَمئةٍ؟

إنَّ اللهَ لا يأفُلُ في خلقٍ سِواه إذا نزلَ أو ارتفعَ كما تأفُلُ الشمسُ والقمرُ والكواكبُ، بل هو العالي علىٰ كلِّ شيءٍ، المُحيط بكلِّ شيءٍ في جميعِ أحوالِهِ مِن نُزولِه وارتفاعِهِ.

وهو الفعَّالُ لما يُريدُ، لا يأفُلُ في شيءٍ، بل الأشياءُ كلها تخشعُ له، والمواضعُ، والشمسُ والقمرُ والكواكبُ خلائقُ مخلوقةٌ، إذا أفَلَت أفلت في

=

مرئيًا، ولا مشهودًا، فحينئذٍ قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾. وهذا يقتضي أن كونه مُتحرِّكًا مُنتقلًا تقوم به الحوادث؛ بل كونه جِسمًا مُتحيِّزًا تقوم به الحوادث لم يكن دليلًا عند إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ نفي مَحبَّتِه. فإن كان إبراهيم إنما استدلَّ بالأفولِ علىٰ أنه ليس ربّ العالمين - كما زعموا -: لزم مِن ذلك أن يكون ما تقدَّم الأفول مِن كونه مُتحرِّكًا مُنتقلًا تحلُّه الحوادث؛ بل ومِن كونه جسمًا مُتحيِّزًا: لم يكن دليلًا عند إبراهيم علىٰ أنه ليس بربِّ العالمين، وحينئذ فيلزم أن تكون قصَّة إبراهيم حُجَّة علىٰ نقيض مطلوبهم؛ لا علىٰ نفسِ مطلوبهم. وهكذا نجدُ أهل البدع لا يكادون يحتجون بحُجَّة سمعية، ولا عقلية إلَّا وهي عند التأمَّل حُجَّة عليهم لا لهم. اهـ

(١) في «الصحاح» (٥/ ١٩٧٦): رجل طمطم بالكسر، أي: في لسانه عُجمة لا يُفصح. اهـ

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (١/ ٧٣): القرآن إنما نزل بلغة العرب لا بلغة العجم والطماطم والأنباط الذين أفسدوا الدين، وتلاعبوا بالنصوص فجعلوها عرضة لتأويل الجاهلين. اهـ

مخلوقٍ، في عينٍ حَمِئةٍ، كما قال الله، والله أعلىٰ وأجَلُّ، لا يُحِيطُ به شيءٌ، ولا يَحتوِي عليه شَيءٌ.

١٢٢- ثم انتدبَ المريسيُّ [١٩/ ب] الضالُّ لردِّ ما جاءَ عن رسولِ الله ﷺ في الرُّؤيةِ في قوله: «**سَترونَ ربَّكم يومَ القيامةِ لا تُضامون في رُؤيتِه كما لا تُضامُّون في رُؤيةِ الشمسِ والقمرِ ليلةَ البدرِ**»(١).

فأقرَّ الجاهلُ بالحديثِ وصحَّحه، وثبَّتَ روايتَه عن النبيِّ ﷺ، ثم تلطَّفَ لردِّه وإبطالِه بأقبح تأويلٍ، وأسمجِ تفسيرٍ(٢).

ولو قد ردَّ الحديثَ أصلًا كان أعذرَ له مِن تفاسيرِه هذه المَقلوبة التي لا يُوافقه عليها أحدٌ مِن أهلِ العلمِ، ولا مِن أهلِ العربيةِ.

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٣٢).

(٢) وهذه الطريقة المريسية في معاملة نصوص الصفات هي المسلوكة في كثيرٍ مِن كتب التفاسير وشروح الأحاديث التي تسلَّط عليها المُعطِّلة من الكُلَّابية والأشعرية والماتريدية وغيرهم كما قال الشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلم - أرشدك الله - أن الذي جرينا عليه أنه إذا وصل إلينا شيءٌ مِن المُصنفات في التَّفسيرِ، أو شرح حديث، اختبرناه، واعتبرنا مُعتقده في: العلوِّ، والصِّفاتِ، والأفعالِ، فوجدنا الغالبَ علىٰ كثيرٍ مِن المُتأخِّرين، أو أكثرهم، مذهب الأشاعرة الذي حاصله: نفي العلوِّ، وتأويل الآيات في هذا الباب بالتَّأويلات الموروثة عن بشرٍ المَريسي، وأضرابه مِن أهل البدعِ والضَّلالِ، ومَن نظرَ في شُروحِ البخاري ومسلم ونحوهما، وجد ذلك فيها.. إلخ. [«هداية الطريق» (ص ١٦٩)].

قلت: وهذا المنهج الذي سلكه المريسي المعطل لا يزال منتشرًا في أُمة محمد ﷺ، فلا بُدَّ من كشفه والتحذير منه بأمثال هذه الكتب.

فادَّعىٰ الجاهلُ: أن تفسيرَ قولِ رسولِ الله ﷺ: «**ستروِنَ ربَّكم لا تُضامون في رؤيتِهِ**»: **تعلمون أن لكم ربًّا لا تشكُّون فيه كما أنكم لا تشكُّون في القمرِ أنه قمرٌ، لا على أنَّ أبصارَ المؤمنين تُدركُه جهرةً يومَ القيامةِ؛ لأنه نفى ذلك عن نفسِه بقولِه:** ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

قال: **وليس على معنى قول المُشبِّهةِ**(١).

فقولُه: «**تَرون ربكم**»: **تعلمون أن لكم ربًّا لا يَعتريكم فيه الشُّكوك**

---

(١) يريد أهل السُّنة، ومِن ذلك قول الجاحظ في كتاب «التوحيد»: إن القول بالرؤية هو خُطبة القول بالتجسيم، والسُّلَّمُ إليه، وهو بابه الذي فيه يلجون، وبه يَشبُّون. اهـ [نقلًا مِن «الصفات» لابن المُحبِّ (٢٧٥٢)].

قلت: وهذه التُّهمة تلقتها الأشعرية عن هؤلاء المريسية الجهمية فأصبحوا ينبزون بها مَن أثبت الصفات علىٰ حقيقتها اللائقة بالله عَزَّوَجَلَّ، وقد تقدم (برقم/ ٨٩) أنها علامة الجهمية.

- قال الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ في «عقيدة أصحاب الحديث» (١٠٢): .. والتشبيه في هذا الخبر وقع للرُّؤية بالرُّؤية، لا للمَرئي بالمرئي. اهـ

- وقال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٦٣٠): وقالت الجهمية: إنكم شبَّهتم ربَّكم بالقمر، فقلتم: «**ترون ربكم كما ترون القمر**»، فتفهَّموا - رحمكم الله - جهلهم وكذبهم، وافتراءهم علىٰ الله تعالىٰ، وعلىٰ رسوله، وعلىٰ المؤمنين من عباده في كلِّ أحوالهم، فهل سمعتم عن أحد أنه قال: إن الله تعالىٰ مثل القمر؟ وإنما يقال: إنه يُرىٰ كما يُرىٰ القمر.

ألا ترىٰ أنك تنظر إلىٰ القمرِ كما تنظر إلىٰ الأرض، وليس القمر مثل الأرض؟ ولكن النظر مثل النظر، فتنظر إلىٰ الشيء العظيم كما تنظر إلىٰ الشيء الصغير، وهما مختلفان، والنظر إليهما واحد. اهـ

والريب، ألا ترون أن الأعمى يجوزُ أن يُقال: (ما أبصرَه)، أي: ما أعلَمَه، وهو لا يُبصرُ شيئًا، ويجوزُ أن يقولَ الرجُلُ: (قد نظرتُ في المسألةِ)، وليس للمسألةِ جِسمٌ يُنظرُ إليه.

فقوله: (نظرتُ فيها)، (رأيتُ فيها)، فتوهَّمتِ المُشبِّهة الرُّؤيةَ جَهْرةً، وليس ذلك مِن جهةِ العِيانِ(١).

---

(١) وهذا المذهب الخبيث لا يزال هو الساري عند كثيرٍ مِن المُتأخِّرين من مُعطِّلة الصفات، فهم يزعمون أنهم يؤمنون بالرُّؤية كما جاءت بها النصوص؛ ولكن من غير مقابلةٍ، ولا جهةٍ، وأنها ليست بالأبصار، وإنما (الرؤية): زيادة يقينٍ في القلب وإدراك بالمرئي، فرجع أمرهم إلىٰ إنكار الرؤية وموافقة الجهمية المريسيّة.

ومن أقوالهم في ذلك:

- قال القاضي عياض في «إكمال المُعلِم» (١/ ٥٤١): وأن الرؤية إدراك يخلقها الله للرائي فيرىٰ المرئي، لكن مجرىٰ العادة تكون علىٰ صفاتٍ وليست بشروط.

- وقال القُرطبي في «المفهم» (١/ ٤١٤): منع فريقٌ مِن المُبتدعة الرُّؤية بناءً منهم علىٰ أن الرؤية يلزمها شروط اعتقدوها عقليةً، كاشتراط البِنية المخصوصة، والمُقابلة، واتّصال الأشعة، وزوال الموانع مِن القُربِ المُفرط، والبُعد المُفرط، والحُجب الحائلة، في خبط لهم وتحكُّم، وأهل الحقِّ لا يشترطون شيئًا مِن ذلك عقلًا سوىٰ وجود المرئي، وأن (الرؤية): إدراك يخلقه الله للرائي، فيرىٰ المرئي.

- وقال الآمدي في «غاية المرام في علم الكلام» (ص ١٦٨): ليس الإدراك إلَّا نوعًا مِن العلوم يخلقه الله تعالىٰ في البصر، وذلك لا يوجب في تَعلُّقه بالمدرك مُقابلة ولا جهة أصلًا. اهـ

- وقال السنوسي في «شرح الوسطىٰ» (ص ٣٧٢): إذ كما صحَّ تفضّله سبحانه بخلقِ إدراك لهم في قلوبهم يُسمَّىٰ العلم يتعلّق به علىٰ ما هو من غير جهةٍ ولا مقابلةٍ، كذلك يصحّ تفضله تعالىٰ بخلق إدراك لهم في أعينهم أو غيرهما يُسمَّىٰ =

=

ذلك الإدراك البصر. اهـ

قلت: فكلُّ ذلك إنكار لحقيقة الرؤية التي أجمع عليها أهل السُّنة والجماعة، وجعلوا من أعظم نعيم أهل الجنة في الجنة: أن يروا ربهم سبحانه وتعالىٰ.

- قال السِّجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته» (ص ٨٣): (بيان موافقتهم للمُعتزلة في كثيرٍ مِن مسائل الأصول، وأنهم زائدون عليهم في القبحِ، وفسادِ القول في بعضها).

قال: وأمَّا موافقتُهم للمُعتزلة: فإن المعتزلة قالت: لا تجوز رؤيةُ الله بالأبصار، وأنه ليس بمَرئيٍّ. وقال الأشعري: هو مَرئيٌّ، ولا يُرىٰ بالأبصارِ عن مُقابلة.

فأظهر خلافَهم، وهو موافقٌ لهم. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٤٣٤): أئمة أصحاب الأشعري المُتأخِّرين كأبي حامد، وابن الخطيب [الرازي] وغيرهما لما تأمَّلوا ذلك عادوا في الرُّؤية إلىٰ قولِ المُعتزلة أو قريب منه، وفسَّروها: (بزيادة العلمِ)، كما يُفسِّرها بذلك الجهمية والمعتزلة وغيرهم، وهذا في الحقيقة تعطيلٌ للرؤية الثابتة بالنصوص والإجماع .. إلخ

- وقال أيضًا (٤/ ٤٠٠): .. لا يُعرف القول بإثبات الرؤية مع نفي كون الله تعالىٰ فوق العالم إلَّا عن هذه الشِّرذمة، وهم بعض أتباع الأشعري ومن وافقهم ... ولهذا تجد هؤلاء الذين يثبتون الرؤية دون العلوِّ عند تحقيق الأمر مُنافقين لأهل السُّنة والإثبات، يُفسِّرون الرُّؤية التي يثبتونها بنحو ما يُفسِّرها به المعتزلة وغيرهم من الجهمية، فهم ينصبون الخلاف فيها مع المعتزلة ونحوهم، ويتظاهرون بالردِّ عليهم، وموافقتهم أهل السُّنة والجماعة في إثبات الرؤية، وعند التحقيقِ: فهم موافقون للمعتزلة، إنما يثبتون من ذلك نحو ما أثبته المعتزلة من الزيادة في العلم، ونحو ذلك ممَّا يقوله المعتزلة في الرؤية، أو بقولُ قريبًا منه، ولهذا يعترف الرازي بأن النزاع بينهم وبين المُعتزلة في الرؤية قريب من اللفظي.

فعُلِمَ أن هؤلاء: حقيقة باطنهم باطن المُعتزلة الجهمية المُعطِّلة، وإن كان ظاهرهم ظاهر أهل الإثبات، كما أن المُعتزلة عند التحقيق: حقيقة أمرهم أمر

=

فيُقالُ لك أيُّها المريسيُّ: أقررتَ بالحديثِ، وثبَّتَّه عن رسولِ الله ﷺ، فأخذَ الحديثُ بحلقِكَ لما أن رسولَ اللهِ ﷺ قد قرنَ التفسيرَ بالحديثِ، فأوضحَه ولخَّصَه، يجمعُها جميعًا إسنادٌ واحِدٌ، حتىٰ لم يدع لمُتأوِّلٍ فيه مقالًا.

فأخبرَ: أنه رُؤيةُ العِيانِ نصًّا، كما توهَّمَ هؤلاء الذين تُسمِّيهم بجهلِكَ: (مُشبِّهةً)، فالتفسيرُ فيه مأثورٌ مع الحديثِ، وأنت تُفسِّرُه بخلافِ ما فسَّرَ الرسولُ، مِن غيرَ أثرٍ تأثُرُه عمَّن هو أعلمُ منك(١).

فأيُّ شقيٍّ مِن الأشقياءِ، وأيُّ غويٍّ مِن الأغوياءِ يتركُ تفسيرَ رسولِ اللهِ ﷺ المقرونَ بحديثه، المعقولَ عند العلماءِ، الذي يُصدِّقُه ناطقُ الكتابِ، ثم يَقبلُ تفسيرَكَ المُحالَ الذي لا تأثُره إلَّا عمَّن هو أجهلُ منك وأضلُّ؟!

أليسَ قد أقررتَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**تَرونَ ربَّكم لا تُضامون فيه كما لا**

الملاحدة نُفاة الأسماء والصِّفات بالكُلية، وإن تظاهروا بالردِّ عليهم، والملاحدة: حقيقة أمرهم حقيقة من يجحد الصَّانع بالكلية، هذا لعمري عند التحقيق .. إلخ.

- قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الرسائل والمسائل النجدية» (٢/ ١٧٧): (الأشعرية يوافقون أهل السُّنة في رؤية المؤمنين ربهم في الجنَّة! ثم يقولون: إن معنىٰ الرُّؤية: إنَّما هو زيادة علم يخلقه الله عَزَّوَجَلَّ في قلب الناظر ببصره، لا رؤية بالبصر حقيقية عيانًا! فهم بذلك نافون للرؤية التي دلَّ عليها القرآن وتواترت بها الأحاديث عن النبي ﷺ) !. اهـ

(١) من ذلك قول النبي ﷺ: «**أمَا إنكم سترون ربَّكم عيانًا، كما تَرون هذا..**»، وقد تقدم تخريجه في «الرد علىٰ الجهمية» (١١٧).

تُضامون في رُؤيةِ الشمسِ والقمرِ».

وإنَّما قال النبيُّ ﷺ لأصحابِه: لا تَشُكُّون يومَ القيامةِ في رُبوبيته.

وهذا التفسيرُ مع ما فيه من مُعاندةِ الرسولِ ﷺ؛ مُحالٌ خارجٌ عن المعقولِ؛ لأن الشكَّ في ربوبيةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ زائلٌ عن المؤمنِ والكافرِ يومَ القيامة، فكلُّ مؤمنٍ وكافرٍ يومئذٍ يَعلمُ أنه ربُّه، لا يَعتريهم في ذلك شَكٌّ، فيقبلُ اللهُ ذلك مِن المؤمنين، ولا يقبلُه مِن الكافرينَ، ولا يَعذُرُهم يومئذٍ بمعرفَتِهم ويقينهم به.

فما فَضْلُ المؤمنِ علىٰ الكافرِ يومَ القيامةِ عندك في معرفةِ الربِّ تعالىٰ؟ إذ مُؤمنُهم [٢٠/ أ] وكافِرُهم لا يَعتَريه في رُبوبيَّته شكٌّ؟!

أوَمَا علمتَ أيُّها المَريسيُّ أنه مَن ماتَ ولم يَعرِف قبلَ موتِه أنَّ اللهَ ربُّه في حياتِه، حتىٰ يعرفَه بعد مماتِه، فإنه يموتُ كافرًا، ومصيرُه [إلىٰ] النارِ أبدًا، ولن ينفعَه الإيمانُ يومَ القيامةِ بما يرىٰ من آياتِه، إن لم يكن آمنَ به مِن قبلُ؟

فما موضعُ بُشرىٰ رسولِ الله ﷺ المؤمنين برؤيةِ ربِّهم يومَ القيامةِ إذ كلُّ مؤمنٍ وكافرٍ في الرؤيةِ يومئذٍ سَواءٌ عندك، إذ كلٌّ لا يعتريه فيه شَكٌّ ولا ريبةٌ؟

أوَلَم تسمع أيُّها المريسيُّ قولَ الله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ [السجدة]، ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٣٠]؟

فقد أخبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عن الكفارِ أنهم به يومئذٍ موقنون، فكيف المؤمنون مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ الذين سألوه: هل نرىٰ ربَّنا؟ وقد علموا قبلَ أن

يسألوه أنَّ اللهَ ربُّهم، لا يعتريهم في ذلك شَكٌّ ولا رَيبٌ.

أوَلَم تسمع ما قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام]؟

يُقالُ في تفسيرِهِ: إنَّه طُلوعُ الشمسِ مِن مغربِها، فإذا لم ينفع الرجلَ إيمانُه عند الآياتِ في الدنيا، فكيف ينفعُه يومَ القيامةِ، فيستحِقُّ بها النظرَ إلىٰ الله تعالىٰ؟

فاعقِل أيُّها المريسيُّ ما يَجلِبُ عليك كلامُك مِن الحُجَجِ الآخذةِ بحلقِكَ.

وأمَّا إدخالُكَ علىٰ رسولِ الله ﷺ فيما حَقَّقَ مِن رُؤيةِ الرَّبِّ يومَ القيامةِ، قولَه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، فإنما يدخلُ علىٰ مَن عليه نزَلَ، وقد عرَفَ ما أرادَ اللهُ به وعَقَلَ، فأوضحَه تفسيرًا، وعبَّرَه تعبيرًا؛ ففسَّرَ الأمرينِ جميعًا تفسيرًا شافيًا كافيًا.

• سَألَه أبو ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل رأيتَ ربَّك؟ - يعني: في الدنيا -.

فقال: «نُورٌ أنَّىٰ أراه»(١).

---

(١) بيَّن المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية» (١٤٨) أن الجهمية استدلوا بهذا الحديث علىٰ نفي الرؤية، وذكر أنَّ هذا في الدنيا، وانظر تعليقي عليه هناك ففيه زيادة بيان.

١٢٣- حدثنا الحوضي وغيره، عن يزيد بن إبراهيم، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم(١).

فهذا معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام:١٠٣] في الحياةِ الدنيا، فحينَ سُئِلَ عن رُؤيتِه في المعادِ، قال: «**نعم، جهرةً، كما ترى الشمسَ والقمرَ ليلةَ البدرِ**». ففسَّرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المعنيين على خلافِ ما ادَّعيتَ(٢).

والعجبُ مِن جهلِكَ بظاهرِ لفظِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، إذ تتوهَّمُ في رؤيةِ اللهِ جهرةً كرؤيةِ الشمسِ والقمرِ، ثم تدَّعي أنه مِن توهُّم مَن سَمَّيتَهم بجهلك [أنهم]: (مُشَبِّهةً)، فرسولُ الله صلى الله عليه وسلم في دعواكَ أوَّلُ المُشَبِّهين؛ إذ شَبَّه رؤيتَه برؤيةِ الشمسِ والقمرِ، كما شبَّهَه هؤلاءِ المُشبِّهون في دعواك.

---

(١) رواه أحمد (٢١٣٩٢)، ومسلم (١٧٨).

- وفي «مستخرج أبي عوانة» (٤٥٣) قال عثمانُ بن خُرَّزاذ: سمعتُ أحمدَ بن حنبل يقول: ما زلتُ مُنكِرًا لحديثِ يزيدَ بن إبراهيم حتى حدثنا عفان، عن هَمام، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق، قال: قلتُ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه: لو رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لَسألْتُه. قال: سألتَه عن ماذا؟ قال: قلتُ: هل رأيتَ ربَّك؟

فقال: سألْتُه، فقال: «**قد رأيتُ نورًا أنَّى أَراه**».

(٢) للسلف تفسيران في نفي الإدراك في هذه الآية:

الأول: ما ذهب إليه المُصنِّفُ من أن نفي الإدراك في هذه الآية يحمل على نفي الرؤية في الدنيا، فلن يرى أحدٌ ربَّه فيها كما دلَّت على ذلك النصوص.

كذا فسَّره ابن راهويه في «مسنده» (٣/ ٦٧٣)، وأحمد في «الرد» (١٢).

والمعنى الآخر: أنه نفي للإدراك والإحاطة به سبحانه، لا نفيًا لرؤيته.

انظر: «الشريعة» (٧٢٦).

١٢٤- وأمَّا أُغلُوطَتُك التي غالطتَ بها جُهَّال أصحابِك في رُؤيةِ اللهِ تعالىٰ يومَ القيامة، فقلت: (**ألا ترى أنَّ قومَ موسى حين قالوا:** ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [النساء:١٥٣]، **أخذتهم الصاعقة؟**

وقالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [البقرة:٥٥]، **فأخذتهم الصاعقة.**

وقالوا: ﴿أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١﴾ [الفرقان].

فادَّعيتَ: (**أنَّ اللهَ أنكرَ عليهم ذلك وعابَهم بسؤالِهم الرُّؤيةَ**).

فيقال لهذا [٢٠/ب] المريسيِّ: تقرأُ كتابَ اللهِ، وقلبُكَ غافِلٌ عمَّا يُتلىٰ عليك [فيه]؟ ألا ترىٰ أن أصحابَ موسىٰ سألوا موسىٰ رُؤيةَ اللهِ في الدنيا إلحافًا(١)، فقالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [البقرة:٥٥].

ولم يقولوا: حتىٰ نرىٰ اللهَ في الآخرةِ، ولكن في الدنيا.

وقد سبقَ مِن اللهِ القولُ بأنه: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]: أبصارُ أهل الدنيا؛ ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ﴾ [النساء:١٥٣]، وسؤالِهم عمَّا حظرَه اللهُ علىٰ أهلِ الدنيا.

ولو قد سألوه رُؤيتَه في الآخرةِ، كما سألَ أصحابُ محمدٍ ﷺ محمدًا ﷺ، لم تُصبهم تلك الصاعِقَةُ، ولم يقُل لهم إلَّا ما قال محمدٌ ﷺ

---

(١) أي: إلحاحًا.

لأصحابِه، إذ سألوه: هل نرىٰ ربَّنا يوم القيامة؟ فقال: «نعم، لا تُضامون في رؤيته».

فلم يَعبهم اللهُ، ولا رسولُه بسؤالِهم عن ذلك، بل حسَّنَه لهم، وبشَّرَهم بها بُشرىٰ جميلةً، كما رويتَ أيُّها المريسيُّ عنه.

وقد بشَّرَهم اللهُ تعالىٰ بها قبلَه في كتابه، فقال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة].

وقال للكُفَّارِ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ [المطففين].

فقومُ موسىٰ سألوا نبيَّهم ما قد حظرَه اللهُ علىٰ أهلِ الدنيا بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

وسألَ أصحابُ محمدٍ ﷺ نبيَّهم ما أخبرَ اللهُ أنه سيُعطيهم، ويُثيبُهم به.

فصُعِقَ قومُ موسىٰ بسُؤالِهم ما لا يكونُ، وسَلِمَ أصحابُ محمدٍ ﷺ بسؤالِهم ما يكون.

ومتىٰ عابَ اللهُ علىٰ قومِ موسىٰ سؤالَ الرُّؤيةِ في الآخرةِ، فتفتري بذلك عليهم؟ تكذِبُ علىٰ اللهِ، وعلىٰ رسولِه، والله لا يُحبُّ الكاذبين.

وقد فسَّرنا أمرَ الرُّؤية، وروينا ما جاءَ فيها مِن الآثارِ في الكتابِ الأول، الذي أمليناه في الجهميةِ(١).

(١) عقد المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الرد علىٰ الجهمية»: (٩/ باب الرؤية).

وروينا منها صدرًا في صدرِ هذا الكتاب أيضًا، فالتمِسُوها هنالِكَ(١)، واعرضوا ألفاظها علىٰ قلوبِكم وعُقُولِكم؛ يَنكشِفْ لكم عَورةُ كلامِ هذا المريسيِّ، وضلالُ تأويلِه(٢)، ودُحُوضُ حُجَّتِه - إن شاء الله تعالىٰ -، ولولا أن يطولَ به الكتابُ؛ لأعدتُ البابَ بطولِهِ وأسانيدِه.

١٢٥- ورويتَ أيها المَريسيُّ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال: «**القلوبُ بين أُصْبُعَيْنِ مِن أصابعِ الرحمن، يُقلِّبُها كيف شاء**».

فأقررتَ بأنَّ النبيَّ ﷺ قالَه، ثم رددتَه بأقبحِ محالٍ، وأوحشِ ضلالٍ، ولو قد دفعتَ الحديثَ أصلًا كان أعذرَ لك مِن أن تُقِرَّ به، ثم تَردَّه بمُحالٍ مِن الحُجَجِ، وبالتي هي أعوجُ.

فزعمتَ أنَّ: (**أصبُعَي الله**): (**قُدرتَيه**)(٣).

---

(١) انظرها: (فقرة / ١١ و١٢)، و(٣٠-٤٣).

وسيُكرِّر كذلك الكلام عن الرؤية برقم و(١٣٧) و(٣٧١).

(٢) فكل مَن سلك مسلك التأويل والتحريف في نصوص الصفات فإمامه المريسي الجهمي في هذا الباب. وقد تقدم في التعليق علىٰ «الرد علىٰ الجهمية» (فقرة/ ٧٠) بيان أن تأويل نصوص الصفات هو مذهب الجهمية.

(٣) وهذا التحريف المُسمَّىٰ (بالتأويل) هو الساري عند كثيرٍ مِن المُتأخِّرين في كتبهم وشروحاتهم، ومِن ذلك:

- قال ابن الأثير في «النهاية» (٣/ ٩): (الأصابع): جمع أصبع، وهي الجارحة، وذلك من صفات الأجسام، تعالىٰ الله عن ذلك وتقدَّس، وإطلاقها عليه مجاز كإطلاق اليد، واليمين، والعين، والسمع، وهو جارٍ مجرىٰ التمثيل والكناية عن سرعة تقلُّب القلوب، وأن ذلك أمر معقود بمشيئة الله تعالىٰ، وتخصيص ذكر ⇐=

وكذلك قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]، أي: في مُلكِه(١).

=

الأصابع كناية عن أجزاء القدرة والبطش. اهـ

- وقال القُرطبي في «المفهم» (٧/ ٣٨٩): إذا جاءنا مثل هذا في كلام الصادق تأوّلناه، أو توقّفنا فيه إلىٰ أن يتبيّن وجهه مع القطع باستحالة ظاهره ... وقد قلنا: إن الأصبع يصحُّ أن يُراد به القُدرة علىٰ الشيء .. إلخ.

- وقال ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٣٨٣): قال ابنُ دقيق: المُراد به: إرادة قلب ابن آدم مُصرَّفةٌ بقُدرةِ الله وما يوقعه فيه. اهـ

فهذا التحريف مأخوذٌ عن المريسي الجهمي فاحذره، وسل ربَّك العافية.

(١) ونحوه قال ابن فورك الأشعري في «مشكل الحديث وبيانه» (ص٩٨): ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ﴾ [الزمر:٦٧]: أي: تحت قُدرته ومُلكه. اهـ

- وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٤١): (اليمين) هنا و(القبضة) وكل ما ورد: عبارة عن القُدرة والقوَّة، وما اختلج في الصدور من غير ذلك باطل، وما ذهب إليه القاضي من أنها صفات زائدة علىٰ صفات الذات قول ضعيف. اهـ

- وقال العِزُّ بن عبد السلام في «تفسيره» (٣/ ١٠٤): (قبضته) أي: هي في مُقدوره، كالذي يقبض القابض عليه في قبضته، (بِيَمِينِهِ) بقوَّته؛ لأن اليمين القوّة، أو في مُلكه. اهـ

قلت: فكُلُّ هذا تأويلٌ وتحريفٌ وتبديلٌ علىٰ مذهب المُعطِّلة.

- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٨٣٧): قالت الجهمية: إنما معنىٰ قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]، كقولك: الدار في قبضة فلان، يعني: في مُلكه، وقد قبضت المال، وليس في كفِّكِ شيءٌ، وكذلك تقول: الأرض والدار والغلام والدابة في قبضتي، فموَّهوا بذلك علىٰ الجاهل، =

فيُقالُ لكَ أيُّها المُعجبُ بجهالتِه: في أيِّ لُغاتِ العربِ وجدتَ أنَّ (أصبُعَيه): (قُدرَتَيه) فأنبِئنا بها، فإنا قد وجدناها خارجةً مِن جميع لُغاتِهم.

إنما هي قُدرةٌ واحِدةٌ قد كفتِ الأشياءَ كلَّها وملأتَها واستنطقتها.

فكيف صارت للقلوبِ مِن بين الأشياءِ قُدرتانِ؟ وكم تَعُدُّها قُدرَةً؟ فإن النبي ﷺ قال: «**بين أصبُعين**»، [٢١/أ] وفي دعواكَ هي أكثرُ مِن قُدرتينِ،

= ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة].

فالقرآن مردودٌ إلىٰ ما جعله الله عليه، فإنه قال: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف:٢]، وقال: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل].

فالجهميُّ الملعون إنما أُتي من جهله باللسانِ العربي، ومن تعاشيه عن الجادَّةِ الواضحة، وطلبه المُتشابه، وبُنيَّاتِ الطرق ابتغاء الفتنة ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل].

فقول الجهمي: (الدار في قبضة فلان)، إنما يُريدُ بذلك المُغالطة، وإدخال الشَّك والريب علىٰ قلبِ الضعفاء مِن المسلمين، فسوَّىٰ بجهله بين القبضِ والقبضة، ألا ترىٰ أنه لا يجوز أن تقول: (الدار في قبضةِ فلان)، فإذا أردت المُلك، وما أشبهه من القبض لم تدخل الهاء، فإن أَردت قبضة اليد، أدخلت الهاء، فكذلك قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر:٦٧]. ولو كان كقول الجهمي لقال: والأرض جميعًا في قبضته، ثم بيَّن فقال: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]. وكذلك جاء عن النبي ﷺ: «**يطوي الله السموات كلها يوم القيامة، ثم يهزُّها، ثم يقول: أنا الجبارُ المُتكبِّر، أين ملوك الأرض؟**». اهـ

وثلاثٍ، وأربعٍ، حكمتَ فيها للقلوبِ قُدرتينِ وسائِرَها لما سِواها.

ففي دعواكَ هذا أقبحُ مُحالٍ، وأبينُ ضلالٍ، فكيف ادَّعيتَ أن الأرضَ قبضتُه يومَ القيامةِ، والسماواتِ مطوياتٌ بيمينه؟ أنها صارت يومَ القيامةِ في مُلكِه، كأنهما كانتا قبلَ يومِ القيامةِ في مُلكِ غيرِه خارجةً عن مُلكه، فكان مغلوبًا عليها في دعواكَ، حتىٰ صارت يومَ القيامةِ في مُلكِه، وما بالُها تَصيرُ في مُلكِهِ يومَ القيامةِ مَطويَّاتٍ، ولا تكونُ في مُلكِهِ مَنشوراتٍ، وما أُراكَ إلَّا ستدرِي أن قوله: ﴿مَطْوِيَّٰتُۢ﴾ [الزمر:٦٧]، ناقضٌ لتأويلِكَ.

١٢٦- وممَّا يزيدُه نقضًا: قوله في المكانِ الآخرِ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

• وقول رسولِ اللهِ ﷺ: «**يَطوِي اللهُ السماءَ يومَ القيامةِ بيمينِه، ثم يقولُ: أنا المَلِكُ**».

ففي قول الله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، وحديث رسوله ﷺ: بيانٌ ومعنًى مُخالفٌ قيلك لا شكَّ فيه.

وكيف أقررتَ بالحديثِ في الإصبَعينِ مِن أصابعِ اللهِ، وفسَّرتَهما قُدرتين؟! وكذَّبت بحديثِ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خمسِ أصابعَ، وهو أجودُ إسنادًا مِن حديثِ الأصبعين؟(١).

---

(١) المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُمرُّ حديث ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ ظاهِره ويُثبتُ لله تعالىٰ خمسة أصابع تليقُ بجلاله وعظمته.

أفلا أقررتَ بحديثِ ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم تأوَّلته: (القُدرةُ) خمسَ قُدراتٍ، كما تأوَّلتَ في الإصبَعين بقُدرتين؟ فإن النبيَّ ﷺ قال: (بين إصبَعين مِن الأصابع).

فأمَّا تكذيبُك بحديثِ ابن مسعودٍ، عن النبي ﷺ: أنَّ حَبْرًا مِن اليهودِ قامَ إليه، فقال: أبلغَكَ أنَّ اللهَ يَحملُ يومَ القيامةِ السماواتِ علىٰ إصبَعٍ، والجبالَ علىٰ إصبَعٍ، والشجرَ علىٰ إصبَعٍ، والماءَ والثرىٰ علىٰ إصبَعٍ، والخلائقَ علىٰ إصبَعٍ، ثم يهُزُّهن، ويقول: أنا الملكُ؟ فضحِكَ رسولُ الله ﷺ تعجُّبًا لما قال الحَبْرُ، وتصديقًا له، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧][(١)].

(١) حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُتفق عليه كما سيأتي تخريجه قريبًا.

- قال عبد الله بن أحمد رَحِمَهُمَا اللَّهُ في «السنة» (٤٧٣): سمعتُ أبي يقول: ثنا يحيىٰ ابن سعيد بحديثِ سفيان، عن الأعمش، عن منصور، عن إبراهيم، عن عَبيدةَ، عن عبدالله، عن النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُمسكُ السَّمواتِ علىٰ إصبَعٍ».

قال أبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وجعل يحيىٰ يُشيرُ بأَصابعه. وأراني أبي كيف جعل يُشيرُ بأصابعِهِ: يضعُ إصبعًا إصبعًا، حتىٰ أتىٰ علىٰ آخرِها.

- قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «منهاج السُّنة» (٢/ ٥٦٢): قد عُلِمَ أن التوراة مملوءة بإثبات الصفات التي تُسمِّيها النفاة: (تجسيمًا)، ومع هذا فلم يُنكر رسول الله ﷺ وأصحابه علىٰ اليهود شيئًا مِن ذلك، ولا قالوا: (أنتم مُجسِّمون)، بل كان أحبار اليهود إذا ذكروا عند النبي ﷺ شيئًا مِن الصفات أقرَّهم الرسول علىٰ ذلك، وذكر ما يُصدِّقه، كما في حديث الحَبر الذي ذكر له إمساك الرب سبحانه وتعالىٰ للسماوات والأرض المذكور في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ ⇦=

فادَّعيتَ: (أن هذه [الآية] نزلت تكذيبًا لِمَا قال الحَبرُ)، ثم قُلتَ: (أفتحتجُّون بقولِ اليهودِ؟!).

فيُقالُ لك أيُّها المريسيُّ: قلَّما رأينا مُفَسِّرًا ومُتكلِّمًا أشدَّ مُناقِضًا لكلامِه منك؛ مرَّةً تقول: الحديثُ يُروىٰ عن النبيِّ ﷺ، وتُفسِّرُه: (قُدرتين)، ومَرَّة

= [الزمر:٦٧] الآية. وقد ثبت ما يوافق حديث الحَبْر في الصِّحاح عن النبيِّ ﷺ من غيرِ وجهٍ مِن حديث ابن عمر وأبي هريرة وغيرهما رضي الله عنهم . اهـ

قلت: وهذا الحديث مِن أشدّ الأحاديث علىٰ المُعطّلة الذي يأخذ بحلوقهم، ولهذا أكثروا مِن الطعن والتشكيك فيه لإبطال ما دلَّ عليه.

ومِن ذلك ما ذكره الخطابي في «أعلام السُّنن» (٣/ ١٨٩٨) عند شرحه هذا الحديث، فقد طعن فيه بأمورٍ، ومنها:

١ - بأنه خبر آحادٍ، لا يُحتجُّ به في أبوابِ إثباتِ الصِّفات.

٢ - أنه مِن قول اليهود المُشبِّهة.

٣ - أنّ الصَّحابي ابن مسعود رضي الله عنه ذكر تصديق النبي ﷺ لليهودي ظنًّا منه.

٤ - أن تبسُّمَ النبيِّ ﷺ مِن كلام اليهودي، كان من بابِ التعجُّب والإنكار، لا مِن باب الإثبات والإقرار!!

ثم أخذَ يصرفُ الحديثَ عن ظاهرِهِ بتأويلات الجهمية المريسية المُعطِّلة.

وقد جمع الخطابي في هذا الكلام أصول المُعطِّلة التي يدورون حولها لردِّ نُصوصِ الصِّفات وإنكار حقيقتها اللائقة بالله تعالىٰ.

وقد بيَّن أهل السُّنة فساد هذا القول وشناعته، وما فيه من رمي للصَّحابي الجليل الفقيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بعدمِ الفهم، إذ ابن مسعود رضي الله عنه فهم مِن غضب النبيِّ ﷺ وإنكاره علىٰ اليهوديِّ، الإقرار منه، والقبول لقوله !!

وسيأتي قريبًا نقل ردّ ابن خُزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره علىٰ هذه الدعوىٰ الكاذبة.

تقولُ: هو كَذِبٌ.

وقولُ اليهودِ تُقِرُّ به مَرَّةً، وتُنكِرُه أُخرَىٰ.

ولو قد كنتَ مِن أهلِ الحديثِ ورُواتِه؛ لعلمتَ أنَّ الأثرَ قد جاءَ به تَصديقًا لليهوديِّ، لا تكذيبًا له كما ادَّعيتَ.

١٢٧- حدثنا أحمد بن يونس، عن فضيل بن عياض، عن منصور، عن إبراهيم، عن عَبيدة، عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ أنه ضَحِكَ مِن قولِ الحَبْرِ تَعجُّبًا لما قال، وتصديقًا له(١).

فعمَّن رَويتَ أيُّها المَريسيُّ أنه قال في حديثِ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال تَكذيبًا له، فأنبِئنا به، وإلَّا فإنك فيها مِن الكاذبين(٢).

---

(١) رواه البخاري (٧٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) هذه الفرية قد تلقفها كثيرٌ مِن شُرَّاح الأشاعرة، ومِن ذلك:

- قال ابن بطال في «شرحه للبخاري» (١٠/ ٤٤٣): قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، هو ردٌّ لما توهَّمه الحَبْر من الأصابع، أي: أن الله أجلُّ مما قدَّرت، وذلك أن اليهود تعتقد التجسيم، فنفىٰ النبي ﷺ ذلك عنه بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]. اهـ

- وقال القُرطبي في «المفهم شرح مسلم» (١٠/ ٢١٨): هذا كله قول اليهودي لا قول النبي ﷺ، والغالب علىٰ اليهود أنهم يعتقدون الجسمية، وأن الله تعالىٰ شخصٌ ذو جوارح، كما تعتقده غُلاة الحشْوية في هذه الأُمة، وضحك النبي ﷺ منه إنما هو تعجُّبٌ من جهله ... فأمَّا رواية من زاد في هذا اللفظ: (تصديقًا له)، فليست بشيءٍ؛ لأنها من قول الراوي، وهي باطلة؛ لأن النبي ﷺ لا يُصدِّق ⇐

وأمَّا تَشنيعُك علىٰ هؤلاءِ المُقَرِّينَ بصفاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، المؤمنين بما قال اللهُ، أنهم يَتوهَّمون فيها (جوارِحَ) و(أعضاءً)، فقد ادَّعيتَ عليهم في ذلك زُورًا [٢١/ ب] باطِلًا، وأنت مِن أعلمِ الناسِ بما يُريدون بها، إنما يُثبتون منها ما أنتَ له مُعطِّلٌ، وبه مُكذِّبٌ.

= الكاذب، ولا المُحال، وهذه الأوصاف في حقِّ الله تعالىٰ مُحال. اهـ

قلت: هذا لو تأملته طعن في النبيِّ ﷺ وفي أصحابه ﭫ بدعوى تعظيم الله تعالى.

- قال ابن خُزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ١٧٨): .. وقد أجلَّ الله قدر نبيه ﷺ عن أن يُوصف الخالق البارئ بحضرته بما ليس من صفاتِهِ، فيسمعه فيضحك عنده، ويجعل بدل وجوب النّكير والغضب علىٰ المُتكلّم به ضَحِكًا تبدو نواجذه تصديقًا وتعجبًا لقائلِهِ، لا يصف النبيَّ ﷺ بهذه الصِّفة مُؤمنٌ مُصدِّقٌ برسالتِه. اهـ

- وقال (١/ ١٨٧): (باب إثبات الأصابع لله تعالىٰ عَزَّوَجَلَّ من سُنّة النبي ﷺ قيلًا له، لا حكايةً عن غيره، كما زعم بعض أهل الجهل والعِنادِ أن خبرَ ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ليس هو قول النبي ﷺ وإنّما هو قول اليهود، وأنكر أن يكون ضَحِكُ النبي ﷺ تصديقًا لليهودي).

- وقال إبراهيم بن أحمد شَاقِلَّا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا قولُ من يرُومُ هدمَ الإسلامِ، والطَّعنَ علىٰ الشَّرعِ؛ لأنّ مَن زعمَ أن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ظنَّ ولم يستيقن، فحكىٰ عن النبي ﷺ علىٰ ظنّه: فقد جعَلَ إلىٰ هدمِ الإسلام مقالتَه هذه بأن يتجاهلَ أهلُ الزَّيغِ، فيتهجَّموا علىٰ كلِّ خبر جاء عن النبي ﷺ لا يوافق مذهبَهُم؛ فيُسقِطُونَه، بأن يقولوا: هذا ظنٌّ من الصَّحابةِ علىٰ رسول الله ﷺ إذ لا فرق بين ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وسائرِ الصَّحابة ﭫ، وهذا ضِدُّ ما أجمع عليه المسلمون، وقد أكذب القرآن مقالة هذا القائل في الآية التي شَهِدَ فيها لابن مسعود بالصِّدق في جُملة الصَّحابة. اهـ [«طبقات الحنابلة» (٣/ ٢٣٢)]

ولا يَتوهَّمون فيها إلَّا ما عَنَىٰ اللهُ تعالىٰ ورسولُه ﷺ، ولا يَدَّعون (جوارحَ)، ولا (أعضاءً) كما تقوَّلتَ عليهم، غيرَ أنك لا تألو في التشنيعِ عليهم بالكذبِ، ليكونَ أروجَ لضلالتك عند الجُهَّالِ(١).

---

(١) وسيأتي قول المُصنِّف (فقرة/ ٣٠٦): (وأمَّا دعواك أنهم يقولون: (جَارِحٌ) (مُركَّبٌ)؛ فهذا كفرٌ لا يقوله أحدٌ مِن المسلمين ... وهذا الذي تُكَرِّرُه مرَّةً بعد مرَّةٍ: (جارحٌ وعُضوٌ) وما أشبهه، حشوٌ وخُرافاتٌ، وتشنيعٌ لا يقوله أحدٌ مِن العالمين).

قلت: ومع ذلك لا يزال هذا التشنيع علىٰ أهل السُّنة قائمًا مُنتشرًا عند كثير من أتباع المريسي وغيرهم، ومن ذلك:

- قال ابن الأثير في «النهاية» (٥/ ٣٠٠): كلّ ما جاء في القرآن والحديث من إضافة: اليد، والأيدي، واليمين، وغير ذلك مِن أسماء (الجوارح) إلىٰ الله تعالىٰ فإنما هو علىٰ سبيل (المجازِ والاستعارةِ)، والله مُنزَّهٌ عن التشبيه والتجسيم. اهـ

- وقال النووي في «شرحه لمسلم» (١٧/ ٧٦): فبسط اليد: استعارة في قبول التوبة. قال المازري: .. وهو مجاز، فإن يد (الجارحة) مُستحيلة في حقِّ الله تعالىٰ.

- وقال القُرطبي في «المفهم» (٣/ ٣٧): كل ما أُطلِقَ علىٰ الله تعالىٰ مما يَدُلّ علىٰ (الجوارح)، و(الأعضاء): كالأعين، والأيدي، والجنب، والأصبع، وغير ذلك، مما يلزم من ظاهره (التجسيم) الذي تدلّ العُقول علىٰ استحالتِه !! فهي كلّها مُتأوّلة في حقِّه تعالىٰ لاستحالة حملها علىٰ ظَواهرها !!. اهـ

- وقال البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٢٧) عند قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥]، قال: فلا يجوزُ أَن يُحمل علىٰ (الجَارِحةِ)؛ لأَن الباري جلَّ جلالُه واحِدٌ، لا يجوزُ عليه (التَّبعِيضُ). اهـ

- وقال الخطابي في «أعلام الحديث» (٣/ ١٨٩٩): وذكر الأصابع لم يوجد في شيء من الكتاب، ولا مِن السُّنة التي شرطها في الثبوتِ ما وصفناه، وليس معنىٰ (اليد) في الصفات بمعنىٰ (الجارحة) حتىٰ يتوهّم بثبوتها ثبوت الأصابع... اهـ

⇦=

= ☜

فكل هذا التشنيع بذلك (الجوارح) و(الأعضاء) في صفات الله تعالىٰ موروثٌ عن أئمة التعطيل والتحريف، فالحمد لله الذي عافانا ممَّا ابتلاهم به.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٤٤٠): وهؤلاء النُّفاة تجدهم دائمًا يعتمدون هذه الطريقة المُتضمنة للتلبيسِ والتدليسِ، وينفون بها حقائق ما أخبر الله به عن نفسه؛ فيأتون إلىٰ ألفاظٍ معناها في اللُّغة العربية أخصّ من معناها في اصطلاحهم؛ فينفون معناها العام الذي اصطلحوا عليه، ويُوهمون الناس أنهم إنما نفوا معناها المعروف في اللغةِ، والناس أوّل ما يَسمعون تلك الألفاظ إنما يفهمون منها معناها اللُّغوي فيوافقونهم علىٰ النفي تعظيمًا لله، وتنزيهًا له، ومرادهم نَفي المعنىٰ العام الذي اصطلحوا عليه، وقد جمعوا في ذلك: تحريف لُغةِ العَربِ عن مَواضعها، وتحريف كلام الله ورسوله عن مواضعه، ولبس الحقّ بالباطل في النّفي والإثبات. فمعرفة مُراد هؤلاء وكلامهم مِن تَمامِ مقاصد الدّين؛ ليتمكّن أهل السُّنة والحديث من ردِّ باطلهم، وتَبيينِ إفكهم. اهـ

- وقال في «الصواعق» (١/ ١٧١): فأهل السنةُ هم الذين كشفوا زيف هذه الألفاظ، وبيَّنوا زخرفها وزغلها، وأنها ألفاظ مموَّهة بمنزلة طعام طيب الرائحة في إناء حسن اللون والشكل، ولكن الطعام مسمومٌ، فقالوا ما قاله إمام أهل السنة أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا نزيلُ عن الله صفة من صفاته لأجل شناعة المُشنعين. اهـ

- وقال أيضًا (٣/ ٩٣٤ - ٩٣٦): ويقولون - يعني: الجهمية -: نحن نُنَزّه الله تعالىٰ عن: (الأعراض)، و(الأغراض)، و(الأبعاض)، و(الحدّود)، و(الجهات)، و(حلول الحوادث)، فيسمعُ الغِرُّ المخدوع هذه الألفاظ فيتوهّم منها أنهم ينزِّهون الله عمّا يفهم من معانيها عند الإطلاق من العيوب والنقائص والحاجة، فلا يشكُّ أنهم يمجدونه ويُعظِّمونه، ويكشف الناقد البصير ما تحت هذه الألفاظ فيرىٰ تحتها الإلحاد، وتكذيب الرُّسل، وتعطيل الرَّبِّ تعالىٰ عما يستحقّه من كماله.

فتنزيههم عن (الأعراضِ): هو جحدُ صفاته: كسمعه، وبصره، وحياته، وعلمه، وكلامه، وإرادته، فإن هذه الأعراض له عندهم لا تقوم إلَّا بجسمٍ، فلو كان مُتَّصِفًا

⇦=

ولئن جزعتَ مِن حديثِ ابن مسعود ﵁، عن النبيِّ ﷺ في قِصَّةِ الحَبْرِ، ما لك رَاحةٌ في روايةِ عائشةَ، وأُمِّ سلمةَ ﵄ وغيرِهم ممَّا يُحقِّقُ حديثَ ابنِ مسعود ﵁، ويُثبِتُ رِوايته.

١٢٨- **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل أبو سلمة، ثنا حماد بن سلمة، عن علي ابن زيد، عن أُمِّ محمدٍ، عن عائشة ﵂: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**قُلوبُ العبادِ بين إصبَعين مِن أَصابعِ اللهِ، إذا أرادَ أن يُقلِّبَ قلبَ عبدٍ قَلَّبَه**»(١).

=

بها لكان جسمًا، وكانت أعراضًا له، وهو مُنزّه عن الأعراض.

وأمَّا (الأغراض): فهي الغاية والحِكمة التي لأجلها يَخلُق، ويفعل، ويأمر، وينهىٰ، ويثيب، ويُعاقب، وهي الغايات المحمودة المطلوبة مِن أمرِه، ونهيه، وفعله، ويسمونها: (أغراضًا منه)، وعِلَلًا يُنزِّهونه عنها.

وأمَّا (الأبعاض): فمُرادهم بتنزيهه عنها؛ أنه ليس له وجهٌ، ولا يدان، ولا يُمسِكُ السموات علىٰ أصبع، والأرض علىٰ أصبع ...

وأمَّا (الحدود والجهات): فمرادهم بتنزيهه عنها أنه: ليس فوق السموات ربٌّ، ولا علىٰ العرش إلهٌ، ولا يُشار إليه بالأصابع، إذ لو كان كذلك لزم إثبات الحدود والجهات، وهو مُنزَّهٌ عن ذلك ...

وأمَّا (حلول الحوادث): فيريدون به أنه لا يتكلم بقُدرته ومشيئته، ولا ينزل كل ليلةٍ إلىٰ سماءِ الدنيا، ولا يجيء، ولا يغضب بعد أن كان راضيًا، ولا يرضىٰ بعد أن كان غضبان، ولا يقوم به فعل البَتّة، ولا أمر مُجدّد بعد أن لم يكن، ولا يريد شيئًا بعد أن لم يكن مُريدًا له ..). اهـ. وسيأتي زيادة بيان تحت رقم (٣٠٦).

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣١٠٤٥)، وأحمد (٢٦٦٧٩)، والترمذي (٣٥٢٢)، وقال: حديث حسن.

قلت: ويشهد له ما أورده المُصنِّف من الأحاديث في هذا الباب.

١٢٩- **وحدثنا** نُعيم بن حماد، ثنا ابن المُبارك، أخبرناه حيوة بن شريح، أخبرني أبو هانئ الخولاني، أنه سَمِعَ أبا عبد الرحمن الحُبُلي يقول: سمعتُ عبد الله بن عَمرِو بن العاص رضي الله عنهما يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**قُلوبُ بني آدمَ كلُّها بين إصبَعين مِن أصابعِ الرحمنِ كقلبٍ واحدٍ، يُصرِّفُ كيفَ شاءَ**»، ثم يقولُ رسولُ الله ﷺ: «**اللهُمَّ مُصرِّفَ القلوبِ، صَرِّف قلوبَنا علىٰ طاعتِكَ**»(١).

١٣٠- **حدثنا** نُعيم بن حمَّاد، ثنا ابن المُبارك، أبنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: سمعت بُسْرَ(٢) بن عُبيد الله، قال: سمعتُ أبا إدريس الخَولاني يقول: سمعتُ النوَّاس بن سَمعان الكِلابي رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ما مِن قلبٍ إلَّا بين إصبَعين مِن أصابعِ الرحمنِ، إن شاءَ أقامَه، وإن شاءَ أزاغَه**». وكان رسولُ اللهِ ﷺ يقول: «**اللهمَّ مُقَلِّبَ القلوبِ! ثبِّت قلوبَنا علىٰ دِينِكَ**»(٣).

١٣١- **حدثنا** عبد الله بن صالح، عن ليث بن سعد، عن يحيىٰ بن سعيد، عن خالد بن أبي عمران، عن أبي عياش بن أبي مهران، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّما قُلبُ ابنِ آدمَ بينَ إصبَعين مِن أصابعِ الرحمنِ**»(٤).

---

(١) رواه أحمد (٦٥٦٩)، ومسلم (٢٦٥٤).

(٢) في المخطوطتين: (بشر)، والصواب ما أثبته كما تقدم التنبيه عليه برقم (٨١).

(٣) تقدم تخريجه برقم (٨١)، وهما حديث واحد، وهو حديث صحيح.

(٤) رواه الطبراني في «الأوسط» (٨٧١٢)، وابن أبي عاصم في «السُّنة» (٢٣٦)، ويشهد له ما تقدَّم.

١٣٢- حدثنا يزيد بن عبد ربِّه الحِمصي، ثنا بقيَّة بن الوليد، عن عُتبة بن أبي حكيم، عن يزيد الرَّقاشي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسُ مُحمدٍ بيدِهِ، لقلبُ ابنِ آدمَ بين إصبَعين مِن أصابعِ الرحمنِ، إذا شاء قال به هكذا - وأمالَ يدَه - وإذا شاءَ قال به هكذا - وأمال يدَه - وإذا شاء ثبَّتَه**»(١).

١٣٣- حدثنا عَمرو بن عون الواسطي، أخبرني عبد الحميد بن بِهرام، عن شَهرِ بن حوشب قال: سمعتُ أُمَّ سلمة رضي الله عنها تُحدِّثُ: أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**ما مِن بني آدمَ بَشرٌ إلَّا وقلبُه بين إصبعين مِن أَصابعِ الرحمن، فإن شاءَ أقامَه، وإن شاءَ أزاغَه**»(٢).

فهذه ألفاظُ رسولِ الله ﷺ في الحديثِ الذي رُويتَه وثَبَّتَه بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ، ففي أيِّ لُغاتٍ وجدت أنها قُدرتانِ(٣) مِن القدرِ؟!

وهل مِن شيءٍ ليس [تحت](٤) قُدرةِ اللهِ التي وسِعت كلَّ شيءٍ حتىٰ

---

(١) رواه أحمد (١٢١٠٧)، والترمذي (٢١٤٠)، وابن ماجه (٣٨٣٤)، والآجري في «الشريعة» (٨٤٤ و٨٤٥) من طُرقٍ عن أنس رضي الله عنه.

قال الترمذي: وفي الباب عن: النواس بن سمعان، وأم سلمة، وعبدالله بن عَمرو، وعائشة رضي الله عنهم. وهذا حديث حسن ... إلخ.

(٢) رواه أحمد (٢٦٦٧٩)، والترمذي (٣٥٢٢)، وقال: حديث حسن. اهـ

قلت: ويشهد له ما أورده المُصنِّف مِن الأحاديث في هذا الباب.

(٣) في الأصل: (قدرتين)، وما أثبته من (ج).

(٤) ما بين [ ] يقتضيه السياق.

يخُصَّ رسولُ اللهِ ﷺ القلوبَ مِن بينها بقُدرتين؟!

فلِمَ تدَّعِ ما إذا رجعتَ فيه إلىٰ نفسِكَ علمتَ أنه ضَلالٌ وباطلٌ، وضُحكةٌ وسُخريةٌ؟!

١٣٤- مع أن المُعارِضَ لم يقنع بتفسيرِ إمامِهِ المَريسيِّ حتىٰ اخترقَ(١) لنفسِهِ [٢٢/أ] فيه مذهبًا خِلافَ ما قال إمامُه، وخِلافَ ما يُوجدُ في لُغاتِ العربِ والعجمِ، فقال: (إصبعاهُ): (نِعمتَاهُ)، **قال: وهذا جائزٌ في كلامِ العربِ.**

فيُقالُ لهذا المُعارضِ: في أيِّ كلامِ العربِ وجدتَ إجازتَه وعن أيِّ فقيهٍ أخذتَه فاستنِد إليه، وإلَّا فإنك مِن المُفترينَ علىٰ اللهِ، وعلىٰ رسولِه، فلو كنتَ الخليلَ بن أحمدَ، أو الأصمعيَّ(٢) ما قُبِلَ ذلك منك إلَّا بحُجَّةٍ(٣).

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: (اختلق).

(٢) الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي، أبو عبد الرحمن البصري النحوي، صاحب العروض، وصاحب كتاب «العين» في اللغة، توفي سنة: (١٦٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال إبراهيم الحربي رَحِمَهُ اللَّهُ: كان أهل البصرة أهل العربية، منهم أصحاب الأهواء إلَّا أربعة فإنهم كانوا أصحاب سُنة: أبو عَمرو ابن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والأصمعي.

و(الأصمعي): هو عبد الملك بن قُريب الباهلي المُتوَّفىٰ: (٢١٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، كان صاحب سُنة واتِّباع. قال أبو أُمية الطرسوسي: سمعت أحمد وابن معين يُثنيان علىٰ الأصمعي في السُّنة. قال: وسمعت علي بن المديني يُثني عليه.

انظر: «تاريخ بغداد» (١٠/ ٤١٠)، و«تهذيب الكمال» (٨/ ٣٢٦)، و(١٨/ ٣٨٢).

(٣) زاد في (ب): [ومعنىٰ الأصابع مفهوم، ومعنىٰ النعمة مفهوم، وكذا وافقه أبو حامد ⇐

١٣٥- وأمَّا إنكارُك أيُّها المَريسيُّ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال: «إنَّ اللهَ يَتراءىٰ لعبادِه المؤمنين يومَ القيامةِ في غيرِ صورتِه، فيقولون: نَعوذُ باللهِ منك، ثم يَتراءىٰ في صُورتِه التي يَعرِفونها فيَعرفونه، فيَتَّبِعونَه».

فزعَمتَ أيُّها المَريسيُّ: (أنه مَن أقرَّ بهذا فهو مُشرِكٌ).

يُقالُ لهم: أليسَ قد عرفتُم ربَّكم في الدنيا؟ فكيف جهلتُموه عند العِيانِ، وشككتُم فيه؟!

*** قال أبو سعيد:**

فيُقالُ لك أيُّها المريسيُّ: قد صحَّ عن رسولِ الله ﷺ مِن رُوايةِ الزُّهري.

١٣٦- **حدثنا** نُعيم بن حماد، عن ابن المُبارك، عن مَعْمَر، عن الزُّهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ(١).

كأنَّك تسمعُ رسولَ اللهِ ﷺ مِن جودةٍ يقولُه.

فاحذر أن لا يكون قذفُك بالشِّركِ أن يقعَ إلىٰ رسولِ الله ﷺ، وما ذنبُنا إن كان اللهُ سَلَبَ عقلَكَ حتىٰ جَهِلتَ معناه!

ويلكَ! إن هذا ليس بشكٍّ وارتيابٍ منهم، ولو أنَّ اللهَ تَجلَّىٰ لهم أوَّل مرَّةٍ

= في نفي الأصابع فسمَّاها: (نعمة)، فكفىٰ خيبةً وخسارةً برجل يضاد قوله قول رسول الله ﷺ، ويُكذِّب دعواه، ويرجح تنزيهه علىٰ تنزيه رسولهٖ]. اهـ

(١) تقدم تخريجه برقم (٣٨).

في صُورتِه التي عرَّفهم صفاتِها في الدنيا لاعترفوا بما عُرِّفوا ولم يَنفِروا، ولكنه يُري نفسَه في أعيُنهم، لقُدرتِه ولُطفِ رُبوبيتِه في صورةٍ غيرِ ما عرَّفَهم اللهُ صِفاتِها في الدنيا، ليمتحنَ بذلك إيمانَهم ثانيةً في الآخرةِ، كما امتحنَ في الدنيا ليُثبِّتَهم أنهم لا يَعترفون بالعبوديةِ في الدنيا والآخرة إلَّا للمعبودِ الذي عرَفُوه في الدنيا بصفاتِه التي أخبرَهم بها في كتابِهِ، واستشعرَتها قلوبُهم حتىٰ ماتوا علىٰ ذلك.

فإذا مُثِّلَ في أعيُنِهم غيرُ ما عرفوا مِن الصفةِ؛ نفروا وأنكروا إيمانًا منهم بصفةِ رُبوبيتِه التي امتَحَنَ قلوبَهم في الدنيا، فلمَّا رأىٰ أنهم لا يَعرفون إلَّا التي امتحنَ اللهُ قلوبَهم، تجلَّىٰ لهم في الصورةِ التي عرَّفَهم في الدنيا؛ فآمنوا به وصدَّقوا، وماتوا ونُشِروا عليه مِن غيرِ أن يَتحوَّلَ اللهُ مِن صُورةٍ إلىٰ صُورةٍ، ولكن يُمثِّلُ ذلك في أعيُنِهم بقُدرتِه.

فليس هذا أيُّها المَريسيُّ بشَكٍّ منهم في معبودِهم، بل هو زيادةُ يقينٍ وإيمانٍ به مرَّتين، كما

١٣٧- قال ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنه قال لهم يومَ القيامةِ: أتعرفون ربَّكم؟ فيقولون: إنه إذا اعترف لنا عرفناه(١).

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٣٥٠٠١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٤٤)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٤٢٧)، في ترجمة عبد الله بن هانئ أبي الزعراء، قال: سمع ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي حديثه كلام ليس في حديثِ الناس، لا يُتابع عليه. اهـ
- قال الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ: معناه: إذا تحققَّ لنا ذاتًا عرفناه.
«الغريبين في القرآن والحديث» (٤/ ١٢٦١).

يقولون: لا نُقِرُّ بالرُّبوبيةِ إلَّا لِمَن استشعرَتْه قلوبُنا بصفاتِه التي أنبأنا بها في الدنيا، فحينئذٍ يَتجلَّىٰ لهم في صُورتِه المعروفةِ عندهم، فيزدادون عند رؤيتِهِ إيمانًا ويَقينًا، وبُربوبيَّتِه [٢٢/ ب] اغتِباطًا وطمأنينةً.

وليس هذا مِن بابِ الشَّكِّ علىٰ ما ذهبتَ إليه، بل هو يقينٌ بعدَ يقينٍ، وإيمانٌ بعد إيمانٍ، ولكن الشَّكَّ والرِّيبةَ كلَّها ما ادَّعيتَ أيُّها المَريسيُّ في تفسيرِ الرُّؤيةِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**تَرون ربَّكم يومَ القيامةِ، لا تُضامون في رُؤيتِه**».

فادَّعيتَ أن رُؤيتَهم تلك: (**أنهم يعلمون يومئذٍ أن لهم ربًّا لا يَعتريهم في ذلك شكٌّ**)، كأنهم في دعواك أيُّها المريسيُّ لم يعلموا في الدنيا أنه ربُّهم، حتىٰ يَستيقِنوا به في الآخرة.

فهذا التفسيرُ إلىٰ الشَّكِّ أقربُ ممَّا ادَّعيتَ في قولِ رسولِ اللهِ ﷺ في الشَّكِّ والشِّركِ، لا بل هو الكُفرُ؛ لأن الخلقَ كلَّهم مؤمنهم وكافرهم يعلمون يومئذٍ أنَّ اللهَ ربُّهم، لا يَعتريهم في ذلك شَكٌّ.

ألا ترىٰ أنه يقول: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ [السجدة]؛ فالشَّكُّ في اللهِ: [هذا] الذي تأوَّلتَه أنت في الرُّؤيةِ، لا ما قال رسول الله ﷺ(١).

١٣٨- ويلكَ! إنَّ اللهَ لا تتغيَّرُ صورتُه ولا تتبدَّلُ، ولكن يُمثَّلُ في أعينِهم

---

(١) تقدم نحوه برقم (١٢٢).

يومئذٍ، أوَلَم تقرأ كتاب الله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال]؟

وهو الفعَّال لما يشاءُ، كما مثَّل جبريلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع عِظمِ صورتِهِ وجلالَة خلقِه في عينِ رسولِ اللهِ ﷺ صُورةَ دِحيةَ الكلبي(١).

وكما مثَّلَه لمريم بشرًا سويًّا، وهو مَلَكٌ كريمٌ في صورةِ الملائكةِ، وكما شبَّه في أعين اليهود أن قالوا: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾ [النساء]، فقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧](٢).

---

(١) يشير إلىٰ ما رواه البخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (٢٤٥١).

(٢) وممّن روي عنه هذا التأويل: الماجشون، وأبو عاصم النبيل رحمهما الله.

- ففي «الصفات» لابن المُحبّ (٢٧٨٦) ذكر أبو عمر الطلمنكي بإسناده عن إسحاق بن عيسىٰ، قال: أتيتُ الماجشون عبد العزيز بن أبي سلمة المدني برجل من الجهمية، كان يُنكر حديث القيامة: (أن الله يأتيهم)، فكان يُنكره، فقلتُ له: يا أبا عبد الله، إن هذا يُنكر حديثَ عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حديث أبي الزعْراء في صفة القيامة، وما يأتيهم الله فيه، فقال له: ما تُنكرُ يا فتىٰ؟

فقال: إنّ الله أجلُّ وأعظمُ من أن نراه في هذه الصفة.

قال: يا أحمق، إنه ليس يتغيّرُ عن عظمته، ولكنّها عيناك، يُغيّرُهما حتىٰ تراه كيف شاء. فقال الجَهمي: أتوبُ إلىٰ الله مِن قولي، ورجع عمّا كان عليه.

- وفيه (٢٧٨٨) وقال أبو عبد الله محمد ابنُ الحافظ إسماعيل التيمي: وقد حُكِيَ عن ابن أبي عاصم النبيل أنه كان يقول في تأويل هذا الحديث: إن ذلك تغيّرٌ يقع في عيون الرائين كنحو ما يُخَيَّلُ إلىٰ الإنسان الشيء علىٰ خلاف ما هو به فيتوهمه الشيء علىٰ الحقيقة.

=⇦

=

قال ابن المُحبّ: ولم أجد هذا في كتبه المعروفة. اهـ

قلت: وهذا تأويل يأباه ظاهر النصوص المروية في هذا الباب، ولهذا اعترض ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ على كلام المُصنِّف هذا، فقال في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ١٣٤): وأقرب ما يكون عليه إتيان الله في صورة بعد صورة وإن كان تأويلًا باطِلًا أيضًا ما ذكره بعض أهل الحديث، مثل: أبي عاصم النبيل، وعثمان بن سعيد الدارمي، فإنه يروىٰ عن أبي عاصم ... وذكره.

وقال عثمان بن سعيد في «نقضه» ... فذكره، ثم قال: وهذا أيضًا باطلٌ من وجوه:

أحدها: أن في حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المُتَّفق عليه: «**فيأتيهم في صورةٍ غير صورته التي رأوه فيها أول مَرَّة**»، وفي لفظ: «**في أدنىٰ صورة مِن التي رأوه فيها**»، وهذا يُفسِّرُ قوله في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**فيأتيهم الله في صورةٍ غير صورته التي يعرفون**»، ويُبيِّن أن تلك المعرفة كانت لرؤية منهم مُتقدِّمة في صورة غيرِ الصورة التي أنكروه فيها، وفي هذا التفسير قد جعل صورته التي يعرفون هي التي عرَّفهم صفاتها في الدنيا، وليس الأمر كذلك لأنه أخبر أنها الصورة التي رأوه فيها أولَ مرَّة لا أنهم عرفوها بالنعت في الدنيا، ولفظ الرؤية صريحٌ في ذلك، وقد بيَّنا أنه في غير حديث مما يُبيِّن أنهم رأوه قبل هذه المرَّة.

الوجه الثاني: أنهم لا يعرفون في الدنيا لله صورة، ولم يروه في الدنيا في صورة، فإن ما وصف الله تعالىٰ به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، لا يوجب لهم صورة يعرفونها، ولهذا جاء في حديث آخر أنه ليس كمثله شيء، فلو كانوا أرادوا الصفات المُخبر بها في الدنيا لذكروا ذلك، فعلم أنهم لم يطيقوا وصف الصورة التي رأوه فيها أول مرَّة، وقد قال النبي ﷺ في سدرة المُنتهىٰ، فغشيها من أمر الله ما غشيها، حتىٰ لا يستطيع أحدٌ أن ينعتها من حسنها، فالله أعظم من أن يستطيع أحد أن ينعت صورته، وهو سبحانه وصف نفسه لعباده بقدر ما تحتمله أفهامهم، ومعلوم أن

=

=

قدرتهم علىٰ معرفة الجنة بالصفات أيسر، ومع هذا فقد قال: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سَمعت، ولا خطرَ علىٰ قلبِ بشرٍ)، فالخالقُ أولىٰ أن يكونوا لا يطيقون معرفة صفاته كلها.

الوجه الثالث: أن في حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «**فيرفعون رؤوسهم وقد تحوَّل في الصورة التي رأوه فيها أول مرَّة**»، فقوله: (لا يتحوّل من صورةٍ إلىٰ صورةٍ، ولكن يُمثل ذلك في أعينهم) مُخالفة لهذا النص.

الوجه الرابع: أن في حديث ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما من طريق العلاء أنه: «**يُمثِّلُ لكلِّ قومٍ ما كانوا يعبدون**»، وفي لفظٍ: «**أشباه ما كانوا يعبدون**»، ثم قال: «**يبقىٰ محمدٌ وأُمَّتُه فيتمثَّل لهم الرب تبارك وتعالىٰ فيأتيهم فيقول: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ فيقولون: إن لنا إلهًا ما رأيناه بعد**»، فقد أخبر أن الله تعالىٰ هو الذي تمثَّل لهم، ولم يقل: (مُثِّل لهم) كما قال في معبودات المشركين وأهل الكتاب.

الوجه الخامس: أن في عدّة أحاديث؛ كحديث أبي سعيد رضي الله عنه، وابن مسعود رضي الله عنه قال: «**هل بينكم وبينه علامة؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساقِهِ، فيسجدون له**»، وهذا يُبيّن أنهم لم يعرفوه بالصفة التي وصف لهم في الدنيا، بل بآيةٍ وعلامةٍ عرفوها في الموقف، وكذلك في حديث جابر رضي الله عنه قال: «**فيتجلَّىٰ لنا يضحك**»، ومعلوم أنه وإن وصف في الدنيا بالضحك فذاك لا يعرف صورته بغير المعاينة.

الوجه السادس: أن تمثيله ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال:٤٤]، وبقوله: ﴿شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧]، لا يناسب تشبيهه بمجيء جبريل في صورة دحية والبشر، وذلك أن اليهود غلطوا في الذي رأوه فلم يكن هو المسيح، ولكن ألقىٰ شبهه عليه، والذي رأته مريم ومحمد ﷺ هو جبريل نفسه، ولكن في صورة آدمي، فكيف يُقاس ما رئي هو نفسه في صورة علىٰ ما لم يره هو وإنما أُلقي شبهه علىٰ غيره؟ وأما التقليل والتكثير في أعينهم بالمقدار ليس هو

=

وما عَمَلُكَ أيُّها المَريسيُّ بهذا وما أشبهه غيرَ أنه وردت عليك آثارٌ لرسولِ الله ﷺ أخذت بحلقِكَ، ونقضَت عليك مَذهبكَ فالتمستَ الراحةَ منها بهذه المغاليطِ والأضاليلِ التي لا يَعرِفُها أحدٌ مِن أهلِ العلمِ والبصرِ بالعربيةِ، وأنت منها في شُغلٍ، كلما غالطتَ بشيءٍ أخذَ بحلقِكَ شيءٌ فخنقَكَ حتىٰ تلتمسَ له أغلوطةً أُخرىٰ.

ولئن جَزِعتَ مِن هذه الآثارِ فدفعتَها بالمغاليطِ، ما لكَ [مِن] راحةٍ فيما يُصدِّقُها مِن كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الذي لا تقدرُ علىٰ دفعِه.

وكيف تقدِرُ علىٰ دفعِ هذه الآثارِ؟ وقد صحَّت عن رسولِ اللهِ ﷺ ألفاظُها بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ، ناقِضةً لمذاهبِك وتفاسيرِكَ، وقد تداولتها أيدي المؤمنين، وتَناسخُوها، يؤدِّيها الأولُ إلىٰ الآخِرِ، والشاهِدُ إلىٰ الغائبِ، إلىٰ أن تقومَ الساعةُ، ليقرعوا بها رُؤوسَ الجهميَّةِ، ويَهشِموا بها أُنُوفَهم، وَيُنْبَذَ تَأْوِيلُكَ هذا في حُشِّ أبيك(١)، ويُكسَرُ في حلقِكَ كما كُسِرَ في حُلوقِ مَن كان

=
في نفس المرئي، ولكن هو صفة المرئي.

الوجه السابع: أن هذا المعنىٰ إذا قُصد كان مقيدًا بالرائي لا بالمرئي، مثل قوله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٤]، فقيَّد ذلك بأعين الرائين، يقال: كان هذا في عين فلان رجلًا فظهر امرأة، وكان كبيرًا فظهر صغيرًا، ونحو ذلك لا يقال: جاء فلان في صورة كذا، ثم تحوَّل في صورة كذا، ويكون التصوير في عين الرائي فقط، هذا لا يقال في مثل هذا أصلًا. اهـ

(١) في «المصباح» (١/ ١٣٧): (الحش): البُستان، والفتح أكثر مِن الضم ..فقولهم: =

فوقك مِن الولاةِ والقُضاةِ الذيـ[ـن] كانوا مِن فوقِك، مثل: ابنِ أبي دؤادٍ(١)، وعبدِالرحمن(٢)، وشُعيبٍ بَعدَه(٣)، وغسَّانَ(٤)، وابنِ رباحٍ المُفتري علىٰ

=

بيت الحش مجاز؛ لأن العرب كانوا يقضون حوائجهم في البساتين، فلما اتخذوا الكُنف وجعلوها خلفًا عنها أطلقوا عليها ذلك الاسم. اهـ

(١) أحمد بن أبي دؤاد قاضي الجهمية في عصره، وهو تلميذ المريسي، وهو الذي نشر مذهبهم، جالس المأمون، وزيَّن له امتحان الناس بخلق القرآن، وولي القضاء للمُعتصم والواثق، وقد أجمع أهل السُّنة علىٰ كفره وزندقته، هلك سنة: (٢٤٠هـ).
انظر: «السُّنة» للخلال: (٧٨/ ذكر ابن أبي دؤاد وأصحابه الفساق).

(٢) عبد الرحمن، هو ابن إسحاق بن إبراهيم الضَّبِّي مولاهم، كان من أصحاب محمد ابن الحسن الشيباني، وتقلَّد القضاء بالرّقَّة، ثم بمدينة المنصور، وكان ممَّن قام مع أحمد بن أبي دؤاد الجهمي في حمل الناس علىٰ القول بخلق القرآن.
وهو الذي أفتىٰ للواثق بقتل أحمد بن نصر الخُزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال له: هو حلال الدم، كما في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٩٩). وانظر: «لسان الميزان» (٣/ ٤٠٥).

(٣) شُعيب هو ابن سهل، ولَّاه ابن أبي دؤاد قضاء بغداد، وكان من أعيان الجهمية، وهو المعروف بـ«شعبويه». «تاريخ الإسلام» (٥/ ١١٤٩).
- قال حرب الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المسائل» (١٧٦٤ و٢٠٤٣): سمعت أحمد - وذكر شُعيب بن سهل، قاضي بغداد -، فقال: أخزاه الله، وهو يرىٰ رأي جهم.
- وانظر: «تاريخ بغداد» (٤٧٦٩) في حرق أهل السنة لبيته لتجَهُّمِه.

(٤) غَسَّان بن محمد المروزي.
- في «الإبانة» (٢٥١٣) ذكر قصَّة مُناظرة الجهمية للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيها:
قال المروذي: فقلت له: كانوا كلهم يُناظرونك بالليل؟
قال: نعم غير ليلة، وكان فيهم الغلام غسَّان - يعني: قاضي الكوفة - وقال: إنما كان الأمر أمر ابن أبي دؤاد.

=

القرآنِ(١).

فإن كنتَ تدفعُ هذه الآثارَ بجهلِكَ، فما تصنعُ في القرآنِ؟ وكيف تَحتالُ له؟ وهو مِن أوَّلِه إلىٰ آخرِهِ [٢٣/أ] ناقِضٌ لِمذهبِكَ، ومُكذِّبٌ لدعواك.

حتىٰ بلغني عنك مِن غيرِ روايةِ المُعارضِ أنك قُلتَ: (**ما شيءٌ أنقضَ لدعوانا مِن القرآنِ، غيرَ أنه لا سبيلَ إلى دفعِهِ إلَّا مُكابرةً بالتأويلِ**)(٢).

١٣٩- ثُم أنشأتَ أيُّها المَريسيُّ تَطعنُ في حديثِ الرسولِ ﷺ بعدما

=

- وفي «ذكر المِحنة» لحنبل (ص ٤١ -٥٨): وقد كان غسَّان قال لأبي إسحاق: يا أمير المؤمنين، إن أحمد مِن بلادي - يعني: من مرو - فإن رأيت أن تأذن لي حتىٰ أُكلِّمه وأناظره، فأذن له، فكان غسَّان والشافعي الأعمىٰ يُكلِّمانه.

- وفي «أخبار القضاة»: أملىٰ عثمان بن أبي شيبة تسمية قضاة الكوفة، قال: وغسَّان لا رحمه الله، كان يمتحن الناس، وكان غسان من أهل خُراسان، من أصحاب أحمد بن أبي دؤاد، ولا أعلمه حُمِل عنه العلم. اهـ

- قال عبد الله بن أحمد رَحِمَهُمَاٱللَّهُ في «العلل» (٣/ ٤٥٧): كان غسَّان جهميًّا.

(١) أحمد بن رباح مِن أئمَّة الجهمية، كان هو وأبو شعيب الحجَّام ممَّن يُناظران الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ في السجنِ، كما في «سيرة أحمد» لابنه صالح (ص ٥٢).

- وفي «مناقب الإمام أحمد» (ص ٢٥١): سُئل الإمام أحمد عن تولية ابن رباح القضاء، فكتب كتابًا أجاب فيه: إنه جَهميٌّ معروف بذلك، وإنه إن قُلّد شيئًا مِن أُمور المسلمين كان فيه ضَرر علىٰ المسلمين لما هو عليه مِن مذهبه وبدعته. اهـ

(٢) قد تقدم برقم (٦٧ و٧٠) أن التأويل نوع من أنواع التكذيب بالنصوص.

وستأتي (برقم / ٣٩١) وصيَّةُ المريسي في اتخاذ التأويل طريقًا لإنكار الصفات.

صدَّقتَ به، وعرفتَ أنه قد قالَه، ثم فسَّرتَه تفسيرًا مُخالِفًا لتفاسيرِ أهلِ الصلاةِ(١)، وهو قوله ﷺ: «**لا تزالُ جهنمُ يُلقىٰ فيها وتقولُ: هل مِن مَزيدٍ، حتَّىٰ يَضعَ الجبارُ فيها قدمَه، فتَنزوي فتقولُ: قطْ قطْ**».

وادَّعيتَ أيُّها المَريسيُّ أن الحديثَ حقٌّ، ومعناه عندك: أنَّها لا تَمتلئُ حتىٰ يَضعَ الجبَّارُ قدمَه فيها، فقُلتَ: (**معنى (قدمَه): أهلُ الشِّقوةِ الذين سَبقَ لهم في عِلمِه أنهم صائرون إليها، كما قال ابنُ عباس** رضي الله عنهما **- بباطلِ زَعمِكَ - في تفسيرِ قولِ الله تعالى:** ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢]، **قال: ما قدَّموا مِن أعمالِهم**)(٢).

فقد رَوينا أيُّها المَريسيُّ عن الثِّقاتِ الأئمَّةِ المشهورين، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما في تفسيرِ القَدَمِ خِلافَ ما ادَّعيتَ مِن تأويلِكَ هذا(٣).

---

(١) في الأصل: (الضلالة)، ثم صوبها. وعلىٰ الصواب في (ب).

(٢) رواه الطبري في «تفسره» (١٧٦١٦).

قال ابن كثير في «تفسره» (٤/ ٢٤٦): قال العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢]، يقول: أجرًا حسنًا بما قدموا.

وكذا قال الضحاك، والربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. اهـ

(٣) هذا التحريف سلكه المُعطِّلة لإبطال ما دلَّ عليه هذا الحديث لِمَا توهَّموه مِن التشبيه والتجسيمِ المزعوم، ومِن ذلك:

- قال ابن حبان في «صحيحه» (١/ ٥٠٢): هذا الخبرُ مِن الأخبارِ التي أُطلِقت بتمثيلِ المجاورة، وذلك أن يوم القيامة يُلقىٰ في النارِ مِن الأُمم والأمكنة التي عُصي الله عليها، فلا تزالُ تستزيد حتىٰ يَضعَ الربُّ جلَّ وعلا موضعًا مِن الكُفارِ ⇦=

=

والأمكنة في النارِ فتمتلئ، فتقول: قطْ قطْ، تريد: حسبي حسبي؛ لأن العرب تطلق في لغتها اسم (القدم) علىٰ الموضع. قال الله جلَّ وعلا: ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢]، يريدُ: موضع صدق، لا أن الله جل وعلا يضع قدمه في النارِ، جلَّ ربُّنا وتعالىٰ عن مثل هذا وأشباهه. اهـ

قلت: ثبت اللفظ الآخر الذي يَرُدّ هذا التحريف والتعطيل لهذه الصفة، وهو قوله ﷺ: «**يضعُ رِجلَه فيها**».

- وقال الخطابي في «أعلام الحديث» (٣/ ١٩٠٨): فَذِكرُ (القدم) هاهنا يحتمل أن يكون المراد به: مَن قدَّمهم الله تعالىٰ للنار من أهلها، فيقعُ بهم استيفاء عدد أهل النار، وكل شيءٍ قدَّمته فهو قدم. اهـ

- وقال القُرطبي في «المفهم شرح مسلم» (٧/ ١٩٣): قد ضلَّ بظاهر هذا اللفظ مَن أذهب الله عقله، وأعدم فهمه، وهم المُجسِّمة المُشبِّهة، فاعتقدوا: أن لله تعالىٰ رِجْلًا .. كما اعتقدوا في الله أنه جسمٌ يشبه لأجسامنا، ذو وجهٍ، وعينين، وجنبٍ، ويدٍ، ورجلٍ، وهكذا، وهذا ارتكاب جهالة خالفوا بها العقول، وأدلَّة الشرع المنقول .. وقد تَأَوَّل علماؤنا ذلك الحديث تأويلات .. إلخ.

ثم ذكر تلك التحريفات الموروثة عن المريسي وأتباعه مِن أئمة التعطيل.

- وقال ابن العربي المالكي في «المسالك في شرح الموطأ» (٣/ ٤٦٦): قال علماؤنا: معنىٰ (قدمه) خلقٌ من خَلقه يُسمَّىٰ: قَدَمًا، أضافه إضافَةَ الملك إلىٰ نفسِه، كما يقال: سماؤُه وأرضه، وبيانُه في قَولِه: ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢].

وقال آخر: معناه: أن البارئَ تعالىٰ يخلقُ خَلقًا يُسمَّىٰ قدمًا يملأُ بهم جهنَّم. اهـ

- قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٢٥): أي: الذينَ قدَّمَهم لها مِن شِرار خلقه، فهم قَدَمُ اللهِ للنارِ، كما أن المسلمِينَ قَدمُه للجنةِ. و(القَدَم): كلُّ ما قدَّمْتَ مِن خيرٍ أَوْ شَرٍّ. اهـ

قلت: فهذه التأويل لصفة القدم إنما هو تحريف وتبديل يُريدون منه إبطال ما

=⇦

١٤٠- **حدثناه** عبد الله بن أبي شيبة، ويحيىٰ الحِمَّاني، عن وكيعٍ، عن سُفيان، عن عمَّار الدُّهني، عن مسلم البَطين، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الكُرسيُّ موضعُ القدمين، والعرشُ لا يَقدُرُ قدرَه إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ(١).

= دلَّت عليه النصوص من إثبات هذه الصفة لله تعالىٰ علىٰ ما يليق به سُبحانه.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (١/ ٢٩) عن تأويل (الرجل) بجماعة مِن الناس: فإن هذا الشيء لا يُعرف في شيءٍ مِن لغةِ العربِ ألبتة. اهـ

(تنبيه): زاد بعدها في (ب): (الجزء الثاني من نقض أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي علىٰ الضال المضل بشر المريسي الجبار العنيد) [ب/ ٣٦/ أ]، (بسم الله الرحمن الرحيم، أخبرنا الشيخ أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الأحنف، أخبرنا إسحاق بن أبي إسحاق القرَّاب الحافظ، أنبأنا أبو بكر بن محمد ابن أبي الفضل بن محمد بن الحسين المزكىٰ، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الصرام، قال: حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي قال:..).

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٥٧٢)، وابن خُزيمة في «التوحيد» (١٥٦)، وابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٣).

ورواه ابن منده (٢٣) مرفوعًا من حديث ابن عباس وضعَّفه، وصحَّح وقفه.

- قال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تهذيب اللغة» (١٠/ ٥٤): هذه الرواية اتَّفق أهل العلم علىٰ صِحَّتها. اهـ

وصحَّحه المُصنِّف هاهنا، وأبو عُبيد، ووكيع، وأبو زُرعة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

انظر: «التوحيد» لابن منده (١٠٠٢)، وابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (١٧).

- وروىٰ عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٥٧٣)، وابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٦) بإسناد منقطع، عن أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: الكُرسيُّ موضِعُ =

فهذا الذي عرفناه عن ابنِ عباسٍ ﵄ صَحيحًا مَشهورًا.

فما بالُكَ تَحيدُ عن المشهورِ المنصوصِ مِن قولِه، وتتعلَّقُ بالمغمورِ منه المُلتبسِ الذي يحتملُ المعاني؟!(١).

= القدمين، وله أطِيطٌ كأطيطِ الرَّحْلِ.

وذكر ابن المُحبِّ في «الصفات» (١/ ٣٦) (باب القدمين): أنه مروي كذلك من حديث أبي ذر ﵁، ويُروىٰ عن أبي هريرة ﵁، وعكرمة، وأبي مالك.

قلت: وقد أوَّل ابن عطية هذا الأثر في «تفسيره» علىٰ طريقة المُعطِّلة في تأويل نصوص الصفات كما في «المحرَّر الوجيز» (١/ ٣٤٢)، فقال: يريد هو من عرش الرحمن كموضع القدمين في أسرَّة الملوك، وهو مخلوق عظيم بين يدي العرش نسبته إليه نسبة الكرسي إلىٰ سرير الملك. اهـ

ونحوه قول البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥٩): وذكرنا أن معناه فيما نرىٰ: أنه موضوع من العرش موضع القدمين من السرير، وليس فيه إثبات المكان لله سبحانه. اهـ

وردَّ الألباني هذه الآثار بحُجَّة أنها مُتلقَّاة عن بني إسرائيل، وقوله هذا مردودٌ بحكاية أئمة السُّنة الإجماع عليها في عقائدهم. ومِن ذلك:

- قال حرب الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عقيدته» (٥١): والكرسيُّ موضِع قدميه.

- وقال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أصول السُّنة» (ص ٩٦): ومِن قول أهل السُّنة: أن الكرسيَّ بين يدي العرش، وأنه موضع القدمين. اهـ

وقد تكلَّمت علىٰ هذه المسألة في تحقيق «إثبات الحد لله تعالىٰ» (٤١).

(١) وهذه هي طريقة أهل البدع والأهواء مع نصوص الوحيين، ومع آثار وأقوال السلف والأئمة، يتركون الواضح البيِّن، ويتتبعون المُتشابه منه ليضلوا بها الناس، وقد سمَّاهم الله تعالىٰ في كتابه بالزائغين، فقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ =

وكيف تَدَّعي أنها لا تَمتلئُ حتىٰ يُلقي اللهُ فيها الأشقياءَ الذين هم قدَمُ الجبَّارِ عندك، فتَمتلئُ بهم في دعواك؟ وهل استزادت أيُّها التائِه إلَّا بَعدَ مَصيرِ الأشقياءِ إليها، وإلقاءِ اللهِ إيَّاهم فيها؟ فاستزادتَ بَعدَ ذلك.

أفيُلقيهم فيها ثانيةً، وقد ألقاهم فيها قبلُ، فلم تَمتلئُ؟ كأنه في دعواكَ حَبسَ عنها الأشقياءَ، وألقىٰ فيها السُّعداءَ، فلمَّا استزادت ألقىٰ فيها الأشقياءَ بعدُ حتىٰ مَلأها.

لو ادَّعىٰ هذا مَن لم يَسمع حَرفًا مِن القرآنِ ما زاد !

١٤١- ثُم رَددتَ الحديثَ بعدما أقررتَ به أنه حقٌّ فقلت:

(يُقالُ لهؤلاءِ المُشبِّهةِ: أليس مَن قال: (إنَّ اللهَ يُخلِفُ وعْدَه)؛ كافرٌ؟ فإن قالوا: نعم.

فقُل لهم: مَن زَعمَ أنَّ جهنَّمَ تَمتلئُ مِن غيرِ الجنَّةِ والناسِ فقد كفرَ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣﴾

= مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧].

وسيأتي كذلك قول المُصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (فقرة/ ١٩٦): (إن المُصيب يتعلّق مِن الآثارِ بكلِّ واضحٍ مشهور، والمريب يتعلّق بكلِّ مُتشابه مغمور).

وقد ذكرتُ في كتاب «الاحتجاج بالآثار السلفية» (فصل فيما رُوي من التأويل الفاسد عن بعض أئمّة أهلِ السُّنةِ مِمّا يُشكل علىٰ الجهلة الأغمار)، كثيرًا من الأمثلة علىٰ تَتبُّعِ أهل البدع للمتشابه من النصوص والآثار وأقوال أهل العلم للاحتجاج بها علىٰ مذاهبهم في التأويل وتعطيل الصفات.

[السجدة]).

ويلكَ أيها المَريسيُّ! إنما أَنزلَ هذه الآيةَ مَن أنـزل التـي في [سـورة] «ق»: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾.

ويجـوزُ في الكـلامِ أن يُقـالَ (لِمُمتلـئٍ): اسـتزادَ، كمـا يَمتلـئُ الرجـلُ مـن الطعامِ والشرابِ، فيقول: قد امتلأتُ وشَبِعتُ، وهو يَقدرُ أن يَزدادَ، كما يُقال: امتلأَ المسجدُ مِن الناسِ، وفيه فَضـلُ سَـعةٍ للرِجالِ بَعـدُ، وامـتلأَ الـوادي مـاءً وهو مُحتمِلٌ لأكثرَ منه.

وكما قال النبيُّ ﷺ: «**يَخـرجُ المَهـديُّ فـيَملأُ الأرضَ قِسـطًا وعـدلًا كمـا مُلئـت جَـورًا وظُلمًـا**»(١)، وفي الأرض سَـعَةٌ بعـدُ لأكثـرَ مِـن ذلـك الظُّلـمِ، [٢٣/ ب] وأكثرَ مِن ذلك القِسطِ، فتَمتلئُ جهنمُ بما يُلقي اللهُ فيها ممَّا وعَدَها مِن الجِنَّةِ والناسِ، فتقول: هل مِن مزيدٍ؟ لفضلٍ فيهـا، غضـبًا للهِ علىٰ الكُفَّـارِ، حتىٰ يفعلَ الجبَّارُ بها ما أخبرَ رسولُ الله ﷺ كما شـاء، وكمـا عنـىٰ رسـول الله ﷺ، فحينئذٍ تقول: «**حَسبِي، حَسبِي**».

وكيف يَستحيلُ أيُّها المَريسيُّ ما وصفَ رسـولُ الله ﷺ مِـن وضـعِ القـدمِ في جهنمَ، وأنت تزعمُ أنَّ اللهَ بكمالِهِ في جهنَّمَ قبلَ أن يَملأهـا، وبعـدما ملأهـا؛ لأنك تزعُمُ أنه لا يخلو منه مكانٌ، فجهنمُ مِن أعظمِ الأمكنةِ، فأنـت أولُ مَـن كذَّبَ بالآيةِ إذ تدَّعِي أن جهـنمَ ممتلِئـةٌ مِـن الجبَّـارِ، تبـارك وتعـالىٰ عَزَّوَجَلَّ عـن وصفِكَ [به].

(١) رواه أحمد (١١٢٢٣ و ١١٣٢٦)، وأبو داود (٤٢٨٥). وهو حديث صحيح.

ثم ادَّعيتَ: (**أن مَن تأوَّلَ في هذا قدمَ الجبَّارِ فقد جعلَ اللهَ مِن الجِنَّةِ والناسِ ومِن تَبعِ إبليسَ، إذ زعمَ أن شيئًا منه يدخلُ جهنمَ، والله يقول:** ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة]).

فيُقالُ لك أيُّها المريسيُّ: فأنت أولُ مَن جعلتَه مِن الجِنَّةِ والناسِ ومِن تَبعِ إبليسَ؛ إذ تزعم أنه لا تخلو منه جهنَّمُ، ولا شيءٌ مِن الأمكنةِ، أفبعضٌ أو حشٌ أم كلٌّ؟

ويلك ! إنما أرادَ اللهُ بقولِهِ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة]: الذين حقَّ عليهم العذابُ، ولها خَزنةٌ يَدخلونها؛ ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ، غيرُ مُعذَّبينَ بها، وفيها كِلابٌ وحيَّاتٌ وعقارِبُ.

وقال: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر]، فلا يدفعُ هذه الآيات قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة]، كما لا يدفعُ هذه الآية قول النبيّ ﷺ: «**يضعُ الجبَّارُ فيها قدمَه**».

فإذا كانت جهنمُ لا تضُرُّ الخزنةَ الذين يَدخلونها، ويقومون عليها، فكيف تضُرُّ الذي سخَّرَها لهم؟ فإن أنت أقررتَ بالخزنةِ وملائكةِ العذابِ وما فيها مِن غيرِ الجِنَّةِ والناسِ؛ كفرتَ في دعواك؛ لأنَّك زعمتَ: أنَّ مَن ادَّعىٰ أن جهنمَ تَمتلئُ مِن غيرِ الجِنَّةِ والناسِ فقد كَفَر.

وهذه الآثارُ التي رُويت عن رسولِ اللهِ ﷺ في ذكرِ (القدمِ) مِمَّا أنت مُصدِّق مُحقِّقٌ.

١٤٢- **حدثنا** سهل بن بكَّار البصري، ثنا أبان، عن قتادة، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال نبيُّ اللهِ ﷺ: «**لا تَزالُ جهنمُ تقولُ: هل مِن مزيدٍ، فيُدلي فيها ربُّ العالمين قدمَه، فيَنزوي بعضُها إلىٰ بعضٍ، فتقول: قط بعزَّتِك، ولا يزالُ في الجنةِ فضلٌ حتىٰ يُنشئَ اللهُ خلقًا فيُسكِنَهم فيها**»(١).

١٤٣- **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد - وهو ابن سلمة -، عن عطاء بن السائب، عن عُبيد الله بن عبدالله بن عُتبة، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**افتخرتِ الجنةُ والنارُ، فقالتِ النارُ: يا ربِّ، يَدخُلُني الجبَّارون والملوكُ والأشرافُ، وقالتِ الجنةُ: يدخُلُني الفقراءُ والضُّعفاءُ والمساكين. فقال اللهُ للنارِ: أنتِ عذابي أُصيبُ بكِ مَن أشاءُ، وقال للجنةِ [٢٣/ أ]: أنتِ رحمتِي وسِعتِ كلَّ شيءٍ، ولكلِّ واحدةٍ منكما مِلؤها، فأمَّا النارُ فيُلقىٰ فيها، وتقولُ: هل مِن مزيدٍ** - ثلاثَ مرَّاتٍ -، **حتىٰ يأتيها فيَضعُ قدمَه عليها، وتقولُ: قَدِي قَدِي**» - ثلاثًا -(٢).

---

(١) رواه البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨).

- في «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ١٣٠) ذكر الرهاويُّ: أن الحسين بن محمد الكُتبي ذكر في «تاريخه»: أن مسعود بن محمود بن سبكتكين قدم هراة سنة ثلاثين وأربعمائة، فاستحضر شيخ الإسلام [الأنصاري]، وقال له: أتقول: إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يضع قَدَمَه في النار؟

فقال - أطال اللهُ بقاء السُّلطان المُعظّم - إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يتضرَّرُ بالنَّار، والنَّارُ لا تضُرُّه، والرسولُ لا يَكذِبُ عليه، وعلماء هذه الأُمَّة لا يتزيَّدون فيما يَرْوُون عنه، ويسندون إليه. فاستحسن جوابه، وردَّه مُكرَّمًا.

(٢) رواه أحمد (١١٠٩٩ و١١٧٤٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١١٩ و١٢١ و١٣٤).

١٤٤- **وقرأتُ** علىٰ عثمان بن الهيثم المؤذن، أن عوف بن أبي جميلة الأعرابي حدَّثه، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اختَصمتِ الجنةُ والنارُ، وقالتِ النارُ: أُوثرتُ بالمُتكبِّرينَ والمُتجبِّرين، وقالتِ الجنةُ: ما لي لا يَدخُلُني إلَّا سفلةُ الناسِ وسُقَّاطُهم؟** - أو كما قالت - **فقال لهما: قال للجنةِ: أنتِ رحمتي أُسكِنُك مَن أشاءُ مِن خلقي، ولكلِّ واحدةٍ منكما مِلؤُها، وأمَّا جهنمُ فإنّها لا تَمتلئُ حتىٰ يضعَ اللهُ قدمَه فيها، فيَنزوي بعضُها إلىٰ بعضٍ قد قد قد**[١]**، وأمَّا الجنةُ فإنَّ اللهَ يُنشِئُ لها ما [شاء] مِن خَلقِهِ**»[٢].

---

(١) كذا كُرِّرت في الأصل، وكتب فوقها: (صح، صح). وقد حذفت من (ب).

(٢) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

- وفي «منتخب العلل» للخلال (١٨٥): أخبرنا يعقوب بن موسىٰ أبو بكر المطوعي، قال: سمعت رجلًا قال لأحمد بن حنبل: ما تقول في هذه الأحاديث، مثل: حديث هشام بن عُروة، عن محمد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**احتجَّتِ الجنةُ والنارُ**»؟. قال أحمد: هذه أحاديث أهل السُّنة وأهل الخبر.

- وقد روىٰ ابنُ خُزيمة هذا الحديث في «التوحيد»: (٢٨/ باب ذكر إثبات الرِّجل لله عَزَّوَجَلَّ وإن رغمت أنوف المُعطِّلة الجهمية؛ الذين يَكفرون بصفات خالقنا عَزَّوَجَلَّ التي أثبتها لنفسه في مُحكم تنزيله، وعلىٰ لسان نبيه المُصطفىٰ ﷺ).

وقال: قال الله عَزَّوَجَلَّ يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف].

فأعلمنا ربُّنا جلّ وعلا أن من لا رِجل له، ولا يد، ولا عين، ولا سمع؛ فهو

⇐

فأخبرني عثمان بن الهيثم، أن عوفًا حدَّثَه بذلك كما قرأتُ عليه.

١٤٥- حدثنا عبد الله بن صالح، أن معاوية بن صالح حدَّثه، عن راشد بن سعد: أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ يَطوي المَظالمَ يومَ القيامةِ فيجعلُها تحت قَدمَيه، إلَّا ما كان مِن أجرِ الأجيرِ، وعقرِ البهيمةِ، وفضِّ خاتمٍ بغيرِ حقٍّ**»[(١)].

يُريدُ: افتضاضَ الأبكارِ.

فانظر أيُّها المَريسيُّ في ألفاظِ ما رَويتَ عن رسولِ اللهِ ﷺ الذي أقررتَ بأنه قاله، هل تَحتمِلُ ألفاظُه التأويلَ الذي ذهبتَ إليه؟

=

كالأنعامِ بل هو أضلّ.

فالمُعطّلة الجهمية الذين هم شرٌّ من اليهود والنصارىٰ والمجوسِ كالأنعامِ بل هم أضلّ، فالمُعطّلة الجهمية عندهم كالأنعام، بل هم أضلّ. اهـ

(١) رواه ابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٢)، وهو حديثٌ مرسل.

ورواه أبو إسماعيل الأنصاري، عن راشد بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ نحوه موصولًا، ولا يصحّ.

انظر: «صفات رب العالمين» لابن المُحبّ.

٥- باب

ما جاء في العرش(١)

١٤٦- ثُم انتدبتَ أيُّها المَريسيُّ مُكَذِّبًا بعرشِ اللهِ وكُرسيِّه، مُطنبًا في

(١) عقد المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الباب السابق: (٤/ بابُ الحدّ والعرش).

وكذا في «الرد علىٰ الجهمية»: (١/ باب الإيمان بالعرشِ).

وقد علَّقتُ عليه بذكر بعض صفات العرش الواردة في النصوص والآثار.

- قال قوام السُّنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحُجَّة في بيان المَحجَّة» (١/ ١٥٦): ذكر عليُّ بن عمر الحربي في كتاب «السُّنة»: ومَن قال: (العرش): مُلكٌ، أو الكرسيّ ليس بالكرسيِّ الذي يَعرفُ الناسُ فهو مُبتدعٌ. اهـ

- وذكر الهروي في «ذم الكلام» (٥/ ١٣٧ - ١٣٨) بعض موافقة الأشاعرة للجهمية في تأويلاتهم، فذكر منها قولهم: (الكُرسيُّ: العِلم)، و(العرشُ: المُلك).

- قال الكرجي القصّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نُكت القرآن» (١/ ٦٢٥): قوله: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [يوسف:١٠٠]، حُجّة في أن العرش هو السرير لا محالة، وأن عرش الله أيضًا جلَّ جلاله، هو سريره الذي استوىٰ عليه لا العلم كما يزعم الجهلة مِن الجهمية. اهـ

واعلم أن عرش الربِّ عَزَّوَجَلَّ غير الكرسيّ، ومن جعلهما شيئًا واحد فقد أخطأ.

- قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٦٨١): وروىٰ ابن جرير من طريق: جويبر، عن الحسن البصري أنه كان يقول: الكرسيُّ هو العرش.

والصحيح أن الكرسيَّ غير العرش، والعرش أكبر منه، كما دلَّت علىٰ ذلك الآثار والأخبار. اهـ

قلت: ولا يصحُّ عن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ففي إسناده: جويبر وهو ضعيف جدًا.

التكذيبِ بجهلِكَ، مُتأوِّلًا في تَكذيبهِ بخلافِ ما تعقِلُه [العُقلاء و] العُلماء(١).

فرويتَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]: وعِلمُه.

قلتُ: (**فمعنى (الكُرسيُّ): العِلمُ، فمَن ذهبَ فيه إلى غيرِ العِلمِ؛ أكذبَه كتابُ اللهِ تعالى**).

فيُقالُ لهذا المريسيِّ: أمَّا ما رَويتَ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما فإنه مِن روايةِ: جعفر الأحمر، وليس جعفر ممَّن يُعتمدُ علىٰ روايتِه، إذ قد خالفته الرُّواةُ الثقاتُ المُتقِنون(٢).

---

(١) جعل المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تأويل المريسي للكرسيِّ تكذيبًا له، وقد تقدَّم برقم (٣٠ و٦٧) أن الأئمة كانوا يَعدُّون التأويل نوعًا مِن أنواع التكذيب بالنصوص.

(٢) القول بأن الكرسي هو (العلم) مرويٌّ عن ابن عباس رضي الله عنهما، رواه عنه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١١٣٣)، قال: حدثني عبد الأعلى بن حماد النَّرسي، ثنا يعقوب بن عبد الله - يعني: القُمِّي -، عن جعفر، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، قال: عِلمه وَسِعَ السَّموات والأرض. اهـ

- قال ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية» (١٥): لم يتابع عليه جعفر، وليس هو بالقويِّ في سعيد بن جُبير. اهـ

- وقال (١٧): ورِوىٰ نهشل، عن الضَّحَّاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [البقرة:٢٥٥] قال: عِلمه. وهذا خبرٌ لا يثبت؛ لأن الضَّحَّاك لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما. ونهشل متروك. اهـ

- وقال ابن الأنباري: إنما يروىٰ هذا بإسناد مطعون فيه. «العلو» (٣١٣).

- وقال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تهذيب اللغة» (١٠/ ٣٣): .. الذي رُوي عن ابن

⇦=

وقد روىٰ مسلمٌ البطينُ، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما في الكُرسيِّ خلافَ ما ادَّعيت علىٰ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما.

١٤٧- حدَّثناه يحيىٰ، وأبو بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن سُفيان، عن عمَّار الدُّهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جُبير، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: الكرسيُّ موضِعُ القدمين، والعرشُ لا يَقدرُ قدره إلَّا اللهُ(١).

فأقرَّ المَريسيُّ بهذا الحديثِ وصحَّحَه، وزعمَ أن وكيعًا رواه، إلَّا أنَّ تَفسيرَ (القدمين) هاهنا في دعواه: (الثقلين)، قال: (**يَضعُ اللهُ عِلمَه وقضاءه للثقلينِ يومَ القيامةِ، فيَحكُمُ به فيهم**).

فهل سَمِعَ سامِعٌ مِن العالمين بمثلِ ما ادَّعىٰ هذا المَريسيُّ؟!

ويَلكَ! عمَّن أخذتَه؟! ومِن أيِّ شيطانٍ تلقَّيتَه؟! فإنَّه ما سَبقَكَ إليها آدمي نعلَمُه.

أيحتاجُ الربُّ عَزَّوَجَلَّ أن يَضعَ مُحاسَبةَ العبادِ علىٰ كتابِ عِلمِه [٢٤/ب]

=

عباس رضي الله عنهما في الكُرسيِّ أنه العِلمُ؛ فليس ممَّا يُثبتُه أهلُ المعرفةِ بالأخبار. اهـ

- وقال الكرجي القصاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نكت القرآن» (١/ ١٧٨-١٨٤): في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، حُجَّة علىٰ الجهمية، ولقد بلغني عن قوم منهم يغلطون بحذاقة أنهم قالوا: كرسيه علمه. - ثم بين بطلان ما استدلوا به من الشعر والآثار المروية عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبين ضعفها.

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ٣٦٣): وطائفة اشتبه عليها ففسَّروا الكرسي بـ (العِلمِ)، مع أن هذا لا يُعرف في اللغة البتَّة، والله سبحانه وتعالىٰ أحاط بكلِّ شيءٍ عِلمًا فلا يختصّ علمه بالسموات والأرض.

(١) تقدم تخريجه وتصحيحه، ونقل الإجماع علىٰ أن الكُرسيَّ موضع القدمين.

وأقضيةٍ يَحكمُ بما فيه بينهم؟!

ولا أراكَ مع كَثرةِ جهلِكَ إلَّا وستَعلمُ أنَّك احتججتَ بباطلٍ، جعلتَه أغلوطةً تُغالِطُ بها أغمارَ الناسِ وجُهَّالَهم.

١٤٨- وقد رُوي عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أيضًا، عن النبيِّ ﷺ قال: **«آتي بابَ الجنةِ فأقرعُه، فيُفتحُ لي، فأَرَىٰ ربِّي وهو علىٰ كُرسيِّه**(١)**، فيتجلَّىٰ لي، فأخرُّ ساجدًا»**(٢).

فهل يجوزُ لك في تأويلِكَ أنه يأتي ربَّه وهو علىٰ عِلمِهِ؟ إذ ادَّعيتَ أن مَن زعمَ أن (الكُرسيَّ) غيرُ (العلمِ) أكذبَه القرآنُ بما رويتَ فيه عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، فهذا ابنُ عباس يُخبرُ عن رسولِ الله ﷺ وعن نفسِه خلافَ ما رَويتَ فيه.

فكيف تَحيدُ عن هذا المشهورِ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما إلىٰ المغمورِ عنه إلَّا مِن ظِنَّةٍ ورِيبةٍ.

١٤٩- وأمَّا قولُك: **(مَن ذهبَ في الكُرسيِّ إلى غيرِ العلمِ أكذبَه كتابُ الله)**.

ويلكَ! وأيُّ آيةٍ مِن كتابِ اللهِ تُكذِّبُه؟ أأُنزِلَ علىٰ غياثٍ اليهوديِّ(٣) في تكذيبه آيةً لم تَنزل علىٰ محمدٍ ﷺ؟!

---

(١) زاد في (ب): (تارة يكون بذاته علىٰ العرش، وتارة يكون بذاته علىٰ الكرسي).

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٢٨).

(٣) تقدم برقم (٩٥) أنه كان يهوديًّا صبَّاغًا.

ويلكَ! وهل بقيَ أحدٌ مِن نِساءِ المُسلمين وصبيانِهم إلَّا وقد عَقَلَ أمرَ (العرشِ) و(الكرسيِّ)، وآمنَ بهما إلَّا أنت ورهطَك؟

وليس (العرشُ) و(الكرسيُّ) ممَّا ينبغي أن يُسندَ في تثبيتهما الآثارُ، ويؤلَّفَ فيهما الأخبارُ، لولا أُغلوطاتُك هذه؛ لِمَا أنَّ عِلمَهما والإيمان بهما خَلَصَ إلىٰ النِّساءِ والصبيانِ، إلَّا إليك وإلىٰ أصحابِكَ، طهَّرَ اللهُ منكم بِلادَه، وأراحَ منكم عِبادَه!

والعجبُ مِن استطالَتِكَ بجهالتِكَ هذه وأُغلوطاتِك؛ إذ تقولُ لِمَن هو أعلمُ باللهِ وبكتابه منك: (**إن لم تعلموا تفسيرَ ما قُلنا، وإلاَّ فسلوا العلماء، ولا تَعجلوا [بالقضاءِ]**).

ويلكَ أيَّها المريسيُّ! قد سألنا العُلماءَ، وجالَسْنا الفُقهاءَ، فوجدناهم كلَّهم علىٰ خِلافِ مَذهبِكَ، فسَمِّ عالِمًا ممَّن مَضىٰ وممَّن غَبَرَ يَحتجُّ بمثل هذه العَماياتِ، ويَتكلَّمُ بها حتىٰ نعرِفَه فنسألَه، فإنَّا ما رأينا مُتكلِّمًا يَنتحِلُ الإسلامَ أظهَرَ كُفرًا، وأسمجَ كلامًا، وأقلَّ إصابةً في التأويلِ منك.

وقد عرضنا كلامَك علىٰ كلامِ مَن مضىٰ، ومَن غَبَرَ مِن العلماءِ، فما فوجدنا أحدًا علىٰ مذهبِكَ، وعرضناه علىٰ لُغاتِ العربِ والعجمِ فلم يَحتمل شَيءٌ منها شيئًا مِن كلامِكَ، ولو كان عندك مَن يَنصحُكَ لحَجَرَ عليك الكلامَ، فَضلًا أن يَفتخرَ بحُسنِ الكلامِ.

وسنذكرُ لك آثارًا ممَّا جاءَ عن رسولِ اللهِ ﷺ، وأصحابِه في (الكُرسيِّ) لتنظرَ في ألفاظِها، هل تَدلُّ علىٰ شيءٍ مِن أُغلوطاتِك هذه؟

١٥٠- حدثنا عبد الله بن أبي شيبة، ثنا أبو أسامة، عن زكريا، عن أبي

إسحاق، عن سعيد بن معبد، قال: حدثتني أَسماءُ بنت عُميس: أن جعفرًا رضي الله عنهما جاءها إذ هم بالحبشةِ وهو يَبكي، فقالت: ما شأنُكَ؟

قال: رأيتُ فتًى مُترَفًا مِن الحبشةِ، شابًّا جَسِيمًا، مرَّ علىٰ امرأةٍ، فطرحَ دقيقًا كان معها، فنَسَفَتهُ الريحُ، فقالت: أكِلُكَ إلىٰ يومِ يَجلسُ المَلِكُ علىٰ الكُرسيِّ، فيَأخذُ للمظلومِ مِن الظالمِ(١).

١٥١- **حدثنا** يحيىٰ الحِمَّاني، ثنا خالد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن بُريدة [٢٥/ أ]، عن أبيه، قال: لما قَدِمَ جعفرٌ مِن الحبشةِ، قال له النبيُّ ﷺ: «**ما أعجبُ ما رأيتَ بالحبشةِ؟**».

قال: رأيتُ امرأةً علىٰ رأسِها مِكتلٌ(٢) فيه طعامٌ، فجاءَ فارسٌ فأذراه، فجلستْ تجمَعُه، ثم التفتتْ، ثم قالت: ويحكَ! كيف تصنعُ لو قد وَضعَ المَلِكُ كُرسيَّه، فأخذَ للمظلومِ مِن الظالمِ؟ فضَحِكَ النبيُّ ﷺ، وعَجِبَ مِن ذلك، وقال: «**ما قَدَّسَ اللهُ أُمَّةً لا يُؤخذُ لضعيفِها مِن شديدِها غيرَ مُتَعتَعٍ**(٣)»(٤).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المُصنَّف» (٣٦٨١٦)، وابن خُزيمة في «التوحيد» (١٥٢) مُحتجًّا به، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢١٧١)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٦٣٤)، والذهبي في «العلو» (١٧١)، وهو أثر صحيح، وسيأتي ما يشهد له كذلك.

(٢) (المكتل): شبه الزنبيل، يسع خمسة عشر صاعًا. «الصحاح» (٥/ ١٨٠٩).

(٣) في «لسان العرب» (٨/ ٣٥): بفتح التاء، أي: مِن غير أن يُصيبه أذىٰ يُقْلِقُه ويُزعِجُه. و(التعْتَعُ): الفأْفاء. والتعتعة في الكلام: أن يعيا بكلامه ويتردّد من حصرٍ أو عِيٍّ.

(٤) رواه أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو يعلىٰ، والرُّوياني في «مسانيدهم»، كما في «المطالب العالية» (٣٣١٥)، و«الإتحاف» (٦٦٨٣ و٦٦٨٤).

=⇦

١٥٢- **حدثنا** هشام بن خالد الدمشقي، ثنا محمد بن شُعيب بن شابور، أبنا عمر بن عبد الله مولىٰ غُفْرة، قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال

= قال ابن حجر: إسناده حسن. وقال البوصيري (٧/ ١٢٨): رواته ثقات.

ورواه الطبراني في «الأوسط» (٥٢٣٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٠)، و«السنن الكبير» (١٠/ ٩٤).

وقد توسَّع أخي مسلط العتيبي رحمه الله في جمع طُرق هذا الحديث وشواهده، وبيان صحَّته في تحقيقنا لكتاب «إثبات الحد لله تعالىٰ» للدشتي (٢٩).

وبوَّب علىٰ هذا الحديث، وبيان ما دلَّ عليه: ابن المُحبّ رحمه الله في «الصفات» (١/ ٤٣٨) بقوله: (باب القعود).

- قال ابن تيمية رحمه الله في «شرح حديث النزول» (ص٤٠٠): وإذا كان قعود الميت في قبره ليس هو مثل قعود البدن، فما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم من لفظ: «القعود»، و«الجلوس» في حق الله تعالىٰ، كحديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيرهما أولىٰ أن لا يُماثل صفات أجسام العباد. اهـ

- وقال ابن القيم رحمه الله في «نونيته» (ص١٠٣):

ولقد أتىٰ ذِكرُ الجلوسِ به وَفِي ... أثــرٍ رَواه جعفــر الرَّبــاني

أعنـي ابـنَ عـم نَبيّنـا وبغيـرِهِ ... أيضًـا أتـىٰ والحـقُّ ذُو التبيـان

والـدَّارقُطنيُّ الإمَـامُ يُثبِّـتُ الـ ... آثـارَ في ذا البـابِ غيـرَ جَبَـانِ

قلت: ذكرت هذا الحديث ضمن أدلة أهل السنة علىٰ إثبات جلوس الرب تعالىٰ علىٰ عرشه في مقدمات كتاب «إثبات الحد لله تعالىٰ»: (المبحث الرابع: ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات الجلوس)، وقد تقدم برقم (٤٧) الإشارة إلىٰ هذه المسألة، وانظر كذلك ما سيأتي برقم (١٥٧).

رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريلُ، فقال: إن ربَّك اتخذَ في الجنة واديًا أفْيَحَ**(١)، **مِن مسكٍ أبيضَ، فإذا كان يومُ الجمعةِ مِن أيامِ الآخرةِ، هَبَطَ الربُّ مِن عرشِهِ إلىٰ كُرسِيِّه، وحفَّ الكُرسيَّ بمنابرَ مِن نورٍ، فيَجلسُ عليها النبيُّون، وحَفَّ المنابرَ بكَرَاسيَّ مِن ذهبٍ، فيَجلسُ عليها الصِّدِّيقون والشُّهداءُ**»(٢).

١٥٣- **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد - وهو ابن سلمة -، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: بينَ السماءِ السابعةِ وبين الكرسيِّ خَمسمائة عام، وبينَ الكُرسيِّ إلىٰ الماءِ خَمسمائة عامٍ، والعرشُ علىٰ الماءِ، واللهُ فوقَ العرشِ، وهو يعلمُ ما أنتم عليه(٣).

١٥٤- **حدثنا** يحيىٰ الحِمَّاني، وأبو بكر، قالا: ثنا وكيع، عن سُفيان، عن عمار الدُّهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الكُرسيُّ موضعُ القدمين، والعرشُ لا يَقدرُ قدرَه إلَّا اللهُ(٤).

---

(١) أي: واسِعًا.

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٠٤ و١٠٥)، وهو حديث صحيح.

- قال ابن المُحبّ في «الصفات» (٢٢٨): وروىٰ الطبراني - لعلّه في «المعجم الأوسط» - أيضًا الحديث لخالد بن محمد القطواني، ثنا عبد السلام بن حفص، عن أبي عمران الجَوْني، عن أنس رضي الله عنه، وفيه: «**فإذا كان يوم الجمعة نزل من عِلِّيِّينَ فجلس علىٰ كرسيه**»، وفيه: «**ثم يتجلَّىٰ لهم فيقول: أنا الذي صدقتكم**».

وكان إبراهيم بن يحيىٰ كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ جهميًّا مُعتزليًّا، فلعلّه أسقط هذه الألفاظ، فإنها في جميع طُرق هذا الحديث، والحمد لله. اهـ

(٣) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٥٥)، وهو أثر صحيح.

(٤) تقدم تخريجه برقم (١٥٤).

١٥٥- حدثنا الحِمَّاني، ثنا الحكم بن ظُهير، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن عبدالله رضي الله عنه قال: ما السماواتُ والأرضُ في الكُرسيِّ إلَّا بمنزلةِ حلقةٍ بأرضٍ فَلاةٍ(١).

١٥٦- [حدثنا يحيىٰ الحِمَّاني، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مُجاهد، قال: ما السمواتُ والأرضُ في الكُرسيِّ إلَّا بمنزلةِ حلقةٍ في أرضٍ فلاةٍ](٢).

١٥٧- حدثنا عبد الله بن رجاء، أبنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة، قال: أتت امرأةٌ إلىٰ النبيِّ ﷺ فقالت: ادعُ اللهَ أن يُدخلني الجنَّةَ، فعظَّمَ الربَّ.

فقال: «**إنَّ كُرسيَّه وسِعَ السماواتِ والأرضَ، وإنَّه ليَقعُدُ عليه، فما يفضُلُ منه إلَّا قدر أربعِ أصابعَ**» - ومَدَّ أصابِعَه الأربع -، «**وإنَّ له أطيطًا كأطيطِ**(٣)

---

(١) في إسناده: الحكم بن ظُهير، قال ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٣٥): عامة أحاديثه غير محفوظة.

وروىٰ ابن بطة في «الإبانة» (٢٧١٩) نحوه مرفوعًا من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٣٤٨)، وسعيد بن منصور في «سُننه» (٤٢٥)، وابن أبي شيبة في «العرش» (٤٥)، وهو صحيح عنه.

(٣) (الأطُّ، والأطيط): صوت تَقبُّض المحامل، أطَّ أطِيطًا، وكُلّ شيء ثقيل يُحملُ بعضُه علىٰ بعضٍ يئطُّ. والأطاطُ: الصياح. وأطيط الإبل: أنينُها من ثِقل الحِمل. «العين» (ص٣٠).

الرحلِ الجديدِ إذا رَكِبَه مَن يُثقِله»(١).

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٥٧١)، تحت باب: (سُئل أبي عمَّا رُويَ في الكرسي، وجلوسِ الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ عليه).

وهذا الحديث صحيح، تلقَّاه أئمة أهل السُّنة بالقبول، ورووه في مُصنَّفاتهم مُحتجِّين به غير مُعترضين عليه، ومنهم: عبدُ بن حُميد في «التفسير»، وابن ماجه في «التفسير»، والمرُّوذي في «ذكر المقام المحمود»، والدارمي في «النقض علىٰ بشر المريسي»، وابن أبي عاصم في «السُّنة»، وعبدالله بن أحمد بن حنبل في «السُّنة»، وابن جرير في «التفسير»، والخلَّال في «السُّنة»، والنَّجاد في «السُّنة»، والطَّبراني في «السُّنة»، وأبو بكر عبد العزيز غلام الخلَّال في «السُّنة»، وأبو الشَّيخ في «العظمة»، والدَّارقطني في «الصِّفات»، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ»، والعطَّار في «فُتيا في الاعتقاد»، والضِّياء في «المختارة»، والدَّشتي في «إثبات الحد»، وابن تيمية في «نقض تأسيس الجهمية»، والذهبي في «العرش»، وغيرهم ممن احتجُّوا به من أهل المُصنِّفات، وتلقَّوه بأحسن قبول، ولم يتعرَّضوا له بالطَّعن والرَّد.

- قال عبد الله بن أحمد رَحِمَهُمَاٱللَّهُ في «السُّنة» (٥٧١): حدثني أبي، ثنا وكيع بحديث: إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة، عن عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: (إذا جلسَ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ علىٰ الكرسيِّ). فاقشعرَّ رجُلٌ سمَّاه أبي عند وكيعٍ، فغضبَ وكيعٌ، وقال: أدركنا الأعمشَ، وسُفيان يُحدِّثون بهذه الأحاديثِ لا يُنكرونها.

فأنكر عليه وكيع مُجرَّد أن اقشعر عند سماعه! فكيف لو ردَّه أو أنكره؟!

- قال ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٤٣٤): حديث عبدالله بن خليفة المشهور الذي يروىٰ عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ، وقد رواه أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد المقدسي في «المختارة» .. وأكثر أهل السُّنة قَبِلوه. اهـ

- وقال الذهبي في «العرش» (٢/ ١١٩): هذا حديث محفوظ من حديث أبي إسحاق السَّبيعي إمام الكوفيين في وقته، سَمِعَ من غير واحدٍ من الصَّحابة، وأخرجا حديثه في الصَّحيحين، وتوفِّي سنة سبع وعشرين ومائة، تفرَّد بهذا الحديث عن

=⇦

=

عبدالله بن خليفة من قُدماء التابعين، لا نعلم حاله بجرح ولا تعديل؛ لكن هذا الحديث حدّث به أبو إسحاق السَّبيعي مُقرًّا له كغيره من أحاديث الصِّفات، وحدّث به كذلك سُفيان الثوري، وحدث به أبو أحمد الزُّبيري، ويحيىٰ بن أبي بكير، ووكيع، عن إسرائيل.

وأخرجه أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب «السُّنة والرَّد علىٰ الجهمية» له، عن أبيه عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سُفيان - ثم ساقه.

وقال: ورواه أيضًا عن أبيه، حدثنا وكيع بحديث إسرائيل - ثم ساقه -.

وقال: وهذا الحديث صحيح عند جماعة من المُحدثين، أخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي في «صحيحه» ... فإذا كان هؤلاء الأئمة: أبو إسحاق السَّبيعي، والثوري، والأعمش، وإسرائيل، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو أحمد الزبيري، ووكيع، وأحمد بن حنبل، وغيرهم ممن يطول ذكرهم وعددهم الذين هم سُرج الهدىٰ، ومصابيح الدُّجىٰ، قد تلّقوا هذا الحديث بالقبول وحدّثوا به، ولم يُنكروه، ولم يطعنوا في إسناده، فمن نحن حتَّىٰ ننكره، ونتحذلق عليهم؟! بل نؤمن به، ونكل علمه إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ. قال الإمام أحمد: لا نزيل عن ربنا صفة من صفاته لشناعة شُنِّعت، وإن نبت عن الأسماع.

فانظر إلىٰ وكيع بن الجراح الذي خَلَفَ سُفيان الثوري في علمه وفضله، وكان يشبه به في سمته وهديه، كيف أنكر علىٰ ذلك الرّجل، وغضب لما رآه قد تلوَّن لهذا الحديث). اهـ

وقوله: (نكل علمه): أي كيفيته كما بيَّنتُ ذلك في كثير من المواطن.

وقد أطلنا الكلام في تخريج هذا الحديث، وذِكرِ مَن صحَّحه مِن أهل العلم في تحقيق كتاب «إثبات الحد» (برقم/ ٣٧)، فانظره إن أردت الاستزادة.

وتقدم قريبًا برقم (١٥٠ و١٥١) دليلٌ علىٰ إثبات الجلوس لله تعالىٰ.

وفي الحديث إثباتُ الثقل لله تعالىٰ، وقد أثبتها أئمة أهل السُّنة ولم يُنكروها كما بيَّنتُ ذلك في الكتاب الأول «الردعلىٰ الجهمية» برقم (٦٢).

فهاك أيُّها المَريسيُّ، خذها مشهورةً مأثورةً فصُرها[١] وضعها بجنبِ تأويلِكَ الذي خالفتَ فيه أُمَّة محمدٍ ﷺ.

١٥٨- ثُم أنشأتَ أيُّها المَريسيُّ واعِظًا لِمَن اتَّعظَ قَبلَكَ بمَواعِظِ اللهِ، وقَبِلَها عن اللهِ، وصَدَّقَ فيها رسولَ اللهِ ﷺ، وانتهىٰ فيها إلىٰ ما أمَرَ اللهُ، فانزجَرَ عمَّا نهىٰ الله.

فقلتَ لهم: (**لا تَعتقدوا في أنفُسِكم أنَّ للهِ شِبهًا، أو مِثلاً، أو عِدلاً، أو يُدركُ بحاسَّةٍ، وانفوا عن اللهِ ما نفاه عن نفسِهِ، وصِفوه بما وصفَ به نفسَهَ في كتابه، فإنَّ مَن زعمَ أن للهِ شِبهًا، أو عِدلاً؛ فهو كافر**[٢]).

---

(١) مِن الصَّرِّ والجمع، وكل شيءٍ جمعته فقد صررته. «لسان العرب» (٤/ ٤٢٩).

(٢) هذا بعينه كلام الأشاعرة! فهم في الظاهر ينفون عنه التشبيه والتمثيل، وهم يُريدون بذلك نفي الصفات وتعطيلها، وقد صرَّح بهذا غير واحدٍ مِن أهل العلم الذين عرفوا حقيقة مذهبهم، وتلاعبهم في بالألفاظ، فهذا السجزي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في رسالته التي بيَّن فيها حقيقة مذهبهم في مسألة الحرف والصوت وغيرها من الصفات: (الفصل السابع: بيان فعلهم في إثباتِ الصفات في الظاهر، وعدولهم إلىٰ التأويل المُخالف في الباطن، وادِّعائهم أن إثباتها علىٰ ظاهرها تشبيهٌ).

وقال: (وينبغي أن يُتأمَّل قول الكُلَّابية والأشعرية في الصفات، ليُعلَمَ أنهم غيرُ مُثبتين لها في الحقيقة، وأنهم يتخيَّرون من النصوص ما أرادوه، ويتركون سائرها ويُخالفونه). انتهىٰ، ثم ذكر أمثلة كثيرة للصفاتِ، وقارن بين قولهم وبين قول المُعتزلة، وأنه لا فرق بينهما في الحقيقة، فالكلُّ يرجع إلىٰ التعطيل.

ثم قال (١١٦): وكذلك كثيرٌ من مذهبه، يقول في الظاهر بقول أهل السُّنة مُجملًا، ثم عند التفسير والتفصيل يرجع إلىٰ قول المعتزلة، فالجاهل يقبله بما يُظهره، والعالم يجهره لِمَا منه يخبرُه، والضرر بهم أكثر منه بالمعتزلة لإظهار أولئك ⇦=

فيُقالُ لك أيُّها المريسيُّ المُدَّعِي في الظاهرِ لِمَا أنتَ له مُنتفنٍ في الباطنِ:

قد قرأنا القرآن كما قرأتَ، وعَقِلنا عن اللهِ أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وقد نفينا عن اللهِ ما نفىٰ عن نفسِهِ، ووصفناه بما وصفَ به نفسَه، فلم نَعْدُه، وأبيتَ أن تَصِفَه بما [٢٥/ب] وصفَ به نفسَه، [فنفيتَ عنه ما وصفَ به نفسَه] ووصفتَه بخلافِ ما وصفَ به نفسَه.

أخبرنا اللهُ في كتابِه أنه: ذُو سَمعٍ وبَصرٍ، ويدينِ، ووجهٍ، ونَفْسٍ، وعِلمٍ،

= ومجانبتهم أهل السنة، وإخفاءِ هؤلاء ومخالطتهم أهلَ الحق. نسأل الله السلامة من كلٍّ برحمته. اهـ

* وانظر: (الفصل الرابع: إقامة البرهان علىٰ أنهم مُخالفون لمُقتضىٰ العقل بأقاويل متناقضة، مظهرون لخلاف ما يعتقدونه).

وليس هذا حالهم فقط في الصفات بل سلكوا ذلك في مسائل القرآن والإيمان.

- قال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته» (ص١٣٧): قالت المعتزلة: لا يجوز أن توصف ذات الله بالكلامِ، ولا كلام إلَّا ما هو حرف وصوت.

وقال الأشعري: يجب وصف ذاته سبحانه بالكلام، وليس ذلك بحرف ولا صوت. فنفىٰ ما نفته المعتزلة، وأثبت ما لا يُعقل، فهو مُظهر خلافهم، موافق لهم في الأصل. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النبوات» (١/ ٥٨٠): وأمَّا الأشعري فالمعروف عنه وعن أصحابه: أنهم يوافقون جهمًا في قوله في الإيمان، وأنه مُجرَّد تصديق القلب، أو معرفة القلب؛ لكن قد يُظهرون مع ذلك قول أهل الحديث، ويتأوَّلونه. اهـ

وانظر: «ذم الكلام» (٥/ ١٣١): (١٩/ باب في ذكر كلام الأشعري).

وكذا التعليق علىٰ «الرد علىٰ الجهمية» (فقرة / ١٦٠) ففيها زيادة بيان.

وكلامٍ، وأنه فوقَ عرشِهِ، فوق سماواتِه، فآمنَّا بجميعِ ما وصفَ به نفسَه كما وصفَه بلا كيفٍ، ونَفيتَها أنت عنه كلَّها أجمعَ بِعماياتٍ من الحُجَجِ، وتكييفٍ.

• فادَّعيتَ أن (وجهه): كُلُّه.

• وأنه لا يُوصفُ بـ(نَفْسٍ).

• وأنَّ (سمعَه): إدراكُ الصوتِ إيَّاه.

• وأنَّ (بصرَه): مُشاهدَةُ الألوان كالجبالِ، والحِجارةِ، والأصنامِ التي تنظُرُ إليك بعيونٍ لا تُبصرُ.

• وأنَّ (يديه): رِزقاه مُوَسَّعُه ومَقتورُه.

• وأنَّ (عِلمَه وكلامَه): مخلوقانِ مُحدثانِ.

• وأنَّ (أسماءَه): مُستعارةٌ مخلوقةٌ مُحدثةٌ.

• وأنَّ فوقَ عرشِه منه مثل ما هو في أسفلِ سافلين.

• وأنَّه في صفاته كقولِ الناسِ في كذا، وكقولِ العربِ في كذا، تُضرَبُ له الأمثالُ تَشبيهًا بغيرِ شكلِها، وتَمثيلًا بغيرِ مِثلِها.

فأيُّ تكييفٍ بأوحشَ مِن هذا؛ إذ نفيتَ هذه الصفاتِ وغيرَها عن اللهِ تعالىٰ بهذه الأمثالِ والضلالاتِ المُضلَّاتِ.

وادَّعيت في تأويلِكَ: أن معبودكَ أصمُّ لا يَسمعُ، أبكمُ لا يَتكلَّمُ، أعمَىٰ لا يُبصِرُ، أجذمُ لا يدَ له، مُقعدٌ لا يقومُ ولا يَتحرَّكُ(١)، جاهلٌ لا يَعلمُ، مُضمحِلٌ

---

(١) تقدم برقم (٤٧) الكلام عن إثبات الحركة لله تعالىٰ.

ذاهِبٌ لا يُوصَفُ بحدٍّ، ولا بنَفسٍ، ولا يُدركُ بِحاسَّةٍ في دعواكَ، وهذا خِلافُ صفةِ ربِّ العالمين.

فالحمدُ للهِ الذي مَنَّ علينا بمعرفتِه، وطَبَعَ علىٰ قلبِكَ بجهالتِه، ولو قد قرأتَ القرآنَ، وعقَلتَ عن اللهِ معناه؛ لعلمتَ يقينًا: أنه يُدرَكُ بحاسةٍ بيِّنةٍ في الدنيا والآخرةِ(١).

فقد أدركَ منه موسىٰ في الدنيا: (الصوتَ، والكلامَ)، وهو مِن أعظمِ الحواسِّ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء].

وتُدركُ منه في المعادِ: (الرُّؤيةُ، والكلامُ، والنظرُ عِيانًا)، كما قال رسول الله ﷺ علىٰ رَغمِكَ وإن كَرِهت، قال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ [آل عمران:٧٧].

فهل مِن حواسَّ أعظمُ مِن (الكلامِ) و(النظرِ)؟!

غيرَ أنكم جعلتُم (الحواسَّ) كلمةً أُغلوطةً تُغالطون بها الصبيانَ والعُميانَ؛ لأن قولَكم: (لا تُدرِكُه الحَواسُّ)، معناه عندكم: (أنه لا شيءَ)؛ لِمَا قد علمتُم وجميع العالمين أن الشيءَ الذي يقعُ عليه اسمُ الشيءِ لا يخلو مِن أن يُدركَ بكلِّ الحواسِّ، أو ببعضِها، وأنَّ (لا شيءَ) لا يُدرَكُ بشيءٍ مِن الحواسِّ في الدنيا ولا في الآخرةِ، فجعلتموه (لا شيءَ).

---

(١) تقدم برقم (٧-١٠ و٢٧)، إثبات المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الله تعالىٰ يُدرك بالحواس.

وقد كذَّبكم اللهُ تعالىٰ بذلك في كتابه، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:١٩].

فجعلَ نفسَه أعظم الأشياءِ، وأكبرَ الأشياءِ، وخالِقَ الأشياءِ(١).

فإن أنكرتَ ما قُلنا، ولم تَعقِله بقلبِكَ؛ فسمِّ مِن الأشياءِ شيئًا صَغيرًا أو كبيرًا يقعُ عليه اسمُ الشيءِ، لا يُدركُ بشيءٍ مِن الحَواسِّ الخمسِ، غيرَ ما ادعيتُم علىٰ الأكبرِ الأكبرِ، والأعظمِ الأعظمِ، والأوحدِ الأوحدِ الذي لم يزل ولا يزالُ، فجعلتُم الخلقَ الفاني موجودًا، والقيِّمَ الدائمَ الباقي غيرَ موجودٍ، ولا يُدركُ بحاسَّةٍ في الدنيا والآخرةِ. [٢٦/أ]

وادَّعيتُم علىٰ غيرِكم ممَّن لا يُكيِّفُ: (التكييفَ)، وعلىٰ مَن لا يُشَبِّه: (التشبيه)، وأنتم دائبون تُكيِّفون وتُشبِّهون بأقبحِ الأشياءِ، وأبطَلِ الأمثالِ، فمَرَّةً تُكيِّفُه فتُشبِّهه بأعمىٰ، ومَرَّةً بأقطعَ، فكان وعظُك هذا لهؤلاءِ، كقول القائل: كلمةُ حقٍّ يُبتغىٰ بها باطِلٌ(٢).

والعَجبُ مِن إعجابِكَ بهذه المَقلوباتِ مِن تَفاسِيرِك، والمُحالاتِ مِن شرحِكَ وتَعبيرِك، حتىٰ رَويتَ عن مُجاهدٍ أنه قال: للحديثِ جَهابِذةٌ

---

(١) تقدم في «الرد علىٰ الجهمية» (١١٠) جواز الإخبار عن الله عَزَّوَجَلَّ بـ (الشيء).

(٢) قالها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الخوارج كما سيأتي برقم (٢١٥). وقد تقدم برقم (٨٩) بيان أن أهل التعطيل هم المُشبِّهة.

كجَهابِذةِ الوَرِقِ(١).

وصدقتَ أيُّها المريسيُّ، وما أنت واللهِ منهم، لا مِن رجالِه، ولا مِن رُواتِه، ولا مِن جَهابِذَتِه، فقد وجدنا الزُّيوفَ(٢) عندك جائزةً نقَّادةً، والنقَّادةَ نُفايةً(٣)، فكيفَ تستطيلُ بمعرفتِها، وأنت المُنسلِخُ منها.

١٥٩- ثم ادَّعىٰ المُعارِضُ: (أنه انتهى إلى هاهنا السَّماعُ مِن بشرٍ، قال: ثم ابتدأنا بعونِ الله في حِكاياتِ ابنِ الثلجي).

فيُقالُ لهذا المُعارضِ المُعجبِ بضلالاتِ هذين الضالينِ: فَرَغتَ مِن كلامِ بِشرٍ بِسَخَطِ الرحمنِ، وابتدأتَ في كلامِ ابنِ الثلجي بعونِ الشيطان.

ومَثَلُ فراغِكَ مِن كلامِ بِشرٍ، وشُرُوعِك في كلامِ ابنِ الثلجيِّ؛ كمثلِ: المُستجيرِ مِن الرَّمضاءِ بالنارِ(٤).

---

(١) (الجِهبذ): النَّقّاد الخبير. و(الوَرِق): الفِضَّة.

وهذا القول لم أقف عليه عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإنما روي عن شُريح القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما في «المدخل إلىٰ السُّنن الكُبرىٰ» (٧٢٨) عن يحيىٰ بن معين، قال: حضرني رجلٌ مِن أفاضل الناس، فقال: قبَّح اللهُ مالكًا حين يطعن في الناسِ، فقلت: مهلًا، فإنه لولا الجهابذة، لكثرت السُّتُوقة والزُّيوف في رواة الشريعة، فمتىٰ أحببتَ فهلمَّ ما سمعتَ حتىٰ أعزل لك منه نقد بيت المال، أما تحفظُ قول شُريح: إن للأثر جهابذة كجهابذة الوَرِق.

(٢) (الزيوف): المغشوش من الدراهم.

(٣) (نقادة): مِن النقد وهو ضد الزيف. و(النفاية): رديء الشيء وبقيّته.

(٤) (الرمضاء): هي التُّربة الحارَّة.

⇦=

فرغتَ مِن احتجاجِ كافرٍ إلىٰ احتجاجِ جهميٍّ خاسِرٍ، فعلىٰ أيِّ جَنبيكَ وقعت منهما لم تَنجبِر، وبأيِّهما استعنتَ لم تَظفَر، وبأيِّهما اسَتنصرتَ لم تُنصَر.

وكذلك قال الأوزاعيُّ لبعضِ أهلِ البدعِ إذا انتقلوا مِن رأيٍ إلىٰ رأيٍ: إنكم لا تَرجعون عن بدعةٍ، إلَّا تعلَّقتُم بأُخرىٰ هي أضرُّ عليكم منها(١).

١٦٠- **حدثناه** عبد الله بن صالح، عن الهِقل بن زياد، عن الأوزاعي.

وسَنَنْقُضُ علىٰ الثلجيِّ مِن ضَلالاتِه، كما نقضنا مِن [قبل] ضَلالاتِ المريسيِّ إن شاء الله، بعونِ الله وتوفيقه.

١٦١- حكيتَ أيُّها المُعارِضُ عن ابنِ الثلجيِّ أنه قال: (**ناظرتُ بشرًا المريسيَّ في (العرشِ): أنَّ اللهَ فوقَه. قال: فقال لي بشرٌ: لا أقولُ: إنه على عرشِهِ، كمخلوقٍ على مخلوقٍ**).

فيُقالُ لهذا الثلجيِّ الغويِّ: أوَّلُ غَوايتِك سُؤالُكُ المَريسيَّ عن تفسيرِ (العرش)، إذ عَقَلَ أمرَه النِّساءُ والصِّبيانُ.

ويَلكَ ! أما وجدتَ شيخًا مِن أهلِ الإسلامِ وأهلِ العِلمِ الذين أدركتَ أجودَ إيمانًا بالعرشِ مِن بِشرٍ؟! وأحسنَ معرِفةً له؟! حتىٰ تُناظِرَه فيه مِن بينهم؟ تَستحسِنُ تفسيرَه وتَرويه لأهلِ الغفلةِ عنه كيما يعتقدونَه دِينًا، وكان

=

وقوله: (كالمُستجيرِ مِن الرَّمضاءِ بالنارِ)، في «جمهرة الأمثال» (٢/ ١٦٠): يُضْرب مثلًا للرجل يفرُّ مِن الأمر إلىٰ ما هو شَرٌّ منه. اهـ

(١) تقدم في «الرد» (١٩٠) بيان أن أهل البدع لا يرجعون غالبًا عن بدعهم وأهوائهم.

أكفرَ أهلِ زمانِه بالعرشِ، وأشدَّهم له إنكارًا ممَّن يَنتَحِلُ الإسلامَ، فكفىٰ بهذا منك دليلًا وظِنَّةً علىٰ الرِّيبةِ أن يكونَ المُختارُ عندك مِن جميعِ العُلماءِ في تفسيرِ (العرشِ) بِشرَ بن غياثٍ المَريسي.

أوَمَا سمعتَ بِبِشرٍ وسُوء مذهبِه، وافتِضاحِه في بلدِه، وأهلِ مِصرِه، وأنت له جارٌ قريبٌ؟! ولكن يُعتبَرُ بالإمامِ المأمومُ، والصَّاحِبُ بالصَّاحِبِ(١).

أوَلَم يَكفيكَ أيُّها الثلجي ما قَصَّ اللهُ في كتابِه مِن ذِكرِ العرشِ وتفسيرِه، وما رُوي فيه عن الرسولِ ﷺ، فلم تَقنَع بهما، حتىٰ اضطررتَ إلىٰ مُناظرةِ

---

(١) روىٰ أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**الرَّجُلُ علىٰ دِينِ خليلِه، فلينظُرْ أحدُكُم مَن يُخالِل**». رواه أحمد (٨٠٢٨)، وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) وقال: حديث حسن غريب.

- وفي «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٥٢): سُئِلَ أحمد بن حنبل عن إبراهيم بن عتَّاب، فقال: لا أعرفه، إلَّا أنه كان مِن أصحاب بشر المريسي، فينبغي أن يُحذَر ولا يُقرَب، ولا يُقلَّد شيئًا مِن أمور الناس.

- وفي «الإبانة الكبرىٰ» (٤٥١) قال الأوزاعي: مَن سَترَ عنَّا بدعتَه، لم تَخفَ علينا أُلفتُه.

- وفيها (٤٥٢) عن يحيىٰ القطان قال: لما قدِمَ سفيان الثوري البصرة جعل ينظر إلىٰ أمر الربيع - يعني: ابن صبيح -، وقدرِه عند الناس، سأل: أيّ شيءٍ مذهبُه؟ قالوا: ما مذهبُه إلَّا السُّنة.

قال: مَن بطانتُه؟ قالوا: أهلُ القدر. قال: هو قدريٌّ.

- قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح السُّنة» (١١٣): وإذا رأيت الرجلَ جالسًا مع أهلِ الأهواء، فاحذره، وعرِّفهُ؛ فإن جلس معه بعدما عَلِمَ فاتَّقِهِ؛ فإنه صاحب هوىٰ.اهـ

المَريسيِّ؟

والمُناظرةُ في (العرشِ) رِيبةٌ لا شكَّ فيه؛ لأنَّ الإيمانَ به قد خَلَصَ إلىٰ النِّساءِ والصِّبيانِ الذين لا فِقهَ لهم ولا عَلِمَ، وكيفَ [٢٦/ ب] إلىٰ مَن يَدَّعي معرفةَ العلمِ؟!

فأمَّا إذ أبيتَ إلَّا مُناظرتَه فإنه يُقالُ له: أيُّها المَريسيُّ، (**لا يُقالُ: إنَّ الله على عرشِهِ كمخلوقٍ على مخلوقٍ**)، ولكن مَلِكٌ كريمٌ خَالِقٌ غيرُ مخلوقٍ علىٰ عرشٍ عظيمٍ مَخلوقٍ جسيمٍ علىٰ رغمِكَ وأنت مَلومٌ، فمَن لمن يُؤمن أنه كذلك؛ فقد كفرَ بما أنزلَ اللهُ، وجَحَدَ آياتِ اللهِ، وردَّ أخبارَ رسول الله ﷺ.

وقولُكَ: (**كذا على كذا، وكمخلوقٍ على مخلوقٍ**)، تَشبيهٌ ودِلسَةٌ، وكُلفَةٌ لم نُكلَّف ذلك في دِينِنا، ولكن نَقولُ كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

وكما قالَ الرسولُ المُصطفىٰ ﷺ إنه فوقَ عرشِه الأعلىٰ، فوق سَماواتِه العُلىٰ، وتِلكَ العُروةُ الوثقىٰ، مَن انتهىٰ إليها اكتفىٰ، ومَن عدَلَ عن ذلك اعتدىٰ.

١٦٢- ثم انتَدَبَ المُعارِضُ مُتكلِّمًا مِن قِبلِ نفسِهِ في (العرشِ)، مُتأوِّلًا في تفسيرِه ومعناه خِلافَ ما تأوَّلَه أهلُ العلمِ باللهِ وكتابِهِ وآياتِهِ.

فقال: (﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، **ليس له تأويلٌ إلاَّ على أوجهٍ نصِفُها، ونَكِلُ عِلمَها إلى اللهِ**).

قال بعضُهم: العرشُ أعلى الخلقِ، واللهُ عليه، وعلى كلِّ شيءٍ، وبكُلِّ مكانٍ غيرُ محويٍّ، ولا مُلازِقٍ، ولا مُمازِجٍ، ولا بائنٍ باعتزالٍ، وبفُرجةٍ بينه

وبين خلقِه، لا يُتوهَّمُ أنه على العرشِ كجسمٍ على جسمٍ(١).

فيُقالُ لهذا المُعارضِ: ما تركتَ أنت وإمامُكَ هذا مِن التكذيبِ بالعرشِ غايةً، ولا مِن الافتراءِ علىٰ اللهِ فيه نِهايةً.

أوَّلُه: أنك قُلتَ وحكيتَ: (**أنَّ العرشَ أعلى الخلقِ**)؛ واللهُ مُكذِّبُك في كتابِه إذ يقول: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧]، فكيف يُمكِنُ أن [يكونَ] العرشُ أعلىٰ الخلقِ، وكان العرشُ علىٰ الماءِ قبل الخلقِ؟! إذ لا أرضَ، ولا سماءَ، ولا خلقَ غيرَ العرشِ والماءِ؟

ومِمَّا يَزيدُكَ تكذيبًا:

• قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر:٧٥].

• وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر:٧].

أفتحمِلُ الملائكةُ في دعواك أعلىٰ الخلقِ، أو أسفَلَه، أو شيئًا مِن الخلقِ؟

• وقال: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة].

أيحمِلونَ يومئذٍ أعلىٰ الخلقِ ويتركون أسفَلَه؟

أم الملائكةُ تَحمِلُ الناسَ يومَ القيامةِ والسماوات؛ لأنها أعلىٰ الخلق؟

فهل سَمِعَ سامِعٌ بمُحالٍ مِن الحُججِ أبينَ مِن هذا؟ مع ما فيه مِن

---

(١) ولا يزال أهل التعطيل من الأشاعرة والماتريدية وغيرهم يتخذون نفي هذه الألفاظ المُجملة المُحدثة ذريعة لإبطال علو الله تعالىٰ واستوائه علىٰ عرشه.

التكذيبِ بالعرشِ نصًّا، ودفعِهِ رأسًا؛ لأنه إن يكن العرشُ في دعواه: (**أعلى الخلقِ**)؛ فقد بطَلَ العرشُ الذي هو أعلىٰ؛ لأن العرش غير ما سواه مِن الخلقِ، إذ كان مخلوقًا علىٰ الماءِ قبل الخلقِ.

ففي أيِّ كلامِ العربِ، وجدت هذا أيُّها المُعارِضُ: (**أن العرش أعلى الخلق**) فبيِّنه لنا، وإلَّا فإنَك مِن المُبطلين.

واللهُ مُكذِّبُكَ في كتابه، إذ يقول: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [المؤمنون]، فميَّزَ اللهُ بين (أعلىٰ الخلقِ) وبين (العرشِ العظيم)، وجعله غير السماوات السبع فما دونها.

وممَّا يزيدُك تكذيبًا قوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج]، و ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون].

وأيُّ مَجدٍ وكَرَمٍ لأعلىٰ الخلقِ ما ليس لأوسطِه وأسفلِه؟

فلذلك قُلنا: إن تأويلك هذا تكذيبٌ بالعرشِ صُراحًا، وإنكارُه نصًّا(١).

• وأمَّا قولُك: (**إنَّ الله غير محويٍّ، ولا مُلازقٍ، ولا مُمازِجٍ**)؛ فهو كما ادَّعيت.

• وأمَّا قولُك: (**غيرُ بائنٍ باعتزالٍ، [٢٧/ أ] ولا بفُرجةٍ بينه وبين خلقه**).

---

(١) تقدم برقم (٦٧ و٧٠) بيان أن التأويل نوع من أنواع التكذيب بالنصوص.

وانظر كلام المُصنِّف في حقيقة العرش وعلو الله عليه في «الرد علىٰ الجهمية» (باب الإيمان العرش).

فقد كذبتَ فيه وضللتَ عن سواءِ السبيلِ، بل هو بائنٌ مِن خلقِه فوقَ عَرشِهِ بفُرجةٍ بَينَه، والسماوات السبعُ فيما بينه وبين خلقِهِ في الأرضِ، وهو يعلمُ مِن فوقِ عرشِه ما هم عامِلون، لا يَخفىٰ عليه منهم خافيةٌ كما أنبأنا اللهُ تعالىٰ ورسولُه، وأصحابُ رَسولِه ﷺ.

• وأمَّا قولك: (**كجسمٍ علىٰ جسمٍ**)، فإنا لا نقول: إنه كجسمٍ علىٰ جسمٍ، لكنا نقولُ: ربٌّ عظيمٌ، ومَلِكٌ كبيرٌ، نُورُ السماواتِ والأرضِ، وإلهُ السماواتِ والأرضِ، علىٰ عرشٍ مخلوقٍ عظيمٍ فوقَ السماءِ السابعةِ، دون ما سواها مِن الأماكنِ، مَن لم يعرِفه بذلك كان كافِرًا به وبِعرشِه(١).

والأنوارُ المخلوقةُ ليس منها نُورٌ إلَّا وله ضَوءٌ ساطِعٌ، ومَنظرٌ رَائِعٌ، فكيفَ النورُ الأعظمُ خالقُ الأنوارِ الذي ليس كمثلِهِ شَيءٌ؟!

١٦٣- وزعمتَ أيُّها المُعارض: (**أنَّ اللهَ لم يصف نفسَه أنه بموضعٍ دون موضعٍ، ولكنه بكلِّ مكانٍ**)، وتأوَّلتَ في ذلك بما تأوَّلَ به جهمُ [بن صفوان] قبلك، فقلت: ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ**﴾ [المجادلة:٧] الآية(٢).

---

(١) هذا الكلام مِن الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ردٌّ صريحٌ علىٰ ما ينسب إليه أنه يصف الله تعالىٰ بأنه جِسمٌ، وهذا كَذِبٌ يُريد به خصومه التشنيع عليه بذلك.

(٢) تقدم في «الرد علىٰ الجهمية» (٣٧و٣٨) مناقشة المُصنِّف لاستدلال الجهمية بهذه الآية، وأن المراد بها: أنه معهم بعلمه لا بذاته، فقال: (وتعلَّقتم بوَسَطِ الآيةِ، وأغفلتُم فاتِحتها وخاتِمتها؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ افتتحَ الآيةَ بالعلمِ بهم، وختَمَها به، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ =

ثم رويتَ: عن أبي موسىٰ ﵁، عن النبيِّ ﷺ أنه قال لأصحابِه وقد رَفَعُوا الصوتَ بالتكبيرِ: «**إنكم لا تَدعون أصمَّ ولا غائِبًا، إنَّه أقربُ إليكم مِن رُؤوسِ رَواحِلِكم**»(١).

فيُقالُ لهذا المُعارضِ: هو كما وصفَ نفسَه، ووصفَه الرسولُ ﷺ مع كلِّ ذي نجوىٰ، وأقربُ إلىٰ أحدهم مِن حبلِ الوريدِ، وأقربُ منها بعلمٍ ومنظرٍ ومسمعٍ مِن فوقِ العرشِ، لا يخفىٰ عليه منهم خافيةٌ، ولا يَحجُبُهم عنه شيءٌ، عِلمُه بهم مِن فوقِ العرشِ مُحيطٌ، وبصرُه فيهم نافِذٌ، وهو بكمالِه فوقَ عرشِهِ والسماواتِ، ومسافة ما بينهنَّ وبينَه وبين خلقِه في الأرضِ، فهو كذلك معهم رابِعُهم وخامِسُهم وسَادِسُهم، يعلمُ ما عملوا مِن شيءٍ، ثم يُنبئهم يومَ القيامةِ بما عَمِلوا، كذلك هو مع كلِّ ذي نجوىٰ، لا كما ادَّعيتُم أنه مع كلِّ بائِلٍ، ومُحْدِثٍ، ومُجامِعٍ، في كُنُفِهم، وحُشُوشِهم(٢)، ومَضَاجِعِهم.

وإنما يُعرَفُ فضلُ الرُّبوبيةِ، وعِظَمُ القُدرةِ: بأن الله تعالىٰ مِن فوقِ عرشِهِ، وبُعد مسافةِ السماواتِ والأرض، يَعلمُ ما في [السماوات و] الأرضِ، [وما بينهما]، وما تحتَ الثرىٰ، وهو مع كلِّ ذي نجوىٰ، ولذلك قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الرعد:٩]، ولو كان في الأرضِ كما ادَّعيتُم بجنبِ كلِّ ذي

= [المجادلة]. ففي هذا دليلٌ علىٰ: أنه أرادَ العِلمَ بهم وبأعمالهم، لا بأنه نفسَه في كلِّ مكانٍ معهم كما زعمتم). انتهىٰ، وانظر التعليق عليه ففيه زيادة بيان.

(١) رواه أحمد (١٩٧٥٥)، ومسلم (٢٧٠٤)، ولفظه: قال ﷺ: «.. **إنكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، وهو معكم**».

(٢) المراد بـ(الكُنفِ والحُشوشِ) هاهنا: المراحيض وأماكن قضاء الحاجة.

نجوىٰ؛ ما كان بَعجبٍ أن يُنبِّئَهم بما عملوا يوم القيامةِ.

فلو كنا نحن بتلك المنزلةِ منهم؛ لنبَّأْنا كلَّ عاملٍ منهم بِمَا عمِلَ وقال، وناجىٰ به أصحابَه، فما فضلُ علَّامِ الغيوبِ علىٰ المخلوقِ الذي لا يعلم الغيب في دعواك؟

• وأمَّا قولُك: **(إنَّ اللهَ لم يصف نفسَه أنه في موضعٍ دون موضع).**

فإنَّ كنتَ أيُّها المُعارضُ ممَّن يَقرأُ كتابَ اللهِ، ويَفهمُ شيئًا مِن العربيةِ؛ علِمتَ أنك كاذِبٌ علىٰ اللهِ في دعواك؛ لأنه وصَفَ أنه في موضعٍ دون موضعٍ، ومكانٍ دون مكانٍ.

ذكرَ أنه فوقَ العرشِ، والعرشُ فوقَ السماوات، وقد عرَفَ ذلك كثيرٌ مِن النِّساءِ والصِّبيانِ، فكيفَ مِن الرِّجال؟!

• قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

• ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦].

• ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:٦١]. [٢٧/ ب]

• ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠].

• ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

• ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج] مِن الأرض السافلة.

• وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠] ولم يقل: ينزلُ [به] إليه تحت الأرضِ.

فهـذه الآيُ كلهـا تُنبِئُـكَ عـن اللهِ أنـه في موضـعٍ دون موضـعٍ، وأنـه علـىٰ السماءِ دون الأرضِ، وأنه علىٰ العرشِ دون ما سِواه مِن المواضعِ، قد عرف ذلك مَن قرأَ القرآنَ، وآمنَ به، وصدَّقَ اللهَ بما فيه، فلِمَ تَحكُمُ علىٰ اللهِ تعالىٰ أيُّها العبدُ الضعيفُ بما هو مُكذِّبُك في كتابِهِ، ويُكذِّبُك [به] الرسول ﷺ؟

• أوَلَم يَبلُغك حديثُ النبيِّ ﷺ أنه قال للأمةِ السوداءِ: «**أينَ اللهُ؟**».

فقالت: في السماءِ.

قال: «**أعتِقْهَا فإنها مؤمنةٌ**»(١).

فهـذا يُنبِئُـك أنـه في السـماءِ دون الأرضِ، فكيـفَ تَـترُكُ مـا قـال اللهُ تعـالىٰ ورسـولُه، وتَختـارُ عليهمـا في ذلـك قـولَ بِشـرٍ، والثلجِـيِّ، ونُظرائِهمـا مِـن الجهمية؟!(٢).

---

(١) تقدم تخريجه في «الرد علىٰ الجهمية» (٣٩-٤١).

(٢) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ٤٧٢): فإن نُفاة كونه علىٰ العرشِ لا يُعرف منهم إلَّا مَن هو مأبونٌ في عقله ودينه عند الأُمَّة، وإن كان قد تاب مِن ذلك؛ بل غالبهم أو عامّتهم حصل منهم نوع ردَّةٍ عن الإسلام، وإن كان منهم من عاد إلىٰ الإسلام، كما ارتدَّ عنه قديمًا شيخهم الأول جهم بن صفوان، وبقي أربعين يومًا شاكًّا في ربِّه لا يقرُّ بوجوده ولا يعبده، وهذه ردَّة باتفاق المسلمين، وكذلك ارتدَّ هذا الرازي حين أمر بالشرك وعبادة الكواكب والأصنام، وصنَّف في ذلك كتابه المشهور وله غير ذلك، بل من هو أجلّ منه من هؤلاء بقي مُدَّة شاكًّا في ربِّه غير مقرٍّ بوجوده حتىٰ آمن بعد ذلك، وهذا كثير غالب فيهم، ولا ريب أن هذا أبعد العالمين عن العقل والدين. اهـ

• وأمَّا قولُك: (إنه غيرُ محوِيٍّ، ولا مُحاطٍ به).

فكذلك هو عندنا، وفي مذهبنا، لما أنه فوقَ العرشِ في هواءِ الآخرةِ، حيث لا خَلقَ معه هناك غَيرُه، ولا فوقَه سَماءٌ.

وفي قياسِ مذهبِكَ ومذاهبِ أصحابك: محوِيٌّ مُحاطٌ به، مُلازِقٌ، مُماسٌّ، قد اعترفتَ بذلك مِن حيث لا تشعُرُ؛ لأنكم تزعمون أنه في كلِّ مكانٍ مِن السماواتِ والأرضِ، والسماواتُ فوقَ بعضِهِ، وأنه في كلِّ بيتٍ مُغلَقٍ، وفي كلِّ صندوقٍ مُقفلٍ، فهو في دعواكم (مُحاطٌ به مُماسٌّ).

ولا يكون شيءٌ في كلِّ مكانٍ إلَّا وذلك الشيءُ مُماسٌّ الأمكنة، قد أحاطت به الأرضُ - في دعواكم - والسماءُ، وحيطانُ البيوتِ، والأغلاقُ والأقفالُ(١).

ونحن نبرأُ إلىٰ الله أن نَصِفَه بهذه الصِّفةِ، بل هو علىٰ عرشِه، فوقَ جميعِ الخلائقِ، في أعلىٰ مكانٍ، وأطهرِ مكانٍ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:٦١]، يعلمُ مِن فوقِ عرشِهِ ما في السماواتِ وما في الأرضِ، وما تحت الثرىٰ، يُدبِّرُ منه الأمر، يعرجُ إليه في يومٍ كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ كما قال، لا يُحيطُ به شيءٌ، ولا يَشتمِلُ عليه حائِطٌ، ولا سقفُ بيتٍ، ولا

---

(١) زاد في أصل (ب): (فإذا [٤٢/ ب] كان في كلٍّ، يلزم هذا الجاهِلَ علىٰ ما ادّعاه أن تكون ذاتُه مِلءَ الخلاءِ بأسرِه، فيلزمُه أن يكون طُرُقًا لحوادثه، وتعالىٰ الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا أن يكون طُرُقًا لحوادثه، أو تكونَ حوادثُه طُرُقًا له، لأنه تعالىٰ مُحيطٌ بالأشياءِ، لا مُحاطٌ به، فبَطَلَ وظهَرَ فسادُ ما ادَّعاه). اهـ

قلت: وهذا لا يشبه كلام المُصنِّف، ولا المُتقدِّمين مِن أئمة السُّنة. والله أعلم.

تُقِلُّه أرضٌ، ولا تُظِلُّه سماءٌ كما ادَّعيت أيها المُبتَلىٰ أنه في كلِّ جُحرٍ وزَاويةٍ، وفي كلِّ حُشٍّ وكنيفٍ ومرحاضٍ، حيثُ مَقيلُ الشيطانِ ومبيتُهم، تعالىٰ الله عن وصفِكَ(١).

١٦٤- وادَّعىٰ المُعارِضُ علىٰ قومٍ مِن أهلِ الجماعةِ: أنهم يقولون: (**عِلمُ اللهِ تعالى مِن ذاتِه، وهو في الأرضِ بائنٌ منه**).

فإنَّا لا نقولُ كما ادَّعيتَ أيُّها المُعارِضُ، ولا نقولُ: إنَّ بعضَ ذاتِهِ في الأرضِ مَنزوعٌ مُجسَّمٌ بائنًا منه، ولكنَّا نقولُ: عِلمُه وكلامُه معه كما لم يَزل، غير بائنٍ منه، فهو بعلمِه الذي كان في نفسِه عالمٌ مِن فوقِ عرشِه بكلِّ ذي نَجوىٰ، [ومع كلِّ ذي نَجوي]، أي: لا يخفىٰ عليه منهم خافيةٌ؛ لأنهم منه بمنظرٍ ومَسمعٍ، وهو أقربُ إليهم مِن حبلِ الوريدِ، لا يخفىٰ عليه مِن جَسدٍ ظاهرًا وباطنًا قِيسَ خردلةٍ مِن مُخٍّ، أو عظمٍ، [أو لحمٍ]، أو عِرقٍ داخلٍ أو خارجٍ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة]، أي: نحن نعلمُ منه ما ظهرَ وما بطنَ، [٢٨/ أ] وما غيَّبَ منه الجلودُ، وواراه

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مختصر الصواعق المرسلة» (١/ ٥٠): (فصل في إلزامهم في المعنىٰ الذي جعلوه تأويلًا نظير ما فرُّوا منه)، قال: وهو فصلٌ بديعٌ يعلم منه أن المُتأولين لم يستفيدوا بتأويلهم إلَّا تعطيل حقائق النصوص، وأنهم لم يتخلّصوا ممَّا ظنوه محذورًا، بل هو لازم لهم فيما فرُّوا إليه كلزومه فيما فرُّوا منه، بل قد ينفون ما هو أعظم محذورًا، كحال الذين تأوَّلوا نصوص العلوّ والفوقية والاستواء فرارًا من التحيُّز والحصر، ثم قالوا: هو في كلِّ مكانٍ بذاته، فنزَّهوه عن استوائه علىٰ عرشه، ومُباينته لخلقه، وجعلوه في أجوافِ البيوت والآبارِ والأواني والأماكن التي يُرغبُ عن ذكرها. اهـ

الجوفُ، وأخفته الصُّدورُ، وأنتم لا تبصِرون، فنحن أقربُ إليه منكم: بالعلمِ بذلك، لا بأنَّ عِلمَه منزوعٌ منه، بائنٌ مُجَسَّمٌ في الأرضِ، كما ادَّعيتَ بجهلكِ(١).

فعلىٰ هذا التأويلِ يُدَّعىٰ أن عِلمَه في الأرضِ، لا ما ادَّعيتَ علينا من الباطلِ، وكيف يتوجَّه لحُجَّةِ غيره ممن لا يتوجَّه لحُجَّةِ نفسِه، ولا يدري ما ينطقُ به لسانُه؟

---

(١) ذهب جمع مِن أهل السنة إلىٰ أن المراد بُقربِ الله تعالىٰ في هذه الآية: قُربه بعلمه.

- ففي «الإبانة الكبرىٰ» (٢٦٩٨) قال أبو طالب: سألت أحمد بن حنبل، عن رجلٍ قال: إنَّ الله معنا، وتلا هذه الآية: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧].

قال أبو عبدالله: قد تجهَّم هذا، يأخذون بآخرِ الآية، ويدعون أوَّلها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة:٧]، العلم معهم. وقال في (ق): ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾. اهـ

- وقال حرب الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السنة» (٥٤): فإن احتجَّ مُبتدعٌ، أومخالِفٌ، أو زنديقٌ بقولِ الله تبارك وتعالىٰ اسمه: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق].

فقل: إنما يعني بذلك: العلم؛ لأن الله تبارك وتعالىٰ علىٰ العرشِ فوقَ السماءِ السابعةِ العُليا، يعلمُ ذلك كلَّه، وهو بائنٌ مِن خلقِهِ، لا يخلو من عِلمِه مكان. اهـ

- وقال أبو عمر الطلمنكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومَن سأل عن قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق]، فاعلم أن ذلك كلّه علىٰ معنىٰ: العلمِ والقدرة عليه.

قلت: ومِن أهل السنة مَن فسَّرَ القُرب هاهنا: بقُربِ الملائكة مِن الميِّتِ.

وهذا الذي نصرَه ابن تيمية في «شرح حديث النزول» (ص ٣٦٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٣٩٨).

وقَلَّ ما رأيتُ مِن أهلِ الإسلامِ مُتكلِّمًا في العرشِ أكثرَ لجاجةً في إبطالِه وإدخالِ الحشوِ مِن الكلامِ والحُججِ الداحضةِ فيه مِن هذا المُعارضِ، وكلَّما أكثرَ مِن ذلك كان أدحضَ لحُجَّتِه، وأكشفَ لعورتِه.

فأقصِر أيُّها المُعارِضُ، فإن العرشَ لا يُعطَّلُ بإكثارِ حشوِكَ وخُرافاتِ كلامِكَ، وكلامِ المَريسيِّ والثلجيِّ، إذ عَقَلَ أمرَه النِّساءُ والصِّبيانُ فكيف الرِّجالِ؟!

ويَحكَ ! هذا المذهبُ أنزَه للهِ مِن السُّوءِ أم مذهبُ مَن يقولُ: فهو بكمالِه، وجلالِه، وعظمتِه، وبهائِه فوقَ عرشِه، فوقَ سماواتِه، وفوقَ جميعِ الخلائقِ في أعلىٰ مكانٍ، وأطهرِ مكانٍ، حيثُ لا خَلْقَ هناك مِن إنسٍ ولا جانٍّ، فتفكر[1]: أيُّ الحِزبينِ أعلمُ باللهِ وبمكانِه، وأشدُّ له تعظيمًا وإجلالًا؟

• **وأمَّا ما رويت:**

١٦٥- عن ابن الثلجيِّ - من غيرِ سماعٍ منه - مِن حديثِ: السُّدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، قال: ارتفعَ ذِكرُه وثناؤه علىٰ خلقِهِ.

١٦٦- وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال: استوىٰ له أمرُه وقُدرَتُه فوقَ بَرِيَّتِه.

١٦٧- عن ابن الثلجي أيضًا: مِن حديث جُويبر، وعن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [طه]، قلتُ: ثم قطعَ

(١) في الأصل: (فتكفر).

الكلامَ، فقال: ﴿ٱسۡتَوَىٰ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [طه:٦](١).

ينفي عن اللهِ الاستواءَ، ويَجعلُه لما في السماواتِ والأرضِ.

فيُقالُ لك أيُّها المُعارِضُ: لو قد سمِعتَ هذا مِن ابنِ الثلجيِّ ما قامَتْ لك به حُجَّةٌ في قِيسِ تَمرةٍ(٢).

وهذه الرِّواياتُ كلُّها لا تساوي بَعْرَةً، وما يَحتجُّ بها في تَكذيبِ العرشِ إلَّا الفجرةُ.

وأوَّلُ ما فيه مِن الرِّيبةِ: أنَّك تَرويه عن ابنِ الثلجيِّ المأبونِ المُتَّهمِ في دينِ الله.

والثاني: أنه عن الكلبيِّ، هو ابن عمِّ ابن الثلجي، وعن جُويبر، ولو صحَّ ذلك عن الكلبيِّ وجُويبرٍ مِن روايةِ سُفيانَ، وشُعبةَ، وحمَّادِ بن زيد؛ لم يُكترَث بهما؛ لأنهما مَغموزانِ في الرِّوايةِ، لا تقومُ بهما الحُجَّةُ في أدنىٰ فَريضةٍ، فكيف في إبطالِ العرشِ والتوحيدِ؟(٣).

ومع ذلك لا نراه إلَّا مَكذوبًا علىٰ جُويبرٍ والكلبيِّ، ولكن مَن يُريدُ أن

---

(١) كل هذا الروايات مكذوبة لا تثبت عن ابنِ عباس رضي الله عنهما كما سيأتي عن المُصنِّف.

(٢) أي: قدرَ تَمْرَةٍ.

(٣) تقدم برقم (١٢٠) الكلام عن الكلبي.

وأما جويبر، فهو ابن سعيد البلخي، قال أبو حاتم وأبو زرعة كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ٥٤١): جويبر بن سعيد كان خراسانيًّا ليس بالقوي.

- وقال ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٤).: والضعف علىٰ حديثه ورواياته بيِّنٌ.

يَعدِلَ عن المَحجَّةِ يحتجُّ لمذهبِه بما لا تقومُ به الحُجَّةُ(١).

والعَجَبُ ممَّن يَدفعُ ما رَوىٰ الزُّهريُّ، عن عطاءِ بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ.

وعن زيدِ بن أسلمَ(٢)، عن عطاءِ بن يسارٍ، عن أبي سعيد رضي الله عنه.

وسعيدٍ المَقبُريِّ، وثابتٍ البُناني، مِن روايةِ معمرٍ، وسفيانَ، وشُعبةَ، ومالكِ بن أنسٍ، وحمادِ بن زيدٍ، ونُظرائهم مِن أعلامِ المسلمين، ويَتعلَّقُ [٢٨/ ب] برواية: الثلجي، والمَريسي، ونُظرائِهم مِن أهلِ الظِّنَّةِ في دينِ اللهِ؛ إذا وَجَدَ في شيءٍ منها أدنىٰ مُتعَلَّقٍ يُدْخِلُ بها دِلسَةً علىٰ الجُهَّال.

وسنُبيِّنُ لهم مِن ذلك ما دلَّسَ إن شاء الله تعالىٰ.

١٦٨- ادَّعىٰ المُعارِضُ: (**أن بعض الناس قال في قوله: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾** [الأعراف: ٥٤]، **قال: استولى**).

قال: (**وقال بعضهم: استولى عليه، أي: هو عالٍ عليه، يُقالُ للرُّجلِ: (علا الشيء)، أي: مَلَكَه، وصارَ في سُلطانِه، كما يقالُ: غَلَبَ فلانٌ على مدينةِ كذا، ثم استوى على أمرِها، يُريدُ: (استولى)، ولا يُريدُ:**

(١) قوله: (من يُريدُ أن يَعدِلَ عن المَحجَّةِ: يحتجُّ لمذهبه بما لا تقومُ به الحُجَّةُ)، هذه قاعدة نافعة مُهمَّة، وهي فرقان بين أهل السنة المتبِعين، وأهل الأهواء المبتدعين الذين يتتبعون ما تشابه من النصوص ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ليضلوا بها الناس.

(٢) في الأصل: (مسلم)، والصواب ما أثبته.

الجلوسَ(١)، وهذه تأويلاتٌ مُحتمِلَةٌ).

فيقالُ لهذا المُعارِضِ، العامِه، التائه، المأبون، الذي يَهذِي ولا يدري: هذه تأويلاتٌ مُحتمِلةٌ لمعانٍ هي أقبحُ الضَّلالِ، وأفحشُ المُحالِ، ولا يَتأوَّلُها مِن الناسِ إلَّا الجُهَّالُ، وكلُّ رَاسخٍ في الضَّلالِ(٢).

---

(١) روىٰ عبد الله في «السنة» (١٠)، وحرب في «السنة» (٣٤٨)، والخلال (١٦٧٥)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٠٢) عن خارِجةَ بن مصعب قال: الجهميةُ كفَّارٌ، بلِّغوا نساءَهُم أنهنَّ طوالِقٌ، وأنهنَّ لا يحللن لأزواجِهنَّ، لا تعودوا مَرضاهم، ولا تشهدوا جنائزهم، ثم تلا: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ إلىٰ قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، وهل يكونُ الاستواءُ إلَّا بجُلوسٍ.

(٢) ومع هذا الفُحش والضلال في تأويل الاستواء بالاستيلاء إلَّا أنه هو السَّاري في مُصنفات كثير مِن المُتأخِّرين ممَّن تَسلَّطَ علىٰ تفسير القرآن، وشرح الأحاديث، وكتب العقائد، كما بيَّنت ذلك في التعليق علىٰ كتاب «الرد علىٰ الجهمية»، ونقلت شيئًا من ضلالهم تحت قوله (٣٦): (فقالوا: تفسيرُه عندنا: أنه استولىٰ عليه وعلاه).

- قال بيان بن أحمد: كنا عند القعنبي، فسمع رجلًا من الجهمية يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]: استولىٰ.

- فقال القعنبي: من لا يُوقِنُ أن الرحمن علىٰ العرش استوىٰ كما تقرَّر في قلوب العامَّةِ فهو جهمي. [«اجتماع الجيوش» (ص١٣٥)].

- وفي «الصفات» لابن المُحبّ: قال أبو العباس الطرقي الأصبهاني (٥٢٠هـ): لا نعرف أحدًا مِن أهل العربية، وما سُمِع من عربيٍّ أنه قال: (استوىٰ) في موضع (استولىٰ).

وقال في البيت الذي ذكرته المُعتزلة:

قد استوىٰ بشر علىٰ العراق ... من غير سيفٍ ودمٍ مُهراق

⇦=

ويحكَ ! وهل مِن شيءٍ لم يستولِ اللهُ عليه في دعواك، ولم يَعلُه حتىٰ خَصَّ العرشَ به مِن بينِ ما في السماواتِ وما في الأرضِ؟!

وهل نَعرفُ مِن مِثقالِ ذَرَّةٍ في السماواتِ وفي الأرضِ ليس اللهُ مالِكَه، ولا هو في سُلطانِه، حتىٰ خصَّ العرشَ بالاستيلاءِ عليه مِن بينِ الأشياءِ؟

وهل نازعَ اللهَ مِن خلقه أحدٌ؟ أو غالبَه علىٰ عرشِهِ فيغلِبَه اللهُ، ثم يستوي علىٰ ما غالَبَه عليه، مُغالَبَةً ومُنازعةً؟ مع أنَّكَ قد صرَّحتَ بما قُلنا، إذ قِستَه في

= مصنوع لا يُدرىٰ مَن قائله.

- وفيه (١٤٠) قال ثعلب في «الأمالي»: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت: ١١]، قال الفرّاء: وأصحابنا يقولون: أقبل عليها، والمُعتزلةُ يقولون: استولىٰ. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التسعينية» (٢/ ٥٤٥): وأهل السُّنة وسلف الأُمّة مُتَّفقون علىٰ أن مَن تأوّل (استوىٰ) بمعنىٰ: (استولىٰ)، أو بمعنىٰ آخر ينفي أن يكون الله فوق سمواته فهو: جهميٌّ ضالٌّ. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (١/ ٣٨): التأويل الذي يوجب تعطيل المعنىٰ الذي هو غاية العلوّ والشرف، ويحطّه إلىٰ معنىٰ دونه بمراتب كثيرة، مثاله تأويل الجهمية ...: (استواءه علىٰ عرشه): بقُدرته عليه، وأنه غالب عليه. فيالله العجب، هل شكَّ عاقلٌ في كونه غالبًا لعرشِه قادرًا عليه حتىٰ يخبر به سبحانه في سبعة مواضع من كتابه مُطَّردة بلفظٍ واحدٍ ليس فيها موضع واحد يراد به المعنىٰ الذي أبداه المُتأوِّلون؟! وهذا التمدُّح والتعظيم كله لأجل أن يُعرِّفنا أنه غَلَبَ علىٰ عرشه، وقَدَرَ عليه بعد خلق السماوات والأرض؟! أفترىٰ لم يكن غالِبًا للعرشِ قادِرًا عليه في مُدَّة تزيد عن خمسين ألفَ سَنةٍ ثم تجدَّد له ذلك بعد خلق هذا العالم؟!. اهـ

عرشِهِ بمُتَغلِّبٍ غلبَ علىٰ مدينةٍ، فاستوىٰ عليها بِغلبةٍ؟

ففي دعواك: لم يأمنِ اللهُ أن يُغلَبَ؛ لأن المُغالِبَ المُستولي رُبَّما غَلَبَ، وربَّما غُلِبَ(١).

فهل سَمِعَ سامِعٌ بجاهِلٍ أجهلَ باللهِ ممَّن يَدَّعي أنَّ اللهَ استولىٰ علىٰ عرشِه مُغالبةً؟ ثم يقيسُه في ذلك بمُتَغلِّبٍ فيقول: ألا ترىٰ أنه يُقالُ للرجلِ: غَلَبَ علىٰ مدينةٍ، واستولَىٰ علىٰ أهلِها؟

وأينَ ما انتحلتَ أنه لا يجوزُ لأحدٍ أن يُشبِّه اللهَ بشيءٍ مِن خلقِه، أو يتوهَّم

---

(١) روىٰ اللالكائي (٦٣١) عن أبي عبد الله نِفطويه، قال: حدثني أبو سليمان داود بن علي، قال: كنا عند ابن الأعرابيِّ، فأتاه رجلٌ، فقال له: ما معنىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]؟ فقال: هو علىٰ عرشه كما أخبر عَزَّوَجَلَّ.

فقال: يا أبا عبد الله، ليس هذا معناه ! إنما معناه: استولىٰ !

قال: اسكُت، ما أنت وهذا، لا يُقال: استولىٰ علىٰ الشيءِ أو يكون له مُضادٌّ، فإذا غلبَ أحدُهُما فقيل: استولىٰ. أما سمعتَ قولَ النابغة:

ألا لِمِثْلِك أو مَن أنتَ سابقُهُ ... سَبقَ الجوادِ إذا استَولىٰ علىٰ الأمدِ

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق المرسلة» (١/ ٩٧): وكذلك تأويلهم الاستواء بالاستيلاء، فإن هذا لا تعرفه العرب مِن لُغتِها، ولم يقله أحدٌ مِن أئمَّة اللغة، وقد صرَّح أئمَّة اللغة كابن الأعرابي وغيره بأنه لا يُعرف في اللغة، ولو احتمل ذلك لم يحتمله هذا التركيب، فإن استيلاءه سبحانه وغلبته للعرش لم يتأخَّر عن خلق السماوات والأرض، والعرش مخلوق قبل خلقهما بأكثر من خمسين ألف سنة، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ فيما صحَّ عنه، وبطلان هذا التأويل من أربعين وجهًا سنذكرها إن شاء الله في موضعها من هذا الكتاب. اهـ.

فيه ما هو موجودٌ في الخلقِ، وقد شبَّهتَه بمُتغلِّبٍ غلبَ علىٰ مدينةٍ بغلبةٍ فاستولىٰ عليها.

لو ولدتكَ أُمُّكَ أصمَّ أخرَسَ؛ كان خيرًا لك مِن أن تتأوَّلَ هذا وما أشبَهَه في اللهِ تعالىٰ وفي عرشِهِ.

فأقصِر أيُّها المَرءُ الضعيفُ فإنَّك لن تدفعَ العرشَ والكرسيَّ بمثلِ هذا الحشوِ، والخُرافاتِ، والعماياتِ؛ لأن الإيمانَ بهما قد خلَصَ إلىٰ كلِّ مَن عرفَ اللهَ مِن عالمٍ أو جاهلٍ.

١٦٩- وأعجبُ مِن ذلك كلِّه: قياسُكَ اللهَ بمقياسِ العرشِ، ومِقدارِهِ، وَوَزنِه مِن صِغرٍ أو كِبَرٍ، وزعمتَ كالصبيانِ العُميانِ:

(إن كان اللهُ أكبرَ مِن العرشِ، أو أصغرَ منه، أو مثلَه،

فإن كان اللهُ أصغَرَ؛ فقد صيَّرتُم العرشَ أعظمَ منه.

وإن كان أكبرَ مِن العرشِ؛ فقد ادَّعيتُم فيه فضلاً على العرشِ.

وإن كان مثلَه؛ فإنه إذا ضُمَّ إلى العرشِ السماواتُ والأرضُ؛ كانت أكبرَ).

مع خُرافاتٍ تكلَّمُ بها، وتُرَّهاتٍ[1] تَلْعبُ بها، وضَلالاتٍ تُضِلُّ بها.

لو كان مَن يَعملُ عليه للهِ؛ لقطعَ ثمرَةَ لسانِهِ[2]، والخيبةُ لقومٍ هذا فقيهُهُم، والمنظورُ إليه، مع هذا التميزِ كلِّه، وهذا البصر، وكلِّ هذه الجهالاتِ والضلالاتِ.

---

(١) في «تهذيب اللغة» (٣/ ٢٦١): (التُّرهات): هي الأباطيل.

(٢) أي: طرف لسانه.

فيُقالُ لهذا البَقباقِ النفَّاج(١): إنَّ اللهَ أعظمُ مِن كلِّ شيءٍ، وأكبرُ مِن كلِّ خلقٍ، ولم يَحتَمِله العرشُ عِظمًا ولا [٢٩/ أ] قوَّة، ولا حَمَلةُ العرشِ احتَمَلوه بقوَّتِهم، ولا استَقلُّوا بعرشِه بشدَّةِ أسْرِهم، ولكنهم حَمَلوه بقُدرتِهِ ومَشيئتِه وإرادتِه وتأييده لولا ذلك ما أطاقوا حَمْلَه.

وقد بلغنا أنهم حينَ حَمَلوا العرشَ، وفوقَه الجبَّارُ في عزَّتِهِ وبهائِه ضَعفوا عن حملِهِ واستكانوا، وجَثَوا علىٰ رُكبِهم، حتىٰ لُقِّنوا: (لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله)، فاستقلُّوا به بقُدرةِ اللهِ وإرادتِهِ(٢).

لولا ذلك ما استَقَلَّ به العرشُ، ولا الحمَلةُ، ولا السماواتُ والأرضُ، ولا مَن فيهنَّ، ولو قد شاءَ لاستقرَّ علىٰ ظهرِ بعوضةٍ فاستقلَّت به بقُدرتِهِ، ولُطفِ رُبوبيَّتِه، فكيف علىٰ عرشٍ عظيمٍ أكبرَ مِن السماواتِ السبع والأرضينَ السبع؟!(٣)

وكيفَ تُنكِرُ أيها النفَّاج أنَّ عرشَه يُقِلُّه، والعرشُ أكبرُ مِن السماواتِ السبعِ، والأرضين السبعِ؟ ولو كان العرشُ في السماواتِ والأرضينَ ما وسِعَتهُ، ولكنَّه فوقَ السماءِ السابعة.

---

(١) في «الصِّحاح» (٤/ ١٤٥١): ورجلٌ بَقاقٌ وبَقاقَةٌ، أي: كثير الكلام. اهـ
وفي «مقاييس اللغة» (٥/ ٤٥٧): (النَّفَّاج): المُفتخر بما ليس عنده. اهـ
(٢) سيأتي قريبًا برقم (١٧٠) الأثر مُسندًا.
(٣) قوله: (ولو قد شاءَ لاستقرَّ علىٰ ظهرِ بعوضةٍ فاستقلَّت به)، اقتطع المُعطّلة هذه الجُملة من سياق كلام الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأكثروا التشغيب عليه بسببها، وقد رددت عليهم في المقدمة.

فكيف تُنكِرُ هذا؟ وأنتَ تزعمُ أنَّ اللهَ في الأرضِ، وفي جميعِ أمكنتِها، والأرضُ دون العرشِ في العظمةِ والسَّعةِ؟ فكيف تُقِلُّه الأرضُ في دعواكَ ولا يُقِلُّه العرشُ الذي أعظمُ منها وأوسعُ؟!

وأدخِل هذا القياسَ الذي أدخلتَ علينا في عِظَمِ العرشِ وصغرِهِ وكِبَرِهِ علىٰ نفسِكِ، وعلىٰ أصحابِكَ في الأرضِ وصِغرِها، حتىٰ تستدِلَّ علىٰ جهلِكَ وتَفطنَ لما تُورِدُ عليك حصائدُ لسانِكَ، فإنَّك لا تَحتجُّ بشيءٍ إلَّا وهو راجعٌ عليك، وآخذٌ بحلقِكَ(١).(٢)

١٧٠- وقد حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح أنه قال: أولُ ما خلقَ اللهُ حين كان عرشُه علىٰ الماءِ حملةُ عرشِهِ، فقالوا: ربَّنا لِمَ

---

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٦٦١) وهو يحكي مُناظرة بين مُثبت العلو والاستواء وبين منكره: قال النافي للمُثبت: إذا قلتم: إنَّ الله فوق العالم، أو فوق العرش لزم أن يكون مُحتاجًا إلىٰ العرش، أو يكون مَحمولًا له، مُحتاجًا إليه كما إذا كان أحدنا علىٰ السطح.

فقال له المُثبتُ: السماء فوق الأرض وليست مُحتاجة إليها، وكذلك العرش فوق السموات وليس مُحتاجًا إليها، فإذا كان كثير مِن الأمور العالية فوق غيرها ليس محتاجًا إليها، فكيف يجب أن يكون خالق الخلق الغنيّ الصمد مُحتاجًا إلىٰ ما هو عالٍ عليه وهو فوقه، مع أنه هو خالقه وربه ومليكه؟ وذلك المخلوق بعض مخلوقاته مُفتقر في كلِّ أموره إليه، فإذا كان المخلوق إذا علا علىٰ كلِّ شيءٍ غنيٌّ عنه، لم يجب أن يكون مُحتاجًا إليه، فكيف يجبُ علىٰ الربِّ إذا علا علىٰ كل شيءٍ من مخلوقاته، وذلك الشيء مُفتقر إليه أن يكون الله محتاجًا إليه؟. اهـ

(٢) نقل هاهنا في حاشية الأصل نقلًا طويلًا عن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

خلقتنا؟ فقال: خلقتُكم لحَملِ عرشي.

قالوا: ربَّنا، ومَن يقوىٰ علىٰ حَملِ عرشِكَ، وعليه عظمتُك، وجلالُك ووقارُك؟ فيقولُ لهم: إني خلقتُكم لذلك.

قالوا: ربَّنا، ومَن يقوىٰ علىٰ حملِ عرشِكَ وعليه عظمتُك، وجلالُك ووقارُك؟ قال: فيقول: خلقتُكم لحملِ عرشِي.

قال: فيقولون ذلك مرارًا.

قال: فقال [لهم]: قولوا: لا حَولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ؛ فيَحمِلُكم والعرشَ قوَّةُ الله(١).

---

(١) عزاه للمُصنِّف ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص ٣٤٦)، والذهبي في «العلو» (٣٤٦).

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الوابل الصيب» (ص٧٧): سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر أثرًا في هذا الباب ويقول: إن الملائكة لما أُمروا بحمل العرش قالوا: يا ربنا، كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك؟

فقال: قولوا: لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله، فلما قالوا حملوه.

حتىٰ رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد، عن معاوية ابن صالح، قال: حدثنا مشيختنا أنه بلغهم: أن أول ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ حين كان عرشه علىٰ الماء حملة العرش، قالوا: ربنا لم خلقتنا؟

قال: خلقتكم لحمل عرشي.

قالوا: ربنا ومن يقوىٰ علىٰ حمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ووقارك؟

قال: لذلك خلقتكم.

فأعادوا عليه ذلك مرارًا، فقال لهم: قولوا: لا حول ولا قوة إلَّا بالله، فحملوه.

⇦=

أفلا تدري أيُّها المُعارِضُ أن حملةَ العرشِ لم يَحملوا العرشَ ومَن عليه بقوَّتِهم وشِدَّةِ أسرِهم إلَّا بقوَّةِ اللهِ وتأييدِه.

وقد بيَّنا لك ما جهلتَ مِن أمرِ العرش بشواهدِه مِن كتابِ الله تعالىٰ، وشواهدِه مِن معقولِ الكلامِ، وممَّا مضىٰ عليه أهلُ الإسلامِ.

وسنقصُّ عليك فيه مِن آثارِ رسولِ اللهِ ﷺ المأثورةِ، وأخبارِهِ المشهورةِ، ما لو عرضتَها علىٰ قَلبِكَ وتدبَّرتَ ألفاظَ رسولِ الله ﷺ فيها؛ علمتَ - إن شاءَ الله تعالىٰ - أنَّ ما تأوَّلتَه في تفسيرِ العرشِ باطلٌ.

١٧١- حدثنا محبوب بن موسىٰ الأنطاكي، أبنا أبو إسحاق الفزاري، عن الأعمش، عن جامع بن شدَّاد، عن صفوان بن مُحرِز، عن عمران بن حُصين رضي الله عنهما، قال: أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ، فجاءَه نفرٌ مِن أهلِ اليمن، فقالوا: أتيناك لنتفَقَّه في الدِّينِ، ولنسألَك عن أوَّلِ هذا الأمرِ كيف كانَ؟

قال: «**كان اللهُ لم يَكُن شَيءٌ غيرُه**، [٢٩/ ب] **وكان عرشُه علىٰ الماءِ، ثم**

=

وهذه الكلمة لها تأثيرٌ عجيبٌ في مُعالجة الأشغال الصعبة، وتَحمُّل المشاق، والدخول علىٰ الملوك، ومَن يُخاف، وركوب الأهوال. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «درء التعارض» (٧/ ٢٠) مُعلِّقًا علىٰ هذا الأثر: فإنما أطاقوا حمل العرش بقوَّته تعالىٰ، والله إذا جعل في مخلوقٍ قوَّة أطاق المخلوق حمل ما شاء أن يحمله مِن عظمته وغيرها، فهو بقوَّته وقُدرته الحامل للحامل والمحمول، فكيف يكون مُفتقرًا إلىٰ شيء؟

وأيضًا فالمحمول مِن العباد بشيءٍ عالٍ، لو سقط ذلك العالي سقط هو، والله أغنىٰ وأجلّ وأعظم مِن أن يوصف بشيءٍ من ذلك. اهـ

كتَبَ في الذِّكرِ كلَّ شيءٍ، ثم خلقَ السماواتِ والأرضَ»(١).

فهذا قولُ رسولِ الله ﷺ أنَّ عرشَه كان علىٰ الماءِ قبلَ أن يَخلُقَ السماواتِ والأرضَ التي هي أعلىٰ الخلقِ، فقولُ رسولِ الله ﷺ تكذيبٌ لدعواك، وإبطالٌ لتأويلك.

١٧٢- **حدثنا** عبد الله بن أبي شيبة، ثنا عبد الله بن بكر السَّهمي، ثنا بِشْر ابن نُمير، عن القاسم، عن أبي أُمامة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**خلقَ اللهُ الخلقَ، وقضىٰ القضيَّةَ، وأخذَ مِيثاقَ النبيِّينَ، وعرشُه علىٰ الماءِ**»(٢).

١٧٣- **حدثنا** محمد بن كثير العبدي، أبنا سفيان الثوري، ثنا أبو هاشم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنَّ اللهَ كان علىٰ عرشِهِ قبلَ أن يَخلقَ شيئًا(٣).

فهذا ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما يُخبرُ أنَّ اللهَ كان علىٰ عرشِهِ قبل أن يَخلقَ شيئًا مِن خلقِهِ مِن سماءٍ أو أرضٍ.

وادَّعيتَ أنت وصاحِبُك أنَّ العرشَ أعلىٰ الخلقِ تكذيبًا لرسولِ الله ﷺ ولأصحابه(٤).

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٩)، والحديث رواه البخاري (٣١٩٠).

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٣٠)، بأطول من هذا، وهو حديث ضعيف.

(٣) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٣٢).

(٤) قول الجهمي: (إن العرش أعلىٰ المخلوقات)، يريد بالعرش السماء لا أنه عرشٌ حقيقيٌّ، فالمُصنِّف أورد هذه النصوص ليُبيّن أن العرش خلق غير السموات.

ورُوي عن مُجاهدٍ أنه قال: (بَدءُ الخلقِ): العرشُ.

١٧٤- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن مُجاهدٍ قال: (بِدءُ الخلقِ): العرشُ والماءُ(١).

١٧٥- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا وكيع، عن سُفيان، عن الأعمش، عن المِنهال، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧]، قال: علىٰ أيِّ شيءٍ؟ قال: علىٰ مَتنِ الريحِ(٢).

١٧٦- حدثني محمد بن بشار بُندار، ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي، قال:

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٧٠٤٤)، والطبري في «التفسير» (١٤٨٣٩)، وتمام الأثر:

عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: بدء الخلق العرش والماء والهواء، وخُلِقتِ الأرض من الماء، وبدء الخلق يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وجمع الخلق يوم الجمعة، فتهوَّدت اليهود يوم السبتِ، ويوم مِن الستة الأيام كألف سنة مما تعدون. وهو صحيح عنه.

- وروىٰ الطبري (١٨٠٦٠) عن قتادة: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، ينبئكم ربكم تبارك وتعالىٰ كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض.

(٢) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١١٨٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٩٦)، وعثمان ابن أبي شيبة في «العرش» (٢ و٣)، وهو أثرٌ صحيح عنه، ولا عبرة بمن شَكَّك فيه لاحتمال أن ابن عباس رضي الله عنهما أخذه عن أهل الكتاب، وعلىٰ احتمال أنه أخذ منهم - مع نهيه عن الأخذِ عنهم - فهو أعلم بما يروي مِن أخبارهم ممَّا يوافق أو يُخالف الكتاب والسُّنة.

وسيأتي زيادة بيان عن الكلام عن مسألة أخبار أهل الكتاب، وتعقُّب مَن توسَّع في ردِّها بدعوىٰ أنها إسرائيليات.

سمعتُ محمدَ بن إسحاق يُحدِّثُ، عن يعقوب بن عُتبة، وجُبير بن محمد بن جُبير بن مُطعمٍ، عن أبيه، عن جدِّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ فوقَ عرشِهِ، فوقَ سَماواتِه، فوقَ أرضِه مِثل القُبَّةِ**» - وأشار النبيُّ ﷺ بيدِه مثل القُبَّةِ - «**وإنه لَيَئِطُّ به أطِيطَ الرَّحْلِ بالرَّاكبِ**»(١).

وهذا أيُّها المُعارِضُ ناقِضٌ لتأويلِكَ: أنَّ العرشَ إنما هو أعلىٰ الخلقِ، يعني: السماواتِ فما دونها مِن السُّقوفِ، والعرشِ، وأعالي الخلائق، ورسول الله ﷺ يقول: إنه فوقَ السماواتِ العُلىٰ، فكفىٰ خيبةً وخسارةً برجلٍ

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٤٦). وهو حديث صحيح كما بينته هناك.

وقد سلك مُتأخرو الأشاعرة مسلك المريسي في إبطال هذه الأحاديث الصحيحة، والطعن فيها ولو بالاحتجاج بالروايات الباطلة المكذوبة، كما صنع ابن عساكر عند طعنه في هذا الحديث!

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٢٥٧): وهؤلاء يحتجُّون في معارضة ذلك مِن الحديث بما هو عند أهله مِن الرأي السخيف الفاسد الذي يحتجُّ به قياسو الجهمية، كاحتجاج أبي القاسم [ابن عساكر] المؤرِّخ في حديث أملاه في التنزيه بحديث أسنده عن عوسجة، وهذا الحديث ممَّا يعلمُ صبيان أهل الحديث أنه كَذِب مُختلقٌ، وأنه مُفترىٰ، وأنه لم يروه قطّ عالم من علماءِ المسلمين المُقتدىٰ بهم في الحديث، ولا دوَّنوه في شيءٍ من دواوين الإسلام، ولا يستجيز أهل العلم والعدل منهم أن يورد مثل ذلك إلَّا علىٰ بيان أنه كذبٌ، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن حدَّث عني بحديثٍ وهو يرىٰ أنه كذبٌ؛ فهو أحد الكذَّابين**»، فمَن ردَّ تلك الأحاديث المُتلقَّاة بالقبولِ، واحتجَّ في نقضها بمثلِ هذه الموضوعات؛ فإنما سلك سبيل من لا عقل له ولا دين، وكان في ذلك ممَّن يتَّبع الظنَّ وما تهوىٰ الأنفُس، وهو من المُقلدين لقومٍ لا علم لهم بحقيقة حالهم. اهـ

أن يُضادَّ قولُه قولَ رسولِ الله ﷺ، ويُكذِّبَ دعواه.

١٧٧- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرةُ خمسمائة عامٍ، وبين كل سَماءينِ مسيرةُ خمسمائة عامٍ، وبين السماءِ السابعة وبين الكرسيِّ خَمسمائةِ عامٍ، والعرشُ علىٰ الماءِ، والله فوقَ العرشِ، وهو يعلمُ ما أنتم عليه(١).

* قال أبو سعيد:

أفلا ترىٰ أيُّها المُعارضُ أن ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه كيف مَيَّزَ بين العرشِ والكرسيِّ، وبين السماواتِ فما دونها التي هي أعلىٰ الخلائقِ في دعواك، وسمَّيتها (عرشًا) دون (عرش الرحمن) الذي هو العرشُ علىٰ ألسُنِ العالمين.

١٧٨- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا عبد الواحد بن زياد، ثنا عُبيد بن مهران - وهو المُكْتِب -، ثنا مُجاهد، قال: قال عبد الله [٣٠/ أ] بن عمر رضي الله عنهما: خلقَ اللهُ أربعةَ أشياء بيدِه: العرشُ، والقلمُ، وعدنٌ، وآدمُ، ثم قال لسائر الخلقِ: (كن) فكان(٢).

تكذيبًا لِمَا ادَّعيتَ أيُّها المُعارضُ إذ خلقَه اللهُ بيدِه خُصوصًا، ثم قال لِمَا

(١) تقدم تخريجه برقم (١٥٣)، وهو صحيح.
(٢) تقدم تخريجه برقم (٦٩)، وهو صحيح.

هو أعلىٰ الخلائقِ عندك: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت:١١].

فإذا كان (العرشُ) في دعواك ودعوىٰ إمامِكَ: السماواتِ، فما بالُ حملةِ العرشِ؟ وما يُصنعُ بهم في رفعِ السماوات؟ وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ [الرعد:٢].

ففي معرفةِ الناسِ لحملةِ العرشِ، واستفاضتِه فيهم، وعلىٰ ألسنتِهم؛ تكذيبُ دعواك، ودعوىٰ صاحبك.

ثم ما رُوِيَ فيهم عن رسولِ الله ﷺ، وعن أصحابِه سنذكُرُ منها بعضَ ما حضَرَ إن شاء الله تعالىٰ.

١٧٩- حدثنا محمد بن الصبّاح، ثنا الوليد بن أبي ثور، عن سِماكٍ، عن عبد الله بن عُميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال: كنتُ بالبطحاءِ في عِصابةٍ فيهم رسول الله ﷺ، فذكرَ رسولُ اللهِ ﷺ السماوات، حتىٰ عدَّ سبعَ سماواتٍ، قال: «**وفوقَ السابعةِ بَحرٌ بين أسفلِهِ وأعلاه مثلُ ما بين السماءِ إلىٰ السماءِ، وفوقَ ذلك ثمانيةُ أوعالٍ**(١)**، ما بين أظلافِهِنَّ ورُكبِهنَّ مثلُ ما بين السماءِ إلىٰ السماءِ، وعلىٰ ظُهورِهم العرشُ، [ما بين] أسفلِهِ وأعلاه ما بين السماءِ إلىٰ السماءِ، ثم اللهُ فوقَ ذلك**»(٢).

١٨٠- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد - وهو ابن سلمة -، عن

---

(١) جمع (الوعل): وهي الشاة الجبلية. «تهذيب اللغة» (٣/ ١٢٧).

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٤٧)، بأتم من هذا.

الزبير أبي عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله الفِهْري: أن ابنَ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إنَّ ربَّكم ليس عنده ليلٌ ولا نهارٌ، نورُ السماواتِ مِن نورِ وجهِهِ، وإنَّ مِقدارَ كلِّ يومٍ مِن أيامكم عنده ثنتا عشرةَ ساعةً، فتُعرضُ عليه أعمالُكم بالأمسِ أولَ النهارِ اليومَ، فينظرُ فيها ثلاثَ ساعاتٍ، فيَطَّلعُ فيها على ما يكرَه، فيُغضِبُه ذلك، فأولُ مَن يعلمُ بغضبِهِ الذين يحملون العرشَ، يجدونَه يَثقُلُ عليهم، فيُسبِّحُه الذين يَحملون العرشَ، وسُرادِقات العرشِ، والملائكةُ المقرَّبون، وسائر الملائكة(١).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٥٩٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٧٧)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (٩٠). وفي إسناده: الزبير أبو عبد السلام ذكره البخاري في «التاريخ» الكبير، وقال: روى عنه حماد بن سلمة مراسيل.

وقال الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ: يروي عنه حماد بن سلمة، يُحدّث عن أيوب بن عبدالله ابن مكرز عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمنكرات. اهـ. «لسان الميزان» (٢/ ٢٤٨- ٢٤٩).

- وقال ابن منده رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي هذا المعنى خبرٌ مسندٌ، عن النبي ﷺ رواه وهب ابن جرير، عن ابن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ دعا حين خرج إلى الطائف، «**اللهم إني أعوذُ بنور وجهك الذي أضاءت له نور السموات**»، أخبرناه كذا.

وهذا الحديث يدلّ على معنى قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ [النور:٣٥] الآية. اهـ

قلت: ودلَّ هذا الأثر أيضًا على إثبات الثقل لله تعالى، ولهذا لما ذكره ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٢٦٦) عن المُصنّف، قال عَقِبَه: وأصحاب هذا القول قد يستشهدون بما روي عن طائفة في تفسير قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ [الشورى:٥]. اهـ

⇐

١٨١- **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حمَّاد، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مِهران، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: لحملةِ العرشِ قُرونٌ لها كُعُوبٌ كَكُعوبِ القنا(١)، ما بين أَخمُصِ(٢) أحدِهِم إلىٰ كعبه مسيرةُ خَمسمائةِ عامٍ، ومِن كَعبِه إلىٰ رُكبتِه مَسيرةُ خَمسمائة عامٍ، ومِن رُكبَتِه إلىٰ أَرنَبتِهِ(٣) مَسيرةُ خَمسمائة عامٍ، ومِن أرنبتِهِ إلىٰ ترقوتِهِ مَسيرةُ خَمسمائةِ عامٍ، ومِن تَرقوتِهِ إلىٰ مَوضعِ القُرطِ [مسيرة] خَمسمائةِ عامٍ(٤).

١٨٢- **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حمَّاد، عن هشام بن عُروة، عن عُروة، قال: حَمَلةُ العرشِ منهم مَن صُورتُه علىٰ صورةِ الإنسانِ، ومنهم مَن صورتُه علىٰ صورةِ النِّسرِ، ومنهم مَن صورتُه علىٰ صورةِ الثورِ، ومنهم مَن صورتُه علىٰ صورةِ الأسد(٥).

= ثم نقل مِن «الرد علىٰ الجهمية» للمُصنِّف أثر كعب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات الثِّقل لله تعالىٰ، وعَلَّقَ عليه بتعليقٍ حسنٍ مُهِمٍّ نقلته في تعليقي علىٰ «الرد» تحت أثر (٦٢).

(١) في «الصحاح» (٦/ ٢٤٦٨): (القَنا): جمع قَناةٍ، وهي الرمح، وتجمع علىٰ قَنواتٍ.

(٢) أي: باطن القدم ما لم يُصب الأرض.

(٣) في (ب): (ترقوته).

(٤) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٠٢).

(٥) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٤٨).

ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» (١١٤) عن هشام بن عروة. وإسناد صحيح.

ويشهد له ما رواه أحمد (٢٣١٤)، وابنه عبد الله في «السُّنة» (١١٤٧) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ أُنشِد قول: أُميَّة بن أبي الصلت الثقفي:

رَجُلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يمينه ... والنِّسرُ للأُخرىٰ وليثٌ مُرصَد =

١٨٣- حدثنا عَمرو بن محمد الناقد، ثنا إسحاق بن منصور السَّلولي، [٣٠/ ب] [ثنا إسرائيل](١)، عن معاوية بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المَقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ قد أَذِنَ لي أن أُحدِّثَ عن مَلَكٍ قد مَرقت رِجلاه الأرضَ السابعةَ [السُّفلىٰ]، والعرشُ علىٰ مَنكبِه، وهو يقول: سُبحانَك أين أنت، أو حيثُ تكون**»(٢).

١٨٤- حدثنا إسماعيل بن عبدالله الرَّقي أبو الحَسن السُّكري، ثنا شَريكٌ، عن سِماك بن حربٍ، عن عبد الله بن عُميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧﴾ [الحاقة]، قال: ثمانيةُ أملاكٍ علىٰ صورةِ الأوعال(٣).

١٨٥- حدثنا الحكم بن موسىٰ البغدادي، ثنا الهِقل بن زياد، عن

=
فقال رسول الله ﷺ: «صدق».
- وكذلك ما رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٢٠٣)، والآجري في «الشريعة» (١١٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: فقال: رَآهُ علىٰ كُرسيٍّ مِن ذهبٍ، تحملُه أربعة مِن الملائكةِ: ملكٌ في صورَةِ رجلٍ، وملكٌ في صورةِ أسدٍ، وملكٌ في صورةِ ثورٍ، وملكٌ في صورةِ نسرٍ ... الأثر.

(١) ما بين [ ] ممن خرجه.

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٦١٩)، والطبراني في «الأوسط» (٧٣٢٤)، وهو صحيح.

(٣) في «الدر المنثور» (٨/ ٢٦٩): أخرج عبد بن حُميد، والدارمي في «الرَّد علىٰ الجهمية»، وأبو يعلىٰ، وابن المنذر، وابن خُزيمة، وابن مرْدوَيْه، والحاكِم وصَحَّحه. اهـ. وقد تقدم برقم (١٧٩) بيان معنىٰ (الوعل).

الأوزاعي، عن حسَّان بن عطيَّة قال: حملةُ العرشِ ثمانيةٌ، أقدامُهم في الأرضِ، ورُؤوسهم قد جاوزتِ السماء، وقُرُونهم مِثلُ طولهم عليها العرشُ(١).

١٨٦- حدثنا أبو صالح الحراني، ثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن علي بن رباح، عن رجلٍ سَمِعَ عُبادة بن الصامت رضي الله عنه يقول: إنَّ النبيَّ ﷺ خرجَ فقال: «**إنَّ اللهَ رفعني يوم القيامة في أعلىٰ غُرفةٍ مِن جنَّاتِ النَّعيمِ، ليس فوقِي إلَّا حملة العرشِ**»(٢).

وفي (العرشِ) و(حملةِ العرشِ) أخبارٌ كثيرةٌ عن رسولِ الله ﷺ وأصحابِه والتابعين اختصرنا منها هذه الأحاديثَ، ليعلمَ مَن نظرَ فيها مُخالفَتُكم رسولَ اللهِ ﷺ، وأصحابَه، والتابعينَ، وإن لم تكن تؤمنُ بها أنت وأصحابُك، فقد آمنَ بها مَن هو خيرٌ منكم وأطيبُ(٣).

واعلموا يقينًا أنَّ قولَ هؤلاءِ ألزمُ لهم وأصحُّ عند اللهِ ممَّا يَروي المَريسيُّ وابنُ الثلجي مِن خُرافاتِهم وتُرَّهاتِهم التي لا تنقاسُ في كتابٍ، ولا سُنةٍ، ولا في شيءٍ مِن لُغاتِ العربِ والعجمِ.

١٨٧- وادَّعيتَ أيضًا علىٰ قومٍ أعلمَ باللهِ، وبكتابِه، وسُنةِ نبيِّه ﷺ منك،

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤٧٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٧٤).

(٢) ذكره الذهبي في «العلو» (١٢٤)، وقال: إسناده ضعيف.

(٣) عقد المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» بابًا فيه، فقال: (١/ باب الإيمان بالعرش)، وتقدم هاهنا: (٤/ باب الحد والعرش)، و(٥/ باب ما جاء في العرش).

ومِن أصحابِكَ أنهم يقولون: (**عِلمُ اللهِ) غيرُه، و(العِلمُ) بمعزلٍ منه، (العالِمُ) في السماءِ، و(العلمُ) في الأرضِ منه بمعزلٍ.**

فيُقالُ لهذا المُعارِضِ الباهِتِ: مثلُ هذا لا يَتفوَّه به إلَّا جاهِلٌ مِثلُك، ولكنهم يقولونَه علىٰ معنًى لا يتوجَّه له أمثالُك.

يقولون: (العالِمُ) بكمالِهِ وبجميعِ عِلمِه فوقَ عرشِهِ.

و(عِلمُه) غيرُ بائنٍ منه، يَعلمُ بِعلمِهِ الذي في نفسِهِ: ما في السماواتِ، وما في الأرضِ، وما تحتَ الثرىٰ، علىٰ بُعدِ مسافةِ ما بينهنَّ.

فمعنىٰ قولِهم: (إنَّ عِلمَه في الأرضِ) علىٰ هذا التأويلِ، لا علىٰ ما ادَّعيتَ عليهم مِن الزُّورِ، أنهم يزعمون: (**أنَّ عِلمَ اللهِ منزوعٌ منه، مُجَسَّمٌ في الأرض**)، إذًا هم في الجهلِ والضَّلالِ مِثلُكَ، ومثلُ أئمَّتِك المَريسيِّ وابنِ الثلجيِّ ونُظرائهم.

١٨٨- وادَّعيتَ عليهم أيضًا أنهم يزعمون: (**أنَّ (كلامَ الله) مِن صِفاتِهِ، وذاتِه، و(الكلامُ هو الفِعلُ) بزعمِكَ، وزعمَ هؤلاءِ: أنه مِن الذات**).

فيُقالُ لهذا المعارضِ: أمَّا ما يزعُمُ هؤلاءِ مِن ذلك فسَنُبيِّنُه لك وإن جَهِلتَ، غيرَ أنك تَردَّدت، وراوغت، ووالست[1]، ودالَست، تُقدِّمُ رِجلًا، وتُؤخِّرُ أُخرىٰ: كيف تُصرِّحُ بالقرآن أنه (مخلوقٌ)؟ فلم تزل عنك ودونك تُلجلِجُ بها في صدرِكَ، حتىٰ صرَّحتَ [٣١/أ] بها في هذه المسألةِ؛ فزعمتَ أنه (فِعلٌ)، والفِعلُ عندك (مخلوقٌ) لا شكَّ فيه.

---

(١) في «مجمل اللغة» (١/ ٩٣٧): (الموالسة): المداهنة.

وأمَّا دعواكَ علينا أنا نقولُ: (إنَّ كلامَ اللهِ مِن صفاتِه)، فإنَّا نقولُ علانيةً غيرَ سِرٍّ، وهو الحقُّ المُبينُ، وليس شيءٌ مِن صفاتِه مخلوقًا(١).

وكلُّ كلامٍ صِفةُ كلِّ مُتكلِّمٍ به، خالقٍ أو مخلوقٍ، غيرَ أنه لا يُقاسُ به مِن الخالقِ والمخلوقِ سائرُ الصفاتِ مِن اليدِ، والوجه، والنفس، والسمع، والبصر، وما أشبَهَها مِن الصفاتِ التي إذا بانت مِن المَوصوفِ واستبانَ مكانُها منه؛ قام البائنُ منه بعينِه في مكانٍ آخرَ؛ لأنك ترىٰ المُتكلِّمَ مِن الناسِ يتكلَّمُ نهارَه أجمع، وكلامُه يخرُجُ منه وصفًا لا ينقُصُ مِن كلامِه شيءٌ الذي يخرجُ منه، كأنَّه متىٰ شاءَ عادَ في مثله مِن الكلامِ، ولا الكلامُ يقومُ بعينِه جِسمًا يُرىٰ، ويُنظرُ إليه دونه، ويُنشرُ كلامُه في الآفاقِ علىٰ لسانِ غيرِه، فيُنسبُ إليه حيًّا وميِّتًا، كما يُنسبُ اليومَ أشعارُ الشُّعراءِ، فيقالُ: شِعرُ لبيدٍ، والأعشىٰ(٢).

ولو قطعتَ يده لاستبانَ موضعُ قطعِهِ منه، واستبانَ المقطوعُ في مكانٍ آخرَ، فلذلك قلنا: إنَّ (الكلامَ) له حالٌ خِلافُ حالِ هذه (الصِّفاتِ) الأُخَرِ، لا يُقاسُ بشيءٍ منها، ولا يشكُّ فيها أنها صفةُ المُتكلِّمِ؛ لأنه منه خَرَجَ.

١٨٩- وأمَّا قولُك: (**كلامُ اللهِ فِعلُه**)، فقد صرَّحت بأنه (مخلوقٌ)، وادَّعيتَ أن أفاعيلَ اللهِ زائلةٌ عنه مخلوقةٌ، والكلامُ أحدُ أفاعيله عندكَ، فقلتَ

---

(١) في الأصل و(ب): (مخلوق)، وما أثبته من (ج).

(٢) (لبيد)، وهو ابن ربيعة بن صعصعة الكلابي الجعفري ﷺ، قال الشعر في الجاهلية دهرًا ثم أسلم، عُمِّرَ طَويلًا.

و(الأعشىٰ)، هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل، المعروف بأعشىٰ قيس، مِن شُعراء الجاهلية، وأحد أصحاب المُعلَّقات، أدرك الإسلام ولم يُسلم.

فيه قولًا أفحَشَ ممَّا قال إِمامُك المريسيُّ.

زعمَ المريسيُّ: أنه (مجعولٌ)، وكلُّ مجعولٍ مخلوقٌ.

وزعمتَ أنت: أنه (مفعولٌ)، وكلُّ مخلوقٍ مفعولٌ.

وأنتما وإن اختلفت منكما الألفاظُ، فإنَّ المعنىٰ فيه منكما مُتفِقٌ، كما اتفق القولُ مِن إمامِكَ المريسيِّ مع الوليدِ بن المغيرةِ المُشرِكِ المَخزوميِّ أن قال: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥﴾ [المدثر].

وكذا الذي قال: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧﴾ [ص].

فزعمَ إمامُكَ أنه (مجعولٌ)، وزعمتَ [أنت] أنه (مفعولٌ)، فاتَّفقتِ المعاني، واختلفتِ الألفاظ منكُما جميعًا، ولئن كان أهلُ الجهلِ مِن مُرادِكم في شكٍّ؛ إنَّ أهلَ العلمِ منكم لعلىٰ يقينٍ(١).

---

(١) وهذا كثير في أبواب الاعتقاد، فقد تختلف الألفاظ في الظاهر، ولكن المعاني والحقائق في الاعتقادات واحدة، ومِن أمثلة ذلك قول الجهمية في القرآن: (مخلوق)، فخالفتهم الكُلَّابية والأشاعرة فقالوا: (القرآن حكاية وعبارة عن القرآن)، فاختلفا في اللفظ، واتَّفقا في أن هذا القرآن المُنزَّل ليس هو كلام الله تعالىٰ علىٰ الحقيقة وليس هو بحرف ولا صوت كما تقدم التنبيه عليه في كتاب «الرد علىٰ الجهمية» برقم (٢٣٤).

وتَتبُّع هذا الباب يطول، ولكن أحببت أن أُنبِّه عليه لأهمّيته حتىٰ يتفطَّنَ له المُوحِّد، ولا يغترّ بتغاير الألفاظ التي يُلبِّسُ بها أهل البدع علىٰ العامّة والرعاع حتىٰ لا يفتضحوا، وعليه أن ينظر في حقيقة أقوالهم ومذاهبهم وما تؤول إليه من اعتقادات فاسدة، ولا يغترّ بمُجرَّد الألفاظ، فالألفاظ لا تُغيِّر الحقائق والأحكام.

فكان مِن صُنعِ اللهِ لمَن بين ظهريك أن صرَّحتَ بالمخلوقِ بعد تَستُّرٍ وانقباضٍ منه مخافةَ الفضيحةِ، حتىٰ صرَّحتَ بها، فاستدلُّوا علىٰ مذهبِك ليَحذروا مثلها مِن زلَّاتِكَ، ويجتنبوا أخواتِها مِن سقطاتِكَ، ثم صرَّحت بها ثانيةً في آخرِ كتابِكَ، فادَّعيت أن مَن قال: (القرآنُ غيرُ مخلوقٍ) فقد جاء بالكفرِ عِيانًا.

أوَلَم تزعمُ أيها المُعارِضُ في صدرِ كتابِكَ هذا: أنَّ مَن قال: [(القرآن مخلوقٌ) فقد ابتدعَ؛ ثم ادَّعيتَ أن مَن قال: (غيرُ] مخلوقٍ) فهو كافرٌ.

فإن كان الذي قال: (غيرُ مخلوقٍ) كافِرًا عندك، إنَّ الذي يقول: (مخلوقٌ) مؤمنٌ مُوفَّقٌ مُصيبٌ في دعواك، فلِمَ تَنسبه إلىٰ البدعةِ، وهو في دعواك: مُوفَّقٌ مُصيبٌ؟! ولكنَّكَ مَوَّهتَ بالأولِ؛ لئلَّا يَفطِنَ الجُهَّالُ منك الأُخرىٰ، وقد صرَّحتَ وأوضحتَ وأفصحتَ به حتىٰ لم تدع لمُتأوِّلٍ عليك موضعَ شُبهةٍ.

١٩٠- وصرَّحتَ أيضًا بمذهبٍ كبيرٍ فاحشٍ مِن قولِ الجهميةِ، فقلتَ: **إذا قالوا لنا: (أينَ اللهُ؟)، فإنَّا لا نقولُ بالأينيةِ بحلولِ المكانِ، إذا قيل: (أين هو؟)، قيل: على العرشِ، وفي السماءِ**[(١)].

فيُقالُ لك [٣١/ ب] أيُّها المُعارِضُ: ما أبقيتَ غايةً في نفي استواءِ اللهِ علىٰ العرشِ، واستوائِه إلىٰ السماءِ، إذ قلتَ: (**لا نقولُ: إنه على العرشِ، وفي السماءِ بالأينيَّة**)، ومَن لم يعرف أنَّ إلهَه فوقَ عرشِه، فوقَ سماواتِه، فإنما

---

(١) تقدم برقم (١٦٣) الكلام عن علوّ الله تعالىٰ واستوائه علىٰ العرش، وقد عقد المُصنِّف بابين في ذلك: (٤/ الحد والعرش)، و(٥/ باب ما جاء في العرش).

يعبُدُ غيرَ اللهِ، ويقصِدُ بعبادتِه إلىٰ إلهٍ في الأرضِ، ومن قصَدَ بعبادتِه إلىٰ إلهٍ في الأرضِ كان كعابدِ وثنٍ؛ لأنَّ الرحمنَ علىٰ العرشِ، والأوثانُ في الأرضِ، كما قال لجبريل: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير]، ففي قوله ﴿ثَمَّ﴾، دليلٌ علىٰ البينونةِ والحدِّ بقوله: ﴿ثَمَّ﴾، لا هاهنا في الكُنُفِ والمراحيض كما ادَّعيتم(١).

وإن أبيتَ أيها المُعارِضُ أن (تُؤيِّنَ اللهَ تعالىٰ)، وتُقِرَّ به أنه فوقَ عرشِهِ، دون ما سِواه، فلا ضيرَ علىٰ مَن (أيَّنَه)؛ إذ رسولُه ونَبيُّه صلوات الله عليه وسلامه قد (أيَّنَه)، فقال للأمةِ السوداءِ: «**أين الله؟**»، قالت: في السماء.

قال: «**أعتِقها فإنها مُؤمنةٌ**».

وكذلك (أيَّنَه) رسولُ الله ﷺ وخليلُه إبراهيمُ أنه في السماءِ.

١٩١- حدثناه أبو هشام(٢) الرفاعي، ثنا إسحاق بن سُليمان، ثنا أبو الرازي، عن عاصم بن بَهدلة، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لمَّا أُلقِيَ إبراهيمُ في النارِ، قال: اللهم إنَّكَ في السماءِ واحِدٌ، وأنا في الأرضِ واحِدٌ أعبُدُكَ**»(٣).

١٩٢- حدثنا مسلم بن إبراهيم، عن أبان بن يزيد العطَّار، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن معاوية بن الحكم

(١) تقدم برقم (١) بيان أن الجهمية لا يعبدون شيئًا، وإنما يعبدون عدمًا.
(٢) في الأصل و(ب): (هاشم)، والتصويب من «الرد علىٰ الجهمية» (٥٠).
(٣) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٥٠).

السُّلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال للأمةِ السوداءِ: «**أين الله؟**».

قالت: في السماء.

قال: «**أعتِقْهَا فإنها مؤمنةٌ**»(١).

فما نصنعُ بقولِكَ أيُّها المُعارِضُ وقول إمامِكَ المريسيِّ مع قول محمدٍ رسول [الله] وإبراهيمَ خليلِ الله صلىٰ الله عليهما وسلم، إلَّا أن يُنبذَ في الحُشِّ(٢).

والقرآنُ يُصدِّقُ ما قالا، ويُحقِّقُه مِن أوَّله إلىٰ آخرِه، إذ يقول: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج]، و﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، و﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥]، وما أشبَهَها مِن القرآنِ.

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٣٩). وتقدم أن استدلَّ به هاهنا برقم (٥٢). وقد بيَّنت في التعليق علىٰ «الرد علىٰ الجهمية» مُخالفة الأشاعرة لهذا الحديث.

(٢) ورد في حاشية (الأصل): (قال النسفي: صانع العالم ليس بمتمكِّن في مكان، وعند المُشبِّهة والمُجسِّمة والكرَّامية مُتمكِّنٌ علىٰ العرش).

قلت: وهذا التعليق هو كلام المريسي الذي ردّ عليه الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه هذا، وقد امتلأت بأمثال هذه التعليقات المريسية كتب التفاسير وشروح الأحاديث النبوية، حتىٰ نُقلت هذه التعليقات في حواشي كتب السنة والاعتقاد المخطوط منها والمطبوع، ولا حول ولا قوّة إلَّا بالله.

١٩٣- وزعمتَ أيها المُعارِضُ: (**أنك لا تصِفُ الله بحلولٍ في الأماكنِ**).

فلو شعرتَ أيُّها المُعارِضُ أنَّك وصفتَه بأقبحِ حلولٍ في الأماكنِ، أفحشَ ممَّا عِبتَ علىٰ غيرِكَ؛ لأنَّا قد أيَّنَّا له مكانًا واحِدًا أعلىٰ مكانٍ، وأطهرَ مكانٍ، وأشرفَ مكانٍ؛ عرشَه العظيمَ المُقدَّسَ المجيدَ، فوقَ السماءِ السابعةِ العُليا، حيث ليس معه هناك إنسٌ ولا جانٌّ، ولا بجنبه حُشٌّ، ولا مِرحاضٌ، ولا شيطانٌ(١).

وزعمتَ أنت والمُضِلُّون مِن زُعمائِكَ أنه (في كل مكانٍ)، وفي كلِّ حُشٍّ ومِرحاضٍ، وبجنبِ كلِّ إنسيٍّ وجانٍّ، أفأنتم تُشبِّهونَه بالحلولِ في الأماكنِ، أم نحنُ؟!(٢).

هذا واضِحٌ بَيْن مذهبِكم ودعواكم، صرَّحتَ به أيُّها المُعارِضُ في غيرِ موضعٍ مِن كتابِكَ، ولكنَّكَ تقولُ الشيءَ فتَنسَاه، ثم تنقُضُه علىٰ نفسِكَ وأنت لا تشعُرُ به حتىٰ يأخُذَ بحلقِكَ، والحمدُ لله الذي أعاننا عليك بالنسيانِ، وكثرةِ الهَذيان.

١٩٤- ثم ذهبتَ تُنكِرُ (النزولَ)، وتدفعُه بضروبٍ مِن الأباطيلِ والأضاليلِ [٣٢/أ] مِن كلام المريسيِّ وابنِ الثلجيِّ، ونُظرائهم من الجهميةِ.

---

(١) تقدم برقم (١) إثبات المكان لله تعالىٰ بمعنىٰ العلو والارتفاع.

(٢) في الأصل هاهنا تعليق من تلك التعليقات المريسية الجهمية التي تقدم قريبًا التنبيه عليها، ضربت عليها ولم أنقلها لقبحها وتجهُّمها.

وقد صَحَّ عن رسولِ اللهِ ﷺ في غيرِ خبرٍ، كأنَّك تَسمعُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُه(١).

وقلَّ حديثٌ رُوي عن النبيِّ ﷺ أنقضَ لدعواكم مِن [أن] اللهَ في كلِّ مكانٍ مِن حديثِ النزولِ؛ لِمَا أنكم تقولون: لا يَخلو منه مكانٌ، فكيف يَنزلُ من مكانٍ إلىٰ مكانٍ مَن هو في كلِّ مكانٍ؟!(٢).

فكان مِن أعظمِ حُججِ المُعارضِ لدفعِ حديثِ رسولِ الله ﷺ في النزولِ: حكايةٌ حكاها عن أبي معاويةَ الضريرِ - لعلَّها مَكذوبةٌ عليه - أنه قال: (نزولُه): **أمرُه، وسُلطانُه، وملائكتُه، ورحمتُه، وما أشبَهَها**(٣).

فقلنا له: أيها المُعارِضُ، أمَّا لفظُ رسولِ الله ﷺ فينقُضُ ما حكيتَ عن أبي معاوية، فإن قالَه فالحديثُ يُكذِّبُه ويُبطلُ دعواه؛ لأنَّ لفظَ الحديثِ: «**إذا مضىٰ ثلثُ الليلِ، أو شطرُ الليلِ، نزلَ اللهُ إلىٰ السماءِ الدنيا، فيقولُ: هل مِن داعٍ فأُجيبَ [له]؟ هل مِن مُستغفرٍ أغفِر له؟ هل مِن سائلٍ فأُعطِيه [سؤاله]،**

---

(١) عقد المُصنِّف الباب الثالث من هذا الكتاب في إثبات نزول الربِّ تعالىٰ.

(٢) سيأتي (١٩٧) التعليق علىٰ أن أحاديث النزول مِن أشدّ الأحاديث علىٰ نفاة العلوّ.

(٣) هذا التحريف هو الساري في كثيرٍ مِن الكتب المُتأخِّرة التي سلك أصحابها مسلك أهل التحريف والتأويل كما تقدم بيان شيء من ذلك تحت رقم (٦٤).

«**تنبيه**»: ينسبُ كثيرٌ من أهل التحريف تأويل صفة النزول لله تعالىٰ للإمامين الأوزاعي ومالك بن أنس رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، وهذا مِن الكذبِ عليهما كما بيّنتُ ذلك في كتاب «الاحتجاج بالآثار السلفية علىٰ إثبات الصفات الإلهية» (ص ٣٥٠).

حتىٰ يَنفجِرَ الفجرُ». وقد جئنا بالحديثِ بإسناده في صدرِ هذا الكتاب(١).

فلو كان علىٰ ما حكيتَ عن أبي معاوية وادَّعيتَه أنت أيضًا أنه: أمرُه، ورحمتُه، وسُلطانُه، ما كان أمرُه وسلطانُه يتكلَّمُ بمثلِ هذا، ويدعو[ن] الناسَ إلىٰ استغفارِهِ وسؤالِه دونَ الله، ولا الملائكةُ يدعو[ن] الناسَ إلىٰ إجابةِ الدعوةِ وإلىٰ المغفرةِ منها لهم، وإلىٰ إعطاءِ السؤالِ؛ لأن الله تعالىٰ وَلِيَ ذلك دون مَن سِواه.

وأُخرىٰ: أنَّ أمرَه وملائكتَه ورحمتَه وسُلطانَه دائبًا ينزلُ آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ، وفي كلِّ ساعةٍ لا يفتُرُ، ولا ينقطِعُ، فما بالُ ثُلُثِ الليلِ خُصَّ بنزولِه ورحمتِه وأمرِه مِن بين أوقاتِ الليلِ والنهارِ حتىٰ وقَّتَ رسولُ الله ﷺ لذلك وقتًا آخرَ، فقال: «**إلىٰ أن يَنفجِرَ الفجرُ**»، ففي دعواك تَنزِلُ رحمتُه علىٰ الناسِ في ثُلُثِ الليلِ، فإذا انفجرَ الفجرُ رُفِعت في دَعواك.

هذا والله تفسيرُ مُحالٍ، وتأويلُ ضَلالٍ، يَشهدُ عليه ظاهِرُ لفظِ الحديثِ بالإبطالِ.

١٩٥- وأمَّا مَا رَويتَ في صدرِ كتابك عن المريسيِّ: (أنَّ اللهَ بكلِّ مكانٍ)، عن ابنِ عُيينة، عن عَمرو بن دينارٍ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لرجلٍ: لا تقُل: اللهُ حيثُ كانَ، فإنه بكلِّ مكانٍ(٢).

---

(١) برقم (٤٥).

(٢) رواه عبد الرزاق (١٥٩٣٩)، وابن أبي شيبة (١٢٥٣٩)، وهو أثر صحيح.

١٩٦- وعن أبي الأحوص، عن زيد بن جُبيرٍ، عن أبي البَخْتريِّ مثله(١).

فتأويلُ هذا أيُّها المُعارِضُ علىٰ ما فسَّرنا: أنه مِن فوقِ عرشِهِ، بكلِّ مكانٍ بالعلمِ به، ومع كلِّ صاحبِ نجوىٰ، وأقربُ مِن حبلِ الوريدِ، كما قال الله تعالىٰ، لا علىٰ أنه نفسُه في كلِّ مكانٍ، مما بين الخلقِ في الأرضِ والأمكنةِ، وبِجنبِ كلِّ مُصلٍّ وقائمٍ وقاعدٍ، فهو مِن فوقِ عرشِه مع مَن بالمشرقِ، كما هو مع مَن بالمغربِ، ومع مَن في الأرضِ السابعةِ، كما هو مع مَن هو في السماءِ السابعة، ولا يَبعُدُ عنه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، ولا يخفىٰ عليه خافيةٌ مِن خلقِه.

والعجبُ منك ومِن إمامِكَ المَريسيّ إذ يحتجُّ في ضلالِه بالتمويهِ عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، وعن أبي البَخْتري، ويَدَعُ المنصوصَ المُفسَّرَ [٣٢/ ب] عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما في الرُّؤيةِ والعرشِ خِلافَ ما مَوَّهَ مِن كتابِ اللهِ، ورِوايةِ بضعٍ وعشرين رجُلًا مِن الصحابةِ رضي الله عنهم أجمعين عن رسول الله ﷺ في النزولِ، وفي أن الله تعالىٰ في السماءِ دون الأرض(٢).

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٨٠)، وهو صحيح عنه.

وانظر: «ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٣ في الرجل يقول: وإني سآتيك والله حيث كان).

(٢) قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التسعينية» (٣/ ٩١٤): وأحاديث النزول متواترة عن النبي ﷺ، رواها أكثرُ من عشرين نفسًا مِن الصحابة رضي الله عنهم بمحضرِ بعضهم من بعض، والمُستمع لها منهم يصدِّق المُحدِّث بها ويُقرُّه، ولم يُنكرها منهم أحدٌ، ورواه أئمة التابعين، وعامَّة الذين سمَّاهم مِن الأئمة رووا ذلك، وأودعوه كتبهم، وأنكروا علىٰ من أنكره. اهـ

⇦=

هـذا إلىٰ الابتداعِ أقربُ منه إلىٰ الاتباعِ، وإلىٰ الجهلِ أقربُ منه إلىٰ العدلِ، غير أنَّ المُصيبَ يَتعلَّقُ مِن الآثار بكلِّ واضحٍ مشهورٍ، والمُريبَ يَتعلَّقُ بكلِّ مُتشابهٍ مغمورٍ(١).

١٩٧- وأعجبُ مِن ذلك: قولُك فيما ادَّعيتَ علىٰ أبي معاويةَ في تفسيرِ هـذا النـزول، ثـم قلـتَ: (**ويَحتملُ ما قال أبو معاوية: (أن نزوله): أمرُه وسُلطانُه، كما ترْوُونَ: (إنَّ القرآنَ يَجيءُ يومَ القيامةِ شَافِعًا مُشفَّعًا، ومَاحِلاً مُصدَّقًا)(٢)، فقالوا: معنى ذلك: أنه ثوابُه(١).**

= - وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١١٢٥ - ١٢٠٧): ونزول الربِّ تبارك وتعالىٰ تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وقد رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفسًا ... وهذا يدلُّ على أنه كان يُبلِّغُه في كلِّ موطنٍ ومَجمعٍ. اهـ. ثم ذكرها جميعًا.

وانظر: كتاب «النزول» للدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد جمع الأحاديث في هذا الباب.

(١) وهذه القاعدة احفظها حتىٰ تُفرِّقَ بها بين السُّني المُتِّبع للنصوصِ وكلام أئمَّة السُّنةِ البيِّن الواضح، وبين البدعيّ المُتَّبع لما تشابه مِن النصوص، وكلام الأئمة، وزلَّاتِهم؛ ليضلّ الناس، ويُلبِّس عليهم عقيدتهم، وقد تقدم برقم (١٤٠) التنبيه علىٰ ذلك.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما روي من حديث جابر رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**القرآن شافعٌ مُشفَّع، وماحِلٌ مُصدَّق، مَن جعله أمامه: قاده إلىٰ الجنة، ومَن جعله خلفَ ظهره: ساقه إلىٰ النار**». رواه ابن حبان (١٧٩٣).

رواه ابن أبي شيبة (٣٠٦٧٧) بنحوه عن ابن مسعود رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ موقوفًا.

قال الدارقطني في «العلل» (٧٤٨): والصحيح عن ابن مسعود رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ موقوف.

- وفي «مقاييس اللغة» (٥/ ٣٠٢): وفي الدُّعاءِ: «**لا تجعلِ القرآنَ بنا مَاحِلًا**»، أي: =

فإن جاز لهم هذا التأويلُ في (القرآنِ)؛ جازَ لنا أن نقولَ: (إنَّ نُزُولَه): أمرُه ورحمتُه).

فيُقالُ لهذا المُعارضِ: لقد قِستَ بغيرِ أصلٍ، ولا مثالٍ؛ لأن العلماءَ قد عَلِموا أن القرآنَ كلامٌ، والكلامُ لا يقومُ بنفسِه شيئًا قائمًا حتىٰ تُقِيمه الألسُنُ ويَستلينَ عليها، وأنه بنفسِهِ لا يقدِرُ علىٰ المجيءِ، والتحرُّكِ، والنزولِ بغيرِ مُنزِّلٍ، ولا مُحرِّكٍ، إلَّا أن يؤتىٰ به ويُنَزَّل.

واللهُ تعالىٰ حيٌّ قيومٌ، مَلِكٌ عَظيمٌ، قائمٌ بنفسِهِ، في عِزِّه وبهائِه، يفعلُ ما يشاءُ كما يشاءُ، ويَنزِلُ بلا مُنَزِّلٍ، ويرتفعُ بلا رَافِعٍ، ويفعلُ ما يشاءُ بغيرِ استعانةٍ بأحدٍ، ولا حاجةٍ فيما يفعلُ إلىٰ أحدٍ، ولا يُقاسُ الحيُّ القيومُ الفعَّالُ لما يشاءُ بالكلامِ الذي ليس له عينٌ قائمٌ حتىٰ تُقيمَه الألسُنُ، ولا له أمرٌ، ولا قدرةٌ، ولا إرادةٌ، ولا يَستبينُ إلَّا بقراءةِ القُرَّاءِ.

أرأيتَ إن كان نُزُولُه: أمرَه ورحمتَه، فما بالُ أمرِهِ ورحمتِهِ لا ينزِلُ إلَّا في ثُلُثِ الليلِ ثم إلىٰ السماءِ الدنيا؟!

وما بالُ أمرِهِ ورحمتِهِ في دعواكَ لا يَنزِلُ إلىٰ الأرضِ حيثُ مُستقرُّ العبادِ ممَّن يُريدُ اللهُ أن يَرحمَه، ويُجيبُ ويُعطي، فما بالُها تَنزِلُ إلىٰ السماءِ الدنيا، ثم لا تَجوزها؟!

=

لا تَجعَله يَشهَدُ عندكَ علينا بتركِنَا اتِّباعَه، أي: اجعلنا مِمَّن يتبعُ القرآنَ، ويَعمَلُ به.

(١) سيأتي بيان ذلك تحت الفقرة رقم (٢٢٩).

وما بالُ رحمتِه تبقىٰ علىٰ عبادِهِ مِن ثُلثِ الليلِ إلىٰ انفجارِ الفجرِ، ثم ترجعُ مِن حيث جاءت بزعمِك؟!

وما بالُه إذِ اللهُ بزعمِكَ في الأرضِ، فإذا استرحمَه عبادُه واستغفرُوه وتَضرَّعوا إليه، بَعَّدَ عنهم رحمتَه إلىٰ السماءِ الدنيا مَسيرةَ خمسمائة عامٍ، ولا يُغشِّيهم إياها؟ وهو معهم في الأرض بزعمِكَ؟ إذ زعمتَ أن نُزُولَه: (تقرِيبُ رحمتِه إياهم)، كقوله الآخر: «**مَن تقرَّبَ منِّي شِبرًا؛ تقرَّبتُ منه ذِراعًا، ومَن تقرَّبَ مني ذِراعًا؛ تقرَّبتُ منه باعًا**»[(١)]، فقلتَ: هذا تَقرُّبٌ بالرَّحمةِ[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٧٥٣٧)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) لم يعترض الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ المعارض تأويله للتقرُّبِ في هذا الحديث بالرحمة والمغفرة، وهو كذلك عن طائفة مِن أهل السُّنة

- قال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مسائل حرب الكرماني» (ص٣٤٥): يعني: مَن تَقرَّبَ إلىٰ اللهِ شِبرًا بالعملِ، تقرَّبَ اللهُ إليه بالثوابِ بَاعًا. اهـ

- وقال الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ في «سننه» (٥/ ٥٨١)، فقال: يروىٰ عن الأعمشِ في تفسيرِ هذا الحديثِ: «مَن تَقرَّبَ مِنِّي شِبرًا تَقرَّبتُ مِنهُ ذِرَاعًا»، يعني: بالمغفرة والرَّحمة، وهكذا فسَّر بعضُ أهل العلم هذا الحديث، قالوا: إنما معناه يقول: إذا تقرَّبَ إليَّ العبدُ بطاعتِي وما أَمَرتُ، أُسرِعُ إليه بمغفرتي ورحمتي.

ورُوِي عن سعيد بن جُبيرٍ أنه قال في هذه الآيةِ ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢]، قال: اذكروني بطاعتي، أذكركم بمغفرتي. اهـ

وقد تكلَّمتُ عن هذه المسألة في «الاحتجاج بالآثار السلفية»: (فصل فيما رُوي من التأويل الفاسد عن بعض أئمّة أهلِ السُّنَّةِ مِمّا يُشكل علىٰ الجهلة الأغمار)، وبينت أن تأويل هذا الحديث ليس من تأويل المعطلة لأحاديث الصفات.

ففي دعواكَ في تفسيرِ (النزول): مَن تَقرَّبَ إليه شِبرًا تَباعَدَ هو عنه مسيرةَ ما بينَ الأرض إلىٰ السماءِ، وكلمَّا ازدادَ العبادُ إلىٰ اللهِ اقترابًا، تَباعدَ هو برحمتِه عنهم بُعدَ ما بين السماء والأرض بزعمِكَ.

لقد علمتَ أيُّها الجاهِلُ أن هذا تفسيرٌ مُحالٌ يَدعو إلىٰ ضَلالٍ، والحديث نفسُه يُبطِلُ هذا التفسيرَ ويُكَذِّبُه، غيرَ أنه أغيظُ حديثٍ للجهميةِ، وأبغضُ(١) شيءٍ لدعواهم؛ لأنهم لا يُقرُّون أنَّ اللهَ فوقَ عرشِهِ، فوقَ سماواتِه، ولكنَّه في الأرضِ، كما هو في السماءِ، فكيف يَنزلُ إلىٰ السماءِ الدنيا مَن هو تحتَها في الأرضِ؟ وجميع الأماكنِ منها، ونفسُ [٣٣/ ب] الحديثِ ناقِضٌ لدعواهم، وقاطِعٌ لحُجَجهم(٢).

---

(١) في الهامش: (وأنقض).

(٢) ذكر أئمة السنة أن أحاديث النزول مِن أشدّ الأحاديث علىٰ الجهمية؛ لأن فيها إثبات علوّ الله تعالىٰ علىٰ خلقه، وفيها إثبات المجيء والحركة والبينونة والحدّ والانتقال وغير ذلك ممَّا هو من لوازم النزول وتنكرها مُعطّلة الصفات.

وقد تقدم قريبًا قول المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقلَّ حديثٌ رُوي عن النبيِّ ﷺ أنقضَ لدعواكم مِن أن اللهَ في كلِّ مكانٍ مِن حديثِ النزول ..).

- قال ابن أبي عاصم رَحِمَهُ اللَّهُ في «السُّنة» (٢/ ٥١٧): وأخبار النزول دالّةٌ علىٰ أنه في السماء دون الأرض. اهـ

- وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في «التوحيد» (١/ ٢٥٩): فنحن قائلون مُصدِّقون بما في هذه الأخبار مِن ذكر النزولِ غير مُتكلّفين القولَ بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول. وفي هذه الأخبار ما بانَ وثبت وصحَّ: أن الله جلَّ وعلا فوق سماء الدنيا، الذي خبَّرنا نبينا ﷺ أنه ينزل إليه، إذ محالٌ في لغة العرب أن

⇐

=
يقول: نَزلَ من أسفل إلىٰ أعلىٰ، ومفهومٌ في الخطاب أن النزول مِن أعلىٰ إلىٰ أسفل. اهـ

- وقال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أصول السُّنة» (٢٠٣): وهذا الحديث بيَّن أن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عرشه في السماء دون الأرض. اهـ

- وقال السرَّاج: سمعتُ ابن راهويه يقول: دخلتُ يومًا علىٰ عبد الله بن طاهر، وعنده منصور بن طلحة، فقال لي منصور: يا أبا يعقوب، تقول: إن الله ينزل كل ليلة؟ قلت له: ونؤمن به، إذا أنت لا تؤمن أن الله في السماء، لا تحتاج أن تسألني.

فقال له عبد الله: ألم أنهك عن هذا الشيخ؟!. [«اجتماع الجيوش» (ص٣٤٢)]

- وفي «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (٤٤) قال أحمد بن سعيد بن إبراهيم ابن عبد الله الرباطي: حضرتُ مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يومٍ، وحضر إسحاق بن إبراهيم - يعني: ابن راهويه - فسُئل عن حديث النزول: أصحيحٌ هو؟ قال: نعم. فقال له بعض قوَّاد عبد الله: يا أبا يعقوب، أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟

قال: نعم. قال: كيف ينزل؟

فقال له إسحاق: أثبته فوق حتىٰ أصف لك النزول. اهـ

قلت: فمن لم يُؤمن بالعلو لله تعالىٰ علىٰ خلقه فلن يؤمن بأحاديث النزول، وإن آمن به في الظاهر، فإنه سيتأول النزول: بنزول رحمته وأمره، فرجع أمره إلىٰ التكذيب بأحاديث النزول.

- قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٢٩): وفيه دليل علىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وهو من حُجَّتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله عَزَّوَجَلَّ في كل مكان، وليس علىٰ العرش. اهـ

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النونية» (١٧٢٥-١٧٢٧):

واذكر حديثَ نزولهِ نِصفَ الدُّجىٰ ... في ثُلثِ ليلٍ آخِرٍ أو ثانِ

فنُزولُ ربٍّ ليس فَوقَ سمائه ... في العقلِ مُمتنِعٌ وفي القُرآنِ

وأُخرى: أنه قد عَقَلَ كلُّ ذي عقلٍ ورأيٍ أن (القولَ) لا يتحوَّلُ صورةً لها لسانٌ وفَمٌ، ينطِقُ ويَشفَعُ، فحين اتفقت المعرفةُ مِن المسلمينَ أن ذلك كذلك، علموا أن ذلك ثوابٌ فيُصوِّرُه اللهُ بقُدرتِهِ صورةَ رجلٍ يُبَشِّرُ به المؤمنين(١)؛ لأنه لو كان القرآنُ صورةً كصورةِ الإنسانِ لم يتشعَّب أكثرَ مِن ألفِ ألفِ صورةٍ، فيأتي أكثرَ مِن ألفِ ألفٍ شافعًا وماحِلًا؛ لأنَّ الصورةَ الواحدةَ إذا هي أتت واحِدًا زالت عن غيرِه، فهذا معقولٌ لا يَجهلُه إلَّا كلُّ جهولٍ.

وهذا كحديثِ الأعمشِ، عن المِنهالِ، عن زاذان، عن البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ: «**إنَّ الرجلَ إذا ماتَ تأتيه أعمالُه الصالحةُ في صورةِ رجلٍ في أحسنِ هيئةٍ، وأحسنِ لباسٍ، وأطيبِ ريحٍ فيقولُ له: مَن أنت؟ فيقولُ: أنا عملُك الصالحُ كان [حسنًا]، فكذلك تراني حسنًا، وكان طيِّبًا، فكذلك تراني طيِّبًا**»(٢)، وكذلك العملُ السيئُ يأتي صاحبَه فيقولُ له مثل ذلك، ويُبشِّرُه بعذابِ الله.

وإنما عملُهما: الصلاةُ، والزكاةُ، والصيامُ، وما أشبَهَها مِن الأعمالِ الصالحة.

---

(١) جاء ذلك في حديث عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «**يُمثَّل القرآن يوم القيامة رجلًا فيشفعُ لصاحبه**». رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٣١٥).

(٢) يُشير إلىٰ حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل في قبض روح المؤمن والكافر، وقد رواه المُصنِّف في كتاب «الرد علىٰ الجهمية» (٧٥)، وهو حديث صحيح.

وعملُ الآخَرِ: الزِّنا، والرِّبا، وقتلُ النفسِ بغيرِ حقِّها، وما أشبَهَها مِن المعاصي، قد اضمحلَّت وذهبت في الدنيا، فيُصوِّرُ اللهُ بقُدرتِهِ للمؤمنِ والفاجرِ ثوابَها وعِقابَها، يُبَشِّرُ بهما إكرامًا للمؤمنِ، وحسرَةً علىٰ الكافرِ.

وهذا المعنىٰ أوضحُ مِن الشمسِ، قد علمتُم ذلك إن شاءَ الله، لكن تُغالِطون وتُدلِّسُون، وعليكم أوزارُكم وأوزارُ مَن تُضِلون(١).

١٩٨- ثم أكَّدَ المُعارِضُ دعواه في (أنَّ اللهَ في كلِّ مكانٍ)(٢) بقياسٍ ضلَّ به عن سواءِ السبيلِ، فقال: **(ألا ترى أنه مَن صَعَدَ الجبلَ لا يُقال له: إنه أقربُ إلى اللهِ تعالى)**.

فيُقالُ لهذا المُعارِضُ المُدِّعي ما لا عِلمَ له: مَن أنبأك أن رأسَ الجبلِ ليس بأقربَ إلىٰ الله تعالىٰ مِن أسفَلِه؟ لأنه مَن آمنَ بأنَّ اللهَ فوقَ عرشِهِ فوق سماواتِه عَلِمَ يقينًا أنَّ رأسَ الجبلِ أقربُ إلىٰ اللهِ مِن أسفلِه، وأن السماءَ السابعةَ أقربُ إلىٰ عرشِ اللهِ تعالىٰ مِن السادسةِ، والسادسةُ أقربُ إليه مِن

---

(١) نقل هذا ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ١٩٥-٢٠١)، وردَّ به علىٰ الرازي في احتجاجه ببعض النصوص علىٰ ثبوت التأويل عن السلف والأئمة.

(٢) ورد في حاشية (الأصل): (قف علىٰ كلامهم بثبوت الجهة والمسافة بيننا وبينه، قال الإمام النسفي في «الاعتماد» ردًّا علىٰ مثل هذه الطائفة: صانع العالم ليس في جهة خلافًا لبعض الكرامية فإنهم يثبتون له جهة العلو. انتهىٰ.

وقال الإمام في «الفقه الأكبر»: لا يكون بينه وبين خلقه مسافة. انتهىٰ).

قلت: وهذا بعينه هو كلام الجهمية المريسية نفاة العلو والفوقية الذين صنَّف الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابيه في الرد عليهم، وبيان كفرهم وزندقتهم.

الخامسةِ، ثم كذلك إلىٰ الأرض.

١٩٩- كذلك روىٰ إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، عن ابنِ المُبارك أنه قال: رأسُ المنارةِ أقربُ إلىٰ اللهِ مِن أسفلِه.

وصدَقَ ابنُ المبارك؛ لأن كلَّ ما كان إلىٰ السماءِ أقربَ؛ كان إلىٰ اللهِ أقربَ، وقربُ اللهِ إلىٰ جميعِ خلقِهِ أقصاهم وأدناهم واحِدٌ، لا يبعُدُ عنه شيءٌ مِن خلقِهِ، وبعضُ الخلقِ أقربُ [إليه] مِن بعضٍ، علىٰ نحوِ ما فسَّرنا مِن أمرِ السماوات والأرض.

وكذلك قُربُ الملائكةِ مِن اللهِ، فحملةُ العرشِ أقربُ إليه مِن جميعِ الملائكةِ الذين في السماوات [كلها]، والعرشُ أقربُ إليه مِن السماءِ السابعةِ، وقُربُ اللهِ إلىٰ جميعِ ذلك واحِدٌ.

هذا معقول مفهوم إلَّا عند مَن لا يؤمنُ [بـ]ـأن فوقَ العرشِ إلهًا؛ ولذلك سُمِّي الملائكة: (المُقرَّبون)، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف]، [٣٣/ ب] فلو كان اللهُ في الأرضِ كما ادَّعتِ الجهميةُ ما كان لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ معنًى، إذ كلُّ الخلقِ عنده ومعه في الأرضِ بمنزلةٍ واحدةٍ، مؤمنهم وكافِرُهم، ومُطيعُهم وعاصِيهم، وأكثرُ أهلِ الأرضِ مَن لا يُسبِّحُ بحمدِه ولا يَسجُدُ له.

ولو كان في كلِّ مكانٍ، ومع كلِّ أحدٍ، لم يكن لهذه الآيةِ معنًى؛ لأنَّ أكثرَ مَن في الأرضِ مَن لا يؤمنُ به، ولا يسجدُ له، ويَستكبرُ عن عبادته.

فأيُّ منقبةٍ إذًا فيه للملائكةِ؛ إذ كلُّ الخلقِ عند الجهميةِ في معناهم في

تفسيرِ هذه الآية[١].

٢٠٠- ثم فَسَّرَ المُعارِضُ هذا المذهبَ تفسيرًا أشنعَ مِن هذا، دفعًا بأن يُقالَ: (إنَّ اللهَ في السماءِ)، فقال: (**يَحتملُ التأويل أن يكون (في السماءِ)، على أنه (مُدبِّرُها ومُتقِنُها)، كما يُقالُ للرجلِ: هو في صلاتِهِ وعملِهِ، وتدبيرِ معيشتِه، وليس هو في نفسِها وفي جوفِها، وفي نفسِ المعيشةِ بالحقيقةِ؛ ولكن بالمجازِ على دعواه**).

فيُقالُ لهذا المُعارِضِ: قد قلنا لك: إنك تَهذِي ولا تَدري، تَتكلَّمُ بالشيءِ ثم تَنقُضُه علىٰ نفسِكَ، أليس قد زعمتَ: أنَّ اللهَ تعالىٰ في السماءِ، وفي الأرضِ، وفي كلِّ مكانٍ بنفسِه، فكيف تدَّعي [فيه] هاهنا أنه ليس في السماواتِ منه إلَّا تدبيرُه وإتقانُه، كتدبيرِ الرجلِ في معيشتِه، وليس بداخلٍ فيها؟

ما أولاك أيُّها المُعارِضُ أن تَعضَّ علىٰ لسانِك، ولا تَحتجَّ بشيءٍ لا تقدِرُ أن تقودَه، أو تَتخلَّصَ منه بحُجَّةٍ حتىٰ تنقُضَه علىٰ نفسِكَ بنفسِ كلامِكَ، ولو كان لك ناصحٌ لحجرَ عليك الكلام.

ولولا أنه يُشيرُ إليك بعضُ الناسِ ببعضِ النُّصرةِ في العلمِ، ما اشتغلنا

---

(١) ومن هذا الباب: حديث أنس رضي الله عنه في حسر النبي ﷺ عن رأسه، وتعرُّضه للمطرِ عند نزوله، ولما سُئِل عن ذلك، قال: «**لأنه حديثُ عَهْدٍ بِرَبِّه**»، وقد رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٥١)، وعلقت عليه هناك.

- وفي «الصفات» لابن المُحبِّ (١٢٠٤) قال خشيش بن أصرم: وإنَّما سُمّوا (الملائكة المُقرَّبون) بقُربهم مِن الله عَزَّوَجَلَّ دون جميع خلقه. اهـ

بـالردِّ علىٰ مثلِـكَ؛ لسـخافةِ كلامِـكَ، ورثاثـةِ حُجَجِـكَ، ولكنَّـا تخوَّفنـا مِـن جهالتِك ضررًا علىٰ الضُّعفاءِ الذين بـين ظهريك، فأحببنـا أن نُبيِّنَ لهـم عَـورةَ كلامِك، وضعفَ احتجاجِكَ؛ كي يحذُروا مثلَهـا مِـن رأيـك،، وقـد فضحناك في ذلك.

ولو استقصينا عليك في الاحتجاجِ، لطالَ بـه الكتـاب، غيـر أنَّـا أحببنـا أن نُفَسِّرَ منها قليلًا يدلُّ علىٰ كثيرٍ، ولولا أنك بدأتنا بالخوضِ فيه وفي إذاعةِ كلام بشرٍ المريسي المُلحدِ في توحيدِ الله تعالىٰ، المُعطِّلِ لصفاتِ الله، المُفتري علىٰ الله؛ لم تعْرِضْ لشيءٍ مِن هذا وما أشبَهه؛ لأنه لا يَحِلُّ لمسلمٍ عنده شيء من بيانٍ أو بُرهانٍ، يكون ببلدةٍ يَنتشِرُ فيها كلامُ المَريسيِّ في التوحيدِ ثم لا يَنقُضُه(١).

٢٠١- ثم عادَ المُعارضُ إلىٰ مذهبه الأول ناقِضًا علىٰ نفسِه فيما تأوَّلَ في المسألةِ الأولىٰ، فاحتجَّ ببعضِ كلامِ جهمٍ، والمَريسيِّ، فقال:

إن قالوا لك: (أين الله؟)، فالجوابُ لهم: (إن أردتم حُلولاً في مكانٍ دون مكان، وفي مكان يَعقِله المخلوقون؛ فهو المُتعالي عن ذلك؛ لأنه على العرشِ، وبكلِّ مكانٍ، ولا يُوصفُ بأين).

فيُقالُ لهذا المُعارضِ: أمَّا قولُك: (كالمخلوقِ)، فهذه كُلفةٌ(٢) منك،

(١) في «البدع» لابن وضَّاح (٥٢٤) قال الأوزاعي: إذا جهرَ أهل البدع ببدعهم، وكثرت دعوتهم ودعاتهم إليها، فنشر العلمِ حياة، والبلاغ عن رسول الله ﷺ رحمة يُعتصم بها علىٰ كُلِّ مُصِرٍّ مُلحدٍ.

(٢) في (ب): (كذبة).

وتَلبيسٌ لا يقولُه أحدٌ مِن العلماءِ؛ ولكنَّه بمكانٍ يعقِلُه المخلوقون المؤمنون بآياتِ الله، وهو علىٰ العرشِ، فوقَ السماءِ السابعةِ، دون ما سِواها من الأمكنةِ(١)، وعلمُه مُحيطٌ بكلِّ مكانٍ، وبمَن هو في [٣٤/ أ] كلِّ مكانٍ، مَن لم يعرفه بذلك لم يؤمن باللهِ، ولم يدرِ مَن يَعبدُ، ومَن يُوَحِّدُ، مع أنَّك أيُّها المُعارِضُ أقررتَ بأنكَ تعقِلُ مكانه؛ لأنك ادَّعيتَ أنه في كلِّ مكانٍ مِن سماءٍ ومِن أرضٍ.

وأمَّا اشتراطُك علىٰ مَن سألَكَ: (أين الله؟)، فتقولُ له: (**إن كنتَ تريدُ كذا وكذا**)؛ فهذا شرطٌ باطلٌ، لم يشترط ذلك أحدٌ مِن الأُمَّةِ(٢) علىٰ أحدٍ أرادَ أن يَعرفَ اللهَ؛ لأن النبيَّ ﷺ حين سألَ الأَمَةَ السوداءَ: «**أينَ الله؟**»، لم تشترط علىٰ النبيِّ ﷺ كما اشترطتَ أنت، إن كنتَ تُريدُ حلولًا كحلولِ كذا وكذا، ولكن قالتَ: (في السماءِ)، فاكتفىٰ منها النبيُّ ﷺ بذلك، ولم يقُل لها: كيف كَينونتُه في السماءِ؟ وكيف حُلُولُه فيها؟.

وأمَّا قولُك: (**لا يُوصف بأين؟**).

فهذا أصلُ كلامِ جهمٍ، وهو خلافُ ما قال الله عَزَّوَجَلَّ، ورسوله ﷺ، والمؤمنون؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦].

• وقال للملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل:٥٠].

---

(١) فيه إثبات المكان لله تعالىٰ علىٰ معنىٰ العلو والارتفاع علىٰ خلقه، وقد تقدم تقرير ذلك تحت (فقرة/ ١ و١٩٣).

(٢) في (ب): (الأئمة).

• وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

فقد أخبرَ اللهُ العبادَ أين الله، وأينَ مكانه، وأيَّنَه رسول الله ﷺ في غيرِ حديثٍ، فقال: «**مَن لم يَرحم مَن في الأرضِ؛ لم يَرحمْه مَن في السماءِ**».

٢٠٢- **حدثنا** مُسَدَّد، ثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي عَبيدة، عن عبد الله رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ارحموا أهل الأرضِ؛ يَرحمكم أهلُ السماءِ**»(١).

فلو لم يوصف (بأين) كما ادَّعيتَ أيُّها المُعارِضُ، لم يكن رسول الله ﷺ يقولُ للجاريةِ: «**أين الله؟**»، فيُغالطها في شيءٍ لا يُؤيَّنُ.

وحين قالت: (هو في السماءِ)، لو قد أخطأت فيه لردَّ رسولُ اللهِ ﷺ عليها وعلَّمَها، ولكنَّه استدلَّ علىٰ إيمانِها بمعرفتِها أنَّ اللهَ في السماءِ(٢).

وكذلك رُوي لنا عن ابنِ المُبارك.

٢٠٣- **حدثناه** الحَسن بن الصبَّاح، ثنا علي بن الحسن الشَّقيقي، قال: قيل

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٢٧٧)، و«الصغير» (٢٨١)، والحاكم (٤/ ٢٤٨)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٢) تقدم نحوه برقم (٥٢).

وتقدم في التعليق علىٰ «الرد» (٤٢) نقل بعض تخبّط المُعطِّلة نفاة علوّ الله تعالىٰ علىٰ خلقه سبب ترك النبي ﷺ الإنكار علىٰ الأمة السوداء جوابها بأنه في السماء، فانظره إن أردت زيادة بيان، وسل ربك العافية مما ابتلاهم الله تعالىٰ به مِن الحيرة والشَّكِّ فيما فطرَ الله تعالىٰ عليه الخلق كلهم حتىٰ البهائم.

لابنِ المُباركِ: بأيِّ شيءٍ نَعرفُ ربَّنا؟

قال: بأنَّه في السماءِ علىٰ العرشِ، بائنٌ مِن خلقِهِ.

قلت: بِحدٍّ؟

قال: بِحدٍّ(١).

فهذا القرآنُ ينطقُ بأنَّ الله تعالىٰ يُوصفُ: (بأينَ).

وهذا رسولُ اللهِ ﷺ قد وصفَه، وعليه درَجَ أهلُ المعرفةِ مِن أهلِ الإسلامِ.

فمَن أنبأك أيُّها المُعارِضُ - غيرُ المَريسيِّ - أنَّ اللهَ لا يُوصفُ (بأينَ)، فأخبرنا به، وإلَّا فأنت المُفتري علىٰ اللهِ، الجاهِلُ به، وبمكانِه(٢).

ثم نقضتَ علىٰ نفسِك دعواكَ أنه (في السماءِ) علىٰ (أنه مُدبِّرُها)، كما يكون الرجلُ في عِمارةِ دارِه خارجًا منها، وليس بداخلٍ فيها، فتركتَ المذهبَ الأوَّل، ثم ادَّعيتَ أخيرًا فقلتَ: هو في السماواتِ، وفي الأرضِ، وفي كلِّ مكانٍ، تَحتجُّ بالشيءِ، ثم تنساه حتىٰ تَنقُضُه علىٰ نفسِك وأنت لا تشعُرُ؟!

وسنذكرُ في إبطالِ حُجَجِك في هذه المسألةِ أخبارًا صحيحةً يَستدلُّ بها مَن وَفقَّه اللهُ تعالىٰ علىٰ إلحادِكَ فيها إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٤٣ و١١١).

(٢) وكذلك جميع المعطلة من جهمية وأشعرية وغيرهم لا يوصف ربنا عندهم (بأين)، والسؤال عندهم عن هذا منكر.

٢٠٤- **حدثنا** مُسَدَّد، ثنا سفيان، عن عَمرو - وهو ابن دينار -، عن أبي قابوس، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسولُ الله ﷺ: «**الراحِمونَ يَرحمُهم الرحمنُ، ارحَمُوا أهلَ الأرضِ، يَرحَمكم أهلُ** [٣٤/ ب] **السماءِ**»(١).

٢٠٥- **حدثنا** سعيد بن أبي مريم المصري، أبنا الليث، عن زيادة بن محمد الأنصاري، عن محمد بن كعب القُرظي، عن فَضالة بن عُبيد، عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا اشتكىٰ أحدُكم شيئًا، أو اشتكىٰ أخٌ له، فليقُل: ربُّنا اللهُ الذي في السماءِ، تقدَّسَ اسمُك، أمرُك في السماءِ والأرضِ، كما رحمتُك في السماءِ، فاجعل رحمتَك في الأرضِ، واغفر لنا حوبنا، وخطايانا، أنت ربُّ الطيبين، أنزل شِفاءً مِن شفائِكَ، ورحمةً مِن رحمتِك علىٰ هذا الوجعِ فيَبرأ**»(٢).

أفلا ترىٰ أيُّها المُعارِضُ رسولَ الله ﷺ كيف حدَّه في السماءِ دون الأرضِ، بقولِه: «**ربُّنا الذي في السماءِ**».

وكذلك رُوِيَ عن عمرَ بنِ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢٠٦- **حدثنا** أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا وكيع، ثنا سعيد بن عبد العزيز التَّنُوخي، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن عبد الرحمن بن غَنْم، قال: قال عمر

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٤٤)، وهو حديث صحيح.
«**تنبيه**»: وقع تكرار لهذا المتن ولكن بالإسناد الذي بعده.

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٤٥). و(الحوب): الإثم.

ابن الخطاب رضي الله عنه: ويلٌ لديَّانِ الأرضِ مِن ديَّانِ السماءِ يومَ يلقونَه(١).

٢٠٧- **حدثنا** عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني عُقيل، عن ابن شهابٍ، قال: أخبرني سالم بن عبد الله أنَّ كعبًا قال لعمر رضي الله عنه: ويلٌ لسلطانِ الأرضِ مِن سُلطانِ السماءِ.

قال عمر: إلَّا مَن حاسَبَ نفسَه.

قال كعب: إلَّا مَن حاسَبَ نفسَه. فكبَّرَ عمرُ، وخرَّ ساجدًا(٢).

ففي هذا بيانٌ بيِّنٌ (للحدِّ)، وأنَّ اللهَ في السماءِ دون الأرضِ؛ لأن اللهَ دَيَّانُ السمواتِ والأرضِ جميعًا وسُلطانُهما، ولكنَّه حدَّ مكانَه في السماءِ دونَ الأرضِ؛ لأنه هناك علىٰ العرشِ دون ما سِواه مِن الأمكنَةِ.

٢٠٨- **حدثنا** محمد بن بشار، ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي، قال: سمعتُ محمد بن إسحاق يُحدِّثُ، عن يعقوب بن عُتبة، وجُبير بن محمد بن جُبير بن مُطعم، عن أبيه، عن جدِّه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ فوقَ عرشِهِ، فوق سماواتِه، وسماواتُه فوقَ أرضِهِ مثلُ القُبَّةِ، وإنَّه لَيَئِطُّ به أطيطَ الرَّحلِ بالرَّاكِبِ**»(٣).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٢٣٤١٦)، وله تَتِمَّة: قال: (.. يوم يلقونه إلَّا مَن أمَّ العدل، وقضىٰ بالحقِّ، ولم يقضِ لهوًى، ولا قرابة، ولا لرغبة، ولا لرهبة، وجعل كتاب اللهِ مرآةً بين عينيه).

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٤٥). وهو صحيح عنه.

(٣) تقدم تخريجه برقم (١٧٦).

٢٠٩- حدثنا عبد الله بن أبي شَيبة، ثنا محمد بن فُضيل(١)، عن أبيه، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: لمَّا قُبِضَ رسول الله ﷺ، قال أبو بكر رضي الله عنه: أيُّها الناسُ، إن كان محمدٌ إلهَكُم الذي تَعبُدُون؛ فإنه قد مات، وإن كان إلهُكُمُ اللهَ الذي في السماءِ، فإن إلهَكُم لم يَمُت. ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤]، حتىٰ ختم الآية(٢).

٢١٠- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن ابنِ مسعود رضي الله عنه، قال: ما بين السماءِ الدنيا والتي تَلِيها مَسيرةُ خَمسمائة عامٍ، وبين كلِّ سماءين مَسيرةُ خَمسمائة عامٍ، وبين السماءِ السابعةِ وبين الكرسيِّ مَسيرةُ خَمسمائَة عامٍ، وبينَ الكُرسيِّ إلىٰ الماءِ مسيرةُ خَمسمائةِ عامٍ، والعرشُ علىٰ الماءِ، والله فوقَ العرشِ [٣٥/أ]، وهو يَعلم ما أنتمُ عليه(٣).

٢١١- حدثنا النُّفيلي، ثنا زُهير - وهو ابن معاويةَ -، ثنا عبد الله بن عثمان ابن خُثيم، ثنا عبد الله بن عبيد الله(٤) بن أبي مُليكة، أنه حدَّثه ذكوان حاجب عائشة رضي الله عنها: أن ابن عباس رضي الله عنهما دخلَ علىٰ عائشة رضي الله عنها وهي تموتُ، فقال لها: كُنتِ أحبَّ نساءِ رسولِ الله ﷺ إلىٰ رسول الله ﷺ، ولم يكن رسولُ الله

---

(١) في (ب): (الفضل).

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٥٢).

(٣) تقدم تخريجه برقم (١٥٣و١٧٧)، وهو صحيح.

(٤) في الأصل: (عبد الله)، وما أثبته من (ب)، و«الرد علىٰ الجهمية».

ﷺ يُحِبُّ إلَّا طيِّبًا، وأنزلَ اللهُ براءتَكِ مِن فوقِ سبعِ سماواتٍ، جاءَ بها الروحُ الأمينُ، فأصبحَ ليس مسجدٌ مِن مساجدِ اللهِ يُذكرُ فيه اسمُ اللهِ، إلَّا وهي تُتلىٰ فيه آناءَ الليلِ، وآناءَ النهارِ(١).

٢١٢- حدثنا نُعيم بن حماد، ثنا ابن المبارك، أبنا سُليمان بن المغيرة، عن ثابت البُناني، قال: ثنا رجلٌ مِن أهلِ الشامِ، وكان يَتَّبِعُ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ويسمعُ منه، قال: كنتُ معه، فلقيَ نَوفًا، فقال نَوفٌ: ذُكِرَ لنا أن اللهَ قال لملائكتِه: ادعوا لي عبادي.

قالوا: يا ربِّ، فكيف [ندعوهم] والسماواتُ السبعُ دونَهم، والعرشُ فوق ذلك؟!

قال: إنَّهم إذا قالوا: لا إله إلَّا الله؛ فقد استجابوا(٢).

٢١٣- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل أبو سلمة، ثنا أبو هلال، ثنا قتادة، قال: قالت بنو إسرائيل: يا ربِّ، أنت في السماءِ، ونحن في الأرضِ، فكيف لنا أن نعرِفَ رضاكَ وغضَبَكَ؟

قال: إذا رَضيتُ عنكم؛ استعملتُ عليكم خِيارَكُم، وإذا غَضبتُ عليكم؛ استعملتُ عليكم شِرارَكم(٣).

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٥٨)، وأصله في صحيح البخاري.
(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٦٠)، بأتم من هذا.
(٣) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٦١)، وهو صحيح عن قتادة.
وروي نحوه عن الحسن البصري وغيره.

فهذا رسولُ اللهِ ﷺ، وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وخيارُ أصحابِ رسول الله ﷺ والتابعين، حتىٰ بني إسرائيل، كلهم قد قالوا بخلافِ مذهبك في أن اللهَ في كلِّ مكانٍ، وهذا بابٌ طويلٌ، والآثارُ فيه كثيرةٌ، ولكن يكفي العاقلَ ما ذكرنا مِن ذلك.

٢١٤- ثم رأيناك أيُّها المُعارضُ بعدما فرغتَ مِن إظهارِ حُججِ الجهميةِ مِن كلامِ بشرٍ المريسي ونُظرائه، تَقَلَّدتَ كلامَ ابن الثلجي الذي كان يَستترُ به مِن التجهُّمِ بعدما لم تدع للجهميةِ مِن كبيرِ حُجَّةٍ إلَّا قُمتَ بها، وأظهرتَها، وزيَّنتَها في أعيُنِ الجُهَّالِ، ودعوتَهم إليها، وبعدما صرَّحتَ بأنَّ (القرآنَ مخلوقٌ) في مواضعَ كثيرةٍ مِن كتابِكَ هذا، ومَن قال: (غيرُ مخلوقٍ)؛ فهو عندك كافرٌ، وأن اللهَ في كلِّ مكانٍ بزعمِكَ.

ثم أنشأتَ طاعِنًا علىٰ مَن يزعم أنه (غيرُ مخلوقٍ)، فسطَّرتَ فيه الأساطيرَ، وأكثرتَ مِن المناكيرِ، وغَلِطتَ في كثيرٍ.

فادَّعيتَ: **(أن قولَ الناسِ في القرآنِ إنه: (مخلوق، غير مخلوق بدعةٌ)[1]، إذ لم يكن يُخاضُ فيه على عهدِ رسولِ الله ﷺ، وأصحابِهِ، فإنهم كانوا يكرهون الخوضَ في القرآنِ)**.

فحكمتَ أيُّها المُعارِضُ علىٰ نفسِكَ بالبدعةِ، وشهِدتَ بها علىٰ نفسِكَ، لمَا أنك صرَّحتَ بأنه (مخلوقٌ)، وهو قولُكَ: **(كلامُ اللهِ غيرُ الله، وهو مِن أفاعيله، والأفاعيلُ - بزعمك - زائلةٌ عنه مخلوقةٌ)**، فحكمتَ علىٰ نفسِكَ بما تخوَّفتَ علىٰ غيرِكَ.

---

(١) يعني: الكلام في مسألة القرآن وهل هو مخلوق أو غير مخلوق؟

٢١٥- فأمَّا قولُك: (إنَّ السلفَ كانوا يكرهون الخوضَ في القرآنِ).

فقد صدقت، وأنت [٣٥/ ب] المُخالفُ لهم؛ لمَا أنك قد أكثرتَ فيه الخوضِ، وجمعتَ علىٰ نفسِكَ كثيرًا مِن النقضِ، فمثلُكَ فيما ادَّعيتَ مِن كراهيَّةِ الخوض فيه كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارجِ حين قالوا: لا حُكمَ إلَّا لله، فقال: كلمةُ حقٍّ يُبتغىٰ بها باطِلٌ(١).

فقد خُضتَ فيها أيُّها المُعارِضُ بأقبحِ خوضٍ، وضربتَ له أمثالَ السُّوءِ، وصرَّحتَ بأنه (مفعولٌ)، كما قال إمامُكَ المريسيُّ: (مجعولٌ)(٢)، وكلُّ (مفعولٍ) عندك (مخلوقٌ) لا شكَّ فيه.

ويحكَ! إنما كَرِهَ السلفُ الخوضَ فيه؛ مَخافةَ أن يَتأوَّلَ أهلُ البدعِ والضلالِ وأغمارُ الجُهَّالِ ما تأوَّلتَ فيه أنت وإمامُك المَريسيُّ.

فحينَ تأوَّلتم فيه خلافَ ما أرادَ اللهُ، وعطَّلتم صِفاتِ اللهِ؛ وجبَ علىٰ كلِّ مسلمٍ عنده بيانٌ أن يَنقُضَ عليكم دعواكم فيه.

ولم يكرَه السلفُ الخوضَ في القرآنِ؛ جهالةً بأنَّ كلامَ الخالقِ غيرُ مخلوقٍ، ولا جهالةً أنه صفةٌ مِن صفاتِهِ، حتىٰ لو قد ادَّعىٰ مُدَّعٍ في زمانِهم أنه (مخلوقٌ) ما كان سبيلُه عندهم إلَّا القتلَ، كما هَمَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغٍ أن يقتلَه؛ إذ تعمَّقَ في السؤالِ عن القرآنِ، فيما كان أيسرَ مِن كلامِكم

(١) رواه مسلم (١٠٦٦).

(٢) كتب في هامش الأصل: (مفعول).

هذا(١).

فلمَّا لم يجترئ كافِرٌ أو مُتعوِّذٌ بالإسلامِ أن يُظهِرَ شيئًا مِن هذا وما أشبَهَه في عصرِهم لم يَجِب عليهم أن يَتكلَّفوا لنقضِ كفرٍ لم يحدُث بين أظهرهم فيكون سببًا لإظهارِه، إنما كانت هذه كلمةَ كُفرٍ تَكلَّمَ بها بَدءًا كُفارُ قريشٍ، منهم الوحيدُ: الوليدُ بن المُغيرةَ المَخزومي، فقال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر].

ومنهم: النضرُ بن الحارث، فقال: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال:٣١]، كما قال جهمٌ والمريسيُّ: إنه مخلوقٌ؛ لأن قولَ البَشَرِ مخلوقٌ لا شكَّ فيه.

وكذلك قالت طائفةٌ منهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٥﴾ [الأنعام]، كما قال جهمٌ والمريسيُّ سواءً لا فرقَ بينهما في اللفظِ والمعنىٰ: (إن هذا إلَّا

(١) قِصة صبيغِ بن عِسل رواها الدارمي في «السُّنن» (١٤٦)، والآجري في «الشريعة» (١٧٩ - ١٨٠)، وابن بطة في «الإبانة» (٣٥٤ و٣٥٥ و٨٣٦)، واللالكائي (١٠٥٢)، وغيرهم كثير، وهي قصَّة صحيحة.

- ولفظ الدارمي (١٤٦) عن سُليمان بن يسار: أن رجلًا يُقال له: صبيغ، قدم المدينة، فجعل يسأل عن مُتشابه القرآن، فأرسل إليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أعدَّ له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عمر عرجونًا مِن تلك العراجين، فضربه، وقال: أنا عبد الله عمر، فجعل له ضربًا حتىٰ دمي رأسه.

فقال: يا أمير المؤمنين، حسبك، قد ذهب الذي كنت أجدُ في رأسي.

وقد علَّقَ الآجري وابن بطة رَحِمَهُمَاٱللَّهُ علىٰ هذه القِصَّة بتعاليق حسنة، فانظرها إن أردت الاستزادة.

مخلوق)، فأنكرَ عليهم قولهم، فقال للوحيدِ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر] [لما قال]: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر].

وقال للذي قال: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال]: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة]، ولن يفعلوا.

ثم لم يزل هذا الكفرُ بعد كفَّارَ قريشٍ دارِسًا طامِسًا، لِمَا قد طمسَه اللهُ بتنزيله، حتىٰ مَضَىٰ النبيُّ ﷺ، وأصحابُه، والتابعون، فكان أولَ مَن أظهرَه في آخر الزمانِ [في الإسلام]: «الجعدُ بنُ درهمٍ» بالبصرةِ، و «جهمٌ» بخُراسانَ، فقتلهما اللهُ بِشرِّ قِتلَةٍ(١)، وفَطِنَ الناسُ لكفرِهما، حتىٰ كان سبيلُ مَن أظهرَ

(١) قال اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السنة» (٤٦٠): ولا خِلافَ بين الأُمَّة أنَّ أولَ مَن قال: (القرآنُ مخلوقٌ): «جعدُ بن درهمٍ»، في سِنيِّ نيفٍ وعشرين، ثم «جهمُ بن صَفوان». فأمَّا «جَعْدٌ»: فقتَله خالدُ بن عبد الله القَسْري. اهـ

قلت: أمَّا الجعد بن درهم فسيأتي برقم (٢٣٨) أن خالد القسري ذبحه يوم العيد علىٰ المنبر بمشهد أهل العلم والسنة، فأقرُّوه علىٰ ذلك، وشكروه علىٰ قتله.

- قال الهروي في «ذم الكلام» (٥/ ١٧١): وأمَّا فتنة إنكار الكلام لله؛ (فأول مَن ابتدعها جعد بن درهم، فلمَّا ظهر جعد، قال الزُّهري - وهو أستاذ أئمة الإسلام حينئذ -: ليس الجعدي مِن أُمَّة محمد ﷺ...

فأخذ منه جهم بن صفوان هذا الكلام فبسطه، وطراه، ودعا إليه، فصار به مذهبًا لم يزل هو يدعو إليه الرجال، وامرأته زهرة تدعو إليه النساء حتىٰ استهويا خلقًا من خلق الله كثيرًا.

وقال: وأمَّا الجهم فكان بمرو، فكتب هشام بن عبد الملك إلىٰ واليه علىٰ ⇦=

ذلك في الإسلامِ؛ القتلَ صَبرًا(١)، حتىٰ كانوا يُسمُّونَهم بذلك: (الزنادقة)(٢).

ثم لم يزل طامِسًا دارِسًا حتىٰ درجَ العلماءُ(٣)، وقَلَّتِ الفُقهاءُ، ونشأَ نَشءٌ مِن أبناءِ اليهودِ والنصارىٰ، مثل: بِشرِ بن غياثٍ المريسي، ونُظرائِه فخاضوا في شيءٍ منه، وأظهروا طَرفًا منه، وجَانبَهم أهلُ الدِّينِ والورعِ وشَهِدوا عليهم بالكفرِ، حتىٰ همَّ بهم وبعُقوبتِهِم قاضِي القُضاة(٤) يومئذٍ: أبو يوسف، حتىٰ فَرَّ [٣٦/ أ] منه المَريسيُّ إمامُكَ، ولحِقَ بالبصرةِ بزعمك،

= خراسان نصر بن سيَّار يأمره بقتله؛ فكتب إلىٰ سلم بن أحوز وكان علىٰ مرو؛ فضرب عنقه بين نظارة أهل العلم وهم يحمدون ذلك. اهـ

وانظر اللالكائي: (أخبار الجعد بن درهم لعنه الله)، رقم (٦٠٧).

(١) قال أبو عُبيد رَحِمَهُ اللَّهُ في «غريب الحديث» (١/ ٢٥٥): قيل للرجل الذي يقدم فيضرب عنقه: قُتِلَ صبرًا – يعني: أنه أُمسك علىٰ الموت. اهـ

(٢) قال المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٩٣): الزنديقُ عندنا شرٌّ مِن المنافقِ...، والزنديقُ مُعطِّلٌ لله، جاحِدٌ بالرُّسُلِ، والكُتُبِ. وما يُعرَفُ في الإسلامِ زنادقةٌ غير هؤلاءِ الجهمية ... إلخ.

وانظر: «الرد علىٰ الجهمية» (فقرة/ ٢٩٥) في بيان أن الجهمية: زنادقة، وأن كفرهم أشدّ مِن كفر اليهود والنصارىٰ.

(٣) أي: ذهبوا وانقرضوا.

(٤) كَرِهَ بعضُ أهل العلم إطلاق لفظة: (قاضي القُضاة)، وألحقوه بـ (ملك الأملاك)، لحديث: «**إن أخنع اسم عند اللهِ رجلٌ يُسمَّىٰ: مَلِكَ الأملاكِ، لا مالك إلّا الله**».

وعلىٰ ذلك بوَّب الإمام المُجدِّد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «التوحيد»، فقال: (باب التسمي بقاضي القُضاة ونحوه).

وبرواياتك عنه(١).

فلم يزالوا أذِلَّةً مقموعِينَ، لا يُقبلُ لهم قولٌ، ولا يُلتفتُ لهم إلىٰ رأيٍ، حتىٰ ركنوا إلىٰ بعضِ السَّلاطين(٢) الذين لم يُجالِسوا العُلماءَ، ولم يُزاحموا الفُقهاء؛ فاختدعوهم بهذه المِحنَةِ الملعونة حتىٰ أكرهوا الناسَ عليه بالسُّيوفِ والسِّياطِ.

فلم تزلِ الجهميةُ سنواتٍ يَركبونَ فيها أهلَ السُّنةِ والجماعةِ بقوَّةِ ابنِ أبي

---

(١) روىٰ عبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٥) عن إبراهيم بن إشكاب، قال: سمعت أبا يوسف القاضي يقول: جيئوني بشاهدينِ يشهدانِ علىٰ المريسيِّ، والله لأملأن ظهرَه وبطنَه بالسِّياطِ، يقول في القرآن. - يعني: مخلوق -.

- وعند اللالكائي (٦٠٨) عن غالب الترمذي قال: سمعت أبا يوسف غير مرَّة ولا مرَّتين يقول لبشر المريسي: ويحك ! دع هذا الكلام، فكأني بك مقطوع اليدين، والرِّجلين، مُصلوبًا علىٰ هذا الجسر.

- وفي «لسان الميزان» (١/ ١٥١) قال صاحب «الحافل» في ترجمة المريسي: ليس بأهل أن يُذكر مع أهل الحديث. وكان إبراهيم بن المهدي لما غلب على الخلافة ببغداد حبس بشرًا وجمع الفقهاء علىٰ مناظرته في بدعته، فقالوا له: استتبه، فإن تاب وإلَّا فاضرب عنقه. ذكر ذلك ابن أبي حاتم في كتاب «الرد علىٰ الجهمية». اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحموية» (ص٣٤٧): وقصّة أبي يوسف - صاحب أبي حنيفة - مشهورة في استتابة بشر المريسىٰ حتىٰ هرب منه لما أنكر الصِّفات، وأظهر قول جهم، قد ذكرها ابن أبي حاتم وغيره. اهـ

(٢) وهم ثلاثة خُلفاء من بني العباس تتابعوا علىٰ محنة الناس بالقول بخلق القرآن: المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ)، والمُعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ)، والواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ).

دؤادَ المُحادِّ للهِ ولرسولِه(١)، حتىٰ استُخلِفَ المُتوكِّلُ(٢) - رحمة الله عليه - فطمسَ اللهُ به آثارَهم، وقمعَ به أنصارَهم، حتىٰ استقامَ أكثرُ الناسِ علىٰ السُّنةِ الأولىٰ، والمنهاجِ الأوَّل(٣).

واحتالَ رِجالٌ ممَّن كانوا يؤمنون باعتقادِ التجهُّمِ حيلةً لترويجِ ضلالتِهم في الناسِ، ولم يُمكنهم الإفصاحُ به، مَخافةَ القتلِ والفضيحةِ والعُقوبةِ مِن

---

(١) تقدمة ترجمة ابن أبي دؤاد الهالك تحت فقرة (١٣٨).

(٢) واسمه: جعفر بن محمد بن هارون الرشيد، استُخلِفَ بعد أخيه الواثق سنة: (٢٣٢هـ)، وتوفي سنة: (٢٤٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) الخليفة (المتوكِّل علىٰ الله): هو الذي رفع الله تعالىٰ به محنة خلق القرآن، وأعزَّ به السنة وأهلها.

- ففي «تاريخ الخلفاء» (ص٣٤٦): المُتوكِّل علىٰ الله جعفر أبو الفضل .. بُويع له في ذي الحجة سنة: (اثنين وثلاثين ومائتين) بعد الواثق، فأظهر الميل إلىٰ السُّنة، ونصرَ أهلها، ورفع المِحنة، وكتب بذلك إلىٰ الآفاق، وذلك في سنة: (أربع وثلاثين)، واستقدم المُحدِّثين إلىٰ سامُرا، وأجزلَ عطاياهم، وأكرمهم وأمرهم بأن يُحدِّثوا بأحاديث الصفات والرُّؤية، وجلس أبو بكر بن أبي شيبة في جامع الرصافة، فاجتمع إليه نحو من ثلاثين ألف نفس، وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور فاجتمع إليه أيضًا نحو من ثلاثين ألف نفس، وتوفر دعاء الخلق للمتوكل، وبالغوا في الثناء عليه، والتعظيم له حتىٰ قال قائلهم: الخلفاء ثلاثة؛ أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قتل أهل الردة، وعمر بن عبدالعزيز في ردِّ المظالم، والمتوكِّل في إحياء السُّنة وإماتة التجهم. اهـ

وللإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة في السنة والاعتقاد كتبها للمتوكِّل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد ضمنتها «الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر» (١/ ٣٩٥).

الخليفةِ المُنكرِ لذلك، فاستتروا بالوقفِ(١) مِن مَحضِ التجهُّمِ، إذ لم يكُن يجوزُ [لهم] مِن إظهارِه مع المُتوكِّلِ ما كان يجوزُ لهم مع مَن قبلَه.

فانتَدَبوا طاعنينَ علىٰ مَن أنكرَ التجهُّمَ، ودانَ بأنَّ كلامَ الله غيرُ مخلوقٍ، فانتدبَ هؤلاءِ الواقفةُ مُنافحينَ عن الجهميةِ، مُحتجِّينَ لمذاهبهم بالتمويهِ والتدليسِ، مُنتفين في الظاهرِ مِن بعضِ كلامِ الجهميةِ، مُتابعين لهم في كثيرٍ في الباطنِ، مُموِّهينَ علىٰ الضُّعفاءِ والسُّفهاءِ بما حكيتَ عنهم أيُّها المُعارِضُ: (**أنَّ أبا أُسامةَ، وأبا مُعاويةَ، وبعض نُظرائهم كرِهوا الخوضَ في (المخلوقِ، وغير المخلوق)**(٢)).

(١) (الواقفة): هم الذي وقفوا في مسألة القرآن لا يقولون: مخلوق ولا غير مخلوق.

- وعند للخلال (١٧٧١) أخبرنا الحسن بن ثواب أنه قال لأبي عبد الله أحمد ابن محمد بن حنبل: الواقفة؟ قال: صنفٌ من الجهمية استتروا بالوقف. اهـ

وقد عقد المُصنِّف في «الرد» بابًا فيهم، فقال: (٨١/ الرد والإنكار علىٰ من وقف في القرآن). ذكرت تحته أقسام الواقفة، وموقف أهل السُّنة منهم.

وكان ابن الثلجي إمامًا في هذا المذهب الخبيث، روىٰ الخلال من وجهين عن زياد بن أيوب، قال: قلت لأحمد: يا أبا عبدالله، وعلماء الواقفة جهمية؟

قال: نعم، مثل: ابن الثلَّاج وأصحابه الذين يُجادلون.

انظر: «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٦/ ٤٠٥).

(٢) يريد بأبي أسامة: حماد بن أسامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم أقف علىٰ نهيه عن الخوض في القرآن، بل ذكره اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أصول اعتقاد أهل السُّنة» (٤٤٥) مِن الطبقةِ الأُولىٰ مِن الفُقهاءِ الذين قالوا: القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ، فمَن قال: (مخلوقٌ)؛ فهو كافرٌ.

ويريد بـ(أبي معاوية): محمد بن خازم الضرير، ولعله يُشير إلىٰ ما رواه عبد الله

=⇦

فقُلنـا لـك أيَّهـا [المُعـارِضُ]: إنمـا كَـرِهَ مَـن كَـرِهَ الخـوضَ مِـن هـؤلاءِ المشـايخِ، إن صـحَّت عـنهم روايتُـك: لِمَـا أنـه لـم يكـن يَخـوضُ فيـه إلَّا أذِلَّةٌ سِرًّا بمُناجاةٍ بينهم، وإذا العامَّةُ مُتمسِّكون منهم بالسُّنَنِ الأُولىٰ، والأمرِ الأوَّلِ.

فكَرِهَ القومُ الخوضَ فيه؛ إذ لم يكن يُخاضُ فيها علانيةً، وقد أصابوا في تركِ الخوضِ فيه إذ لم يُعلَن.

فلمَّا أعلنوه بقوَّةِ السُّلطانِ، ودعوا العامَّةَ إليه بالسُّيوفِ والسِّياطِ، وادَّعوا أن كلامَ اللهِ مخلوقٌ، أنكرَ ذلك عليهم مَن غَبَرَ مِن العلماءِ، و[مَن] بقيَ من الفُقهاءِ، فكذَّبُوهم، وكفَّرُوهم، وحذَّروا الناسَ أمرَهم، وفسَّروا مُرادَهم مِن ذلك(٢).

= ابن أحمد في «السُّنة» (١٩٤) عن إبراهيم بن زياد سبلان، قال: سمعتُ أبا مُعاوية - يعني: الضَّرير؛ محمد بن خازِم -، يقول: الكلامُ فيه بدعةٌ وضلالةٌ، ما تكلَّمَ فيه النَّبي ﷺ، ولا الصَّحابة، ولا التابعون، ولا الصَّالِحون. - يعني: القرآن مخلوق -.

ولعلَّ هذا في أول الفتنة، ثم صرَّح بما صرَّح به أئمة السنة من أن القرآن كلام الله، وتكفير من قال: (مخلوق)، ولهذا ذكره اللالكائي (فقرة/ ٤٨٤) مع علماء السُّنة الذين يُكفِّرون من قال بخلقه.

(١) هم القليل من الناس.

(٢) فهذا هو التحقيق والبيان الشافي في هذه المسألة العظيمة التي ابتدعتها الجهمية، وسبب كلام أئمة السنة، وتكفيرهم لِمن خالفهم فيها، وأمَّا مَن لم يُدرك هذا التحقيق، ولم يضبط الكلام في هذه المسألة فإنه سيختار الوقف فيها، كما صنع الشوكاني في «تفسيره» المشهور بـ«فتح القدير»، فقد قال في تفسير (سورة الأنبياء)، =

فكان هذا مِن الجهميةِ: خوضًا فيما نُهوا عنه.

ومِن أصحابِنا: إنكارًا للكفرِ البيِّنِ، ومُنافحةً عن اللهِ عَزَّوَجَلَّ كيلا يُسَبَّ، و[لا] تُعطَّلَ صِفاتُه، وذبًّا عن ضُعفاءِ الناسِ كيلا يَضِلُّوا بمحنَتِهم هذه، مِن غيرِ أن يَعرِفوا ضِدَّها مِن الحُججِ التي تَنقُضُ دعواهم، وتُبطِلُ حُجَجَهم.

٢١٦- فقد كتب إليَّ عليُّ بن خشرم، أنه سَمِعَ عيسىٰ بن يونس يقول: لا تُجالِسُوا الجهمية، وبَيِّنوا للناسِ أمرهم؛ كي يَعرفوهم فيَحذروهم.

• وقال ابنُ المُبارك: لأن أحكي كلامَ اليهودِ والنصارىٰ؛ أحبّ إليَّ مِن أن أحكي كلامَ الجهميةِ.

فحينَ خاضتِ الجهميةُ في شيءٍ منه، وأظهروه، وادَّعوا أن كلامَ اللهِ مخلوقٌ، وأنكرَ ذلك ابنُ المُبارك، وزعمَ أنه غيرُ مخلوقٍ، فإن مَن قال: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه:١٤]، مخلوقٌ؛ فهو كافر.

٢١٧- **حدثنيه** يحيىٰ الحِمَّاني، عن الحسن بن الربيع، عن ابن المبارك. [٣٦/ ب]

=

عند قوله تعالىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء:٢]: (والتمسك بأذيال الوقف، وإرجاع علم ذلك إلىٰ عالمه هو الطريقة المُثلىٰ، وفيه السلامة والخلوص من تكفير طوائف من عباد الله، والأمر لله سبحانه). اهـ

فهذا كلام من لم يُحقّق القول في هذه المسألة الكبيرة، ولم يتّبع السلف فيما أجمعوا عليه مِن تكفير من قال بخلق القرآن.

وقد تقدم في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٥٩) التنبيه علىٰ فتوىٰ مقبل بن هادي الوادعي في إنكاره علىٰ من كفَّر القائلين بخلق القرآن.

فكَرِهَ ابن المُبارك حكايةَ كلامِهم قبلَ أن يُعلِنُوه، فلمَّا أعلنوه: أنكرَ عليهم، وعابَهم ذلك.

٢١٨- وكذلك قال ابنُ حنبلٍ: كنَّا نَرىٰ السُّكوتَ عن هذا قبلَ أن يَخوضَ فيه هؤلاءِ، فلمَّا أظهروه لم نجد بُدًّا مِن مُخالفتِهم، والردِّ عليهم(١).

ولم يقُل أبو أُسامةَ وأبو مُعاويةَ: أنه متىٰ ما أظهرتِ الجهميةُ مِحنتَهم، وأذاعوا كُفرَهم، ودعوا الناسَ إليها؛ فأمسكوا عن الإنكارِ عليهم حتىٰ يَستمِرَّ في الناسِ كفرُهم، وتَدرُسَ(٢) سُنَنُ رسولِ الله ﷺ وأصحابِه، ولكن قالوا: أمسِكوا عن الخوضِ فيه ما لم يُنَصِّبِ القومُ الكفرَ إمامًا، فإذا نَصَّبُوهُ إمامًا فمَن يَعقِلُ تَدليسَهم وتَمويههم، لولا أن مَنَّ اللهُ علىٰ أهلِ الإسلامِ ببعضِ مَن ناقضَهم، فردَّ عليهم كُفرَهم وضلالَهم.

(فالمُبتدعُ الضَّالُّ) مِن الحِزبينِ: مَن نَصَّبَ رأيَ جهمٍ إمامًا، وأذاعَه في الناسِ بدءًا.

و(المُتَّبعُ): مَن أنكرَ عليه وناقَضَه.

فمَن أجرىٰ الناقِضَ للبدعةِ والرادَّ للكُفرِ مَجرىٰ مَن شرَعَها؛ فقد جَمَعَ بين ما فرَّقَ اللهُ، وفرَّقَ بين ما جَمَعَ اللهُ، وليس بأهلٍ أن يُسمَعَ منه ويُقبل.

أوَطَمِعتُم معشرَ (الجهميةِ) و(الواقفةِ) أن تَنصِبُوا الكُفرَ للناسِ إمامًا تدعونَهم إليه، ويَسكتوا أهل السُّنةِ عن الإنكارِ عليكم، حتىٰ يتروَّجَ علىٰ

---

(١) رواه ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠٠) من طريق المُصنِّف.

(٢) أي: تُطمس وتُمحىٰ.

الناسِ ضَلالُكم بما حكيتم عن أبي بكر بن عيَّاش، وأبي أُسامة، وأبي معاوية - إن صدقت دعواكم -(١) حتىٰ تضمحِلَّ مَذاهبُ أهلِ السُّنةِ، وتَستفيض مذاهبُ الجهميةِ في العامَّةِ؟

لقد أسأتم بأهلِ السُّنةِ الظنَّ، ونَسبتُموهم إلىٰ العجزِ والوَهنِ.

وإن يكُ أبو أسامة، وأبو بكر، وأبو معاويةَ جَبُنوا عن الخوضِ فيه، إذ لم يكن يُخاضُ فيه في عصرِهم، فقد جَسَرَ علىٰ الردِّ عليهم مَن كان أعلمَ منهم؛ مثلَ: ابنِ المُباركِ، وعيسىٰ بن يونس، وغيرهم.

٢١٩- وأمَّا ما ادَّعيتَ علىٰ أبي يوسفَ مِن روايةِ ابن الثلجيِّ، لم يقُم لك به حُجَّةٌ، فكيف إذا لم تَسمعه؛ لأنه المعروفُ في دينِهِ، المأبونُ في روايتِه، فإن

---

(١) تقدم قريبًا بُطلان ما نسبه المُعارض إلىٰ أبي أسامة وأبي معاوية.

وأمَّا أبو بكر بن عياش فالمشهور الثابت عنه: تكفير مَن قال بخلق القرآن.

- ففي «السُّنة» لحرب (٣٧١) قوله: مَن زعمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ؛ فهو كافِر.

- وفيه (٣٧٥) عن يحيىٰ بن خلف أبي محمد المُقرئ .. قال: ثم أتيتُ الكوفة؛ فلقيت أبا بكر بن عيَّاش، فسألته عمَّن يقول القرآن مخلوق؟

فقال: كافِرٌ، وكلُّ مَن لم يقُل: إنَّه كافِر؛ فهو كافِر.

ثم قال أبو بكر: أيُشكُّ في اليهوديِّ والنَّصرانيِّ أنهما كافران؟! فمَن شكَّ في هؤلاءِ أنَّهم كُفارٌ؛ فهو كافِرٌ. والذي يقولُ: القرآن مخلوقٌ مثلهما.

- وفي «خلق أفعال العباد» (٨) قيل لأبي بكر بن عياش: إنّ قومًا ببغداد يقولون: إنه مخلوق، فقال: ويلك، من قال هذا؟! علىٰ من قال: (القرآن مخلوق) لعنة الله، وهو كافر زنديق، ولا تجالسوهم.

فتبيَّن بهذا أن الجهميَّ كذَّابٌ مُفترٍ فيما ادَّعاه علىٰ أهل السَّنة.

لم تعرِفه بذلك فسَمِّ رجُلًا صالِحًا رَضِيَ بالثلجيِّ في الفُتيا والرِّوايةِ إمامًا، أو رَضِيَ به في السُّنةِ نِظامًا، أو روىٰ عنه شيئًا، أو حَمِدَ له مذهبًا(١).

فإن كنتَ مُحتجًّا بحقٍّ فعليك بغيرِ ابنِ الثلجيِّ ونُظرائه، كمَن روينا عنهم مِن أعلامِ الناسِ وأئمتِهم، ولكنَّ الغَر[يـ]ـقَ يتعلَّقُ بكلِّ عُودٍ.

وأمَّا أبو يوسفَ فإن صحَّ فيه ما روىٰ ابنُ الثلجي، فمردودٌ عليه غيرُ مقبولٍ منه؛ فإنه لم يكُن مِن التابعين، ولا مِن أجِلَّةِ أتباعِ التابعينَ فيُنصَّبُ إمامًا يُقتدىٰ به في تركِ الصلاةِ خلفَ مَن يُناقضُ الجهميةَ، ويرُدُّ المُحدثاتِ مِن كُفرِهم، ويزعُمُ أنَّ كلامَ اللهِ غيرُ مخلوقٍ، فبِجَهدِ أبي يوسف أن يُقيمَ حديثَه في العُلماءِ حتىٰ يَتفرَّغَ للنهي عن الصلاةِ خلفَ العلماءِ الذين يزعمون أن كلامَ اللهِ غيرُ مخلوقٍ(٢).

---

(١) قد رضي به الكوثري الجهمي فصنَّف في سيرته كتابًا سَمَّاه: «الإمتاع بسيرة محمد ابن شجاع»!! فالحمد لله علىٰ العافية. وقد تقدمت ترجمته في المقدِّمة (ص ١٥).

(٢) سيروي المُعارض برقم (٢٢٥) عن أبي يوسف، مِن رواية ابن الثلجي: أنه لا يُصلَّىٰ خلفَ مَن يقول: (القرآن غير مخلوق).

قلت: المشهور عن أبي يوسف الإرجاء كما تقدم برقم (١٧).

وأمَّا الجهمية ومسألة خلق القرآن؛ فالمشهور عنه تكفير من قال به، وقد تقدم قريبًا (فقرة/ ٢١٥) هَمُّه بمُعاقبة المريسي الجهمي لقوله بخلق القرآن.

- وفي «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (١٨٨) عن بشر بن الوليد، قال: كنت جالسًا عند أبي يوسف القاضي؛ فدخلَ عليه بشرٌ المريسي، فقال أبو يوسف: حدثنا إسماعيلُ، عن قيسٍ، عن جَرير ﷺ، عن النبي ﷺ: فذكر حديثَ الرُّؤية.

ثم قال أبو يوسف: إني والله أؤمِنُ بهذا الحديثِ، وأصحابُك يكفرون به، وكأني =

وكيف تحتجُّ بأبي يوسفَ في تركِ الصلاةِ خلفَ مَن يدَّعي أن كلامَ الله غيرُ مخلوقٍ، ولا تَحتجُّ به علىٰ نفسِك فيما رَويتَ عن المريسيِّ من ضلالاتٍ؟ وقد رَويتَ [٣٧/أ] عن أبي يوسف أنه همَّ بعقوبتِهِ وأخذِه فيها، حتىٰ فرَّ مِن مجلسِه إلىٰ البصرةِ(١).

فإن كنتَ مُحتجًّا علينا بأبي يوسف، فهو عليك أحجُّ، لِمَا أنك به أعجبُ، وبإمامتِه أرضىٰ ممَّن يزعمُ أنَّ القرآنَ غيرُ مخلوقٍ، فمن لم يَستيقن أنَّ القرآنَ غيرُ مخلوقٍ، لم يؤمن بعدُ بأنه نفسُ كلامِ الله؛ لأنه لو آمنَ بأنه نفسُ كلامِ اللهِ لعَلِمَ يقينًا أن الكلامَ صِفةُ المُتكلِّمِ، واللهُ بجميعِ صفاتِهِ وكلامِهِ غيرُ مخلوقٍ.

فإن طلبتُم منَّا فيه آثارًا مأثورةً مُسندةً منصوصةً فيه عن الصحابة(٢)،

= بك قد شغلتك عن الناسِ خشبةُ بابِ الجِسرِ...

- وفي «الأسماء والصفات» (٥٥١) للبيهقي بإسناده: قال أبو يوسف القاضي: كلَّمتُ أبا حنيفة سنة جرداء في أن القرآن مخلوق أم لا؟ فاتفق رأيه ورأيي علىٰ أن من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر.

- وفي «الرد علىٰ الجهمية» لابن أبي حاتم كما في «العلو» (٣٧٠) قال أبو يوسف: ناظرت أبا حنيفة ستة أشهر، فاتفق رأينا علىٰ أن من قال: القرآن مخلوق فهو كافر.

- وفي «تاريخ بغداد» (٢/ ٥٧٠) قال أبو زُرعة الرازي: .. وكان أبو يوسف سليمًا مِن التجهُّم.

(١) تقدم ذلك برقم (٢١٥).

(٢) ذكر غير واحدٍ أنه لا يصح شيء عن الصحابة رضي الله عنهم في مسألة خلق القرآن.

- قال ابن عدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكامل» (٢/ ١٢٤) عن أنس رضي الله عنه أنه قال: القرآن =

والتابعين؛ فقد أخبرناكم: أنه كفرٌ لم يَحدُث في عصرِهم، فيُروىٰ عنهم فيه، غيرَ أنه كفرٌ معقولٌ، تكلَّمَ به مشركو قريشٍ عند مخرجِ النبيِّ ﷺ، فقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر]، فأنكرَ اللهُ ذلك عليهم، ثم طُمِسَ حتىٰ ظهرَ في العصرِ الذي أنبأناكم به، في عصرِ «جهمٍ»، و«الجعدِ»، ثُم «المريسيِّ» ونُظرائهم.

فروينا لكم عمَّن أنكرَ ذلك عليهم وخالفَهم فيه مِن فقهاءِ أهلِ زمانِهم، مثل: جعفرِ بن محمد(١)، وعَمرِو بن دينار، وابنِ المُباركِ، وعيسىٰ بن يونس، ووكيعِ بن الجراح، ويزيد بن هارون، والمُعافىٰ بن عمران، وبقيَّةَ بن الوليد، وغيرهم(٢).

وهذا كفرٌ معقولٌ لا يُحتاجُ فيه إلىٰ أثرٍ ولا خبرٍ، كما لو أن رجلًا ادَّعىٰ أن مُلكَ اللهِ، وسُلطانَه، وقُدرتَه، وعِلمَه، ومَشيئتَه، وإرادتَه، ووجهَه، وسَمعَه وبصرَه ويديه، أن شيئًا منها مخلوقٌ، قيل له: كفرتَ وكذبتَ، بل كلُّها غيرُ

= كلام الله وليس كلام الله بمخلوق.

قال ابن عدي: وهذا الحديث وإن كان موقوفًا علىٰ أنس رضي الله عنه فهو منكر؛ لأنه لا يُعرف للصحابة رضي الله عنهم الخوض في القرآن. اهـ

* وانظر: اللالكائي (١٢/ سياق ما روي من إجماع الصحابة رضي الله عنهم علىٰ أن القرآن غير مخلوق)، وانظر تعليقي عليه.

(١) سيأتي برقم (٢٣١) عن علي بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أقدم من روي عنه القول بأن القرآن غير مخلوق: هو جعفر بن محمد المُتوفىٰ سنة: (١٤٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) سيُسند المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالهم برقم (٢٣١-٢٣٦).

مخلوقٍ.

فإن طلبتَ منَّا في [كلِّ] شيءٍ منها أثرًا منصوصًا بتسمية ذلك الشيء بعينه، قلنا له: أنت مُريبٌ كافرٌ، ومَن يشتَبِه عليه هذا وما أشبَهَه حتىٰ يَطلُبَ فيها الآثارَ؟!

وكذلك (كلامُ اللهِ) مثلُ هذه الأشياءِ سواءَ غيرُ مخلوقٍ، لا يشتَبِه إلَّا علىٰ مَن لا فَهمَ له ولا عَقلَ(١).

وأُخرَى: أن كلَّ مخلوقٍ مُحدثٍ لا شكَّ فيه، فاللهُ بزعمِكُم كان بلا كلامٍ، حتىٰ خلقَ لنفسِه كلامًا، ثم انتحلَه اضطِرارًا إلىٰ كلامِ غيرِه، فتمَّت به رُبوبيَّتُه ووحدانيَّتُه، وأمرُه ونهيُه بزعمكم.

فمَن يحتاجُ في مثل هذا المعقول إلىٰ أثرٍ؟!

وأُخرَى: أن الكلامَ لا يقومُ بنفسِه شيئًا يُرىٰ ويُحَسُّ إلَّا بلسانٍ مُتكلِّمٍ به، فالكلامُ مِن الخالقِ والمخلوقِ صِفتُهما، فالخالقُ بجميعِ صفاتِه غيرُ

(١) في «السُّنة» للخلال (١٨٣٥) عن الحارث، قال: سمعت أبا عبدالله يقول: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومَن زعم أن القرآن مخلوقٌ؛ فقد كفر.

قلت: يا أبا عبدالله، أيَّ شيءٍ قلتَ لأبي العباس؟

فقال: لا أقول: (غير مخلوق)، إلَّا أن يكون في كتاب الله.

قلتُ له: فتقولُ: (إن وجه الله) ليس بمخلوقٍ؟

فقال: لا، إلَّا أن يكونَ في كتابٍ نصًّا.

فارتعد أبو عبدالله، وقال: أستغفر الله، سبحان الله! هذا الكفر بالله، أحدٌ يشكُّ أن وجه الله ليس بمخلوق؟!

مخلوقٍ، والمخلوقُ بجميع صفاتِه مخلوقٌ، ولا شكَّ فيه.

فلينظُر هذا (الشاكُّ في القرآنِ):

فإن كان اللهُ المُتكلِّمَ به عنده؛ فلا يشُكنَّ أنَّ اللهَ لم يتكلَّم بمخلوقٍ مِن الكلامِ، ولم يضطرَ إلىٰ شيءٍ مخلوقٍ قطُّ مِن الكلامِ وغيرِه، ولم يكن له به حاجةٌ.

وإن [كان] ابتدعَه مخلوقٌ أضافه إلىٰ اللهِ تعالىٰ، فلا يَشُكَنَّ هذا الشَّاكُّ في صفاتِ المخلوقين وكلامِهم: أنها مخلوقةٌ كلُّها، وأن مُبتَدِعَها والمُتكلِّمَ بها مِن المخلوقين كافرٌ إذ يقول: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾ [القصص]، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء]، و ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه:١٢].

قائلُ هذا القولِ غيرُ اللهِ كافرٌ، مثلُ فرعونَ الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات]، و ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص:٣٨][(١)].

٢٢٠- وادَّعيتَ أيها المُعارِضُ:

(أن مَن قال: (القرآنُ هو الله)؛ فهو كافرٌ.

---

(١) تقدم نحوه برقم (١٦).

وقد تقدم في كتاب «الرد علىٰ الجهمية» (٢٥٩) الإنكار علىٰ بعض المُعاصرين لمخالفتهم إجماع السلف الصالح في إطلاق الكُفر علىٰ من قال بخلق القرآن بحُجَّة عدم الدليل علىٰ تكفيرهم!

ومَن قال: (هو غيرُ اللهِ)؛ فقد أصاب. [٣٧/ ب]

ومَن قال: (غيرُ مخلوقٍ)؛ فقد جَهلَ وكَفَرَ).

فيُقالُ لهذا المُعارِضِ: لم تَدعْ مِن صريحِ المخلوقِ شيئًا، إذ زعمتَ: أن مَن قال: (**القرآنُ غيرُ اللهِ فقد أصابَ**)، ومَن قال: (**غير مخلوقٍ؛ فقد جَهِلَ**)، لِمَا أن كلَّ مَن زعمَ أن (القرآنَ غيرُ اللهِ)، فقد أقرَّ بأنه مخلوقٌ؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ (غيرَ اللهِ) مخلوقٌ لا شكَّ فيه.

ولا يُقالُ أيُّها المُعارِضُ: (إنَّ القرآنَ هو الله) فيَستحيلُ.

ولا هو (غيرُ اللهِ)، فيلزمُ القائل به أنه مخلوقٌ.

ولكن يقال: (كلامُ لله): عِلمٌ مِن علمِهِ، وصِفةٌ مِن صفاته، وأنَّ اللهَ بجميعِ صفاتِه إلهٌ واحِدٌ غيرُ مخلوقٍ، لا شَكَّ فيه.

فافهم، وما أراك تفهمُه [وتعقلُه]؛ لأنك تقول: (**لا يجوزُ إلاَّ أن يُقالَ: (هو الله)، أو (غير الله)**).

فإن قال رَجلٌ: (هو الله)، أكفرتَه.

وإن قال: (غيرُ اللهِ)، قلتَ له: أقررتَ بأنه مخلوقٌ، وصوَّبت مذهبي؛ لأن كلَّ شيءٍ (غيرُ اللهِ) مخلوقٌ).

فيُقالُ لك: أخطأتَ الطريقَ، وغَلِطتَ في التأويلِ؛ لأنه لا يُقالُ: (القرآنُ) هو الله، أو غيرُ الله، كما لا يقالُ: (عِلمُ الله) هو الله، و(قدرةُ الله) هي الله، وكذلك (عِزَّتُه)، و(مُلكُه)، و(سُلطانُه)، و(قدرتُه)، لا يُقالُ لشيءٍ منها: هو اللهُ بعينِه وكمالِه، ولا غيرُ اللهِ؛ ولكنَّها صِفاتٌ مِن صِفاتِهِ، غير مخلوقٍ،

وكذلك الكلامُ، فافهم(١).

٢٢١- وادَّعىٰ المُعارِضُ أيضًا أن بعض عُلمائِه وزُعمائِه قال: **(إنَّ (كلامَ اللهِ) مُضافٌ إليه كما أُضِيفَ إليه (رُوحُ اللهِ)، و(بيتُ اللهِ)، [وخلقُ اللهِ])**.

وهذا مِن قديمِ حُججِ (الجهميةِ)، وليس مِن حُجَجِ (الواقفية).

فليكشِفِ المُعارِضُ عن اسمِ هذا العالِمِ الذي قال، فإنه لا يَكشِفُه إلَّا عن

---

(١) قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانةالكبرىٰ» (٢٤٧٧): فإذا وضح للعقلاءِ كُفر الجهمي وإلحاده، ادَّعىٰ أمرًا آخر ليفتنَ به عبادَ الله الضُّعفاءَ مِن خلقه، فقال: أخبرونا عن القرآن: هل هو الله أو غير الله؟

أ - فإن زعمتم أنه (الله)؛ فأنتم تعبدون القرآن.

ب - وإن زعمتم أنه (غير الله)؛ فما كان (غير الله) فهو (مخلوق).

فيظنُّ الجهميّ الخبيث أن قد فلجت حُجَّته، وعلت بدعته، فإن لم يُجبه العالم ظنَّ أنه قد نال بعض فتنته. فالجواب للجهميِّ في ذلك أن يُقالَ له:

القرآن ليس هو الله؛ لأن القرآن كلام الله، وبذلك سمَّاه الله، قال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]. وبحسب العاقل العالم من العلمِ أن يُسمِّي الأشياءَ بأسمائِها التي سمَّاها الله بها.

أ- فمَن قال: (إنَّ القرآن هو الله)، فقد جعل الله كلامًا، وأبطلَ مَن تكلَّم به.

ب- ولا يقال: (إن القرآن غير الله)، كما لا يقال: (إن علم الله غير الله)، و (لا قدرةُ الله غير الله)، و(لا صفات الله غير الله)، و(لا عِزَّةُ الله غير الله) .. ولكن يقال: (كلام الله)، و(عِزَّةُ الله)، و(صفات الله)، و(أسماءُ الله).

وبحسب من زعم أنه من المسلمين .. أن يُسمِّي القرآن بما سمَّاه الله به، فيقول: (القرآن كلام الله)، كما قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]، ولم يقل: (يريدون أن يبدلوا الله)، ولم يقل: (يريدون أن يبدلوا غير الله). اهـ

جهميٌّ خبيثٌ.

وإنَّه لا يُقاسُ (رُوحُ الله)، و(بيتُ اللهِ)، و(عبدُ اللهِ)، المُجسَّماتُ المخلوقاتُ القائماتُ المُستقلَّاتُ بأنفسهنَّ، اللائي كنَّ بكلامِ الله وأمرِه، لم يخرج شيءٌ منها مِن اللهِ، ككلامِهِ الذي خرجَ منه؛ لأن هذا المخلوقَ قائمٌ بنفسِه وعينِه، وحليتِه، وجسمِه، لا يَشُكُّ أحدٌ في شيءٍ منها أنه غيرُ الله، وأنه ليس شيءٌ منها للهِ صِفةً، والقرآنُ كلامُه الذي منه خرجَ، وبه تكلَّمَ، لم يقُم بنفسِه جِسمًا غيرَ الله، قائمًا يُحِسُّ، أو يُحسُّ حين تُقيمُه القَرَأةُ والألسُنُ، فإذا زالت عنه القِراءةُ خَفِيَ فلم يُحَسَّ منه بشيءٍ، فلم يَقُم له عينٌ إلَّا أن يُبيَّنَ بكتابٍ يُكتبُ.

فبَينَ (رُوحِ الله)، و(بيتِ اللهِ)، و(عبدِ الله)، و(القرآنِ) الذي هو نفسُ (كلامِ اللهِ) الخارجِ مِن ذاتِه بَونٌ بعيدٌ[(١)].

فكيف تقلَّدتَ أيُّها المُعارِضُ كلامَ الواقفةِ بَدءًا، ثم فرغتَ منه إلىٰ أفحشِ كلامِ الجهميَّةِ: أنه (كعبدِ اللهِ)، و(بيتِ الله)، ثم إدخال الحُججِ علىٰ تعطيلِ ما سِواها مِن الصِّفاتِ، إنما تقولُ الواقفةُ: (إنَّ القرآنَ كلامُ الله)، ولا تقولُ: (مخلوقٌ)، ولا (غيرُ مخلوقٍ)، ثم [لا] تَعرضون لهذه الحُججِ التي عرَضت لها، واحتججت بها.

---

(١) تقدم في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٥٥) التعليق علىٰ أنواع المضافات إلىٰ الله تعالىٰ، وضابط الفرق بين ما يُضاف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ مِن باب الصفات كـ(كلام الله)، و(سمع الله)، وبين ما يُضاف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ مِن باب التشريف كـ(بيت الله)، و(ناقة الله).

فلذلك قلنا: إنَّك مُستتر(١) بالوقفِ مُنافِحٌ عن التجهُّمِ، حتىٰ صرَّحتَ به في غيرِ مكانٍ مِن كتابِك، ولو لم يكن إلَّا تَشبيهُك إيَّاه (ببيتِ الله)، أو (عبدِ الله)، وبقولِك: إنه (غيرُ الله)، وإنه (مفعولٌ)، وإن مَن قال: (غيرُ مخلوقٍ)، فهو كافِرٌ عندك، لاكتفينا بهذا دون ما سِواه.

ثم تَعلَّقتَ بعدَه بالوقوفِ مُستترًا به عن التجهُّمِ، تتقدَّمُ إلىٰ [٣٨/ أ] هؤلاءِ بِرِجلٍ، وتتأخَّرُ عنهم بأُخرَىٰ، فمرَّةً تَحتجُّ بحُجَجِ الواقفة، ومرَّةً بحُجَجِ الجهميةِ، كأنك تُلاعِبُ الصِّبيانَ وتُخاطِبُهم.

٢٢٢- وكذلك تأوَّلتَ في العرشِ كما تأوَّلَ جهمُ بن صفوان، وكنَّيتَ عن بعض عُلمائك وزُعمائك ولم تُصرِّح باسمه: أن تفسير قوله: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤]: (**استولى عليه**)، تُرِي مَن بين ظهريك أنَّ هذا الذي رويتَ عنه هذا التفسيرَ أحدُ العلماءِ، ولا يَدري مَن حولَكَ أنه أحدُ السُّفهاءِ.

وقد فسَّرنا لك تفسيرَه في صدرِ هذا الكتاب(٢)، وبيَّنا لك فيه استِحالَةَ هذا المذهبِ وبُعده مِن الحقِّ والمعقولِ.

فاكشِف عن رأسِ هذا المُفسِّرِ حتىٰ نعرِفَه، أَمِن العلماءِ هو أم مِن السُّفهاءِ؟ فإنك لا تأثُره إلَّا عن المريسيِّ، أو عن مَن هو أخبثُ منه(٣).

---

(١) في الأصل: (تُشير)، وما أثبته من (ج).

(٢) برقم (١٦٨).

(٣) ومن المؤسف أن يكون هذا التفسير هو الدارج في كثير من التفاسير المنتشرة اليوم التي تسلط عليها المعطلة!

٢٢٣- والعجبُ مِن المَريسيِّ صاحبِ هذا المذهب، أنه يدَّعي توحيدَ اللهِ بمثلِ هذا المذهبِ وما أشبَهَه، وقد عَطَّلَ جميعَ صفاتِ الواحِدِ الأحدِ، فادَّعىٰ في قياسِ مذهبِهِ أن واجدَه الذي يُوحِّدُه: إلهٌ مُجدَّعٌ(١)، مَنقوصٌ، مُشوَّهٌ، مُثبَّجٌ(٢)، مقصوصٌ، لا تتِمُّ وحدانيتُه إلَّا بمخلوقٍ، ولا يَستغني عن مخلوقٍ مِن الكلامِ، والعلمِ، والاسمِ.

ويلك! إنما المُوحِّدُ الصَّادقُ في توحيدِه الذي يُوحِّدُ اللهَ بكمالِه، وبجميعِ صفاتِه في عِلمِه، وكلامِهِ، وقبضِهِ وبسطِه، وهبوطِه وارتفاعِه، الغنيَّ عن جميعِ خلقِه بجميعِ صفاته مِن: النفسِ، والوجهِ، والسمعِ، والبصرِ، واليدينِ، والعلمِ، والكلامِ، والقُدرةِ، والمشيئةِ، والسُّلطانِ، القابضَ الباسطَ، المُعزَّ المُذلَّ، الحيَّ القيومَ، الفعَّالَ لما يشاءُ.

هذا إلىٰ التوحيدِ أقربُ مِن هذا الذي يُوحِّدُ إلهًا مُجدَّحًا(٣)، منقوصًا مقصوصًا، لو كان عبدًا علىٰ هذه الصفةِ لم يكن يساوي تَمرتين، فكيف يكونُ مثله إلهًا للعالمين؟ تعالىٰ اللهُ عن هذه الصِّفة(٤).

---

(١) في (ب): (مخدج).

(٢) في «لسان العرب» (٢/ ٢٢٠): ورجل مثبج: مضطرب الخلق مع طول. اهـ

(٣) في (ب): (مخدجًا).

(٤) تقدم في التعليق رقم (٧ و٨) أن (التوحيد) عند أهل السنة: هو (إثبات الصفات)، وأن (التوحيد) عند (الجهمية والمُعطِّلة): هو إنكار الصِّفات وتعطيلها.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (٣/ ١١١): وتوحيد الجهمية ⇦=

٢٢٤- واحتجَّ المُعارِضُ أيضًا لمذهبِه ببعضِ حُججِ (الجهمية)، وليست هذه مِن حُججِ (الواقِفة)، فقالوا: (**أتقولون: (يا ربَّ القرآن، افعل بنا كذا وكذا)؟ أم يُصلِّي أحدٌ للقرآنِ كما يُصلِّي للهِ؟ يعني: أن القرآنَ مخلوقٌ مَربوبٌ**).

فيُقال لهذا التائه الحائرِ، الذي لا يدري ما يَنطقُ به لسانُه: إنه لا يُصلَّىٰ للقرآنِ؛ ولكن يُصلَّىٰ به للهِ الواحِدِ، الذي هذا القرآنُ كلامُه وصِفتُه، لا يُخَصُّ بالصلاةِ قرآنٌ ولا غيرُه، كما أن علمَه وقدرتَه وسُلطانه وعزَّه وجلالَه لا يُصلَّىٰ لشيءٍ منها مقصودًا بالصلاةِ إليها وحدَها، ولكن يُصلَّىٰ للواحِدِ الأحدِ الذي هو إلهٌ واحِدٌ بجميع صفاتِهِ من: العلمِ، والكلامِ، والمُلكِ، والقُدرةِ وغيرِها، فاعقِله، وأنَّىٰ لك العقلُ مع هذا الاحتجاجِ والخُرافاتِ؟!

أرأيتكَ إن عرَّضتَ بالقرآنِ أنه مخلوقٌ مربوبٌ لمَا أنه قد قال بَعضُ الناسِ: (يا ربَّ القرآن)، فجعلتَه مخلوقًا بذلك، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ [الصافات]، أفتحكُمُ علىٰ (عِزَّة الله)، بقوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ﴾ كما حكمت علىٰ القرآن؟

=

والفلاسفة مناقضٌ لتوحيد الرسل مِن كل وجهٍ، فإن مضمون (توحيد الجهمية) إنكار حياة الربِّ، وعلمه، وقُدرته، وسمعه، وبصره، وكلامه، واستوائه علىٰ عرشه، ورُؤية المؤمنين له بأبصارهم عيانًا من فوقهم يوم القيامة، وإنكار وجهه الأعلىٰ، ويديه، ومجيئه، وإتيانه، ومحبّته، ورضاه، وغضبه، وضحكه، وسائر ما أخبر به الرسول ﷺ عنه، ومعلوم أن هذا التوحيد هو نفس تكذيب الرسول فيما أخبر به عن الله وجحده، فاستعار له أصحابه اسم التوحيد. اهـ

ويحك ! إنما قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ﴾، يقول: ذي العِزَّة.

وكـذلك (ذو الكـلام)، كقولـه: ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الـرحمن](١). [٣٨/ ب]

---

(١) قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثنا أبي، ثنا الصهيبي ابن عم علي بن عاصم، وعلي بن صالح، عن عمران بن حدير، عن عكرمة قال: كان ابن عباس رضي الله عنهما في جنازة، فسمع رجلًا يقول: يا رب القرآن ارحمه.

فقال ابنُ عباس: مه! القرآن منه، القرآن كلامُ الله، وليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود. [«منهاج السنة» (٣/ ٢٥٢)]

- وفي «الإبانة الكبرىٰ» (٢١٧٦) في ذِكرِ مُناظرة الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين يدي المُعتصم، وفيها: قال: تعرف هذا - يعني: عبد الرحمن -؟ قال: نعم.

قال: قل: (الله ربّ القرآن). قال: القرآن كلام الله.

- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٩٣): وممَّا غالطَ به الجهمي مَن لا يعلم: أن قال: إن الله (ربّ القرآن)، وكل مربوب فهو (مخلوق).

فاحتجَّ الجهمي بكلمةٍ لم ينزل بها القرآن، ولا جاءَ بها أثرٌ عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم، ولا مَن بعدهم من التابعين، ولا مِن فقهاءِ المسلمين، فيتخذ ذلك حُجَّة، وإنما هي كلمة خفّت علىٰ أَلسُنِ بعض العوام، وجازت بعض اللغات، فتجافىٰ لهم عنها العلماء، وإنما المعنىٰ في جواز ذلك كما استجازوا أن يقولوا: (مَن ربُّ هذه الدار؟)، و(هذا ربُّ هذه الدابّة)، وليس هو خلقها، وكما يقولون: (مَن ربُّ هذا الكلام؟)، و(مَن ربُّ هذه الرسالة؟)، و(مَن ربُّ هذا الكتاب؟)، أي: مَن تكلَّم بهذا الكلام؟ ومَن أَلَّف هذا الكتاب؟ ومَن أرسل هذه الرسالة؟ لا أنه خالق الكلام، ولا خالق الكتاب والرسالة.

فلذلك استجاز بعضُ العوام هذه الكلمة، وخفَّت علىٰ ألسنتهم، وإن كان لا =

٢٢٥- وممَّا يدلُّ علىٰ اعتقادِ هذا المُعارِضِ رأيَ (الجهميةِ) لا رأيَ (الواقفةِ): أنَّ ذَبَّه ومُنافحَتَه واحِتجَاجَه عن غيرِ الواقفةِ، وأنه أظهرَ بلسانِهِ الإنكارَ علىٰ الفريقينِ جميعًا علىٰ مَن يقول: (مخلوقٌ)، و(غيرُ مخلوقٍ)، تَمويهًا [منه]، ودُنُوًّا به إلىٰ العامَّةِ.

ثم لم يُكثِرِ الطعنَ علىٰ مَن قال: (مخلوقٌ)، كما أطنبَ[١] في الطعنِ علىٰ مَن قال: (غيرُ مخلوقٍ)، حتىٰ جاوزَ فيهم الحدَّ والمِقدارَ، فنَسَبَهم فيه إلىٰ الكفرِ البيِّنِ، والبدعةِ الظاهرةِ، والضلالةِ والجهلِ، وقِلَّةِ العِلمِ والتمييزِ، وسُوءِ الديانةِ، وسُوءِ مُراقبةِ الله، وأنَّهم في قولِهم: (غيرُ مخلوق)، مُطيعون للشيطانِ وجنودِهِ، مُقدِّمون بين يدي اللهِ ورسولِهِ، نَشهدُ عليهم بالكفرِ أن قالوا: (القرآنُ غيرُ مخلوقٍ).

ولم ينسِب مَن قال: (مخلوق) إلىٰ جُزءٍ مِن ألفِ جُزءٍ ممَّا نَسبَ إليه الذين خالفوهم، حتىٰ بلغَ مِن شِدَّةِ طعنِه عليهم أن روىٰ عن أبي يوسف مِن رواياتِ ابن الثلجيِّ - ولم يسمعه بزعمه مِن ابن الثلجيِّ -: أنه لا يُصلَّىٰ خلفَ مَن يقول: (القرآن غير مخلوق).

=

أصل لها عمن قوله حُجَّة، وإنما قالوا: (يا رب القرآن)؛ كقولهم: (يا مُنزِّل القرآن)، و(يا من تكلَّم بالقرآن)، و(يا قائِل القرآن).

فلما كان القرآن مِن الله منسوبًا إليه، جاز أن يقولوا هذه الكلمة. اهـ

(١) في «الصحاح» (١/ ١٧٣): أطنب في الكلام: بالغ فيه.

فلو سَمِعَ هذا المُعارِضُ مِن أبي يوسف نفسِه لم تَقُم له به حُجَّةٌ، وجَرَّ إلىٰ أبي يوسفَ بها فضيحةً(١).

فاجتهادُ هذا المُعارِضِ في الطعنِ علىٰ مَن يقولُ: (غيرُ مخلوقٍ)، وصَفحُه عمَّن يقول: (مخلوقٌ)، فهذا يدُلُّ منه علىٰ أسوإ الرِّيبةِ، وأقبح الظنّةِ، وأن أَلَبَه(٢) ومَيلَه إلىٰ مَن يَصفحُ عنه.

وممَّا يدلُّ علىٰ ظِنَّتِه: أن احتجاجَه فيه بالمَفروقينَ المُتَّهمينَ في دِينِ اللهِ تعالىٰ، مِثل المريسيِّ، واللؤلؤيِّ(٣)، ....

---

(١) تقدمت ترجمة أبي يوسف برقم (١٧).

وتقدم (٢١٩) مُخالفة أبي يوسف للجهمية في مسألة القرآن والرؤية وغيرهما.

(٢) أي: ميله وعطفه ورجوعه. «مقاييس اللغة» (١/ ١٢٩).

(٣) الحَسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي، صاحب أبي حنيفة (٢٠٤هـ)، كذَّبه غير واحدٍ من أئمة الحديث كابن معين، وأبي داود، وابن نُمير، وغيرهم.

- قال النضر بن شُميل رَحِمَهُ ٱللَّهُ لرجل كَتبَ كُتبَ الحسن بن زياد: لقد جلبت إلىٰ بلدك شرًّا.

- وقال جَزَرة: ليس بشيءٍ، لا هو محمودٌ عند أصحابنا، ولا عندهم. - يعني: أصحابه -.

قيل له: بأيِّ شيءٍ تتَّهمه؟ قال: بداءٍ سُوءٍ، وليس هو في الحديث بشيءٍ. اهـ

قلت: لعلَّه يريد (بالداء السوء): ما رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٢٧٥) من طريق أبي داود، عن الحسن بن زياد الحلواني، قال: رأيت الحسن بن زياد اللؤلؤي قَبَّلَ غُلامًا وهو ساجِد!

وقد كفّره يزيد بن هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

=⇦

وابن الثلجيِّ، ونُظرائِهم(١).

فأينَ هو عن: الزُّهريِّ، والثوريِّ، والأوزاعيِّ، ومالكِ بن أنس، وشُعبةَ، ومَعمرٍ، وابنِ المُباركِ، ووكيعٍ، ونُظرائهم؟!

وأينَ هو عمَّن كان في عصرِ ابنِ الثلجيِّ مِن عُلماءِ أهلِ زمانِه، مثلَ: ابنِ حنبل، وابنِ نُميرٍ، وابني أبي شيبةَ، وأبي عُبيدٍ، ونُظرائهم إن كان مُتَّبعًا مُستقيمَ الطريقة؟(٢).

= - ففي «تاريخ بغداد» (٨/ ٢٧٥): عن محمود بن غيلان، قال: قلتُ ليزيد بن هارون: ما تقول في الحَسَن بن زياد اللؤلؤي؟ قال: أو مسلمٌ هو؟!

وانظر: «الميزان» (١/ ٤٩١)، و«لسانه» (٢/ ٢٠٩)، و«تاريخ الإسلام» (٥/ ٤٨).

(١) في «السُّنة» للخلال (١٧١٣) قال أبو بكر المروذي، قال: قلتُ لأبي عبد الله أحمد ابن حنبل: إن مُثنَّىٰ الأنماطي تكلَّم بواسط، فأثنىٰ علىٰ المريسي.

فقال: نعم، فقال يزيد: يُنفىٰ، فنُفِيَ، وكان مِن أهلها. -يعني: من أهل واسط-.

قلت: ومُثنَّىٰ هذا مِن الجهمية، وكان سبب طرده من بلاده: مدحه وثناءه علىٰ المريسي الهالك، أسأل الله أن يعزَّ السُّنة وأهلها.

(٢) قال قُتيبة بن سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عقيدته» (٢٩): إذا رأيت الرَّجُلَ يُحِبُّ سُفيان الثَّوري، ومالك بن أنس، وأيوب السَّختياني، وعبدالله بن عون، ويونس بن عُبيد، وسُليمان التيمي، وشريكًا، وأبا الأحوص، والفُضيل بن عياض، وسُفيان بن عُيينة، والليث بن سعد، وابن المبارك، ووكيع بن الجراح، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن ابن مهدي، ويحيىٰ بن يحيىٰ، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه؛ فاعلم أنه علىٰ الطَّريق. اهـ

=

ولكن لا يُمكِنُه عن أحدٍ منهم في مذهبه حكايةٌ، ولا رِوايةٌ، وإنما يتعلَّقُ بالمغمورينَ المَغموزينَ، إذ لم يُمكِنه التعلُّق بهؤلاءِ المشهورينَ كيما يُروِّجَ ضَلاله علىٰ الناسِ بأهلِ الرِّيَبِ الذين لا قَبُولَ لهم، ولا عدالةَ عند أهلِ الإسلامِ(١).

=

- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته التي كتبها إلىٰ من وقف في القرآن» كما في «السُّنة» للخلال (١٨٩٩): إن قومًا قصدوا إلىٰ مثل: جهم، وصِرَار، وأبي بكر الأصم، وبشر المريسي رؤساء الضَّلالة والكفر.

وإلىٰ مثل: عبدالله بن المُبارك، وابن عُيينة، ووكيع، ويزيد بن هارون، فقالوا: هؤلاء وهؤلاء سواء، أحكامهم واحدة.

هؤلاء فيما أحدثوا من التكذيب بكتاب الله، وقول رسول الله ﷺ، إذ جحدوا كلام الله وصفاته، وقالوا: إن أسماءه مخلوقة، فلم يثبتوا شيئًا، حتىٰ قال حماد بن زيد: إنما يحاولون أن لا شيء في السَّماء. اهـ

- وقال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عقيدته»: والتمسُّكُ بمذهبِ أهلِ الأثرِ، مثل: أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وإسحاقَ بن إبراهيم، وأبي عُبيدٍ القاسم بن سلَّام، والشَّافعي.

ولزُوم الكتابِ والسُّنة، والذَّبُّ عن الأئمةِ المُتبعة لآثارِ السَّلفِ، واختيارُ ما اختارَه أهلُ السُّنة مِن الأئمّةِ في الأمصارِ، مثل: مالك بن أنسٍ في المدينة، والأوزاعي بالشَّامِ، والليث بن سَعدٍ بمصر، وسُفيان الثوري وحماد بن زَيادٍ بالعِراقِ، مِن الحوادث مما لا يوجدُ فيه رواية عن النَّبيِّ ﷺ، والصَّحابةِ والتابعين.

وتركُ رأي المُلبِّسين المُموِّهين المُزخرفين المُمخرِقين الكذَّابين. اهـ

(١) قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح السنة» (فقرة/ ١٥٧): إذا سمعتَ الرجلَ يذكر: ابن أبي دُؤاد، وبشرًا المريسي، وثُمامة، أو أبا الهذيل، أو هشامًا الفوطي، أو واحدًا من

=

٢٢٦- ثم تقلَّدت أيُّها المُعارِضُ أفحشَ حُجَجِ الجهميةِ في نفي (الكلامِ عن اللهِ تعالىٰ) لِمَا ادَّعيتَ: **(أنَّ اللهَ قد نَسَبَ الكلامَ إلى الجِبالِ، والشجرِ، والشمسِ، والقمرِ)**.

فشبَّهتَ اللهَ تعالىٰ في كلامِهِ بالجبالِ، والشجرِ، والشمسِ، والقمرِ التي لا تقدِرُ علىٰ الكلامِ، ولا لها أسماعٌ ولا أبصارٌ، وهذا مِن أعظمِ حُجَجِ الجهميةِ يجعلون اللهَ الحيَّ القيومَ، المُتكلِّمَ بالكلامِ، السميعَ البصيرَ، القابِضَ الباسِطَ، كالمَدرِ، والحِجارةِ، والجِبالِ، والتلالِ الصُّمِّ البُكمِ التي ليس لها كلامٌ ولا أسماعٌ ولا أبصارٌ(١).

فقال: **(كما يجوزُ عندنا في (المَجازِ) أن يُنسَبَ الكلامُ إلى هذه الأشياءِ الصُّمِّ البُكمِ، يجوزُ في (المَجازِ) أن يُنسَبَ (الكلامُ إلى اللهِ تعالى)، مِن غيرِ أن يقدِرَ الله على الكلامِ في دعواهم، إلاَّ كقدرةِ الجِبالِ، والشجرِ، والشمسِ، والقمرِ)**.

فهل مِن شيءٍ أشبَه بالكفرِ البيِّنِ مِن هذا المذهبِ؟ بل هو الكفرُ صُراحًا،

= أتباعهم وأشياعهم فاحذره، فإنه صاحب بدعة، فإن هؤلاء كانوا علىٰ الردَّةِ، واترك هذا الرجل الذي ذكرهم بخير، ومَن ذكر منهم بمنزلتهم. اهـ

- وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الصُّغرىٰ» (٥٤٤): فمِن رؤسائِهم المُتقدِّمينَ في الضَّلالِ، منهم: الجهمُ بنُ صفوان الضَّالُّ المُضِلُّ... ومِن أتباعِهِ وأشياعِه: بشرٌ المرِيسيُّ، والمُردارُ، وأبو بكرٍ الأصمُّ، وإبراهيمُ بن إسماعيلَ ابن عُليَّةَ، وابنُ أبي دؤادٍ، وبرغوثٌ، وربالُويه، والأرمَنيُّ، وجعفرٌ الحذَّاءُ، وأبو شُعيبٍ الحجَّامُ، وحسنٌ العطَّارُ، وسهلٌ الخرَّازُ، وأبو لقمانَ الكافِرُ، في جماعةٍ سواهم مِن الضُّلّال. اهـ

(١) صدق أئمة السنة لما قالوا: الجهمية المُعطلة هم المُشبِّهة كما تقدم برقم (٨٩).

أن يكون منزلةُ كلامِ الله تعالىٰ [٣٩/ أ] عندهم، ككلامِ الجبالِ، والشجرِ، والحَجَرِ، والشمسِ، والقمرِ، والأشياءِ المخلوقةِ البيِّنة.

هذا كلامٌ ليس له نِظامٌ، ولا هو عن مذاهبِ الإسلامِ، ولا يحتاجُ إلىٰ نقيضهِ مِن الكلامِ؛ لأنَّ مع كلِّ كلمةٍ منها نقيضُها مِن نفسِ كلامِ المُعارِضِ.

ومن ادَّعىٰ أنَّ (كلامَ الله)، و(القرآنَ) مُضافٌ إلىٰ الله؛ (كبيتِ الله)، و(كروحِ الله)، و(كعبدِ الله)، أو شبَّهه بكلامِ الجبالِ والشجرِ فقد صرَّحَ بأنه مخلوقٌ اختلقَه في دعواه بَشَرٌ كذَّابٌ، كما قال الوحيد: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر]، لما أنَّ اللهَ لم يخلق لنفسِه كلامه يدعو إلىٰ الله، وإلىٰ توحيدِهِ وطاعتِه.

فإمَّا أن يكونَ المُتكلِّمُ به (اللهَ) عندكم؛ فهو كلامُ نفسِهِ بحقيقةٍ منه، ومنه خرَجَ، ولا يجهلُ ذو عقلٍ أنه لا يخرُجُ مِن اللهِ كلامٌ مخلوقٌ.

وإمَّا أن يكونَ المُتكلِّمُ به عندكم (غيرَ الله)، ثم أضافَه كَذِبًا وزُورًا وبُهتانًا إلىٰ اللهِ، فهذا المُتكلِّمُ به، المُضيفُ إلىٰ اللهِ، كذَّابٌ مُفترٍ كافرٌ بالله إذ يقول: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص]، أو يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه:١٤]، أو يقول لموسىٰ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه:١٢].

فمن ادَّعىٰ شيئًا مِن هذا، أو قاله غيرَ الله؛ فهو كافِرٌ، كفِرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]، لا يَستحِقُّ قائلُ هذا أن يُجعلَ قولُه قرآنًا يُضافُ إلىٰ الله، ويُقامُ به دينُ الله، هذا أوضحُ من الشمسِ، وأضوأُ منها إلَّا

عند كلِّ مُدلِّسٍ(١).

٢٢٧- ولو لم يُذِعْ هذا المُعارِضُ هذا الكلامَ، ولم ينشُره في الناسِ لم نتعرَّض لمُناقضته وإدخالٍ عليه، مع أنا لم نتقصَّد بالنقضِ إليه؛ ولكن إلىٰ ضُعفاء من بين ظهريه الذين لا عِلمَ لهم بهذا المذهبِ، سمعوا به منه، ولم يَسمعوا ضِدَّ كلامِهِ مِن كلامِ أهلِ السُّنةِ واحتجاجِهِم، فيَضلُّون به، إذ لا يَهتدون بضدِّه وما يَنقُضُه عليه(٢).

---

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٨٩): من شأن الجهميَّة أنَّهم يجعلون المُخاطِب للعباد بدعوىٰ الربوبيَّة غير الله، كما قالوا إنَّ الخطاب الذي سمعه موسىٰ بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه:١٢]، كان قائمًا بمخلوقٍ كالشجرة، وكما قالوا في قوله: «**من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأُعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»: إنه يقول هذا مَلَكٌ من الملائكة، وكما زعم هذا المؤَسسُ [الرازي] في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [الفجر] إن ربَّه مَلَكٌ من الملائكة، وهذا كُلُّه من الكفر والإلحاد. اهـ

(٢) قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التسعينية» (٣/ ٩٣٨): إن الذي أوجب لهم جمع هذه الأحاديث وتبويبها: ما أحدثت الجهمية من التكذيب بموجبها، وتعطيل صفات الربِّ المستلزمة لتعطيل ذاته، وتكذيب رسوله والسابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان، وما صنَّفوه في ذلك من الكتب، وبَوَّبوه أبوابًا مبتدعة، يردون بها ما أنزله الله علىٰ رسوله، ويخالفون بها صرائح المعقول وصحائح المنقول، وقد أوجب الله تعالىٰ تبليغ ما بعث به رسله، وأمر ببيان العلم، وذلك يكون بالمخاطبة تارة، وبالمكاتبة أُخرىٰ، فإذا كان المبتدعون قد وضعوا الإلحاد في كتب، فإن لم يُكتب العلم الذي بعث الله به رسوله في كتبٍ لم يظهر إلحاد ذلك، ولم يحصل تمام البيان والتبليغ، ولم يعلم كثيرٌ مِن الناس ما بعث الله به رسوله من العلم والإيمان =

فلو أنه أَلَّفَ لهم كُتبًا في معالِمِ دينِهم مِن نحوِ: الوضوءِ، والصلاةِ، والزكاةِ ونحوِها؛ كان أولىٰ به، وأسلَمَ لدينِهِ، وأنفعَ لمَن حواليهِ مِن المسلمين.

غيرَ أني أظنُّه اضطمر(١) هذا الرأيَ قديمًا، وكان يَجيشُ في صدرِه، ولا يُمكِنُه كظمُه، حتىٰ هَمَّ بإظهارِهِ فيما بلغني مرَّةً، فأنكرَها عليه عُلماؤُها وفُقهاؤُها واستَتابوه منها فتابَ، وعاهدَهم أن لا يَعودَ في شيءٍ منه، ثم عِيلَ صبرُه(٢) بعدَ وفاةِ هؤلاءِ العلماءِ(٣)، حتىٰ عرَّفَ بما [في] صدرِه فافتُضِحَ،

= المخالف لأقوال الملحدين المُحرِّفين، وكان جمع ما ذكره النبي ﷺ وأخبر به عن ربِّه أهم من جمع غيره. اهـ

(١) أي: أخفاه وستره.

(٢) أي: غُلِبَ عليه صبرُه.

(٣) وهذه حال أئمة البدع عند موت علماء أهل السنة والحديث، وانشغال ولاة الأمر عن حماية دينِ الله تعالىٰ، والذودِ عنه، ومِن أمثلة ذلك: إمام القدرية غيلان القدري، فقد أظهر مذهبه، ودعا إليه، فأحضره أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وناظره، وأقام عليه الحُجَّة وأسكته، وأخذ عليه الميثاق أن لا يعود إلىٰ الكلام في القدر، فأظهر غيلان الندم والتوبة، وعاهده أن لا يتكلم في القدر، فلما مات عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عاد غيلان إلىٰ نشر مذهبه، والدعوة إليه.

- قال الآجري في «الشريعة» (٦١٢): كان غيلان مُصرًّا علىٰ الكفرِ بقوله في القدر، فإذا حضر عند عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ نافق، وأنكر أن يقول بالقدر، فدعا عليه عمر بأن يجعله الله تعالىٰ آيةً للمؤمنين إن كان كاذبًا، فأجاب الله عَزَّوَجَلَّ فيه دعوةَ عمر، فتكلَّم غيلان في وقت هشام هو وصالح مولىٰ ثقيف، فقتلهما وصلبهما، وقَبلَ ذلك قطع يدَ غيلان ولسانه، ثم قتله وصلبه، فاستحسن العلماء في وقته ما فعل بهما. اهـ

وفَضَحَ أئِمَّتَه، وضَلَّ وأضَلَّ، وجَهِلَ فلم يعقل، وهو في ذلك مُعجبٌ بالإصابةِ(١)، غافِلٌ عمَّا عليه في ذلك مِن الإثمِ والعارِ والنقصِ مِن كتابِ اللهِ، وآثارِ رسولِ اللهِ ﷺ، ومذاهبِ الصالحين.

ولو عَلِمَ بذلك، لكان أن يكونَ أخرَسَ أحبَّ إليه مِن أن يَتكلَّمَ بهذا وما أشبهَه، فكان يَستَتِر مِن الافتضاحِ به حتىٰ أَنطقَ اللهُ بلسانِهِ، وصرَّحَ (بالمخلوقِ) أيضًا في كلامٍ مموَّه عند السُّفهاءِ، مكشوفٍ عندَ الفقهاءِ.

٢٢٨- فادَّعىٰ أيضًا: (**أنَّ (كلامَ اللهِ) يَحتملُ أن يكونَ مِن (أفاعيلِهِ)، وأنَّ (أفاعيلَه) زائلةٌ عنه، وكلُّ زائلٍ عن اللهِ مَخلوقٌ في دعواه**(٢)).

فلم يزل يَعيبُ عن هذا القولِ، [٣٩/ ب] ويُلجلجُ به في صَدرِه حتىٰ صَرَّحَ به، وهو يرىٰ أنه ليس معه بالبلادِ مَن يَفطنُ لمذهبِهِ.

فيُقالُ لهذا المُعارِضِ: مَن زعمَ أن (القرآنَ فِعلُ اللهِ) الزائلُ عنه؛ فقد رجَعَ عن قولِه: (كلامُ الله)؛ لأن (القولَ غيرُ الفعلِ) عند جميعِ الناسِ، والمفعولات كلها مخلوقةٌ لا شَكَّ فيه، فقد صرَّحَ بالمخلوقِ مَرَّةً بعد مَرَّةٍ، ومَرَّةً بعد مَرَّةٍ بعدما عابَ مَن قاله، ورَجَعَ عَيبُه عليه مِن حيثُ لا يَشعُرُ.

---

(١) في (ب): (بالإضافة).

(٢) زاد في (ب): (قيل له: لا نسلم أن مطلق المفعولات مخلوقة، وقد أجمعنا واتفقنا علىٰ أن الحركة، والنزول، والمشي، والهرولة، والاستواء علىٰ العرش وإلىٰ السماء قديم، والرضىٰ والفرح، والغضب والحُب، والمقت كلها أفعال في الذات للذات، وهي قديمة، فكل ما خرج من قول: (كن) فهو حادث، وكل ما كان من فعل الذات فهو قديم. والله أعلم). اهـ

أرأيتُك أيُّها المُعارِضُ إذ ادَّعيتَ في بعضِ كلامِكَ: **(أنه لا يجوزُ أن تقول: (مخلوقٌ)، ولا (غيرُ مخلوق)، ولا يُزادُ على أن يُقالَ: (كلامُ اللهِ)، ثم يُسكتُ عمَّا وراءَ ذلك، لِمَا أنه لم يُخَض فيه على عَهدِ رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابه، فمَن خاضَ فيه كان بزعمِك مُقدِّمًا بين يدي الله ورسوله)**.

فكيفَ تركتَ فيه قولَ اللهِ تعالىٰ، ومِنهاجَ السلفِ، ورجعتَ عن كلامِ اللهِ فجعلتَه فِعلًا له مخلوقًا؟ أوَمَا تَخشىٰ علىٰ نفسِكَ ما تَخوَّفتَ علىٰ غيرِك؟!

لقد ارتطمتَ[1] فيما تخوَّفتَ علىٰ غيرِك وأنت لا تشعرُ، وصرَّحتَ (بالمخلوقِ) بعدما نسبتَ إلىٰ البدعةِ مَن قالها، وبُؤتَ بما عِبتَ علىٰ غيرِكَ مِن التقدُّمِ بين يدي اللهِ ورسولِه، وتابعتَ «جَهمًا» و «المريسيَّ» في دعواهما.

زعمَ هذانِ أنه: (مجعولٌ)، وزعمتَ أنت أنه: (مفعولٌ)، وكلا المَعنيينِ سَواءٌ.

وقد كان رأسُ حُججِ المريسيِّ وأصحابه مِن الجهميةِ وأوثقُها في أنفُسِهم، حتىٰ تأوَّلوا فيها علىٰ اللهِ مِن كتابه خلافَ ما أرادَ، فقالوا: قال الله تعالىٰ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [الزخرف]، و﴿جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى:٥٢].

فادَّعوا: **(أنه لا يُقالُ لشيءٍ: (جعلناه) إلاَّ وذلك الشيءُ مخلوقٌ)**.

فضلُّوا بهذا التأويلِ عن سواءِ السبيلِ، وجَهِلوا فيه مذاهِبَ أهلِ الفقهِ والبصرِ بالعربيةِ.

---

(١) أي: وقعت فيه، وارتبكت ونشبت.

فقلنا لهم: ما ذنبُنا إن كان اللهُ سَلَبَ منكم معرفةَ الكتابِ، والعلمَ به وبمعانيه، وبمعرفةِ لُغاتِ العربِ، حتىٰ ادعيتُم أنَّ كلَّ شيءٍ يقالُ: (جعلناه) فهو (خلقناه)؟

أرأيتم أيُّها الجهلةُ قول الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد:٢٦]، أهوَ: خلقنا في ذُريتِه النبوة والكتاب؟

• وكذلك: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف:٢٨]: لا إله إلَّا الله، أهو خلقَها؟

• [وقوله تعالىٰ]: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [الطلاق]، و ﴿يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق]، أهو خلقَ له مخرجًا؟

• أم قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد:٢٧] أهو خلقنا؟

• أم قوله: و ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ [الحاقة].

• أم قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ [الحشر:١٠].

• أم قوله: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة:٥]، أهو في دعواكم: لا تخلُقنا بعدما خلقهم مرَّةً؟

• أم قوله: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝٨٤﴾ [الشعراء] أتقول: اخلُق لي.

• أم قوله: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان] أي: اخلُقنا؟!

• أم قولـــه: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧﴾ [القصـــص]، أيجوز أن يُقالَ: وخالقوه مِن المرسلين، بعدما فرَغَ مِن خلقه؟!

• أم قولُه: ﴿ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم:٣٥].

• أم قوله: ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾ [النحل:٩١].

• أم قولـــــــــــــه: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ [الزخرف:١٩].

• أم قولـه: ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥﴾ [الشعراء] أهـو اخلُقنـي، وقـد فرغَ مِن خلقِه؟

• أم [٤٠/أ] قولُ الرجلِ للرجلِ: جعلكَ اللهُ بخيرٍ؟

وكل ما عددنا مِن هـذه الأشياءِ ومـا يُشبهها ممَّـا لـم يُعـدّد، يَستحيلُ أن يُصرَفَ (جعلنا) منها إلىٰ: (خلقنا).

وأشـدُّها اسـتحالةً: مـا ادَّعيـتُم علـىٰ اللهِ تعـالىٰ في قولـه: ﴿جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخـرف:٣]، أنـه: (خلقنـاه)، فلـم تَفْقَهـوا معنـاه مِـن قِلَّـةِ عِلمِكُـم بالعربيةِ(١).

---

(١) أطال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٧٠) في مُناقشة ادِّعاء الجهمية أن كـل كلمة (جعل) في القرآن بمعنىٰ (خلق)، فقال: فحينئِذ لجأ الجهمي إلىٰ آيات من =

ويلكم ! إنما الكلامُ للهِ بدءًا وأخيرًا، وهو يعلمُ الألسنةَ كلَّها، ويتكلمُ بما شاء منها، إن شاءَ تكلَّمَ بالعربيةِ، وإن شاءَ بالعبرانيةِ، وإن شاء بالسُّريانية(١)، فقال(٢): جعلتُ هذا القرآنَ مِن كلامي عربيًّا، وجعلتُ التوراةَ والإنجيلَ مِن كلامي عِبرانيًّا؛ لما أنه أرسلَ كلَّ رسولٍ بلسانِ قومِه، كما قال، فجعلَ كلامَه الذي لم يزل له كلامًا لكلِّ قومٍ بلغاتِهم في ألسنَتِهم.

= المُتشابه جهلَ عِلمها، فقال: قلت ذلك من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:٣]، وقوله: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢]، وزعم أن كلَّ (مجعولٍ) مخلوق، فنزع بآيةٍ من المتشابه يحتجُّ بها من يُريد أن يُلحد في تنزيلها، ويبتغي الفتنةَ في تأويلها.

فقلنا: إن الله عَزَّوَجَلَّ قد منعك أيُّها الجهميّ الفَهم في القرآن حين جعلت كلَّ (مجعولٍ) مخلوقًا ! وأن كل (جعل) في كتاب الله هو بمعنىٰ: (خلق) فمن هاهنا بُليت بهذه الضَّلالةِ القبيحةِ، حين تأوَّلت كتاب الله بجهلك، وهوىٰ نفسك ... وذلك أنا نجدُ الحرف الواحد في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ لفظٍ واحدٍ، ومعانيه مختلفةٌ في آيات كثيرةٍ، تركنا ذكرها لكثرتها وقصدنا لذكر الآيةِ التي احتججت بها.

فـ(جعل) في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ غير معنىٰ (خلق):

أ- فـ(جعل) من المخلوقين، علىٰ معنىٰ: وَصْفٌ مِن أوصافهم، وقِسمٌ مِن أقسامهم.

ب- و(جعل) أيضًا علىٰ معنىٰ: فِعلٍ مِن أفعالهم، لا يكون خلقًا، ولا يقوم مقام الخلق. فتفهموا الآن ذلك واعقلوه.

ثم أطال في بيان ذلك، واستشهد بكثير من الآيات.

(١) (العبرية): لغة اليهود. و(السُّريانية): لغة الإنجيل.

(٢) في (ب): (فقد).

فقوله: (جعلناه): صرَّفناه مِن لغةٍ إلىٰ لغةٍ أُخرىٰ، ليس إنَّا [جعلناه]: خلقناه خلقًا بعدَ خلقٍ في دعواكم، فهو مع تَصرُّفِه في كلِّ أحوالِهِ (كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ).

• وأمَّا قوله: ﴿جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

يقول: تَستنيرُ به القلوبُ وتنشرحُ له، لا أنه نورٌ مخلوقٌ، له ضوءٌ قائمٌ، يُرىٰ بالأعينِ مثلُ ضوءِ الشمسِ والقمرِ والكواكبِ، فافهمه، ولا أراكَ تَفهمُه(١).

٢٢٩- واحتجَّ المعارِضُ أيضًا لتحقيقِ قولِهِ (إنه مخلوقٌ) بحديثِ النبيِّ ﷺ: «**يجيءُ القرآنُ يومَ القيامةِ شَفيعًا لصاحبه**»(٢).

فقال لأهلِ السُّنةِ: (**إن قلتُم بهذا الحديث كان نقضًا لما ادعيتُم: (أن القرآنَ غيرُ مخلوقٍ)؛ لأنه لا يَتراءى شيءٌ في صورةٍ إلاَّ وذلك المُترائي والمُتكلِّمُ في قياسِ مذهبِهِ مخلوقٌ**).

فقد فسَّرنا هذا لهذا المُعجبِ بِجهالَتِه في كتابنا هذا: أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ ليس له صورةٌ، ولا جِسمٌ، ولا يتحوَّلُ صورةً أبدًا، له فَمٌ ولِسانٌ يَنطِقُ به ويَشفعُ، قد عَقَلَ ذلك جميع المسلمين.

---

(١) تقدم برقم (٥٦) بيان أن بلاء أهل البدع هو العُجمة وقِلَّة فهمهم للغة العرب.

(٢) روىٰ مسلم (٨٠٤) عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه** ... ».

فلمَّا كان المعقولُ ذلك عندهم علموا أنَّ ذلك ثوابٌ يُصوِّره اللهُ في أعيُنِ المؤمنين، جزاءً لهم عن القرآنِ الذي قرءوه واتَّبعوا ما فيه، ليُبشِّر به المؤمنين، ونفسُ (القرآنِ) كلامٌ غيرُ مُجسَّمٍ في كلِّ أحوالِه، إنما يُحَسُّ به إذا قُرِئ، فإذا زالت عنه القراءةُ لم يُوقف له علىٰ جسمٍ ولا صورةٍ، إلَّا أن يُرسمَ بكتابٍ، هذا معقولٌ لا يجهلُهُ إلَّا كلُّ جهولٍ، قد علمتم ذلك - إن شاء الله - ولكنكم تُغالطون، والعلماءُ بمغالطتكم عالمون، ولضلالتكم مُبطلون(١).

---

(١) قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية» (١٦ / باب ما ادّعت الجهمية أن القرآن مخلوق من الأحاديث التي رويت).

فقالوا: جاء الحديث: «**إن القرآن يجيء في صورة الشابِّ الشاحب، فيأتي صاحبه فيقول: هل تعرفني؟ فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي أظمأت نهارك، وأسهرت ليلك. قال: فيأتي به الله فيقول: يا رب** .. ».

فادَّعوا أن القرآن مخلوق من قِبَلِ هذه الأحاديث.

فقلنا لهم: القرآن لا يجيء بمعنىٰ: أنه قد جاء، من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، فله أجر كذا وكذا. ألا ترون أن من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، لا يجئه إلَّا بثوابه؛ لأنا نقرأُ القرآن ويجيء ثواب القرآن فيقول: يا رب .. لأن كلام الله لا يجيء، ولا يتغيَّر من حال إلىٰ حال. وإنما معنىٰ: (أن القرآن يجيءُ): إنما يجيء ثواب القرآن، فيقول: يا رب. اهـ

- وقال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السنن» (٢٨٨٣) مُعلِّقًا علىٰ حديث: «**يأتي القرآن وأهله الذين يعملون به في الدنيا** ..» الحديث.

قال: ومعنىٰ هذا الحديث عند أهل العلم: أنه يجيء ثواب قراءته، كذا فسَّر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبه هذا من الأحاديث: أنه يجيء ثواب قراءة القرآن. وفي حديث النواس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ ما يدل علىٰ ما فسَّروا إذ قال النبي =

ويكفي العاقلَ أقلُّ ممَّا بيَّنَّا وشرحنا مِن مذاهبكم، غير أنَّ في تكريرِ البيان شفاءً لما في الصُّدورِ(١).

٢٣٠- وأمَّا دعواكَ أيها المُعارِضُ: **(أنه لم يَسبق مِن السلفِ في القرآنِ قولٌ، ولا خوضٌ، أنه غيرُ مخلوقٍ)**.

فسنقُصُّ عليك إن شاء اللهُ عنهم ما يُكذِّبُ دعواك، وسنحكيه لك عن قومٍ منهم أعلىٰ وأعلمَ ممَّن حكيتَ عنهم مذهبَك؛ نحو المريسيِّ، وابنِ

= ﷺ: «**وأهله الذين يعملون به في الدنيا**»، ففي هذا دلالة أنه يجيء ثواب العمل. اهـ

- وفي «ذيل السُّنة» للخلال (٢١٦٨/ ١٧) قال أبو جعفر: كان رجل يأتي أبا عُبيد، قال: فسأله عن الحديث الذي يُروىٰ فيه: «**أن البقرة وآل عمران تأتي يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان**»، أليس ذلك يدلُّ علىٰ أن هذا مخلوق؟

فقال أبو عُبيد:.. عن كعب، قال: لو رأىٰ أحدكم ثواب ركعتين لرأىٰ أعظم من الجبال الراسيات، وقال النبي ﷺ: «**ظلُّ المؤمن صدقته يوم القيامة، فيجيء ديناره ودرهمه يظله**»، إنما هذا ثواب ذلك.

وقال الله تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ومن أكبر الحسنات أن يقول الرجل: (لا إله إلا الله)، فإذا قال: (لا إله إلَّا الله)، يقال له يوم القيامة: (لا إله إلَّا الله) عشر مرات إنما هذا ثواب ذلك.

قال: ولم نر العرب تدفع في طبعها أن يقول الرجل للرجل: لأوفينك ما عَمِلتَ، ليس أنه يريد نفس ما عَمِلَ، إنما يعده علىٰ الطاعة: الثواب، ويتوعّده علىٰ المعاصي: العقاب، وإنما معنىٰ: «**مجيء البقرة وآل عمران**»، إنما يعني: ثوابهما. اهـ

وانظر كذلك: «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٩٠).

(١) تقدم برقم (١٩٧) زيادة بيان مِن المُصنِّف في نقض هذه الشُّبهة.

الثلجيِّ، ونُظرائهم(١).

٢٣١- حدثناه علي بن المديني، ثنا موسىٰ بن داود، ثنا معبد، قال علي وهو ابن راشد، عن معاوية بن عمَّار، قال: قيل لجعفر بن محمد: القرآنُ خالقٌ هو أو مخلوقٌ؟

قال: ليس بخالقٍ ولا مخلوقٍ، ولكنه كلام الله(٢).

٢٣٢- وسمعتُ إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، يقول: قال سفيان بن عيينة: قال عَمرو بن دينار: أدركتُ [٤٠/ب] أصحابَ النبيِّ ﷺ فمَن دونَهم منذُ سبعينَ سنةً يقولون: اللهُ الخالقُ، وما سِواه مخلوقٌ، والقرآنُ كلامُ الله، منه

(١) تقدم برقم (٢١٩) أن الصحابة رضي الله عنهم لم يتكلموا في مسألة خلق القرآن.

(٢) رواه المُصنف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٤٤).

- وروىٰ البيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٤٤) بإسناده من طريق المُصنّف يقول: سمعت عليًّا - يعني: ابن المديني - يقول في حديث جعفر بن محمد هذا، قال علي: لا أعلم أنه تكلم بهذا الكلام في زمان أقدم من هذا.

قال عليٌّ: هو كفر.

قال: أبو سعيد الدارمي: يعني من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر. اهـ

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «منهاج السنة» (٢/ ٣٤٥): وقد استفاض عن جعفر الصادق أنه سئل عن القرآن: أخالق هو أم مخلوق؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله.

وهذا مما اقتدىٰ به الإمام أحمد في المِحنة، فإن جعفر بن محمد مِن أئمَّة الدينِ باتِّفاق أهل السُّنة، وهذا قول السلف قاطبة مِن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين: أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق. اهـ

خرجَ، وإليه يعودُ(١).

٢٣٣- حدثني محمد بن منصور الطوسي - من أهل بغداد -، قال: حدثني علي بن مَضَاء مولىٰ خالد القسري، قال: سمعت عبد الله(٢) بن المبارك بالمَصِّيصة وسأله رجلٌ عن القرآنِ، قال: هو كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ(٣).

٢٣٤- حدثني محمد بن منصور، ثنا علي بن مَضَاء، قال: سمعتُ عيسىٰ ابن يونس يقول: القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ(٤).

٢٣٥- حدثني محمد بن منصور، ثنا علي بن مَضَاء، قال: سمعتُ القاسم الجَزري يقول: القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ(٥).

٢٣٦- حدثني محمد بن منصور، ثنا علي بن مَضَاء، قال: ثنا هشام بن بَهْرام، قال: سمعت المُعافىٰ بن عمران يقول: القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ.

قال هِشامٌ: وأنا أقول كما قال المُعافىٰ.

قال عليٌّ: وأنا أقول كما قال هشام.

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٤٣).

(٢) في الأصل: (محمد). والصواب ما أثبته

(٣) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٤٥).

(٤) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٤٧).

(٥) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٤٨).

قال محمد بن منصور: وأنا أقول كما قال خمسينَ مَرَّةً.

قال عثمان بن سعيد: وأنا أقول كما قالوا[١].

قال الصرَّام[٢]: وأنا أقول كما قالوا.

قال رواةُ الصرَّام: ونحن نقول كما قالوا.

وقال لنا إسحاق[٣]: ونحن نقول كما قالوا.

فكلُّ هؤلاء قد قالوا: (إنَّه غيرُ مخلوقٍ)، وليسوا بِدونِ مَن رَويتَ عنهم أنهم كَرِهوا الخوضَ فيه، فيقولون: (هو غير مخلوق)، مثلُ: أبي أُسامة، وأبي معاوية، ومنصور بن عمَّارٍ[٤] إن صدقتَ عليهم دعواك.

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٤٩).

(٢) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الصرام راوي الكتاب عن الإمام الدارمي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

(٣) إسحاق بن أبي إسحاق القرَّاب رَحِمَهُٱللَّهُ الحافظ أحد رواة هذا الكتاب.

(٤) تقدم برقم (٢١٥) الكلام عن أبي أسامة، وأبي معاوية الضرير.

وأمَّا الكلام عن منصور بن عمّار:

- فروىٰ ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٥٢٨) قال محمد بن منصور بن عمار أبو الحسن قال: كتب بشر بن غياث المريسي - لعنه الله - إلىٰ أبي سأله عن القرآن، فكتب إليه أبي: عصمنا الله وإياك مِن كلِّ فتنة، فإن يفعل فأعظِم بها مِن نِعمة، وإن لا يفعل فهي والله الهلكة. أخبرني بعض أهل بيت رسول الله ﷺ أن أباه سُئِل عن ذلك، فقال: ليس علىٰ الله بعد المرسلين حُجَّة، وإن الكلام في القرآن بدعة، اشترك فيه السائل والمُجيب؛ أما السائل فتعاطَىٰ ما ليس له، وتكلَّف المُجيب ما ليس عليه، وما أعرف خالقًا إلَّا الله، والقرآن كلام الله، فانته بنفسك والمتكلمون في القرآن إلىٰ أسمائِه التي سماه الله بها تكن من المهتدين، إن ﴿ٱلَّذِينَ =

وأخسُّهم عند الناسِ منزلةً أعلىٰ مِن المَريسيِّ، واللؤلؤيِّ، وابن الثلجي، ونُظرائهم الذين ادَّعوا أنه (مخلوقٌ)، حتىٰ لقد أكفرَهم كثيرٌ مِن العُلماءِ بقولهم، وكثيرٌ منهم أوجبَ عليهم به القتلَ، ولم يُوجِبوا عليهم القتلَ بذلك إلَّا وإن قولَهم في ذلك كان عندهم كُفرًا(١).

= ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف].

- قال ابن عدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكامل» (٩/ ٦٥٥): ومنصور بن عمَّار رجلٌ قد اشتهر بالوعظِ الحسن .. إلخ.

- وقال العُقيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الضعفاء» (١٧٧٦): منصور بن عمَّار القاصُّ، لا يقيم الحديث، وكان فيه تجهُّم مِن مذهب جهم. اهـ

- وفي «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (١٢٣): حدثني عُثمان بن أبي شيبة، قال: كنتُ عند سُفيان بن عُيينة، أنا وأبو بكر، وأبو محمد - يعني: أخويه: عبدالله، وقاسِمًا -، فسأله منصور بن عمَّار عن القرآن: مخلوقٌ؟

فأنكرَ سُفيان ما سأله عنه، وغضِبَ، واشتد غضبُه، وقال له سُفيان: يا منصور، إني أحسبُك شيطانًا، إني أحسبُك شيطانًا، بل أنت شيطان.

فقيل له: يا أبا محمد، إنه صاحب سُنَّة، وإنه ... فأبىٰ، وأنكرَ ما سأل عنه. اهـ

ورَوىٰ الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٨٠) جوابًا حسنًا في الجملة عن مسألة سأله إيَّاها المريسي في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه] كيف استوىٰ؟!

وهو جوابٌ حسن في الجملة.

(١) جمع اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أصول اعتقاد أهل السنة» أسماء العلماء القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ثم قال (٤٦٠): فهؤلاء خَمسمائة نفسٍ وخمسون نفسًا أو أكثرُ مِن التابعين، وأتباع التابعين، والأئمَّةِ المرضيين، سِوىٰ الصحابة =

٢٣٧- حدثني يحيىٰ الحِمَّاني، أن أبا بكر بن عياش، حدَّثهم عن حُصينٍ، عن سُويد بن غَفَلَةَ: أن عليًّا رضي الله عنه قتلَ زَنادقةً، ثم أحرقَهم، ثم قال: صَدَقَ اللهُ ورسولُه(١).

فالجهميةُ عندنا أخبثُ الزنادقةِ؛ لأن مرجعَ قولِهم إلىٰ التعطيلِ كمذهبِ الزنادقةِ سَواءً(٢).

٢٣٨- حدثنا القاسم بن محمد المَعمري البغدادي، ثنا عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب، عن أبيه، عن جدِّه حبيب بن أبي حبيب، قال: خطبنا خالد بن عبد الله القَسْري بـ(واسطٍ) يوم أضحىٰ، فقال: أيُّها الناسُ، ارجعوا فضحُّوا، تقبَّلَ اللهُ منَّا ومنكم، فإني مُضحٍّ بالجعدِ بن درهمٍ؛ إنه زعمَ

=

رضي الله عنهم الخيِّرين، علىٰ اختلافِ الأعصارِ، ومُضيِّ السنين والأعوام، وفيهم نحوٌ مِن مائةِ إمامٍ مِمَّن أخذَ الناسُ بقولِهم، وتَديَّنوا بمذاهبِهم، ولو اشتغلتُ بنقلِ قولِ المُحدِّثينَ لبلغت أسماؤهم ألوفًا كثيرة؛ لكنِّي اختصرتُ وحذفتُ الأسانيدَ للاختصارِ، فنقلتُ عن هؤلاءِ عَصرًا بعد عصرٍ، لا يُنكِرُ عليهم مُنكِرٌ، ومَن أنكرَ قولَهم استتابُوه، أو أمَرُوا بقتلِه، أو نَفيِه، أو صَلبِه. ولا خِلافَ بين الأُمة أنَّ أولَ مَن قال: (القرآنُ مخلوقٌ): «جعدُ بن درهمٍ»، في سِنيِّ نيفٍ وعشرين، ثم «جهمُ بن صَفوان». اهـ

وتقدم في التعليق علىٰ كتاب «الرد علىٰ الجهمية» برقم (٢٣٠) تقرير أن القول بخلق القرآن كفرٌ أكبر مُخرجٌ عن المِلَّة.

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٧٩).

(٢) قال نحوه في «الرد» (٢٥٩ و٢٨١)، وجمعت هناك أقوال أهل السنة في بيان أن عقائد الجهمية وضلالهم أشدّ مِن ضلال الزنادقة واليهود والنصارىٰ.

أن اللهَ لم يتخذ إبراهيمَ خليلًا، ولم يُكلِّم موسىٰ تكليمًا، سُبحانَه وتعالىٰ عمَّا يقولُ الجعدُ بن درهم علوًّا كبيرًا. ثم نزلَ إليه فذَبَحَه(١).

٢٣٩- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، قال: قلتُ لإبراهيمَ بن سعدٍ: ما تقولُ في الزنادقة، ترىٰ أن نَستتيبَهم؟ قال: لا.

قلتُ: فبِمَ تقولُ ذاك؟

قال: كان علينا والٍ بالمدينة، فقتَلَ منهم رُجلًا ولم يَستتبه، فسُقِطَ في يده، فبعثَ إلىٰ أبي(٢)، فقال له أبي: لا يَهِيدَنَّكَ(٣)، فإنه قول الله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾، قال: السيف، ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ۝٨٤ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ [غافر]، قال: السيفُ سُنةُ القتل(٤).

٢٤٠- وسمعتُ الربيعَ بن نافعٍ أبا توبة، يقول: قلتُ لأحمدَ بن حنبل: ما ترىٰ في قتلِ هؤلاءِ [٤١/أ] الجهمية؟ قال: يُستتابون.

فقلتُ: لا، أمَّا خُطباؤهم فلا يُستتابون، وتُضرب أعناقُهم(٥).

٢٤١- حدثنا يحيىٰ بن بُكير المصري، ثنا مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم: أن رسولَ الله ﷺ، قال: «**مَن غيَّرَ دينَه فاضربوا عُنقَه**»(٦).

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٧و٢٨٣)، وبينتُ هنا صِحَّة هذه القِصَّة.

(٢) هو سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، الإمام المتوفىٰ سنة: (١٢٥هـ).

(٣) تقدم معناها في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٨٥).

(٤) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٨٥).

(٥) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٨٦).

(٦) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٨٧).

قال مالكٌ: ومعنىٰ حديث النبيِّ ﷺ هذا فيما نرىٰ - والله أعلم -: أنه مَن خرجَ مِن الإسلامِ إلىٰ غيرِه، مثلُ الزنادقة، وأشباهها، فإن أولئك يُقتلون ولا يُستتابون؛ لأنه لا تُعرف رويتهم(١)، وإنه قد كانوا يُسِرُّون الكُفرَ، ويُعلنون بالإسلامِ، فلا أرىٰ أن يُستتابَ هؤلاء ولا يُقبلُ قولُهم(٢).

٢٤٢- **حدثنا** يوسف بن يحيىٰ البُويطي، عن الشافعيِّ في (الزنديق): يُقبلُ قولُه إذا رجعَ ولا يُقتل(٣).

٢٤٣- **حدثنا** محمد بن المُعتمر السجستاني - وكان مِن أوثقِ أهل سجستان وأصدقهم -، عن زُهير بن نُعيم البَابي، أنه سَمِعَ سلَّام بن أبي مُطيعٍ يقول: الجهميةُ كُفَّارٌ(٤).

٢٤٤- **قال**: وسمعتُ زُهير بن نُعيم، يقول: سُئِلَ حماد بن زيد - وذُكِرَ له شيءٌ عن بشرٍ المَريسي -، فقال: ذاك كافِرٌ(٥).

٢٤٥- **حدثنا** يحيىٰ الحِمَّاني، ثنا الحسن بن الربيع، قال: سمعت ابن المبارك يقول: مَن زعمَ أن قوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٤]،

---

(١) كذا في الأصل، و(ب). وفي «الرد علىٰ الجهمية»، و«الموطأ»: (توبتهم).

(٢) نحوه في «الموطأ» في: (باب القضاء فيمن ارتد عن الإسلام).

(٣) رواه المُصنف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٩٢).

وقد علّق عليه المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتعليق حسن، وقال: وأنا أقول كما قال الشافعي ... إلخ.

(٤) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٦٧).

(٥) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٦٨).

مخلوقٌ فهو كافِرٌ(١).

٢٤٦- **وسمعتُ** محبوب بن موسىٰ الأنطاكي، أنه سَمِعَ وكيعًا يُكفِّرُ الجهمية(٢).

٢٤٧- **وكتبَ** إليَّ علي بن خشرم: أن ابنَ المُبارك كان لا يَعُدُّ الجهميةَ في عدادِ المُسلمين(٣).

٢٤٨- **وسمعتُ** يحيىٰ بن يحيىٰ يقول: القرآنُ كلامُ اللهِ، مَن شَكَّ فيه، أو زعمَ أنه مَخلوقٌ؛ فهو كافِرٌ(٤).

فهؤلاءِ الذين أكفرُوهم في آخرِ الزَّمانِ، وعليُّ بن أبي طالب وابنُ عباسٍ رضي الله عنهم في أولِ الزمانِ، وأنزلاهم منزلةَ مَن بدَّلَ دينَه فاستحقَّ بتبديلِه القتلَ.

٢٤٩- **حدثنا** سُليمان بن حرب، عن حماد بن زيد، وجرير بن حازم، عن أيوب، عن عكرمةَ: أنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه أُتيَ بقومٍ مِن الزنادقةِ، فحرَّقَهم، فبلغَ ذلك ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما فقال: أمَّا أنا فلو كنتُ لقتلتُهم؛ لقول رسول الله ﷺ، ولَمَا حرقتُهم لنهي رسولِ الله ﷺ، قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن بدلَّ دِينَه فاقتلوه**»، وقال: «**لا تُعذِّبوا بعذابِ اللهِ**»(٥).

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٧٠).

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٧١).

(٣) تقدم تخريجه برقم (٦).

(٤) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٧٣).

(٥) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٥٨).

٢٥٠- فادَّعىٰ المُعارِضُ: **(أن مَن روينا عنهم مِن الفُقهاءِ والعُلماءِ المشهورين في إكفارِ الجهمية، وقتلهم عليه، وقولهم: (القرآنُ غيرُ مخلوقٍ)، أن هذه الرِّواياتِ وما أشبهها ليس أثرًا عنده؛ لِمَا أنَّ أبا يوسف**[1] **قال: الأثرُ ما رُويَ عن النبيِّ ﷺ والصحابةِ، وما بعدَ هؤلاءِ ليس بأثرٍ)**.

فيُقالُ لهذا المُعارِضِ: فكيفَ جعلتَ أنت أثرًا ما رَويتَ في رَدِّ مَذهَبِنا عن أبي حنيفة، وأبي يوسف، وأبي أُسامةَ، وأبي معاوية، والمَريسيِّ، واللؤلؤيِّ، والثلجيِّ؟!

فإن لم يكُن ما رَوينا مِن ذلك عن جعفرِ بن محمد، وعَمرِو بن دِينارٍ، وبَقيّةَ بن الوليد، وابنِ المُبارك، ووكيعٍ، وعيسىٰ بن يونس، ونُظرائهم أثرًا عندك؛ فأبعدُ مِن الأثرِ ما احتججتَ في رَدِّه عن المريسيِّ، والثلجيِّ، واللؤلؤيِّ، ونُظرائهم.

فكيفَ أقمتَ أقاويلَ هؤلاءِ المُتَّهمين لنفسكِ أثرًا، ولا تُقيمُ [٤١/ ب] أقاويلَ هؤلاء المُتميِّزين لنا أثرًا؟ مع أن أبا يوسف إن قال: (ليست أقاويلُ التابعين بأثرٍ)؛ فقد أخطأ.

إنما يُقالُ: ليس اختلافُ التابعين سُنَّةً لازمة كسُننِ النبيِّ ﷺ وأصحابِه.

فأمَّا أن لا يكون أثرًا، فإنه أثرٌ لا شَكَّ فيه، وأقاويلُهم ألزمُ للناسِ من أقاويلِ أبي يوسف وأصحابِه؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ أثنىٰ علىٰ التابعين في كتابه، فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ

---

(١) تقدم برقم (١٧ و٢١٩ و٢٢٥) ترجمته، وكلام المُصنِّف عنه.

رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [التوبة:١٠٠].

فشَهِدَ [لهم] باتِّباعِ الصَّحابة، واستيجابِ الرضوان مِن اللهِ تعالىٰ باتباعهم أصحابَ محمدٍ ﷺ.

واجتمعتِ الكلمةُ مِن جميعِ المسلمين أن سمَّوهم: (التابعين)، ولم يزالوا يأثرون عنهم بالأسانيدِ كما يأثرون عن الصحابةِ، ويحتجُّون بهم في أمرِ دينهم، ويرون آراءهم ألزمَ لهم مِن آراءِ مَن بعدَهم، للاسمِ الذي استحقُّوا مِن الله تعالىٰ، ومِن جماعةِ المسلمين الذين سَمَّوهم تابعي أصحابِ محمدٍ ﷺ(١).

(١) قال أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مسائله» (١٧٨٩): سمعت أحمد، يقول: الاتباع: أن يتَّبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو مِن بعد في التابعين مُخيَّر.
- وقال (١٧٩٠) سمعته سُئل: إذا جاء الشيء عن رجلٍ مِن التابعين، لا يوجد فيه عن النبي ﷺ يلزم الرجل أن يأخذ به؟
قال: لا، ولكن لا يكاد يجيء الشيء عن التابعين إلَّا ويوجد فيه عن أصحاب النبي ﷺ، يعني: عندي ما يمثل عليه ذلك الشيء.
- وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما علىٰ الناس اتِّباع الآثار عن رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها مِن سقيمها، ثم بعد ذلك قول أصحاب رسول الله ﷺ، إذا لم يكن قول بعضهم لبعض مُخالفًا، فإن اختلف نظر في الكتاب فأيّ قولهم كان أشبه بالكتاب أُخِذَ به، أو بقول رسول الله ﷺ أُخِذَ به، فإذا لم يأتِ عن النبيِّ ﷺ، ولا عن أحدٍ من أصحاب النبيِّ ﷺ نظر في قول التابعين، فأيّ قولهم كان أشبه بالكتاب والسُّنة أَخذَ به، وترك ما أحدث الناس بعدهم. «بدائع الفوائد» (٥/ ١٤٢٨).
- وفي «الآداب الشرعية» (٢/ ٥٣) قال المَرُّوذي: سمعت أبا عبد الله يصف كيف يؤخذ العلم. قال: ننظر ما كان عن رسول الله ﷺ، فإن لم يكن فعن أصحابه =

٢٥١- حتىٰ لقد قال أبو سلمة بن عبد الرحمن للحسن البصري: ولا تفتِ الناسَ برأيك، فقال: رأيُنا لهم خيرٌ مِن آرائهم لأنفسهم(١).

فإن لم يكن عند أبي يوسف ما رُوي عن التابعين أثرًا، فبئسَ ما أثنىٰ علىٰ زَعيمه وإمامِه أبي حنيفةَ، إذ يشهدُ عليه أن عامَّةَ فُتياه بغيرِ أثرٍ؛ لأن عْظْمَ ما

= رضي الله عنهم، **فإن لم يكن فعن التابعين.**

- وفي «الفقيه والمُتفقه» (١/ ٤٣٢) قال أبو حاتم الرازي: العلم عندنا ما كان عن الله تعالىٰ من كتاب ناطق ناسخ غير منسوخ، وما صحّت الأخبار عن رسول الله ﷺ ممَّا لا مُعارض له، وما جاء عن الألِبَّاء من الصحابة رضي الله عنهم ما اتفقوا عليه، فإذا اختلفوا لم يخرج من اختلافهم، **فإذا خفي ذلك ولم يفهم فعن التابعين** ... اهـ.

- وقال أبو القاسم اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»: ... ثم أستدلُّ علىٰ صِحَّةِ مذاهبِ أهلِ السُّنة: بما ورَدَ في كتاب الله تعالىٰ فيها، وبما رُوي عن رسول الله ﷺ، فإن وجدتُ فيهما جميعًا ذكرتُهما، وإن وجدتُ في أحدِهما دون الآخرِ ذكرتُه، وإن لم أجِد فيها إلَّا عن الصحابة رضي الله عنهم الذين أمرَ اللهُ ورسوله أن يُقتدىٰ بهم، ويُهتدىٰ بأقوالهم، ويُستضاء بأنوارهم؛ لمُشاهدتِهم الوحي والتنزيلَ، ومعرفتِهم معاني التأويلِ، احتججتُ بها، فإن لم يكن فيها أثرٌ عن صحابيٍّ: فعن التابعين لهم بإحسانٍ، الذين في قولهم الشِّفاءُ والهُدىٰ، والتديُّنُ بقولهم القُربةُ إلىٰ الله والزُّلفىٰ، فإذا رأيناهم قد أجمعوا علىٰ شيءٍ عوَّلنا عليه، ومَن أنكروا قولَه أو ردُّوا عليه بدعتَه أو كفَّروه؛ حَكمنا به واعتقدناه، ولم يزل مِن لدُن رسول الله ﷺ إلىٰ يومِنا هذا قومٌ يَحفظون هذه الطريقةَ، ويتديَّنون بها. اهـ

(١) في «الطبقات الكبرىٰ» (٧/ ١٦٥): عن الجريري: أن أبا سلمة بن عبد الرحمن قال للحسن [البصري]: أرأيتَ ما تفتي الناس، أشيئًا سمعته أم برأيك؟!

فقال الحسن: لا والله، ما كل ما نفتي به سمعناه، ولكن رَأْيَنَا خيرٌ لهم من رأيهم لأنفسهم. وإسناد صحيح.

أفتىٰ وأخذَ به أبو حنيفة، ممَّا رواه عن حمادٍ، عن إبراهيم[١]، وكان مِن أتباعِ التابعين[٢].

فقد شَهِدَ علىٰ أبي حنيفة أنه كان يُفتي بغيرِ أثرٍ، وعلىٰ نفسِه أنه تَبِعه في فُتياه مِن غيرِ نظرٍ، فإن لم يكن ما رُوي عن التابعين آثارٌ[٣] عند أبي يوسف وعندكم، فكيف سَمَّيتَ رأيَ إبراهيم: آثارَ أبي حنيفة؟ وإنما إبراهيمُ مِن أتباع التابعين.

كذبتُم إذًا فيما ادَّعيتُم مِن ذلك لأبي حنيفة أنه أثرٌ، وليس كذلك عندكم.

فتفهَّم أيُّها المُعارِضُ ثم تكلَّم، ولا تَنطِقنَّ بما لا تعلمُ، فإن كنتَ لا تُحسِنُ فتعلَّم، ولا تُرسِل مِن رأسِكَ ما يأخُذُ منك بالكَظَمِ[٤]، فيُنقضَ عليك وتُطْلَمَ[٥]، وتُعدَّ في عِدادِ مَن لا يفهمُ.

---

(١) إبراهيم هو النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحماد هو ابن أبي سُليمان المرجئ شيخ أبي حنيفة.

(٢) سيأتي نقل بعض أقوال أئمة السنة والآثار في إنكارهم علىٰ أبي حنيفة تركه السُّنن وأخذه بالرأي، وذلك عند قول المُصنِّف (٣٨٤): (فإن كان أبو حنيفة استحقَّ بما أفتىٰ مِن خلافِ تلك الرِّوايات أن يُنسَبَ إلىٰ ردِّ حديثِ رسول الله ﷺ).

(٣) كذا في الأصل، والجادة: (آثارًا).

(٤) في «تاج العروس» (٥/ ١٨٤): (الكظم) مُحرَّكة: الحلق، أو الفم، أو مخرج النفس. يقال: أخذ بكظمه أي: بحلقه.

(٥) في «النهاية» (٣/ ١٣٧): أصلُ الطَّلْم: الضَّربُ بِبَسط الكفِّ. اهـ

٦- باب
الحثّ على طلبِ الحديث والرد على من زعم أنه لم يُكتب على عهد النبيِّ ﷺ الحديث، والذبِّ عن أصحابِ النبيِّ ﷺ وأصحابِ الحديثِ وأهلِ السُّنةِ وفضلِهم على غيرِهم

٢٥٢-[(١)] وادَّعىٰ المُعارِضُ: عن أبي يوسف قوله: **(إن الأثر: ما رُوي عن النبيِّ ﷺ، وعن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين)**، ثم أنشأ طاعِنًا علىٰ الآثارِ.

ورَوىٰ عن أبي يوسفَ [أنه قال]: (الآثارُ تَصُدُّ الناسَ عن طلبها، وتُزَهِّدُهم فيها)، بتأويلِ ضلالٍ يُرِي مَن بين ظهريه: أنه فيما يدَّعي مِن ذلك مُصيب.

فكانَ ممَّا تأوَّلَ في ردِّها: أن رَوىٰ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**سَيَفشو الحديثُ عنِّي، فما وافقَ منها القرآنَ فهو [٤٢/ أ] عنِّي، وما خالفَه فليسَ عنِّي**»[(٢)].

---

(١) زاد بعدها في (ب): (أخبرنا الشيخ أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الأحنف، قال: أخبرنا إسحاق بن أبي إسحاق القرَّاب الحافظ، قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن أبي الفضل بن محمد بن الحسين المزكىٰ، قال: أنبأنا أبو عبد الله بن إبراهيم الصرام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: أخبرنا أبو سعيد الدارمي فيما أَذِنَ لي أن أرويه عنه، قال..).

(٢) رواه الشافعي في «الأم» (٧/ ٢٥٨)، ومن طريقه البيهقي في «المدخل» (٢٣٣)، وقال: وقد روي من أوجه أُخَر كلها ضعيفة. اهـ. ثم ذكر كثيرًا منها وضعَّفها.

⇐=

=

- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (١١٠): وأنا أذكر حديثًا يحتجُّ به المبطلون للشريعة، ويَحتالُ به المُمَوِّهون وأهل الخديعة ليعرفه إخواننا، فيردُّوه علىٰ مَن احتجَّ به عليهم. وهو حديث رواه رجلٌ جرَّحه أهل العلم بالحديث، وأئمة المُحدثين، وأسقطوه، حدَّث بأحاديث بواطيل، وأنكرها العلماء عليه، يُعرفُ هذا الرجل: بعثمان بن عبد الرحمن الوقَّاصي.

ثم ذكره بإسناده عن عثمان بن عبد الرحمن - يعني: الوقَّاصي -، عن سالم، عن أبيه ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا عمر، لعلَّ أحدَكم مُتَّكِئ علىٰ أريكته ثم يكذبني، ما جاءكم عَنِّي فاعرضوه علىٰ كتاب الله، فإن وافقه فأنا قلتُه، وإن لم يوافقه فلم أقله»**.

قال ابن السَّاجي: قال أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا حديثٌ موضوعٌ عن النبيِّ ﷺ.

قال: وبلغني عن عليِّ بن المديني أنه قال: ليس لهذا الحديث أصلٌ، والزنادقة وضعت هذا الحديث.

قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وصدق ابن السَّاجي وابن المديني رحمهما الله؛ لأن هذا الحديث كتاب الله يُخالفه، ويُكذِّب قائله وواضعه، والحديث الصحيح، والسُّنة الماضية عن رسول الله ﷺ تردُّه. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

فالذي أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ: أن نسمع ونُطيع، ولا نضرب لمقالته ﷺ المقاييس، ولا نلتمس لها المخارج، ولا نعارضها بالكتاب ولا بغيره؛ لكن نتلقَّاها بالإيمان والتصديق والتسليم إذا صحَّت بذلك [عنه] الرواية.

وأمَّا السُّنة الواردة عنه ﷺ التي تخالف هذا الحديث الموضوع التي نقلها أهل العدالة والأمانة، فهو ... فذكره بإسناده عن عليٍّ ﵁، قال: إذا حدَّثتُكم عن رسول الله ﷺ حديثًا فظنوا برسول الله أهناه، وأتقاه، وأهداه. اهـ

=

فيُقالُ لهذا المُعارِضِ: لقد تأوَّلتَ حديثَ رسولِ الله ﷺ علىٰ خلافِ ما أرادَ، إنما قال رسولُ الله ﷺ: «**سَيفشو الحديثُ عنِّي**»، علىٰ معنىٰ: أنه يَتداولُه الحُفَّاظُ مِن الناسِ، والصادِقُ والكاذِبُ، والمُتقِنُ والمُغَفَّلُ.

وصَدَقَ رسول الله ﷺ، قد تبيَّنَ ما قال في الرِّواياتِ، ولذلك يَنتَقِدُها أهلُ المعرفةِ بها، فيَستعملون فيها رِوايةَ الحُفَّاظِ المُتقنين، ويدفعون رِوايةَ الغُفلاء الناسِين، ويُزيِّفون منها ما روىٰ الكذَّابون، وليس إلىٰ كلِّ أحدٍ الاختيارُ منها، ولا كلُّ الناسِ يقدِرُ أن يَعرِضَها علىٰ القرآنِ، فيعرِفَ ما وافقَه منها ممَّا خالفَه، إنما ذلك إلىٰ الفقهاءِ العلماءِ الجهابذةِ النُّقَّادِ لها، العارِفين بطُرقِها ومخارِجِها، خِلافَ المريسيِّ، واللؤلؤيِّ، والثلجيِّ، ونُظرائِهم المُنسلخينَ

= - قال ابن عبد البر في «جامعه» (٢/ ١٩١): قال عبد الرحمن بن مهدي: الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث.

ثم قال: وهذه الألفاظ لا تصحُّ عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه، وقد عارض هذا الحديث قومٌ مِن أهل العلم، فقالوا: نحن نَعرِضُ هذا الحديث علىٰ كتاب الله قبل كل شيء، ونعتمد علىٰ ذلك، قالوا: فلما عرضناه علىٰ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وجدناه مخالفًا لكتاب الله؛ لأنا لم نجد في كتاب الله ألا نقبل من حديث رسول الله ﷺ إلَّا ما وافق كتاب الله، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به والأمر بطاعته ويحذر المخالفة عن أمره جملة علىٰ كل حال. اهـ

«**فائدة**»: للمُصنِّف كتاب كبير سمَّاه: «لا مُعارِضَ له»، وهناك نقل طويل ساقه قوام السنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الحُجَّة في بيان المحجة» (٢/ ٣١٦) لعلَّه منه، أو مِن كتابه الآخر المفقود: «المُسند الكبير»، فانظره ففيه أن السُّنة لا تُعارض القرآن ولا تخالفه، وإنما تُفسِّره وتُوضِّحه. وقد سقته بتمامه في المقدمة (١/ ٣٣).

منها، ومِن معرفتِها، ومِمَّا يُصدِّقُها مِن كتابِ اللهِ تعالىٰ.

فقد أخذنا بما قال رسول الله ﷺ، فلم نقبل منها إلَّا ما روىٰ الفقهاءُ الحُفَّاظُ المُتقنونَ، مثل: مَعمرٍ، ومالكِ بن أنس، وسُفيانَ الثوري، وابنِ عُيينة، وزُهيرِ بن معاوية، وزائدةَ، وشريكٍ، وحمادِ بن زيد، وحمادِ بن سلمة، وابنِ المُبارك، ووكيعٍ، ونُظرائهم الذين اشتهروا برواياتِها ومعرفتِها والتفقُّهِ فيها خلافَ تَفقُّه المريسيِّ، وأصحابه.

فما تَداولَ هؤلاءِ الأئمَّةُ ونُظراؤهم علىٰ القبولِ قَبلناه، وما رَدُّوه رَددناه، وما لم يَستعملوه تَركناه، لأنَّهم كانوا أهلَ العلمِ والمعرفةِ بتأويلِ القرآنِ ومعانيه، وأبصرَ بما وافقَه منها ممَّا خالفَه مِن المريسيِّ وأصحابِهِ، فاعتمدنا علىٰ رواياتِهم، وقبِلنا ما قَبِلوا، وزيَّفنا منها ما روىٰ الجاهلون مِن أئمَّةِ هذا المُعارِضِ، مثل: المريسيِّ، والثلجيِّ، ونُظرائِهم، فأخذنا نحن بما قال النبيُّ ﷺ في حديثِكَ الذي رويتَه عنه، وتركتَه أنت، لأنَّك احتججتَ في ردِّ ما روىٰ هؤلاءِ الأعلامُ المشهورون العالمون ما وافقَ منها كتابَ اللهِ ممَّا خالفَه، بأقاويل هؤلاءِ الجهلةِ المغمورين(١).

---

(١) علماء السُّنة يهتمُّون بالأحاديث التي تلقَّاها أئمة السُّنة والحديث بالقبول والتسليم، ويحتجون بها علىٰ أهل البدع في أبواب السُّنة والاعتقاد، ويُنكرون علىٰ من خالفها، أو طعنَ فيها، أو عارضها.

ومِن المُسلَّمِ عند كلِّ صاحب سُنَّة واتِّباعٍ أن أئمة السنة والسلف الصالح لا يحتجُّون في أبواب السنة والاعتقاد إلَّا بما صحَّ وثبت عندهم، فهم أهل هذا الشأن، وهم أخشىٰ وأورع لله تعالىٰ مِن أن يَتكلَّموا في أمور الغيبيات وأمور العقيدة بما لا ⇐ =

= يثبتُ ولا يصحُّ.

والأمثلة على احتجاجهم بما تلقَّاه الأئمة بالقبول كثيرة، ومن ذلك:

- ما سيأتي برقم (٣٢٩) من قول وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- وقال عبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٧٢): حدثنا أبي، ثنا وكِيع بحديث: إسرائيلَ، عن أبي إسحاق، عن عبدالله بن خليفَةَ، عن عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «**إذَا جَلسَ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ علىٰ الكُرسيِّ**»؛ فاقشعرَّ رَجُلٌ سَمّاه أبي عند وكِيع، فغضِبَ وكيعٌ، وقال: أدرَكنَا الأعمشَ، وسُفيانَ يُحدّثون بهذه الأحاديثِ لا يُنكِرُونَها. اهـ

فأنكر وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الرجل لمُجرَّد أنه اقشعر عند ذكر هذا الحديث كالمنكر له، ثم احتجَّ عليه بأن الأئمة حدَّثوا به، ولم ينكروه، فما يسعك إلا اتِّباعهم.

- وقال عبد الصمد بن يحيىٰ: قال لي شاذان: اذهب إلىٰ أبي عبد الله [الإمام أحمد] فقُل: ترىٰ لي أن أُحدّث بحديث: قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**رأيتُ ربي عَزَّوَجَلَّ في صُورة شَابٍّ**»؟ قال: فأتيت أبا عبد الله فقلتُ له.

فقال لي: قُل له: تَحدَّث به، قد حَدَّثَ به العلماء.

[«طبقات الحنابلة» (٢/ ١٠٤)، و«إبطال التأويلات» (١٣٥)]

- وقال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشريعة» (١٢٥١) وهو يتكلم عن أثر مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إقعاد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ العرش: وأمَّا حديث مجاهد في فضيلة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتفسيره لهذه الآية: أنه (يُقعِدُه علىٰ العرش)، فقد تلقَّاها الشيوخ من أهل العلم والنقل لحديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تلقَّوها بأحسن تلقٍّ، وقبلوها بأحسن قبولٍ، ولم يُنكروها، وأنكروا علىٰ من ردَّ حديث مجاهد إنكارًا شديدًا، وقالوا: من ردَّ حديث مجاهدٍ فهو رجلُ سُوءٍ. اهـ

- وقال ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلم عن حديث أبي رزين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل، وفيه إثبات كثير من صفات الله تعالىٰ: روىٰ هذا الحديث محمد بن إسحاق الصَّغاني، وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما، وقد رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهلِ =

=

الدّين جماعةٌ مِن الأئمة منهم: أبو زُرعة الرَّازي، وأبو حاتم، وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ولم يُنكِره أحدٌ، ولم يتكلّم في إسناده، بل رَوَوْه على سبيل القبول والتسليم، ولا يُنْكِر هذا الحديثَ إلّا جاحِدٌ، أو جاهل، أو مخالف للكتاب والسُّنة. اهـ

[نقلًا من «زاد المعاد» (٣/ ٦٧٨)].

- وقال السِّجزيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إثبات الحرف والصوت» (١٦١) وذكر قول كعب الأحبار: (لمَّا كلَّم الله موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كلمه بالألسنة كُلِّها ..)، فقال مُعلّقًا عليه: وهذا محفوظ عن الزُّهري، رواه عنه ابن أبي عتيق، والزُّبيديّ، ومعمر، ويونس بن يزيد، وشُعيب بن أبي حمزة، وهؤلاء كلهم أئمة، ولم يُنكِره واحدٌ منهم. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «جواب الاعتراضات المصرية» (ص١٦٦) وهو يتكلّم عن حديث: «**خلق اللهُ آدمَ علىٰ صورة الرحمن**»: وليس الغرضُ تعدد طُرقه، وإنما الغرض الأصلي أن الأئمة المُتَّفق علىٰ إمامتهم في الأُمة ما زَالوا يروونه، ولا يُنكِرونه، ولا يتأوَّلونه علىٰ المحفوظ عنهم في ذلك. اهـ

- وقال أيضًا في «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٤٤٥): وأيضًا: فإن الله قد وصفَ هذه الأُمّة بأنّها خير أُمّة أُخرجت للناس، وأنها تأمر بالمعروف، وتنهىٰ عن المنكر، فمن المُمتنع أن يكون في عَصرِ التابعين يَتكلّم أئمَّة ذلك العصرِ بما هو كُفرٌ وضَلال، ولا يُنكر عليهم أحدٌ، فلو كان قوله: «**خلقَ اللهُ آدمَ علىٰ صُورة الرّحمن**» باطلًا لكانوا كذلك. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١٠٧٤): وروىٰ يونس بن يزيد، عن الزُّهري، عن سعيد بن المسيب، عن كعب، قال: قال الله في التوراة: أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا علىٰ عرشي، أُدبِّر أمر عبادي... ورواه ابن بطة، وأبو الشيخ، وغيرهما بإسناد صحيح.

وهب أن المُعطِّل يُكذّب كعبًا ويرميه بالتجسيم، فكيف حدّث به عنه هؤلاء الأعلام مُثبتين له غير مُنكرين؟!. اهـ

=

والشاهدُ عليك بما أقول: كتابك هذا الذي ألَّفتَه علىٰ نفسِكَ، لا علىٰ غيرك.

٢٥٣- واحتججتَ أيضًا في رَدِّ آثارِ رسولِ الله ﷺ التي رُويتَ عن أبي يوسف أنها رأسُ الآثارِ وألزمُها للناسِ بكذِبٍ ادَّعيتَه، زعمتَ: (**أنه صح**

=

- وقال أيضًا (٣/ ١٢٨٣) وهو يتكلّم عن حديث جابر رضي الله عنه: «.. **ثم يُنادِيهم بصوتٍ يسمَعُه مَنْ قَرُبَ: أنا الملكُ، أنا الدَّيَّانُ** .. » الحديث. ورواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة»، والطبراني في «المُعجم»، و «السُّنة»، وأبو بكر بن أبي عاصم في «السُّنة» مُحتجِّينَ به، فمَنِ الناسِ سوىٰ هؤلاء الأعلام، سادات الإسلام، ولا التفات إلىٰ ما أعلّه به بعض الجهمية ظُلمًا منه، وهضمًا للحقِّ، حيث ذكر كلام المُضعِّفين لعبد الله بن محمد بن عقيل، والقاسم بن محمد دون مَن وثّقهما وأثنىٰ عليهما، فيُوهم الغرّ أنهما مُجمع علىٰ ضعفهما، لا يُحتج بحديثهما ... إلخ.

ثم ذكر بعض عللهم في هذا الحديث، وقال: ومَن تأمّل هذه العلل الباردة علم أنها من باب التَّعنُّتِ ... إلىٰ أن قال: ورواه أئمة الإسلام في كُتبِ السُّنةِ، وما زالَ السَّلف يروونه، ولم يُسمع مِن أحدٍ مِن أئمة السُّنة أنكره حتىٰ جاءت الجهمية فأنكرته، ومَضىٰ علىٰ آثارهم من اتبعهم في ذلك ... إلخ.

- وقال الذهبي في «العرش» (٢/ ١٢١) وهو يتكلّم عن حديث عُمر رضي الله عنه: «**إذا جلسَ الرَّبُّ علىٰ الكرسي**»: وهذا حديثٌ صحيحٌ عند جماعة مِن المحدِّثين ... فإن كان هؤلاء الأئمة: أبو إسحاق السَّبيعي، والأعمش، وإسرائيل، وعبدالرحمن ابن مهدي، والثوري، وأبو أحمد الزُّبيري، ووكيع، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، ممن يطول ذِكرهم وعددهم، الذين هم سُرُج الهُدىٰ، ومَصابيح الدُّجىٰ، قد تلقّوا هذا الحديث بالقبولِ، وحدّثوا بهِ، ولم يُنكروه، ولم يطعنوا في إسناده، فمن نَحنُ حتىٰ نُنكره، ونَتحذلق عليهم؟ بل نُؤمن به. اهـ

عندك أنه لم تُكتبِ الآثارُ وأحاديثُ النبيِّ ﷺ في زمنِ النبيِّ ﷺ والخلفاءِ بعده إلى أن قُتِلَ عثمانُ رضي الله عنه، فكثُرتِ الأحاديثُ، وكثُرَ الطعنُ على مَن رَوَاها).

فيُقالُ لهذا المُعارِضِ: دعواك هذه كذِبٌ، لا يشوبُه شيءٌ مِن الصِّدقِ، فمِن أينَ صحَّ عندك أن الأحاديثَ لم تكن تُكتبُ [على عهدِ] رسولِ الله ﷺ والخلفاءِ بعده إلىٰ أن قُتِلَ عثمان رضي الله عنه؟ ومَن أنبأكَ بهذا؟ فهلُمَّ إسنادَه، وإلَّا فإنَّك مِن المُسرفينَ علىٰ نفسِكَ، القائلين فيما لا يعلمُ، فقد صحَّ عندنا أنها كُتبت في عهدِ رسولِ الله ﷺ والخلفاءِ بعده(١).

٢٥٤- كَتبَ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه [٤٢/ب] منها صحيفةً، وهو أحَدُ الخُلفاءِ مِن رسولِ الله فقرَنَها بسيفِه، فيها: أمرُ الجِراحاتِ، وأسنانِ الإبلِ، وفيها: «**المدينةُ حَرامٌ ما بين عَيرٍ إلىٰ ثَورٍ، فمن أحدَثَ فيها حدثًا، أو آوىٰ مُحدِثًا؛ فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين**».

وإذا فيها: «**المؤمنون تَكافأُ دِماؤهم، ويَسعىٰ بذمَّتِهم أدناهم، وهم يدٌ علىٰ مَن سِواهم**».

وإذا فيها: «**لا يُقتلُ مُسلمٌ بكافرٍ، ولا ذو عهدٍ في عهدِهِ**».

---

(١) في «مقدمة صحيح مسلم» (١/ ١٥)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢/ ١٦): قال عبد الله بن المُبارك: الإسنادُ من الدِّينِ، لولا الإسنادُ لقال مَن شاءَ ما شاء.

- وفي «المجروحين» (١/ ٢٧) قال سُفيان الثوري: الإسنادُ سِلاحُ المؤمن؛ فإذا لم يكن معه سِلاحٌ فبأيِّ شيءٍ يُقاتل؟!

رواه الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه (١).

فهذا إسنادٌ جيِّدٌ، قد جئناك به في خِلافِ دعواك، فعمَّن رَويتَ الحديثَ الذي ادَّعيتَ: أنه صحَّ عندك؟ فأظهِرْهُ حتىٰ نعرفَه كما عرفنا هذا.

٢٥٥- حدثنا الحِمَّاني، ثنا سُفيان بن عُيينة، عن محمد بن سُوقة، عن مُنذرٍ الثوري، عن محمد ابن الحنفية، قال: جاءت سُعاةُ عثمانَ إلىٰ عليٍّ يشكونَه، فقال لي: خُذ هذه الصَّحيفةَ، فإن فيها سُنن رسولِ الله ﷺ، فاذهب بها إلىٰ عثمانَ. قال: فذهبتُ بها إلىٰ عثمانَ، فقال: لا حاجةَ لنا فيها، وأتيتُ بها عليًّا وأخبرتُه، فقال: ضَعها مكانها(٢).

فهذا عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أحدُ الخُلفاءِ، صحَّ عندنا أنه كتبَ عن رسولِ الله ﷺ، وبعَثَ بها إلىٰ عثمان رضي الله عنه قبلَ أن يُقتلَ عثمان.

---

(١) هذه الأحاديث رواها أحمد (٩٥٩ و٩٩٣)، والبخاري (١٨٧٠ و٣١٧٢ و٣١٧٩ و٦٧٥٥ و٧٣٠٠)، ومسلم (١٣٧٠)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

- وروىٰ البخاري (٣٠٤٧) عن أبي جُحيفة رضي الله عنه، قال: قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلَّا ما في كتاب الله؟

قال: لا والذي فلقَ الحبَّة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلَّا فهمًا يعطيه اللهُ رجُلًا في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلتُ: وما في الصحيفة؟.

قال: «**العقلُ، وفِكاكُ الأسيرِ، وأن لا يُقتلَ مُسلمٌ بكافرٍ**».

(٢) روىٰ أحمد (١١٩٦)، والبخاري (٣١١١)، عن محمد بن علي، قال: جاء إلىٰ عليٍّ رضي الله عنه ناسٌ من الناس، فشكوا سعاة عثمان، قال: فقال لي أبي: اذهب بهذا الكتاب إلىٰ عثمان رضي الله عنه، فقل له: إن الناس قد شكوا سعاتك، وهذا أمر رسول الله ﷺ في الصدقة، فمُرْهم فليأخذوا به، قال: فأتيت عثمان، فذكرتُ ذلك له، قال: فلو كان ذاكرًا عثمان بشيءٍ لذكره يومئذ - يعني: بسوء -.

فمِن أينَ صحَّ عندك أيُّها المُعارِضُ أنه لم يُكتَب الحديثُ في زمنِ رسولِ الله ﷺ والخلفاءِ بعده حتىٰ قُتِلَ عثمان رضي الله عنه، وأسنِده كما أَسندنا لك، وإلَّا فلِمَ تدَّعي ما لا تعقِلُه، ولا تفهَمُـ[ـه]؟ فيسمعُ به منك سامعٌ مِن الجُهَّالِ يَحسِبُ أنك مُصيبٌ في دعواكَ، وأنت فيها مُبطِلٌ؟

وإنما قال عثمان رضي الله عنه: (لا حاجةَ لنا في الصَّحيفةِ)، علىٰ معنىٰ: أنا نُحسِنُها، ونعرفُ منها ما في الصَّحيفةِ.

• ثم كتبَ عن رسولِ الله ﷺ عبد الله بن عَمرٍو رضي الله عنهما فأكثرَ، واستأذنَه في الكتابـ[ـةِ] عنه، فأذِنَ له.

٢٥٦- حدثناه علي بن المديني، ثنا سُفيان بن عُيينة، عن عَمرو بن دينار، عن وهب بن مُنبِّه، عن أخيه، قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: ما أحدٌ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ أكثرَ حديثًا عن رسولِ الله ﷺ مِنِّي، إلَّا ما كان مِن عبد الله بن عمرٍو، فإنه كان يكتبُ، وأنا كنتُ لا أكتُبُ(١).

---

(١) رواه البخاري (١١٣).

«**فائدة**»: قال المُعلِّمي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الأنوار الكاشفة» (ص ٤٧): أمَّا زيادة ما انتشر عن أبي هريرة رضي الله عنه من الحديث عمَّا انتشر عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما؛ فلأنَّ عبد الله لم يتجرَّد للرِّواية تجرُّد أبي هريرة رضي الله عنه، وكان أبو هريرة بالمدينة، وكانت دار الحديث لعناية أهلها بالرواية، ولرحلة الناس إليها لذلك، وكان عبد الله تارةً بمصر، وتارة بالشام، وتارةً بالطائف، مع أنه كان يكثر مِن الإخبار عمَّا وجده من كتب قديمة باليرموك، وكان الناس لذلك كأنهم قليلو الرغبة في السماع منه، ولذلك كان معاويةُ رضي الله عنه وابنه قد نهياه عن التحديث. اهـ

٢٥٧- **حدثنا** أحمد بن صالح، ثنا ابن وهب، حدثني عبد الرحمن بن سلمان، عن عُقيل، عن المغيرةِ بن الحكم، قال: سمعت أبا هريرة ﵁، يقول: لم يكن أحدٌ مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ أحفظَ لحديثِه إلَّا عبد الله بن عَمرو، فإنه كان يَكتُبُ، واستأذنَ النبيَّ ﷺ أن يَكتبَ، فكان يكتُبُ بيدِه، ويعي بقلبِهِ، وكنتُ أنا أعِي بقلبي(١).

• وكتبَ أبو بكرٍ الصديقُ ﵁ (كتاب الصدقات) عن النبي ﷺ.

٢٥٨- **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، قال: أخذتُ عن ثُمامة بن عبد الله بن أنس كتابًا، زعمَ أن أبا بكر ﵁ كتبه لأنسٍ ﵁، وعليه خاتَمُ رسولِ الله ﷺ، حين بعثَه مُصدِّقًا، وكتبَ له: «**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا فريضةُ** [٤٣/ أ] **الصَّدقة ...**»، وساق أبو سلمة الحديث بطوله(٢).

٢٥٩- **حدثنا** عبد الله بن صالح، عن ليث بن سعد، عن يونس(٣)، عن ابن شهاب في (الصدقات) [فإذا] نُسخةُ كتابِ رسول الله ﷺ، وهيَ عند آل عمر بن الخطاب ﵁، أقرأنِيها سالمُ بن عبد الله، فوعيتُها علىٰ وجهها. وساقَه أبو صالحٍ بطولِهِ(٤).

(١) رواه أحمد (٩٢٣١)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٩٠٠).

(٢) رواه البخاري (١٤٥٣ و١٤٥٤)، وأبو داود (١٨٠٠).

(٣) في (ب): (يونس).

(٤) رواه أبو داود (١٥٧٠)، وابن زنجويه في «الأموال» (١٣٩٠)، والدارقطني في «السنن» (١٩٨٦).

٢٦٠- **حدثنا** الحكم بن موسىٰ، ثنا يحيىٰ بن حمزة، عن سُليمان بن داود، عن الزُّهري، عن أبي بكر محمد بن عَمرو بن حزم، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ رسول الله ﷺ كتبَ إلىٰ أهلِ اليمنِ بكتابٍ، فيه: (الفرائضُ، والسُّننُ، والدياتُ)، وبعثَ به مع عَمرو بن حزم(١).

٢٦١- **حدثنا** نُعيم بن حماد، عن ابن المُبارك، عن معمرٍ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزمٍ، عن أبيه، عن جدِّه: أن النبيَّ ﷺ كتبَ لعَمرِو بن حزمٍ: **«في خمسٍ من الإبلِ شاةٌ ...»**، وساق نُعيم الحديثَ بطوله(٢).

---

(١) رواه أبو داود في «المراسيل» (٩٣ و٩٤)، والنسائي في «المُجتبىٰ» (٤٨٥٣).
(٢) رواه عبد الرزاق (٦٧٩٣).

ورواه مالك في «الموطأ» (٦٤٩)، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم، عن أبيه: أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم في العقول ... فذكره. ولم يذكر (عن جده).

وقد وقع في إسناد هذا الحديث اختلاف كبير اختلفوا بسببه في الحكم عليه.

- قال الدوري في «تاريخه» (٦٤٧): سمعت يحيىٰ بن معين، يقول: حديث عمرو بن حزم، أن النبي ﷺ كتب لهم كتابًا، فقال له رجل: هذا مُسندٌ؟

قال: لا؛ ولكنه صالح.

قال الرجل ليحيىٰ: فكتاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ليس عندي من رسول الله ﷺ عهد إلَّا هذا الكتاب؟

فقال: كتاب عليٍّ رضي الله عنه هذا أثبت من كتاب عمرو بن حزم. اهـ

- قال ابن عبد البر في «التمهيد» (١٧/ ٣٩٦): كتاب النبي ﷺ لعمرو بن حزم إلىٰ أهل اليمن في السُّنن والفرائض والديات كتاب مشهور عند أهل العلم معروف يستغني بشهرته عن الإسناد. وقال: والدليل علىٰ صحَّة كتاب عَمرو بن حزم تلقي جمهور العلماء له بالقبول ... إلخ.

فهذا رسولُ اللهِ ﷺ، والخلفاءُ الراشدون بعدَه: أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ ﵃، قد صحَّ أنه كُتِبت الأحاديثُ والآثارُ في عصرِهِم وزمانِهِم، قد أسندنا لك أيُّها المُعارِضُ إليهم، فمِن أين صَحَّ عندك ما ادَّعيتَ أنها لم تُكتب في زمنِ النبيِّ ﷺ والخلفاءِ بعدَه حتىٰ قُتِلَ عثمانُ ﵁ فكثُرتِ الأحاديثُ بعدَه، وكثُرَ الطعنُ علىٰ رُواتِها، ومَن طعنَ علىٰ الثقاتِ مِن رواةِ الأحاديثِ عند مَقتلِ عثمان ﵁ ؟!

وأمَّا أهلُ الظِّنَّةِ(١) والغفلةِ فيها فلم يزالوا مطعونينَ عليهم، ليس منهم: أبو هريرة، وعبدُ الله بن عَمرو، ومعاويةُ بن أبي سُفيان، ونظراؤهم مِن أصحابِ محمدٍ ﷺ، ورضي عنهم أجمعين أنهم المطعونون عليهم فيها(٢).

٢٦٢- حتىٰ ادَّعيتَ في ذلك كذِبًا علىٰ عمرَ بن الخطاب ﵁ أنه قال: أكذبُ المُحدِّثين أبو هريرة. وهذا مكذوبٌ علىٰ عمر ﵁(٣).

---

(١) (الظِّنَّة) بالكسر: التُّهمة.

(٢) دعوىٰ أن السنة لم تدون في زمن النبي ﷺ والصحابة دعوىٰ كاذبة، وهي مُتجَدِّدة لأهل البدع في كل مكان زمان، وإنما مرادهم التشكيك في السنة وصحتها، ومحاولة إسقاطها، وترك الاحتجاج بها، فإن السنة إذا سقطت سقط الدين كله، وكثرت البدع والأهواء والخرافات في الناس، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما قلَّت الآثار في قوم إلَّا ظهرت فيهم الأهواء).

وقد أطال المُعلِّمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الأنوار الكاشفة» (ص ٤٥) (هل نهىٰ النبي ﷺ عن كتابة الحديث؟) الردَّ علىٰ هذه الدعوىٰ الكاذبة، وبيَّن بطلانها.

(٣) ينبغي التذكير هاهنا بأن أئمة السنة لا يسكتون عن الروايات المكذوبة، ولا الموضوعة، ولا المنكرة في حقِّ الصحابة ﵃، والتي فيها ما يمسّ مكانة =

فإن تكُ صادِقًا في دعواكَ؛ فاكشف عن رأسِ مَن رواه، فإنك لا تكشفُ عن ثقةٍ، فكيف يَستحلُّ مسلمٌ يؤمنُ بالله واليوم الآخرِ أن يرمي رجلًا مِن أصحابِ رسول الله ﷺ بالكذبِ عن غيرِ صحَّةٍ ولا ثَبتٍ؟!

وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أصحابي**»(١).

• «**واحفظوني في أصحابي**»(٢).

• و «**اللهَ اللهَ في أصحابي**»(٣).

= الصحابة، بل يدفعونها، ويُنكرونها، ويُبينون ما فيها مِن الكذب، ويُنزِّهون الصحابة ﭫ عمَّا فيها، هذا في حقِّ الصحابة ﭫ فكيف في حقِّ اللهِ تعالىٰ، وفيما يجبُ أن يُعتقد فيه مِن الأسماء والصفات، فهل يروون الأحاديث المكذوبة والمنكرة في حقِّه تعالىٰ، ثم يسكتون عنها ولا ينكرونها ويطعنون فيها بحُجَّة: (مَن أسند لك فقد أحالك)؟ فهذا ليس مِن شأن أئمة السنة والآثار فيما يحتجون به علىٰ الجهمية المُعطِّلة في كُتب التوحيد والاعتقاد. فتنبه.

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري ﭬ.

(٢) رواه ابن ماجه (٢٣٦٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٢٢٢)، وعبد بن حُميد (٢٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٢٧)، وقد وقع في إسناد هذا الحديث اختلاف بيَّنته في تحقيق «الإبانة».

وانظر: «العلل» لابن أبي حاتم (٢٥٨٣)، و«العلل» للدارقطني (١٥٥).

(٣) رواه أحمد (١٦٨٠٣ و٢٠٥٤٩)، والترمذي (٣٨٦٢)، عن عبدالله بن مُغفَّل ﭬ.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه. اهـ

وقال العُقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٦٤): في إسناده نظر، وقال بعد ذكر أسانيده: وفي هذا الباب أحاديث جيِّدة الإسناد مِن غير هذا الوجه بخلاف هذا اللفظ. اهـ

• و «**مَن سبَّ أصحابي فعليه لعنةُ الله**»(١).

فأيُّ سبٍّ لصاحبِ رسول الله ﷺ أعظم مِن تكذيبه في الرِّوايةِ عن رسول الله ﷺ؟! وإنه لَمِن أصدقِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ وأحفظِهم عنه، وأرواهم لنواسخِ أحاديثِه، والأحدثِ فالأحدثِ مِن أمرِه؛ لأنه أسلمَ قبل وفاةِ النبيِّ ﷺ بنحوٍ مِن ثلاثِ سنين، بعدما أَحكمَ اللهُ لرسولِهِ ﷺ أكثرَ أمرِ الحدودِ والفرائضِ والأحكامِ.

وكيف يتَّهمُه عمرُ بالكذبِ علىٰ رسولِ الله ﷺ وهو يستعمِلُه علىٰ الأعمالِ النفيسةِ، ويوليِّه الولاياتِ؟! ولو كان عند عمرَ رضي الله عنه كما ادَّعىٰ المُعارِضُ؛ لم يكن بالذي يأتَمِنُه علىٰ أمورِ المسلمين، ويولِّيه أعمالَهم مرَّةً بعد مرَّةٍ، حتىٰ دعاه آخرَ ذلك إلىٰ العملِ فأبىٰ عليه.

---

(١) روي نحوه من حديث: ابن عباس، وابن عمر، وأبي هريرة، وجابر رضي الله عنهم؛ ولكن لا تخلو أسانيدها من الضَّعف.

- وروىٰ أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠ و١١)، وابن أبي عاصم في «السُّنة» (١٠٠١)، عن عطاء بن أبي رباح، عن النبي ﷺ: « .. **مَن سَبَّ أصحابي فعليهِ لَعنةُ الله**». وإسناده صحيح، ولكنه مرسل.

قال العُقيلي في «الضعفاء» (٧٩٠): هذا يروىٰ عن عطاء مرسل، وفي النهي عن سبِّ أصحاب رسول الله ﷺ أحاديث ثابتة الأسانيد من غير هذا الوجه، وأما اللعن فالرواية فيه لينة. اهـ

* وانظر: «الشريعة» للآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٥٧/ باب ذكر اللعنة علىٰ مَن سبَّ أصحاب رسول الله ﷺ)، وانظر تعليقي عليه ففيه زيادة بيان.

٢٦٣- **حدثناه** موسىٰ بن إسماعيل، عن أبي [٤٣/ ب] هلال الراسبي، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة ﵁، عن عمر ﵁ (١).

ثم عَرَفَه أصحابُ النبيِّ ﷺ بكثرةِ الرِّواياتِ عن النبيِّ ﷺ، وثبَّتوه في ذلك، منهم: طلحةُ بن عبيد الله، وابنُ عمر ﵃، وغيرهما.

وروىٰ عنه غيرُ واحدٍ مِن الصحابةِ آثارًا عن رسول الله ﷺ، منهم: عبدُ الله بن عباس، وجابرُ بن عبد الله، وابنُ عمر، وأنسُ بن مالكٍ ﵃.

ولو كان عندهم مِن عِداد الكذَّابين - كما ادَّعيتَ عليه - لم يكونوا يَستحلُّون الرِّواية عنه.

ثم قد رَوىٰ عنه مِن أعلامِ التابعينَ مِن أهلِ المدينةِ، ومكةَ، وبصرةَ، والكوفةِ، والشامِ، واليمنِ عددٌ كثيرٌ لا يُحصون؛ منهم: سعيدُ بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعروةُ بن الزبير، وعُبيدُ الله بن عبد الله بن عُتبة، وعطاءٌ، وطاوسٌ، ومجاهدٌ، وعلقمةُ بن قيس، وقيسُ بن أبي حازم، والشعبيُّ، وإبراهيم، وأبو إدريس الخولاني من أهل الشام، ومَن لا يُحصون مِن هذه الكُوَر (٢)، قد رووا الكثيرَ عن أبي هريرة ﵁، واحتجُّوا به، واستعملوا روايتَه، ولو عرفوا منه ما ادَّعىٰ المُعارِضُ ما حدَّثوا المسلمين عن

---

(١) رواه معمر في «جامعه» (٢٠٦٥٩/ «مصنف عبد الرزاق»)، عن معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين: أن عمر بن الخطاب ﵁ استعمل أبا هريرة ﵁ علىٰ البحرين ... الأثر وفيه قصَّة.

ورواه أبو عُبيد في «الأموال» (٦٦٧)، وعنه ابن زنجويه في «الأموال» (٩٩٦)، وهو صحيح.

(٢) أي: الدور.

أكذبِ المُحدِّثين(١).

فاتَّقِ اللهَ أيُّها المُعارِضُ، واسْتغفِره ممَّا ادَّعيتَ علىٰ صاحِبِ رسول الله ﷺ المعروف بخلافِ ما رميتَه، ولو كان لك سُلطانٌ صارِمٌ يَغضبُ لأصحابِ رسولِ الله ﷺ لأوجعَ بطنَكَ وظهرَكَ، وأثَّرَ في شَعرِك وبَشَرِك، حتىٰ لا تعودَ تسُبُّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، ولا ترميهم بالكذبِ عن غيرِ ثبتٍ(٢).

---

(١) في «الإصابة» (٤/ ٢٠٣) قال الشافعي: أبو هريرة رضي الله عنه أحفظُ مَن روىٰ الحديث في دهرِه.

- وقال البخاري رحمه الله: روىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه نحو من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم.

- قال علي بن المديني رحمه الله في «عقيدته» (٣٨): إذا رأيتَ الرجلَ يُحبُّ أبا هريرة رضي الله عنه، ويدعو له، ويترحَّمُ عليه؛ فارجُ خيرَه، واعلم أنه بَرِيءٌ مِن البدع. اهـ

(٢) قال حرب الكرماني رحمه الله في «عقيدته»: هذا مذهبُ أئمَّةِ العلمِ، وأصحابِ الأثرِ، وأهلِ السُّنَّةِ وأدركتُ مَن أدركتُ مِن علماءِ أهلِ العراقِ، والحِجازِ، والشامِ وغيرهم عليها ... فمَن سَبَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، أو أحدًا منهم، أو تنقَّصَه، أو طعنَ عليهم، أو عرَّضَ بِعيبِهم، أو عابَ أحدًا مِنهم بقليلٍ أو كثيرٍ؛ أو دِقٍّ أو جِلٍّ، ممَّا يُتطرَّقُ به إلىٰ الوقيعةِ في أحدٍ منهم؛ فهو مُبتدعٌ، رَافِضيٌّ، خَبيثٌ، مخالفٌ، لا قَبِلَ اللهُ صرفَه، ولا عدلَه، بل حبُّهم سُنةٌ، والدعاءُ لهم قربةٌ، والاقتِداءُ بهم وسِيلةٌ، والأخذُ بآثارِهم فضيلةٌ.

وقال: لا يجوزُ لأحدٍ أن يذكُرَ شيئًا مِن مساوئهم، ولا يطعنَ علىٰ أحدٍ منهم بعيبٍ، ولا بنقصٍ، ولا وقيعةٍ، فمَن فعل ذلك؛ فالواجبُ علىٰ السُّلطانِ: تأديبُه، وعقوبتُه، ليس له أن يعفوَ عنه؛ بل يُعاقِبُه ثم يستتيبُه، فإن تاب قَبِلَ منه، وإن لم يَتُب؛ ⇐

٢٦٤- حدثنا أبو الأصبغ عبد العزيز بن يحيىٰ الحرَّاني، عن محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن مالك ابن أبي عامر، عن طلحة بن عبيد الله ﵁، قال: والله ما أشُكُّ أنَّ أبا هريرة سَمِعَ مِن رسول الله ﷺ ما لم نَسمع؛ كنَّا نحنُ قومًا لنا غناءٌ وبُيوتاتٌ، وكُنَّا إنما نأتي رسولَ اللهِ ﷺ طرَفَي النهارِ، وكان مِسكينًا لا أهلَ له، ولا مالَ، وإنما يده مع يدِ رسول الله ﷺ، يأكلُ معه حيث كان، فوالله ما نَشُكُّ أنه سَمِعَ منه ما لم نسمع، ولا نجِدُ أحدًا فيه خيرٌ يقول علىٰ رسولِ الله ﷺ ما لم يَقُل(١).

٢٦٥- حدثنا أحمد بن يونس، عن عاصم بن محمد العمري، عن أبيه، عن ابن عمر ﵄: أنه كان إذا سمِعَ حديث أبي هريرة ﵁، قال: والله إنا لَنعرِفُ ما يقولُ أبو هريرة، ولكن نَجبُنُ ويَجترئُ(٢).

= أعادَ عليه العقوبةَ، ثم خلَّدَه الحبس حتىٰ يتوبَ، ويُراجِعَ، فهذا السُّنةُ في أصحابِ محمدٍ ﷺ. اهـ

(١) رواه الترمذي (٣٨٣٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلَّا من حديث محمد بن إسحاق. وقد رواه يونس بن بكير، وغيره عن محمد بن إسحاق. اهـ

(٢) إسناده صحيح.

ورواه أبو داود (١٢٦٢) عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا صلَّىٰ أحدُكم الركعتينِ قبل الصُّبْح فليضطَجع علىٰ يمينه**»، فقال له مروانُ بن الحكم: أما يُجزئ أحدَنا ممشاه إلىٰ المسجدِ حتىٰ يضطجع علىٰ يمينه؟

قال عُبيد الله في حديثه: قال: لا.

قال: فبلغ ذلك ابنَ عمر ﵄ فقال: أكثرَ أبو هريرة علىٰ نفسه.

قال: فقيل لابنِ عمر ﵄: هل تُنكِرُ شيئًا مما يقول؟ =

٢٦٦- حدثنا مسدد، ثنا هُشيم، عن يعلىٰ بن عطاء، عن الوليد بن عبد الرحمن، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مَرَّ بأبي هريرةَ رضي الله عنه وهو يُحدِّثُ، فقال: لم يكن يَشغَلُني عن رسول الله ﷺ غَرسُ الوَدِيِّ(١)، ولا سَفقٌ(٢) بالأسواقِ، إنما كنتُ أطلبُ مِن رسولِ الله ﷺ أكلةً يُطعمُنيها أو كلمةً يُعلِّمُنِيها.

فقال ابنُ عمر: صدقتَ يا أبا هريرة، كنتَ ألزَمَنا لرسولِ اللهِ ﷺ، وأعلمَنا بحديثِهِ(٣).

=

قال: لا، ولكنه اجترأ وجَبُنَّا.

قال: فبلغ ذلك أبا هريرة رضي الله عنه، قال: فما ذنبي إن كنتُ حَفِظتُ ونَسُوا؟!

- وروىٰ الحاكم (٣/ ٢٥٣) عن أبي وائل، عن حُذيفة رضي الله عنه قال: قال رجلٌ لابن عمر رضي الله عنهما: إن أبا هريرة رضي الله عنه يُكثر الحديث عن رسول الله ﷺ.

فقال ابن عمر: أُعيذُكَ باللهِ أن تكون في شكٍّ ممَّا يجيء به؛ ولكنه اجْتَرأ وجَبُنَّا.

(١) قال أبو عُبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «غريب الحديث» (٤/ ٢٠٢): قال الأصمعي: (الوَديّ): هو صغار النخل، واحدتها وديّة. اهـ

(٢) في «لسان العرب» (١٠/ ١٥٩): يُروىٰ بالسِّينِ والصَّادِ، يُريد: صَفقَ الأكُفِّ عند البيع والشراء.

(٣) رواه أحمد (٤٤٥٣)، وذكر فيه سبب هذا القول.

ورواه الترمذي (٣٨٣٦) مقتصرًا علىٰ قول ابن عمر رضي الله عنهما: صدقت يا أبا هريرة ... إلخ. وقال: حسن.

- وروىٰ البخاري (١١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدَّثتُ حديثًا .. إن إخواننا من المهاجرين =

٢٦٧- **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، [٤٤/ أ] عن إسماعيل بن جعفر المُزَكِّي، عن عَمرو بن أبي عَمرو، عن سعيد المَقبري، عن أبي هريرة ﵁، قال: قلت: يا رسول الله، مَن أسعدُ الناسِ بشفاعتِك؟

فقال رسول الله ﷺ: «**ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يَسألَني عن هذا الحديث**

=

كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون.

- وروىٰ (١١٩) عن أبي هريرة ﵁، قال: قلت: يا رسول الله، إني أسمع منك حديثًا كثيرًا أنساه.

قال: «**ابسط رداءك**»، فبسطته، قال: فغرفَ بيديه، ثم قال: «**ضُمَّه**»، فضممته، فما نسيتُ شيئًا بعده.

- وروىٰ عبد الله في «زوائد المسند» (٢١٢٦١)، وابن حبان (٧١٥٥) عن أُبيٍّ ﵁ قال: كان أبو هريرة جَريئًا علىٰ النبي ﷺ، يسأله عن أشياء لا نسأله عنها.

قلت: الطعن في الصحابي الجليل أبي هريرة ﵁ ومحاولة التشكيك في مرويَّاته مِن علامة أهل البدع قديمًا وحديثًا، ولا يزالُ مُستمرًّا إلىٰ عصرنا هذا.

وهم في الحقيقة لا يريدون ذات أبي هريرة ﵁ وإنما يريدون الطعن في الأحاديث، ومحاوله إطفاء السنة النبوية، فإن الناس إذا قبِلوا الطعن فيه سهل عليهم الطعن فيمن دونه رواية من الصحابة ﵃.

ولا يزال أهل السنة ومُعظِّمو الحديث والأثر يكشفون زيفَ هذه الطعونات، ويُبيِّنون ما فيها مِن الكذبِ والبُهتانِ والافتراءات.

ومِن هذا الباب: ما سَطَّره المُعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الأنوار الكاشفة» من الدفاع عن هذا الصحابي الجليل، فانظره إن أردت الاستزادة.

أحدٌ أوَّلَ منك؛ لِمَا رأيتُ مِن حرصِكَ علىٰ الحديثِ، أسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ: مَن قال: لا إله إلَّا الله خالصًا مِن قِبَلِ نفسِهِ»(١).

أفلا يُراقِبُ امرؤٌ ربَّه فيَكُفَّ لسانَه، ولا يُكذِّبَ(٢) رجلًا أحفظَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ فيرميه بالكذبِ عن غيرِ ثبتٍ ولا صِحَّةٍ.

وكيف يَصحُّ عند هذا المُعارِضِ كذِبُه، وقد ثبَّتَه مثلُ: طلحةَ بن عُبيدِ الله، وعبدِ الله بن عمرَ؟

لو عضَّ هذا الرجلُ علىٰ حَجَرٍ، أو علىٰ جَمرةٍ حتىٰ تُحرِقَ لسانَه، كان خيرًا له ممَّا تأوَّلَ علىٰ صاحِبِ رسولِ الله ﷺ(٣).

---

(١) رواه أحمد (٨٨٥٨)، والبخاري (٩٩ و٦٥٧٠).

(٢) في (ب): (يقذف).

(٣) وممَّن يطعن في مرويات أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك: أهل الرأي الأحناف، فإنهم كثيرًا ما يردون رواياته إذا خالفت أقواله وآراءه بحُجَّة أنه غير فقيهٍ !!

- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مختصر «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٦١٨) وهو يرد علىٰ الطوائف الذين يَردون حديث رسول الله ﷺ: (والطائفة الحادية عشر): ردوه إذا كان الراوي له من الصحابة غير فقيهٍ بزعمهم، وقَبِلوه إذا كان فقيهًا، وبمثل ذلك ردوا رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا خالفت آراءهم، قالوا: لم يكن فقيهًا.

وقد أفتىٰ في زمن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأقرَّه علىٰ الفتوىٰ، واستعمله نائبًا علىٰ البحرين وغيرها. ومِن تلاميذه: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره من الصحابة. وسعيد بن المسيب وغيره مِن التابعين.

قال البخاري: روىٰ العلم عنه ثمانمائة ما بين صاحبٍ وتابع، وكان من أعلم الصحابة بالحديث، وأحفظهم له.

=⇦

٢٦٨- وادَّعىٰ المُعارِضُ أيضًا: **(أنه سَمِعَ أبا الصَّلتِ[(١)] يَذكُرُ أنه كان لمُعاوية بن أبي سُفيان رضي الله عنه بيتٌ يُسمَّى: «بيتَ الحِكمةِ»، فمَن وجدَ حديثًا ألقاه فيه، ثم رُويت بَعدُ[(٢)])**.

فهذه حكايةٌ لم نَعرِفها، ولم نجِدها في الرِّواياتِ، فلا تدري عمَّن رواها أبو الصَّلتِ، فإنه لا يأتي به عن ثقةٍ.

فقد كان معاويةُ رضي الله عنه معروفًا بقلَّةِ الرِّوايةِ عن رسولِ الله ﷺ، ولو شاءَ لأكثرَ، إلَّا أنه كان يتَّقي ذلك ويتقدَّمُ إلىٰ الناسِ يَنهاهم عن الإكثارِ علىٰ رسول الله ﷺ، حتىٰ إن كان ليقولُ: اتقوا مِن الرِّواياتِ عن رسولِ الله ﷺ

= وكان قارئًا للقرآن، وكان عربيًّا، والعربية طبعه، وكان الصحابة يرجعون إلىٰ روايته ويعملون بها، نعم كان فقهه نوعًا آخر غير الخواطر والآراء.

قال الشافعي: ناظرت محمدًا [يعني: الشيباني] في مسألة المُصرَّاة، فذكرت الحديث، فقال: هذا خبرٌ رواه أبو هريرة. وكان الذي جاء به شرًّا مما فرَّ منه، أو كما قال. اهـ

(١) الظاهر أن أبا الصلت هذا هو عبد السلام بن صالح بن سُليمان الهروِي.

قال زكريا بن يحيىٰ الساجي: يُحدِّث بمناكير، هو عندهم ضعيف.

وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال أبو أحمد بن عدي: له أحاديث مناكير في فضل أهل البيت، وهو مُتَّهم فيها. انظر: «تهذيب الكمال» (١٨/ ٨٠).

(٢) ممَّن ذكروا عنه أن له بيتًا يُسَمُّونه (بيت الحكمة): الخليفة العباسي المأمون، وكان إذا أعجب بكلام أو حكمة، قال: اكتبوا هذا الكلام، وخَلِّدوه بـ«بيتِ الحِكمةِ».

انظر: «الإبانة الكبرىٰ» (٦٩٤).

إلَّا ما كان يُذكَرُ منها في زمنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن عمر كان يخوِّفُ الناسَ في اللهِ(١).

---

(١) ذكر ابن الوزير أحاديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبيَّن أنه لم ينفرد بها.

فقال في «العواصم والقواصم» (٣/ ١٦٣): (وبعد هذه القواعد أذكر لك ما يُصدّقها من بيان أحاديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الكتب الستة» لتعرف ثلاثة أشياء: عدم انفراده فيما روىٰ، وقِلَّة ذلك، وعدم نكارته).

ثم ذكر أحاديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبيَّن من تابع معاوية من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم علىٰ روايتها، ثم قال (٣/ ٢٠٧): (فهذا جميع ما لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الكتب الستة»، و«مُسند أحمد» حسب معرفتي، وجملتها: (سُتُّون حديثًا) ما صحَّ عنه، وما لم يصحّ، المُتَّفق علىٰ صحَّته عنه أربعة ...)، إلىٰ أن قال: (وهو مُقلٌّ جدًّا بالنظر إلىٰ طول مُدَّته، وكثرة مُخالطته، وليس فيما يصحُّ عنه بوفاق شيء يوجب الريبة والتُّهمة، ولا فيما رواه غيره من أصحابه، فبان أن الأمر قريب من قبل حديثهم، فلم يقبل منه حديثًا منكرًا ...) إلىٰ آخر ما قال.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ٦٦): وقد عُلِمَ أن معاوية وعَمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيرهما كان بينهم من الفتن ما كان، ولم يَتَّهمهم أحدٌ مِن أوليائهم، لا محاربوهم، ولا غير محاربيهم بالكذب علىٰ النبيِّ ﷺ، بل جميع علماء الصحابة والتابعين بعدهم مُتَّفقون علىٰ أن هؤلاء صادقون علىٰ رسول الله ﷺ، مأمونون عليه في الرواية عنه، والمنافق غير مأمون علىٰ النبي ﷺ، بل هو كاذبٌ عليه، مُكَذِّبٌ له. اهـ

واعلم أن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لا يزال مِحنة لأهل البدع، يتكلَّمون عليه، ويطعون فيه ليتوصلوا للطعنِ في بقية أصحاب النبي ﷺ.

- ففي «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٩) قال ابن المبارك: معاوية عندنا مِحنة، فمن رأيناه ينظر إلىٰ معاوية شزرًا؛ اتهمناه علىٰ القوم. - يعني: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم -.

=⇦

٢٦٩- حدثنا ابن صالح، عن معاوية بن صالح ... وساقه بإسناده(١).

وهذا طعنٌ كبيرٌ مِن المُعارِضِ: أنه كان يجمعُ أحاديثَ الناسِ عن غيرِ ثَبتٍ، فيَجعلُها عن رسولِ الله ﷺ، ولو استحَلَّ معاويةُ رضي الله عنه هذا المذهبَ؛ لافتعلَها مِن قِبَلِ نفسِه، ونحلَها رسولَ الله ﷺ، فكان يُقبلُ منه، لِمَا أنه عُرِفَ بصحبةِ رسولِ الله ﷺ، ولم يكن يُنحِلُه قولَ غيرِهِ مِن عوامِّ الناسِ.

ويدُلُّكَ قِلَّةُ رِوايةِ مُعاويةَ عن النبيِّ ﷺ، - وكان كاتبَه - علىٰ تكذيبِ ما رَويتَ عن أبي الصَّلتِ.

فإن كنتَ صَادِقًا، فاكشف عن إسنادِهِ فإنك لا تُسنِدُه إلىٰ ثقةٍ.

=

- وفيه (٥٩/ ٢١٠) قال موسىٰ بن هارون: بلغني عن بعض أهل العلم - وأظنه وكيعًا - أنه قال: معاوية بمنزلة حلقة الباب، مَن حرَّكه اتَّهمناه علىٰ مَن فوقه.
- وفي «تاريخ بغداد» (١/ ٥٧٧) قال الربيع بن نافع: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سِتر أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا كَشَفَ الرجل السِّتر اجترأ علىٰ ما وراءه.
- وفي «تهذيب الكمال» (١/ ٣٣٩) قال أبو علي الحسن بن أبي هلال: سُئل أبو عبد الرحمنِ النسائي عن معاوية رضي الله عنه صاحب رسول اللهِ ﷺ.

فقال: إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة رضي الله عنهم.

فمَن آذىٰ الصحابة إنما أراد الإسلام، كمَن نقر الباب إنما يريد دخول الدار.

قال: فمَن أراد معاوية رضي الله عنه فإنما أراد الصحابة رضي الله عنهم.

(١) رواه أحمد (١٦٩١٠)، ومسلم (١٠٣٧)، ولفظه: قال معاوية رضي الله عنه: إياكم وأحاديث، إلَّا حديثًا كان في عهد عمر رضي الله عنه، فإن عمر كان يخيف الناس في الله عَزَّوَجَلَّ.

٢٧٠- وكذلك ادَّعيتَ علىٰ عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما، وكان مِن أكثرِ أصحابِ النبيِّ ﷺ رِوايةً عنه، معروفًا بـذلك، فزعمـتَ: **(أنه أصابَ يومَ اليرموكِ زامِلتينِ[(١)] مِن كُتُبِ أهلِ الكتابِ، فكان يرويها للناسِ عن النبيِّ ﷺ[(٢)])**.

---

(١) في «العين» (٣/ ٣٧١): (الزَّاملة): البعير يُحْمَل عليه الطعامُ والمتاع. اهـ

(٢) هذا مِن كَذِبِ المُفتري علىٰ الصحابي الجليل عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما بأنه كان يُحدّث الناس بما في الكُتب التي أخذها ثم يَنسِبُها إلىٰ النبي ﷺ.

- قال المُعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الأنوار الكاشفة» (ص ١٧٣) مُعلِّقًا علىٰ قول ابن كثير في هذه الصُّحُف: (إن منها المعروف والمشهور، والمُنكر والمردود).

أقول: هو نفسه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يكن يثق بها، ولهذا كان يُسمِّي صحيفته عن النبي ﷺ: (الصادقة) تمييزًا لها علىٰ تلك الصُّحُف، وإنما كان يحكي مِن تلك الصُّحف ما قام دليلٌ علىٰ صِدقه، كصفةِ النبيِّ ﷺ، أو كان مُحتملًا فيحكيه علىٰ الاحتمال. اهـ

- وقال ابن الأثير في «النهاية» (١/ ٢٢٥): وفي حديث ابن عَمرو رضي الله عنهما: (من أشراط الساعة أن يقرأ فيما بينهم بالمُثنَّاة، ليس أحد يُغيّرها. قيل: وما المُثنَّاة؟ قال: ما استُكتِبَ من غيرِ كتاب الله تعالىٰ.

وقيل: إن (المُثنَّاة): هي أن أحْبَار بني إسرائيل بعد موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وضعوا كتابه فيما بينهم علىٰ ما أرادوا مِن غير كتابِ الله فهو المُثنَّاة.

فكأنَّ ابن عَمرو رضي الله عنهما كرِهَ الأخذ عن أهلِ الكتاب، وقد كانت عنده كتبٌ وقعت إليه يوم اليرموك منهم، فقال هذا لمعرفته بما فيها. اهـ

وقد نبَّه علىٰ هذا القاضي أبو يعلىٰ في «إبطال التأويلات» (١/ ٢٦٥)، فقال: فإن قيل: فقد قيل: إن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما أصاب وسقين يوم اليرموك، وكان فيها مِن كُتب الأوائل مثل: «دانيال» وغيره، فكانوا يقولون له إذا حدَّثهم: (حدثنا ما سمعتَ مِن رسول الله ﷺ، ولا تُحدِّثنا مِن وسقيك يوم اليرموك)، فيحتمل أن ⇦

وكان يُقالُ له: لا(١) تُحدِّثنا عن الزامِلتينِ؟(٢)).

ويحكَ أيُّها المُعارِضُ ! إن كان عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما أصابَ زَاملتينِ مِن حديثِ أهلِ الكتابِ يومَ اليرمُوك، فقد كان مع ذلك أمينًا عند الأُمَّةِ على حديثِ النبيِّ ﷺ أن لا يجعلَ ما وجد في الزَّاملتين عن رسولِ الله ﷺ، ولكن كان يَحكي عن الزَّاملتين ما وجَدَ فيهما، وعن النبيِّ ﷺ ما سَمِعَ منه، لا يُحيلُ ذاك على هذا، ولا هذا على ذاك، كما [٤٤/ب] تأوَّلتَ عليه بجهلِكَ،

= يكون هذا القول مِن جُملة تلك الكتب فلا يجب قبوله.

وكذلك كان وهب بن مُنبِّه يقول: إنما ضلَّ مَن ضلَّ بالتأويل.

ويرون في كتب «دانيال» أنه لما علا إلى السماء السابعة فانتهوا إلى العرشِ، رأى شخصًا ذا وفرةٍ فتأوَّل أهل التشبيه على أن ذلك ربّهم، وإنما ذلك إبراهيم.

قيل: هذا غلطٌ لوجوهٍ:

وذكر منها: أنه لا يجوز أن يظنّ به ذلك؛ لأن فيه إلباسًا في شرعنا، وهو أنه يروي لهم ما يظنُّوه شرعًا لنا، ويكون شرعًا لغيرنا، ويجب أن نُنَزِّه الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك. اهـ

(١) في الأصل: (ألا)، وما أثبتناه من (ج).

(٢) يُشير إلى ما رواه الحُميدي في «مسنده» (٦٠٦) عن الشعبي، قال: جاء رجل إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وأنا عنده، فجعل يتخطَّى رقاب الناس حتى جلس بين يديه، ثم قال: حدثني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ، ولا تحدثني عن العِدلين، فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**المسلمُ مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمُهاجِرُ مَن هجَرَ السُّوء**». وهو حديث صحيح.

ونحوه في «المسند» (٦٨٣٥ و٦٩٥٣) وفيهما ضعف.

والله سائِلُك عنه(١).

(١) فيه الردّ علىٰ من زعم أن كلَّ ما يرويه عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما عن بني إسرائيل فهو من قبيل المرفوع.

وفيه كذلك تنزيه الصحابة رضي الله عنهم أن يرووا عن بني إسرائيل وينسبوها إلىٰ النبي ﷺ، وإنما يروون عن بني إسرائيل في حدود ما أذن لهم النبي ﷺ بقوله: **«حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»**. رواه البخاري (٣٤٦١).

وقد توسَّع بعض المتأخِّرين في ردِّ كل ما روي عن الصحابة رضي الله عنهم مِن أمور صفاتِ الله تعالىٰ وأُمور الغيبيات بحُجَّةِ أنها مُتلقَّاة عن بني إسرائيل، وهذا طعنٌ في الصحابة رضي الله عنهم، ولهذا قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٤٥١) وهو يردّ علىٰ مثل هذه الفرية عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهي كذلك في سائر الصحابة رضي الله عنهم: وأيضًا فعِلْمُ ذلك لا يؤخذ بالرأي وإنما يقال توقيفًا، ولا يجوز أن يكون مُستند ابن عباس رضي الله عنهما أخبار أهل الكتاب الذي هو أحد الناهين لنا عن سؤالهم، ومع نهي النبي ﷺ عن تصديقهم أو تكذيبهم، فعُلِمَ أن ابن عباس رضي الله عنهما إنما قاله توقيفًا من النبي ﷺ، ففي «صحيح البخاري»، عن ابن شهاب، عن عبيد الله، عن عبد الله: أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيءٍ وكتابكم الذي أُنزل علىٰ رسولكم أحدث الكتب عهدًا بالرحمن، تقرؤونه محضًا لم يُشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدَّلوا من كتب الله وغيَّروا ... وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويُفسِّرونها بالعربية لأهل الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: **«لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ»**.

فمعلوم مع هذا أن ابن عباس رضي الله عنهما لا يكون مُستندًا فيما يذكره من صفات الربِّ أنه يأخذ ذلك عن أهل الكتاب، فلم يبق إلَّا أن يكون أخذ من الصحابة رضي الله عنهم الذين أخذوه من النبي ﷺ. اهـ

⇐=

=

- وقال المُعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الأنوار الكاشفة» (ص ١٦٨): هل يجوز رواية الإسرائيليات؟

أقول: المعلوم دينًا وعقلًا أن الأخبار إنما تُحظر روايتها إذا ترتَّبت عليها مفسدة، وقد كثُر في القرآن والسُّنة حكاية ما هو حقٌّ مِن الإسرائيليات، وحكاية ما هو باطلٌ مع بيان بُطلانه، فدلَّ ذلك علىٰ جواز ما كان مِن هذا القبيل، وبقي المُحتمل، وما لا تظهر مفسدة في روايته علىٰ أنه مُحتمل.

وقال: أمَّا قوله: «**لا تسألوا أهل الكتاب إنهم لن يَهدُوكم، وقد ضلُّوا، فإنَّكم إمَّا أن تُصدِّقُوا بباطِلٍ، أو تُكذِّبُوا بحقٍّ، فإنه لَو كانَ موسىٰ حيًّا بين أظهرِكُم، ما حَلَّ له إلَّا أَنْ يَتَّبِعني**»، فقد بيَّن أن العِلَّة هي: خشية الكذبِ بحقٍّ أو التصديق بباطلٍ، والعالم المُتمكِّن مِن معرفة الحقِّ مِن الباطلِ ومِن المحتمل بمأمنٍ مِن هذه الخشية.

يوضح ذلك: أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .. كان بعد النبي ﷺ يسمع من مُسلمي أهل الكتاب، ورُبّما سألهم، وشاركه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، ولم يُنكر ذلك أحدٌ.

وقال: في «صحيح البخاري»: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويُفسِّرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تُصدِّقوا أهل الكتاب، ولا تكذِّبوهم** ... إلخ»، فلم يَنْه عن السماعِ والاستماع، وإنما نهىٰ عن التصديق والتكذيب، ولا ريب أن النهيّ عنه هو التصديق المبنيّ علىٰ حُسن الظنِّ بصحفهم، والتكذيب المبنيّ علىٰ غير حُجّة، فلو قامت حُجّة صحيحة وجب العمل بها.

وقال علىٰ ما رواه البخاري ... عن ابن عباس رضي الله عنهما: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيءٍ وكتابكم الذي أنزل الله علىٰ رسول الله ﷺ ... إلخ.

أقول: هذا مِن قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقد علمنا أنه كان يسمعُ ممَّن أسلم مِن أهل الكتاب، وقد روي أنه سأل بعضهم .. وبالتدبُّر يظهر مقصوده، ففي بقية عبارته: (لا والله ما رأينا رجلًا منهم يسألكم عن الذي أنزل إليكم)، فدلَّ هذا أن

=

٢٧١- فأقصر أيُّها الرجلُ مِن طعنِكَ علىٰ أصحابِ رسولِ الله ﷺ في الرِّواياتِ، فإنهم لو كانوا عند الأُمَّةِ في موضعِ الجرحِ كما ادَّعيتَ عليهم، وليسوا كذلك؛ ما كانت لك حُجَّةٌ علىٰ ألفٍ سِواهم مِن المُهاجرين والأنصار، ممَّن لا تجدُ سبيلًا إلىٰ الطعنِ عليهم، وقد رَووا مِن ذلك ما يَغيظك.

وقد اجتمعتِ الكلمةُ مِن جميعِ الفُقهاءِ: أن شهاداتِ العُدولِ إذا شَهِدَ

= كلامه في أهل الكتاب الذين لم يُسلموا، فأمَّا الذين أسلموا فعَمَل ابن عباس يقتضي أنه لا بأس للعالم المُحقِّق - مثله - أن يسأل أحدهم. اهـ

- وقال (ص ١٨٣): مَن أسلم مِن أهل الكتاب، وظهر حُسن إسلامه وصلاحُه، فأخبر عن صُحُفِ أهل الكتاب بشيءٍ، فلا إشكال في تصديق بعض الصحابة ﷺ له في ذلك، بمعنىٰ ظنَّ أن معنىٰ ذاك الخبر موجود في صحف أهل الكتاب، وإنما المدفوع تصديق الصحابة ما في صحف أهل الكتاب حينئذٍ مع علمهم بأنها قد غُيِّرت وبُدِّلت، وقول النبي ﷺ: «**لا تصدِّقوا أهلَ الكتاب، ولا تُكذِّبوهم**». وقد مرَّ كلام ابن عباس ﷺ وغيره في ذلك، فالحقّ أنهم لم يكونوا يُصدِّقونها إلَّا أن يوجد دليل علىٰ صدقها، وذلك كخبر عبد الله بن عَمرو ﷺ عن صفة النبي ﷺ في التوراة، ولذلك أقسم عليه، فأمَّا ماعدا ذلك فغاية الأمر أنهم إذا وجدوا الخبر لا يدفعه العقل ولا الشرع، ولا هو من مظنّة اختلاق أهل الكتاب وتحريفهم أَنِسُوا به، فإن كان مع ذلك مناسبًا في الجُملة لآيةٍ من القرآن، أو حديث عن النبيِّ ﷺ مالوا إلىٰ تصديقه، وإخبار الإنسان عمَّا يعلم السامعون أنه لم يدركه لا يعطي أنه جازم تصديقه؛ لأن مثل هذا الخبر كالمتضمِّن لقوله: (بلغني). اهـ

- وسيأتي برقم (٢٧٧) زيادة بيان في نقض هذه الدعوىٰ تحت أثر عبد الله بن عمرو ﷺ في خلق الملائكة من نور الذراعين والصدر.

معهم مَن ليس بعدلٍ لا يَسقُطُ.

ولا يُجعلُ مَثَلُ السَّوءِ بأصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، وكلُّهم بحمدِ اللهِ عُدُولٌ، يُؤتمنون علىٰ عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، والمجروحُ مَن جَرَّحَهم(١).

ولا يُزيَّفُ مائةُ ألفِ حديثٍ مشهورةٌ محفوظةٌ مأثورةٌ عن الثِّقاتِ إذ وُجِدَ فيها مائةُ حديثٍ مُنكرَةٌ، ولا يُجرَحُ ألفُ رجلٍ مِن أهلِ الإتقانِ والحفظِ في الرِّوايةِ، إذ وُجِدَ فيهم عشرون رجُلًا يُنسبون إلىٰ الغفلةِ والنِّسيانِ وقِلَّةِ الإتقانِ.

فاربحِ العناءَ فيما ليس لك فيه شِفاءٌ، وكما لا يُبهرجُ مائةُ دينارٍ إذا وُجِدَ دينارانِ زائفانِ، ولا نحكمُ علىٰ جماعةٍ [من] المُسلمين بالجرحِ إذ وُجِدَ فيهم مَجروحانِ، ولكن نُزيِّفُ الزائفةَ منها، ونُروِّجُ المُنتقدةَ.

فما تصنعُ بهذه العَمَاياتِ والأُغلُوطاتِ التي لا تُجدي عليك شيئًا؟!

فإنه لا يُتركُ طلبُ العلمِ والآثارِ بخُرافاتِكَ هذه، ولو كان المذهبُ فيه ما

---

(١) قال الخطيب البغدادي في «الكفاية في علم الرواية» (ص٤٦): (باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة، وأنه لا يحتاج للسؤال عنهم، وإنما يجب ذلك فيمن دونهم: كل حديث اتَّصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ، لم يلزم العمل به إلَّا بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم، سوىٰ الصحابي الذي رفعه إلىٰ رسول الله ﷺ؛ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نصِّ القرآن .. ثم ساق الأدلة علىٰ ذلك، وذَكَرَ مَن خالف ذلك من أهل البدع.

تأوَّلتَ؛ لحَرُمَ طلبُ العلمِ علىٰ أهلِهِ، ولكان بَدَلَ[١] قول رسول الله ﷺ: «طلبُ العلمِ فريضةٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ»[٢]، أن تركَه فريضةٌ علىٰ كلِّ مُسلمٍ.

وبَدَلَ قولِه: «تضعُ الملائكةُ أجنِحتَها لطالبِ العلمِ رِضًا بما يَطلُبُ»[٣]:

---

(١) في الأصل: (يدل)، وما بعده من غير نقط.

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٤)، وأبو يعلىٰ (٢٨٣٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٥٠)، والطبراني في «الأوسط» (٩ و٢٠٠٨ و٢٤٦٢ و٨٣٨١ و٨٨٣٤)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٩١)، والآجري في «فرض طلب العلم» (١٣).

وهذا الحديث مروي عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم بطُرقٍ كثيرة؛ كأنس بن مالك، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وجابر، وأبي سعيد وغيرهم رضي الله عنهم.

ومع كثرة طُرق هذا الحديث فإن كبار أئمة هذا الشأن يضعفونه.

- ففي «منتخب العلل» (٦٢) قال أحمد: لا يثبت عندنا فيه شيء.

- وفي «مسائل الكوسج» (٣٣١١) قال إسحاق بن راهويه: لم يصح الخبر فيه، إلَّا أن معناه قائم، يلزمه علم ما يحتاج إليه من وضوئه، وصلاته، وزكاته إن كان له مال، وكذلك الحج وغيره، إنما يعني الواجب، أنها إذا وقعت فلا طاعة للأبوين في ذلك، وأما من خرج يبتغي علمًا فلا بدَّ له من الخروج بإذن الأبوين؛ لأنه فضيلة ما لم تحلّ به البلية، والنوافل لا تبتغىٰ إلَّا بإذن الآباء. اهـ

وكذا ضَعَّفه العُقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٥٨ و٢٣٠)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ٢٣).

وقد قوَّاه بعض المُتأخِّرين بكثرة طرقه، قال المزي: إن طرقه تبلغ رُتبة الحَسَن.

وانظر: «فرض طلب العلم» للآجري (٢/ باب فرض طلب العلم علىٰ المسلم).

(٣) رواه أحمد (١٨٠٨٩)، والترمذي (٣٥٣٥) من حديث صفوان بن عسَّال رضي الله عنه.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

أنها تَضَعُها سَخطًا بما يَطلُبُ.

وبَدَلَ قولِه: «يَستغفِرُ لطالبِ العلمِ كلُّ شيءٍ حتىٰ الحوتُ في البحرِ»(١)، أنها تَلعنُه وتدعو عليه، فيَنقلبُ في دعواك معاني الحقِّ إلىٰ الباطلِ، والمعروفُ إلىٰ المُنكرِ.

وقد علِمنا أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يَعنِ بطلبِ العلمِ: عمَاياتِ أصحابِ الكلامِ وأهلِ المقاييس، ولكن عنىٰ به ما يُؤثرُ عنه(٢).

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٣٩)، والآجري في «أخلاق العلماء» (٢٨). وإسناده منقطع، عطاء ابن أبي مسلم الخُراساني لم يسمع من أبي الدرداء رضي الله عنه.
ورواه أحمد من طريق آخر (٢١٧١٥)، والترمذي (٢٦٨٢)، وأعلّه بالانقطاع أيضًا.
وللحديث طرق وشواهد كثيرة يرتقي بها إلىٰ الاحتجاج به.

(٢) قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أن رَجلًا وصَّىٰ بكُتبِه مِن العلمِ لِآخَرَ، وكان فيها كُتبُ الكلامِ، لا تدخل في الوصيّةِ؛ لأنها ليست مِن كُتبِ العِلمِ. ... «مختصر الحُجَّة» (٢١١).

- وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «خلق أفعال العباد» (٢٢٩): المعروف عن أحمد وأهل العلم ... أنهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة، وتجنبوا أهل الكلام، والخوض والتنازع إلَّا فيما جاء فيه العلم، وبَيَّنَه رسول الله ﷺ. اهـ

- وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٤٢): أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصارِ؛ أن أهلَ الكلامِ أهلُ بدعٍ وزيغٍ، ولا يُعَدُّون عند الجميع في طبقاتِ الفقهاء، وإنما العلماء أهل الأثر، والتفقُّه فيه. اهـ

- وقال قوام السُّنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحُجَّة في بيان المحجة» (١/ ٣٠٦): بيان الأمور التي يكون بها الرَّجل إمامًا في الدِّين، وأن أهل الكلام ليسوا مِن العلماء. اهـ

- وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح السُّنة» (١/ ٢١٦): اتَّفق علماء السَّلف مِن =

٢٧٢- أوَليس قد ادَّعيتَ: **(أن الزنادقةَ قد وضعوا اثني عشرَ ألفَ حديثٍ دلَّسُوها على المُحدِّثين؟)** فدونك أيُّها الناقِدُ البصيرُ، الفارِسُ النِّحريرُ(١) فأوجدنا منها اثني عشرَ حديثًا، فإن لم تقدر عليها، فلِمَ تُهجِّنُ(٢) العلمَ والدِّينَ في أعيُنِ الجُهَّالِ بخُرافاتِك هذه؟ لأن هذا الحديث إنما هو دِينُ اللهِ بعد القرآنِ، وأصلُ كلِّ فقهٍ، فمَن طعنَ فيه؛ فإنَّما يطعنُ في دِينِ اللهِ تعالىٰ(٣).

= أهلِ السُّنة علىٰ ... الزَّجرِ عن الخوضِ في علمِ الكلامِ وتعلُّمِه. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ٩٥٢): في كتب أهل الكلام ممَّا يدلُّ علىٰ غاية الجهل بما قاله الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم والتابعون وأئمة الإسلام ممَّا يوجب أن يقال: كأن هؤلاء نشأوا في غير ديار الإسلام، ولا ريب أنهم نشأوا بين من لم يعرف العلوم الإسلامية حتىٰ صار المعروف عندهم مُنكرًا، والمنكر معروفًا، ولبستهم فتنٌ رُبِّيَ فيها الصغير، وهرم فيها الكبير، وبُدِّلت السنة بالبدعة، والحقّ بالباطل. اهـ

وقد جمعت كثيرًا مِن الآثار في النهيِّ عن علمِ الكلام في كتاب «الاحتجاج بالآثار السلفية» (المبحث التاسع: التحذير من الكلام وأهله).

(١) (النحر والنحرير): الحاذق الماهِر العاقل المُجرِّب.

(٢) أي: تعيب وتُقبِّح. وفي (ب): (تمتحن).

(٣) في كتاب «الموضوعات» (١/ ٣٧): هؤلاء الوضَّاعون انقسموا سبعة أقسام:

(القسم الأول): الزنادقة الذين قصدوا إفساد الشريعة، وإيقاع الشكِّ فيها في قلوب العوام، والتلاعب بالدين، كعبد الكريم بن أبي العوجاء .. قال أبو أحمد ابن عدي الحافظ: فلما أُخِذَ ابن أبي العوجاء أتىٰ به محمد بن سليمان بن علي، فأمر بضربِ عُنقه، فلمَّا أيقن بالقتل، قال: والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أُحرِّم فيها الحلال، وأُحِلّ فيها الحرام ...

وذكر عن المهدي أنه قال: أقرَّ عندي رجلٌ من الزنادقة أنه وضع أربعمائة =

=

حديث فهي تجول في أيدي الناس.

قال: لقد ردَّ الله كيد هؤلاء الوضَّاعين والكذَّابين بأخبار أخيار فضحوهم، وكشفوا قبائحهم، وما كذَبَ أحدٌ قطّ إلَّا وافتضح، ويكفي الكاذب أن القلوب تأبىٰ قبول قوله، فإن الباطل مُظلِمٌ، وعلىٰ الحقِّ نورٌ وهذا في العاجل، وأمَّا في الآخرةِ فخسرانهم فيها متحقِّق.

قال سفيان: ما سترَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أحدًا يَكذِبُ في الحديثِ.

- قال أبو الحسن الدارقطني: يا أهل بغداد، لا تظنوا أن أحدًا يقدر يكذب علىٰ رسول الله ﷺ وأنا حيٌّ. اهـ

- وفي «الجرح والتعديل» (٢/ ١٨) قال عبدة بن سليمان: قيل لابن المبارك: هذه الأحاديث المصنوعة؟ قال: يعيش لها الجهابذة.

- وفيه عن يحيىٰ بن يمان، قال: إن لهذا الحديث رجالًا خلقهم الله عَزَّوَجَلَّ منذ يوم خلق السموات والأرض، وإن وكيعًا منهم.

- وفي «تهذيب التهذيب» (١/ ١٥٢) قال إسحاق بن إبراهيم: أخذ الرشيد زنديقًا، فأراد قتله، فقال: أين أنت من ألف حديث وضعتها؟ فقال له: أين أنت يا عدوَّ اللهِ من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك ينخلانها حرفًا حرفًا. اهـ

- قال أبو المُظَّفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الانتصار لأصحاب الحديث» (ص ٩٢): فإن قالوا: فقد كثُرت الآثار في أيدي الناس واختلطت عليهم.

قلنا: ما اختلطت إلَّا علىٰ الجاهلين بها، فأمَّا العلماء بها فإنهم ينتقدونها انتقاد الجهابذة الدراهم والدنانير، فيُميِّزون زيوفها ويأخذون خيارها، ولئن دخل في غمار الرواة من وُسِم بالغلط في الأحاديث؛ فلا يروج ذلك علىٰ جهابذة أصحاب الحديث، ورُتوت العلماء، حتىٰ إنهم عدُّوا أغاليط من غلط في الإسناد والمتون، بل تراهم يعدون علىٰ كل واحدٍ منهم في كم حديث غلط، وفي كم حرفٍ حرَّفَ، وماذا صحَّف فإذا لم تَرُج عليهم أغاليط الرواة في الأسانيد والمتون والحروف فكيف

=

أوَلَم تسمع قولَ رسولِ الله ﷺ أنه جعلَ حديثَه أصلَ الفقه [كله]؛ فقال: «**نَضَّرَ اللهُ عبدًا سَمِعَ مقالتي فوعاها، فرُبَّ حامِلِ فقهٍ إلىٰ مَن هو أفقه منه، ورُبَّ حامِلِ فقهٍ غيرُ فقيهٍ**»(١).

فجعلَ رسولُ الله ﷺ أصلَ الفقهِ كلَّه بعد القرآنِ: حديثَه الذي تَدفعه أنت وإمامُك المَريسيُّ(٢).

=

يروج عليهم وضعُ الزنادقة وتوليدهم الأحاديث؟!

يقول بعض الناس: إن بعض الزنادقة ادَّعىٰ أنه وضع ألوفًا من الأحاديث وخلطها بالأحاديث التي يرويها الناس حتىٰ خفيت علىٰ أهلها.

وما يقول هذا إلَّا جاهل ضالٌّ مبتدعٌ كذابٌ، يُريد أن يُهَجِّن بهذه الدعوىٰ الكاذبة صحاح أحاديث النبي ﷺ وآثاره الصادقة، فيُغَلِّطَ جهّال الناس بهذه الدعوىٰ.

وما احتجَّ مُبتدعٌ في ردِّ آثار رسول الله ﷺ بحُجَّةٍ أوهىٰ منها، ولا أشدّ استحالةً مِن هذه الحُجَّة، فصاحب هذه الدعوىٰ يستحقّ أن يُسَف في فيه الرماد، ويُنفىٰ مِن بلاد الإسلام. اهـ

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وقال: وفي الباب: عن عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وجبير بن مطعم، وأبي الدرداء، وأنس ﷺ.

وقال: حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حديث حسن. اهـ

(٢) انظر: «الشريعة» (١١/ باب الحث على التمسُّكِ بكتابِ الله تعالى، وسُنة رسول الله ﷺ، وسُنة أصحابه رضي الله عنهم، وترك البدع، وترك النظر والجدال فيما يُخالف فيه الكتابُ والسُّنةُ وقولُ الصحابة رضي الله عنهم). و(١٢/ باب التحذير من طوائِف يُعارضون سُنن النبي ﷺ بكتاب الله تعالىٰ وشِدَّة الإنكار علىٰ هذه الطبقة).

و«الإبانة الكبرىٰ» (٢/ باب ذكر ما افترضه الله تعالىٰ نصًّا في التنزيل من طاعة الرسول ﷺ). و(٣/ باب ذكر ما جاءت به السُّنة من طاعة رسول الله ﷺ، ⇐=

٢٧٣- **حدثنا** أحمد بن يونس، ثنا زائدة، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، قال: إنَّ هذا الحديثَ دِينٌ، فانظروا عمَّن تأخذونه(١).

فما ظنُّكَ أيُّها المُعارِضُ إذا لقِيتَ [٤٥/أ] اللهَ تعالىٰ وقد طعنتَ في دِينِهِ؟!

٢٧٤- ثم لم تَقنع بجرحِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ في الرِّواياتِ حتىٰ تعرَّضتَ في التابعين، فقلت: (**ألا ترى أن ابنَ عمرَ رضي الله عنهما قال لغُلامه: انظُر ألَّا تَكذِبَ عليَّ كما كذبَ عِكرمةُ على ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما**(٢)).

= والتحذير من طوائف يعارضون سنن رسول الله ﷺ بالقرآن).

(١) رواه مسلم في «مقدمة صحيحه» (ص ١٤).

- وفي «المُجروحين» (١/ ٧٨)، و«الموضوعات» (١/ ٣٨) عن عبد الله بن يزيد المُقرئ، قال حدثنا ابن لهيعة، قال: سمعت شيخًا من الخوارج تاب ورجع، وهو يقول: إن هذه الأحاديث دِينٌ، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم، فإنَّا كنَّا إذا هوينا أمرًا صَيَّرناه حديثًا.

- وفي «الجرح والتعديل» (٢/ ٣٢) عن زهير بن معاوية، قال: حدثنا محرز أبو رجاء وكان يرىٰ رأي القدر فتاب منه، فقال: لا ترووا عن أحدٍ من أهل القدر شيئًا، فوالله لقد كنا نضع الأحاديث نُدخل بها الناس في القدر، نحتسب بها، ولقد أدخلت في القدر أربعة آلاف من الناس.

قال زهير: فقلت له: كيف تصنع بمن أدخلتهم؟

قال: هو ذا أخرجهم الأول فالأول.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٤١/ ١٠٧) من طريق عبد الله بن عيسىٰ أبي خلف، عن يحيىٰ البكاء، قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما ... ثم ذكره.

وفي إسناده: أبو خلف الخزاز، قال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة. وفيه كذلك يحيىٰ البكاء وهو متروك. =

تُوهِمُ مَن حواليك مِن الجُهَّالِ أنه إذا قيل هذا في مثلِ عِكرمة، فقد بطَلت الرِّواياتُ كلّها، ويُظنُّ برُواتها كلِّها ما ظنَّ ابن عمرَ ﭭ بعِكرمة.

=

ورواه ابن أبي خيثمة في «التاريخ» (٢٣٦٧): حدثنا هارون بن معروف، ثنا ضمرة بن ربيعة، عن أيوب بن برير، قال ابن عمر ﭭ لنافع: لا تكذب عليَّ ...

قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣/ ١١٠): هذا ضعيف السند، وقد رواه أبو خلف عبد الله بن عيسىٰ، عن يحيىٰ البكاء، وهو ضعيف. اهـ

وأيوب هذا هو أيوب بن برير كما في «الإكمال» (١/ ٢٥٧)، و«المؤتلف والمختلف» للدارقطني (١/ ١٨٦) ولم أجد من وثَّقه.

- وقال عبد الله بن أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» (١٥٨٢): حدثني أبي، قال: حدثنا إسحاق بن الطباع، قال: سألت مالك بن أنس، قلت: أبلغك أن ابن عمر ﭭ قال لنافع: لا تكذبنَّ عليَّ كما كذب عكرمة علىٰ ابن عباس ﭭ؟

قال: لا، ولكن بلغني أن سعيد بن المسيب قال ذلك لبُردٍ مولاه.

- قال الذهبي في «السير» (٥/ ٢٣): هذا أشبه، ولم يكن لعكرمة ذكرٌ في أيام ابن عمر ﭭ، ولا كان تصدَّىٰ للرِّواية. اهـ

- وفي «الفتح» (١/ ٤٢٥): عكرمة أبو عبد الله مولىٰ بن عباس ﭭ احتجَّ به البخاري وأصحاب السُّنن، وتركه مسلم فلم يخرج له سوىٰ حديث واحد في الحجِّ مقرونًا بسعيد بن جبير، وإنما تركه مسلم لكلام مالك فيه، وقد تَعقَّبَ جماعة من الأئمة ذلك، وصنفوا في الذبِّ عن عكرمة، منهم: أبو جعفر ابن جرير الطبري، ومحمد بن نصر المروزي، وأبو عبد الله ابن منده، وأبو حاتم ابن حبان، وأبو عمر ابن عبد البر، وغيرهم. اهـ

ثم لخَّصَ ما قيل فيه من الطعون، وأجاب عنها.

وانظر: «التمهيد» (٢/ ٢٧)، و«العواصم والقواصم» لابن الوزير (٩/ ٢٤٤).

فيُقالُ لهذا المُعارِضِ: إن كان ابن عمر ﷺ يُجوِّزُ تَوهُّمًا علىٰ عكرمةَ في دعواك[١]، فما لك راحةٌ في رِوايةِ غيرِه عن ابنِ عباسٍ ﷺ وغيره، ممَّا يَغيظُكَ ممَّن لا تجِدُ السبيلَ إلىٰ الطعنِ عليهم، مثل: سعيدِ بن جُبيرٍ، وعطاءٍ، وطاوسٍ، ومجاهدٍ، وعُبيد الله بن عبد الله، وجابرِ بن زيد، ونُظرائهم.

والعجبُ منك، إذ تطعنُ في رِوايةِ عِكرمةَ عن ابن عباس ﷺ فيما يُبطِلُ دعواك، وتحتجُّ لإقامة دعواكَ بروايةِ بشرِ المريسيِّ، عن أبي شهابٍ الخولاني، عن نُعيم بن أبي نُعيم الذي لا يُدرىٰ مَن هُم.

وعن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ﷺ.

وما أشبَهَه مِن الأسانيدِ التي اجتمعَ أهلُ العلمِ علىٰ تَركِها.

فكُلُّ ما وافقَ مِن ذلك رأيك - وإن كان ضعيفًا - صارَ عندك في حَدِّ القبولِ، وما خالف رأيكَ منها صارَ متروكًا عندك، وإن كان عند الفُقهاءِ في حدِّ القبولِ، هذا ظُلمٌ عظيمٌ، وجَورٌ جَسيمٌ.

٢٧٥- وادَّعيتَ أيضًا في دفعِ آثارِ رسولِ اللهِ ﷺ ضُحكةً لم يَسبِقكَ إلىٰ مثلِها عاقِلٌ مِن الأُمَّةِ ولا جاهلٌ، فزعمتَ: (**أنه لا تقومُ الحُجَّةُ من الآثارِ الصحيحةِ التي تُروى عن رسولِ اللهِ ﷺ إلاَّ [بـ] كلُّ حديثٍ لو حلفَ رَجُلٌ بطلاقِ امرأتِه أنه كَذِبٌ لطُلِّقتِ امرأتُه.**

ثم قلتَ: ولو حلفَ رجُلٌ بهذه اليمينِ على حديثٍ لرسولِ الله ﷺ صحيحٍ عنه أنه كذِبٌ ما طُلِّقتِ امرأتُه).

(١) كررت (في دعواك) في الأصل، والمثبت من (ب).

فيُقالُ لهذا المُعارِضِ الناقضِ علىٰ نفسِه: قد أبطلتَ بدعواك هذه جميعَ الآثارِ التي تُروىٰ عن النبيِّ ﷺ ما احتججتَ منها لضلالتِك وما لم تَحتجَّ، ولو كنتَ ممن يُلتفتُ إلىٰ تأويلِه، لقد سَننتَ للناسِ سُنَّةً، وحدَّدتَ لهم في الأخبارِ حدًّا لم يَستفيدوا مثلَها مِن أحدٍ مِن العالمين قبلك، ولوجبَ علىٰ كلِّ مُختارٍ مِن الأئمَّةِ في دعواك ألَّا يَختارَ منها شيئًا حتىٰ يَبدأ باليمينِ بطلاقِ امرأتِه، فيحلفَ أنَّ هذا الحديثَ صِدقٌ أو كذبٌ البَتَّةَ، فإن كان شيئًا طُلِّقتْ به امرأتُه استَعمَلَه، وإن لم تُطلَّق تَركَه.

ويلكَ! إنَّ العلماءَ لم يزالوا يَختارون هذه الآثارَ ويستعملونها وهم يعلمون أنه لا يجوزُ لأحدٍ منهم: أن يَحلفَ علىٰ أصحِّها: لأنَّ النبيَّ ﷺ قاله البَتَّةَ، وعلىٰ أضعفِها إن النبيَّ ﷺ لم يقُله البَتَّةَ، ولكنهم كانوا لا يألون الجُهدَ في الأخبارِ(١) الأحفظَ منها، والأمثلَ فالأمثلَ مِن رُواتِها في أنفسِهم، ويرون أن الأيمانَ التي ألزمتَهم فيها بطلاقِ نسائهم مرفوعةٌ عنهم حتىٰ ابتدعتها أنت مِن غيرِ أن يسبِقَك إليها مُسلمٌ وكافِرٌ.

ففي دعواكَ يَجبُ علىٰ القُضاةِ والحُكَّامِ أن لا يَحكموا بشهادةِ العدولِ [٤٥/ب] عندهم إلَّا بشيءٍ يُمكِنُ القاضيَ أن يحلِفَ عليه بطلاقِ امرأتِه إن الشاهِدَ به قد صَدَقَ، أو أنه إن حلفَ عليها بطلاقِ امرأتِهِ إنها كَذِب لطُلِّقَت امرأتُه(٢).

ويحَكَ! مَن سبقَكَ إلىٰ هذا التأويلِ من أُمَّةِ محمدٍ ﷺ في اتِّباع الرِّواياتِ

---

(١) في (ب): (اختيار).

(٢) في الأصل و(ب): (لم تطلق امرأته)، والتصويب يقتضيه السياق.

واختيار ما يجبُ منها؟!

إنما يجبُ علىٰ القاضي: أن يَفحَصَ عن الشهودِ ويَحتاطَ؛ فمَن عُدِّلَ عنده منهم حُكِمَ بشهادتِه، وإن كان كاذِبًا في شهادتِه في عِلمِ اللهِ بعدُ، ما لم يَطَّلع القاضي منه علىٰ ذلك، وتُرَدُّ شهادةُ المجروحِ، وإن كان صادِقًا في شهادتِهِ في عِلمِ اللهِ بَعدُ، ما لم يَطَّلع القاضي علىٰ صدقِه.

وكذلك المذهبُ في استعمالِ هذه الآثار وقبولها مِن رواتِها، لا ما تأوَّلتَ أنت فيها مِن هذه السُّخريةِ بنفسِكَ والضحِك.

٢٧٦- وادَّعىٰ المعارِضُ: (**أن مِن الأحاديث التي تروى عن رسول الله ﷺ أحاديثَ مُنكرةً، مُستشنعةً جدًّا، لا يجوزُ إخراجُها**).

فألَّفَ منها أحاديثَ بعضُها موضوعةٌ، وبعضُها مرويةٌ، تروىٰ وتُوقف، لا يتقدَّمُ علىٰ تفسيرِها، يُوهِمُ مَن حواليه مِن الأغمارِ أنَّ آثارَ رسول الله ﷺ كلَّها، ما رُوي منها ممَّا يَغيظُ الجهميةِ في (الرؤية)، و(النُّزول)، و(الصِّفات) التي رواها العلماء المُتقنون، ورأوها حقًّا، سبيلُها سبيلُ هذه المُنكراتِ التي لا يجوزُ إخراجُها، ولا الاعتِمادُ عليها[1].

ثم أقبلَ عليها - بعدَما أقرَّ أنها مُنكراتٌ مُستشنعةٌ - يُفسِّرُها، ويَطلُبُ لها مخارجَ يدعو إلىٰ صوابِ التأويلِ في دعواه.

---

(١) سيذكر المُصنِّف برقم (٢٨٩) حديثًا مُنكرًا من تلك الأحاديث المُستنكرة التي أوردها المُعارض.

ويحَكَ أيها المُعارِضُ ! وما يَدعوكَ إلىٰ تفسيرِ أحاديثَ زعمتَ أنها مُستشنعةٌ لا أصلَ لها عندك، ولا يجوزُ التحدُّثُ بها؟! فلو دفعتَها بعِلَلِها وشُنْعِها عندك كان أولىٰ بك مِن أن تَستنكَرَها، وتُكذِّبَ بها، ثم تُفسِّرُها ثانيةً كالمُثبِتِ لها علىٰ وجوهٍ ومعانٍ من المُحالِ والضلالِ الذي لم يَسبقك إلىٰ مثلِها أحدٌ مِن العالمين.

فادعيتَ أن مِن تلكَ المُنكراتِ:

٢٧٧- ما روىٰ أبو أُسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما قال: خلقَ اللهُ الملائكةَ مِن نورِ الذِّراعينِ والصَّدر(١).

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١٠٦٢ و١١٧٣)، ومن طريقه ابن منده في «الرَّدِّ علىٰ الجهمية» (٧٨)، وغلام الخلال في «السُّنة» (٢٢) (باب الذراعين والصدر)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣١٥)، وهو أثر صحيح.

وقد أخبر بهذا الأثر الصحابي الجليل عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما، وتلقَّاه أهل السُّنة عنه بالقبول ولم يُنكروه، ولم يردُّوا ما دلَّ عليه مِن إثبات الصفات، بل أوردوه في كُتبِ السُّنة والرد علىٰ الجهمية المُعطِّلة.

وقد ذكرتُ ما يشهد لهذا الأثر مِن السُّنة، وبعض أقوال أهل العلم، وبعض ردودهم علىٰ من يطعن فيه في تحقيق كتاب «الرد علىٰ المبتدعة» لابن البناء تحت الأثر رقم (٥٥).

- ومن ذلك: ما رواه الطيالسي (١٣٠٣)، والحُميدي (٨٨٣)، وأحمد (١٥٨٨٨) وغيرهم عن أبي الأحوص، عن أبيه رضي الله عنه، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وذكر الحديث إلىٰ أن قال-: «**وساعدُ الله أَشَدُّ مِن سَاعِدِك** .. ».

- وما رواه الترمذي (٢٥٧٧)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١١٧١)، ⇦=

قلتَ: وقال بعضُهم: مِن شَعْرِ الذِّراعينِ والصدرِ[١].

=
وغيرهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ غِلظَ جِلدِ الكافِرِ اثنانِ وأربعون ذراعًا بذراعِ الجبَّارِ، وإن ضِرسَه مِثلُ أُحُدٍ**». وإسناده صحيح.

وقد ردَّ بعضهم أثر عبد الله بن عَمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بأنه: يحتمل أنه تلقَّاه عن بني إسرائيل من الزاملتين اللتين أخذهما يوم اليرموك.

وقد تقدم رد المُصنِّف علىٰ هذه التُّهمة برقم (٢٧٠).

ولا يخفىٰ ما في هذا من الطعن في الصحابي بأنه يُحدِّثُ عن بني إسرائيل عن الربِّ تعالىٰ بما لا يجوز له أن يُحدَّثَ به، ويسكت عنه ولا يُنكره!

وهذا تجهيلٌ للصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وحطٌّ مِن منزلتهم بأنهم يُحدِّثون الناس بكلِّ ما تلقَّوه عن بني إسرائيل من غير تمييزٍ بين ما يجوز نسبته لله تعالىٰ، وما لا يجوز!

وهذا لا يصدر عن أئمة السُّنة فضلًا عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين هم أئمة هذا الشأن، وأرباب العلم.

وقد تقدم برقم (٢٧٠) الكلام عن الزاملتين اللتين كانتا عند عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولم أقف لأئمة السُّنة المُتقدّمين علىٰ ردٍّ لهذا الأثر، أو طعنٍ فيه، وإنما أغلب مَن تكلَّمَ فيه إنما هم أئمة التعطيل، أو مَن تأثَّر بهم، ولا عِبرة بهم.

وقد ذكرَ ابن قُتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الأثر ضمن الآثار التي اعترضت الجهمية والمُعطِّلة علىٰ أهل السُّنة لروايتهم لها في كتبِ السُّنة والاعتقاد.

وبوَّبَ ابن المُحبّ في «الصفات» لهذا الأثر بابين، وذكر تحتهما ما يشهد له، فقال (٢/ ٨٠٨): (باب الذراع والساعد).

وقال (٢/ ٨٧٧): (باب ما ذُكر في الساعد، والذراع، والراحة، والكنف، والباع، والصدر).

(١) لم أقف علىٰ ذلك في الرِّوايات، ولعلَّه مِن كذِبِ الجهمي يريد التشنيع عليهم.

فيُقالُ لهذا المُعارضِ: إذا كان هذا الحديثُ عندك مِن المُنكراتِ التي تُتركُ مِن أَجْلِهِ جُلُّ الرِّواياتِ، فلمَ فسَّرتَه كأنَّكَ تُثبتُه؟!

فقلت: **(تأويلُه عندنا مُحتملٌ على ما يقالُ في أسماءِ النجومِ الذي يُسمَّى منها: الذِّراعُ والجَبهةُ[(١)])**.

ويحك أيُّها المُعارِضُ! استنكرتَ الحديثَ، وتفسيرُك أنكرُ منه!

أخلقَ اللهُ الملائكةَ مِن نُورِ النُّجومِ، وشُعورِها التي يُسمَّىٰ منها: الذِّراع، والجبهة؟ أم للنُّجومِ شُعورٌ فيُخلقُ منها الملائكة؟!

لقد أغربتَ بهذا التفسيرِ علىٰ جميع المُفسِّرينَ، وأندرت، وكِدتَ أن تقلِبَ العربيةَ ظهرَها لبطنِها إن جازت عليك هذه المُستحيلاتُ: أنَّ اللهَ خلقَ الملائكةَ مِن شعورِ النجومِ الذي تُسمَّىٰ منها: (ذِراعًا).

٢٧٨- ثم احتججتَ في رَدِّ آثارِ رسولِ الله ﷺ، وكراهيةِ طلبِها، والاشتغالِ بجمعِها، بحكايةٍ حكيتَها عن سُفيانَ [٤٦/أ] الثوريِّ أنه قال: ليس هذا الحديثُ مِن عُدَدِ الموتِ[(٢)].

---

(١) ونحو هذا التحريف قال به البيهقي الأشعري في «الأسماء والصفات» (٧٤٤)، قال: (لا يُنكرُ أن يكون الصدر والذراعان مِن أسماء بعض مخلوقاته، وقد وجد في النجومِ ما سُمي ذراعين). اهـ
ثم طعن في هذا الأثر بأنه مُتلقَّىٰ عن بني إسرائيل!
وكذا سلك هذا المسلك ابن الجوزي في «صيد الخاطر»، و«دفع شُبه التشبيه»، وكذا تأوَّله ابن فورك في «مُشكله».

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٩٥٦) عن سفيان الثوري قال: ليس =

٢٧٩- وبقولِ شعبةَ: إنَّ هذا الحديثَ يَصُدّكُم عن ذكرِ اللهِ، وعن الصلاةِ، فهل أنتم مُنتهون(١)؟!

=

طلب الحديث مِن عُدَدِ الموتِ، ولكنه عِلَّة يتشاغل به الرجل.

- قال الذهبي في «تذكرة الحُفَّاظ» (١/ ١٥٢) مُعلِّقًا عليه: صدقَ والله، إن طلبَ الحديث شيءٌ غير الحديث، فطلبُ الحديث اسم عُرفي لأمور زائدة علىٰ تحصيل ماهية الحديث، وكثير منها مَراقٍ إلىٰ العلم، وأكثرها أمور يشغف بها المُحدِّث من تحصيل النُّسخ المليحة، وتَطلُّب العالي، وتكثير الشيوخ، والفرح بالألقاب، والثناء، وتمني العُمُر الطويل ليروي، وحُبّ التفرُّد إلىٰ أمورٍ عديدة لازمةٍ للأغراض النفسانية لا الأعمال الربانية، فإذا كان طلبك الحديث النبوي محفوفًا بهذه الآفات فمتىٰ خلاصُك منها إلىٰ الإخلاص، وإذا كان علم الآثار مدخولًا فما ظنُّك بعلم المنطق والجدلِ وحِكمة الأوائل التي تسلِب الإيمان وتورث الشكوك والحيرة ... اهـ

(١) رواه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٢٤١) عن أبي خليفة، قال: سمعتُ أبا الوليد يقول: سمعتُ شُعبة يقول: إن هذا الحديث يصدّكم عن ذكرِ الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون. قال أبو خليفة: يريدُ شعبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن أهله يضيّعون العمل بما يسمعون منه، ويتشاغلون بالمكاثرة به، أو نحو ذلك. والحديث لا يصدُّ عن ذكرِ الله، بل يهدي إلىٰ أمر الله ... وذكر كلامًا.

- وذكر الخطيب (٢٤٢) عن ابن هانئ، قال: سمعت أبا عبد الله - يعني: أحمد ابن حنبل -، وسُئل عن قول شُعبة: (إن هذا الحديث يصدّكم ..).

فقال: لعلَّ شعبة كان يصومُ، فإذا طلبَ الحديث وسعىٰ فيه يَضعُف، فلا يصوم، أو يريد شيئًا مِن أعمال البرِّ فلا يقدر أن يفعله للطلب. فهذا معناه.

قلت (الخطيب): وليس يجوز لأحدٍ أن يقول: كان شعبة يُثَبِّطُ عن طلبِ الحديث، وكيف يكون كذلك؛ وقد بلغ مِن قدره أن سُمِّي: (أمير المؤمنين في

=

٢٨٠- **وبقول** ابنِ المُباركِ: اللهم اغفر لي رحلتي في الحديثِ(١).

فتوهَّمتَ أن قولهم هذا طعنٌ في الآثارِ، وكراهيةٌ منهم لجمعها واستعمالِها، وقد أخطأتَ الطريقَ، وغلِطتَ في التأويلِ؛ لأنه ليس تأويلُ هذه الحِكاياتِ عنهم أنهم لم يعُدُّوا هذه الآثارَ مِن أصولِ الدينِ، وأنهم لم يروا طلبَه أفضلَ الأعمالِ، ولكن خافوا أن يكون قد خالَطَ ذلك بعضُ الرِّياءِ والعُجبِ والاستطالةِ به علىٰ مَن دونَهم فيه، أو أنَّهم إذا جمعوها وكتبوها لم يقوموا بالعملِ بها الذي يَجِبُ عليهم، ويَصيرُ حُجَّةً عليهم.

فإنَّما أزْرَوا(٢) فيما حكيتَ عنهم بأنفسِهم لا بالعلمِ والأحاديثِ، كما تفعلُه أنتَ وأصحابُك.

ولو كانت هذه الرِّواياتُ عنهم مِن سَيئِ الأعمالِ - كما ادَّعيتَ عليهم -، ما صنَّفوها ونقلوها إلىٰ الأنام، ولا دعوهم إلىٰ استعمالِها، والأخذِ بها،

=

الحديث)، كل ذلك لأجل طلبه له، واشتغاله به؛ ولم يزل طول عمرِه يطلبه حتىٰ مات علىٰ غاية الحرص في جَمْعِه، لا يشتغل بشيءٍ سواه، ويكتب عمَّن دونه في السِّنِّ والإسناد، وكان من أشد أصحاب الحديث عناية بما سمع ... اهـ

(١) لم أقف عليه.

وفي كتاب «الرحلة في طلب الحديث» (١٦) قال زكريا بن عدي: رأيتُ ابن المُبارك في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي برحلتي في الحديث.

ولعلَّ الجهمي حرّفه ليطعن علىٰ نقلة الأحاديث، فقلب معناه، وأحال فضل الرحلة في طلب الأحاديث ذمًّا لها.

(٢) أي: عابوا.

فيُشرِكوهم في إثمِ ما وقعوا فيه.

ومَن يَظُنُّ ذلك بهم إلَّا جاهلٌ مثلُك بعد الذي رَووا عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «حدِّثوا عنِّي ولا حرجَ»(١).

• وقال: «نَضَّرَ اللهُ عبدًا سَمِعَ مقالتي فوعاها وبلَّغها غيرَه»(٢).

• وقوله: «ليُبلِّغِ الشاهدُ منكم الغائبَ»(٣).

• وقوله: «طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مُسلمٍ»(٤).

• وقوله: «ما سَلَكَ رجُلٌ طريقًا يَبتغي فيها عِلمًا إلَّا سَهَّلَ اللهُ به طريقًا إلى الجنَّةِ»(٥).

• وقوله: «إنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ؛ رِضًا بما يَطلُبُ»(٦).

وهي هذه الآثارُ، وهي أصولُ الدينِ وفروعُه بعد القرآنِ(٧)، فمَن سَمِعَ

---

(١) رواه أحمد (١١٣٤٤)، ومسلم (٣٠٠٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه برقم (٢٧٢).

(٣) رواه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٤) تقدم تخريجه برقم (٢٧١).

(٥) رواه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) تقدم تخريجه برقم (٢٧١).

(٧) تقدم التعليق في «الرد» (٢٥٦) على صحَّة تقسيم الدين إلى أصولٍ وفروع، وأن هذا =

شيئًا مِن هذه الأحاديثِ التي حَضَّ النبيُّ ﷺ علىٰ طلبِها وإبلاغِها وأدائها إلىٰ مَن [لم] يَسمَعها عَلِمَ يَقينًا أن ما حكيتَ عن سُفيانَ، وشعبةَ، وابنِ المُباركَ علىٰ خلافِ ما تأوَّلته.

ويحك ! إنما قال القومُ هذا تَخوُّفًا علىٰ أنفسِهم أن يكونوا قد أُوتوا منه الكثيرَ فلم يُوفَّقوا لاتباعِهِ كما يَجبُ، ولم يَتخلَّقوا بأخلاقِ العلماءِ الصالحين قبلَهم مِن السكينةِ، والوقارِ، والورعِ، والعبادةِ، ولم يتأدَّبُوا بأحسنِ آدابهم.

٢٨١- فقد **سمعتُ** يحيىٰ بن يحيىٰ يقول: قال ابنُ المُبارِكِ: طلبنا العلمَ فأصبنا منه شيئًا، فطلبنا الأدبَ فإذا أهلُه قد ماتوا(١).

٢٨٢- وكما **قال** الشَّعبيُّ: زَينُ العلمِ: حِلمُ أهلِه(٢).

٢٨٣- وكما **قال** ابنُ سيرين: ذهبَ العلمُ وبقي منه غُبَّراتٌ(٣) في أوعيةِ سُوءٍ(٤).

= التقسيم ليس مِن البدع كما يدّعيه بعض مَن علَّق علىٰ هذا الكتاب.

(١) وفي «الحلية» (٨/ ١٦٩): طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدِّبون.

(٢) رواه الدارمي في «المسند» (٥٩٧)، وابن أبي شيبة في «المُصنف» (٢٦١٣٥).

(٣) في «جمهرة مقالات محمود شاكر» (١/ ١٠٩): بضم الغين المُعجمة، وفتح الباء المُشدَّدة. و(الغُبّرات): جمع غُبّر، وهو آخر الشيء وعقابيله، وما يبقىٰ منه. يُريد: أن العلم لم يبق منه إلَّا قليل قد وقع في صدور رجالٍ من الفخار والخزف لا تضيء، ولا تقبل الضوء. اهـ

(٤) وفي «الكامل» (٢١٦) عن الثوري، قال: كان محمد بن سيرين يقول: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون العلم، فلم يبق منه إلَّا غُبّرات في أوعية سُوء. =

وكان تخوُّفُهم علىٰ أنفسِهم بالحِكايات التي حكيتها عنهم، أنهم عسىٰ أن لم يُرزَقوا هذه الآدابَ وما يحتاجُ إليه العلمُ، حتىٰ يُخلَصَ لوجهِ اللهِ تعالىٰ، فكان ذلك منهم إعظامًا للعلمِ وإجلالًا له، لا استخفافًا به وتعريضًا لإبطاله، كما فعلتَ أنت.

٢٨٤- وسمعتُ الطيالسي أبا الوليد، أنه سمِعَ ابنَ عيينة يقول: طلبتُ هذا العلمَ يومَ طلبتُه لغيرِ اللهِ، فأعقبني منه ما تَرون(١).

*** قال أبو سعيد:**

=

- وفي «التاريخ الكبير» لابن أبي خيثمة (٤٧٨٦) عن الحسن وابن سيرين، قالا: لقد بقي من هذا العلم غُبَّرات في أوعية سُوء.

قلت: فما عسىٰ أن نقول نحن في هذه الأزمان المُتأخِّرة!

(١) رواه الرامهرمزي في «المُحدِّث الفاصل» (٣٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٣٨٢).

- وفي «جامع بيان العلم وفضله» (١٣٨٣) قال الحسن: لقد طلب أقوام العلم ما أرادوا به الله وما عنده، فما زال بهم حتىٰ أرادوا به الله وما عنده.

- وفيه (١٣٨٠) عن حبيب بن أبي ثابت: طلبنا هذا الأمر وليس لنا فيه نيَّة، ثم جاءت النية بعد.

- وفي «المُحدِّث الفاصل» (٣٤) قال محمد بن إسحاق: جاء قومٌ إلىٰ سِماك ابن حرب يطلبون الحديث، فقال جُلساؤه: وما ينبغي لك أن تُحدِّث هؤلاء، فما لهؤلاء رغبةٌ ولا نيةٌ.

فقال سِمَاك: قولوا خيرًا، قد طلبنا هذا الأمر لا نُريدُ اللهَ به، فلما بلغت منه حاجتي؛ دلَّني علىٰ ما ينفعُني، وحَجَزني عما يَضُرُّني.

يقول: لم أعرف لنفسي يومَ طلبتُه تلك النيَّةَ الخالِصةَ، فأعقبني منه أني اشتغلتُ بتحديثِ الناسِ به، لا بالعملِ به، والزَّهادةِ في الدنيا والعبادةِ.

٢٨٥- وقد رُوي عن الشعبيِّ أنه قال: وددتُ أني لم أَسال عن شيءٍ. أي: [٤٦/ ب] لِمَا أنَّ الذي سألتُ عنه صارَ عليَّ حُجَّةً(١).

٢٨٦- وقال الشعبيُّ أيضًا: إنا لسنا بفُقهاءَ، ولكنَّا رواةُ الحديث(٢).

---

(١) في «شرف أصحاب الحديث» (٢٥١) قال الشعبي: لوددتُ أني لم أتعلَّم من هذا العلم شيئًا.

قال الخطيب: إنما قال ذلك الشعبي مخافة أن لا يقوم بحقِّه ولا بشكره.

- وفيه (٢٤٩) قال سُفيان الثوري: ليتني أنجو منه كفافًا. - يعني: الحديث -.

قال الخطيب: إنما قال سفيان هذا خوفًا علىٰ نفسه أن لا يكون قام بحقِّ الحديث، والعمل به، فخشي أن يكون ذلك حُجَّة عليه.

- وفي «أخلاق العلماء» للآجري (٨٤) عن عطاء، قال: كان فتًى يَختلف إلىٰ أُمِّ المؤمنين عائشة ﵂، فيسألها وتحدِّثه، فجاء ذات يوم يسألها، فقالت: يا بُني، هل عمِلت بما سمعت؟ فقال: لا - والله - يا أُمَّه.

قالت: يا بُني، ففيمَ تستكثر مِن حُججِ الله علينا وعليك؟!

- وفي «جامع بيان العلم» (١٢٣٢) قال مكحول: كان رجل يسأل أبا الدرداء ﵁، فقال له كل ما تسأل عنه تعمل به؟ قال: لا.

قال: فما تصنعُ بزيادة حُجَّة الله عليك؟!

(٢) في «اقتضاء العلم العمل» (١٢١) عن الشعبيِّ: إنا لسنا بالفقهاء، ولكنَّا سمعنا الحديث فرويناه، ولكن الفُقهاء مَن إذا عَلِمَ عَمِلَ.

- وفي «الحلية» (٤/ ٣١١) عن ليث، قال: كنت أسأل الشعبي فيُعرض عني، وَيَجْبَهُنِي بالمسألة. فقلت: يا معشر العلماء، يا معشر الفقهاء، تروون عنَّا =

٢٨٧- **وكما قال** الحَسنُ: هل رأيتَ فقهيًا قطُّ؟! إنما الفقيه: الزاهدُ في الدنيا، الرَّاغبُ في الآخرةِ، لا يُداريُ، ولا يُماري(١)، يَنشُرُ حِكمةَ اللهِ(٢)، فإن قُبِلت منه: حَمِدَ اللهَ، وإن رُدَّت: حَمِدَ اللهَ(٣).

= أحاديثكم، وتجبهوننا بالمسألة؟ فقال الشعبي: يا معشر العلماء، يا معشر الفقهاء، لسنا بفقهاء، ولا علماء، ولكنا قومٌ قد سمعنا حديثًا، فنحن نُحدِّثكم بما سمعنا، إنما الفقيه مَن ورع عن محارم الله، والعالم مَن خافَ الله.

(١) قال أبو عُبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «غريب الحديث» (١/ ٣٣٧): وأمَّا قوله: (لا يداريُ ولا يُماري)، فإن المُدارأة ههنا مَهمُوز من دارأت، وهي المشاغبة والمخالفة علىٰ صاحبك. ومنها قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ [البقرة:٧٢]، يعني: اختلافهم في القتيل. اهـ

(٢) في الأصل: (حُكم الله)، والصواب ما أثبته.

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٨)، وابن بطة في «إبطال الحيل» (٦٠ و٦١).

- قال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته إلىٰ أهل زبيد» (ص ١٤٤): وموضِعُ الحمد في الردِّ: أنه قد وُفِّقَ لأداء ما عليه. اهـ

- وفي «أخلاق العلماء» (٧٥) عن عمران المِنقَري، قال: قلتُ للحسن يومًا في شيء قاله: يا أبا سعيد، ليس هكذا يقول الفقهاء.

قال: فقال: ويحك! وَرأيت أنت فقيهًا قطُّ؟! إنما الفقيه: الزاهدُ في الدنيا، الراغبُ في الآخرة، البصيرُ في أمر دينه، المُداوم علىٰ عبادة الله عَزَّوَجَلَّ.

- وفي «إبطال الحيل» (٦٢) قال وهب بن مُنبِّه: (الفقيه): العفيفُ، المُتمسِّكُ بالسُّنة، أولئك أتباع الأنبياء في كل زمان.

- وفي «مسند الدارمي» (٣٠٣) عن سعد بن إبراهيم، قال: قيل له: مَن أفقه أهل المدينة؟ قال: أتقاهم لربِّه عَزَّوَجَلَّ. =

فتخوَّفَ القومُ أنهم لم يكونوا مِن أهلِه، وقد كانوا أهلَه، وما زادَهم تخوُّفُهم مِن هذا وما أشبهه في قلوبِ المؤمنين إلَّا حُبًّا وعِظمًا، وللعلمِ توقيرًا وإجلالًا؛ إذ خافوا أن لا يكونوا مِن صالحي أوعيتِه.

٢٨٨- وروى المُباركُ بن فَضالة، عن الحسن، قال: ما رأيتُ فيما مَضىٰ وفيما بقي مؤمنًا ازداد إحسانًا إلَّا ازدادَ شَفقةً، ولا مَضَىٰ مُنافقٌ ولا بقيَ ازدادَ إساءةً إلَّا ازدادَ باللهِ غِرَّةً.

٢٨٨/أ- حدثناه سعدويه، عن المُبارك بن فضالة، عن الحسن(١).

=

- وفيه (٣٠٤) عن مجاهد، قال: إنما الفقيه من يخاف الله تعالىٰ.
- وقال المروذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الورع» (٤٠٠): قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: قد قيل لابن المبارك: كيف يُعرف العالم الصادق؟

فقال: الذي يزهد في الدنيا، ويُقبل علىٰ أمر آخرته.

فقال أبو عبد الله: نعم، هكذا يُريدُ أن يكون.

- وفي «إبطال الحيل» (٦٣) قال سفيان الثوري: (الفقيه): الذي يعُدُّ البلاء نعمة، والرخاء مُصيبةً، وأفقه منه من لم يجترئ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في شيء لعلمه به.
- وفيه (٦٨) عن الفُضيل بن عياض، قال: إنما الفقيه: الذي أنطقته الخشية، وأسكتته الخشية، إن قال قال بالكتاب والسُّنة، وإن سكت سكت بالكتاب والسُّنة، وإن اشتبه عليه شيء وقف عنده ورده إلىٰ عالمه.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧٩) من طريق سعدويه، عن مبارك بن فضالة به، ضمن خبر طويل فيه قصَّة مقتل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: قال الحسن - وذُكِرَ له فعل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند موته، وخشيته من ربِّه -، فقال: هكذا المؤمنُ جمع إحسانًا وشفقةً، والمنافقُ جمع إساءةً وغرَّةً، واللهِ ما وجدتُ فيما مضىٰ ولا فيما بقي عبدًا =

٢٨٩- واحتجَّ المُعارِضُ أيضًا لمذهبه الأول[١] بحديثٍ مُستنكرٍ تَعجب الجُهَّالُ منه، ويُوهِمُهم أنَّ ما روىٰ أهل السُّنةِ مِن الرِّوايات الصِّحاحِ المشهورةِ ممَّا يُنقضُ بها علىٰ الجهمية في (الرُّؤية)، و(النُّزول)، و(سائر صفات الله تعالىٰ) مُستنكرٌ، مجهولٌ، مهجورٌ، مثلُ هذا الحديث، فزعمَ: (أن **حماد بن سلمة، روى عن أبي المُهزِّم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قيل يا رسول الله، ممَّ ربُّنا؟**

فقال: «مِن مَاءٍ مَرورٍ، لا مِن أرضٍ، ولا مِن سماءٍ، خَلَقَ خَيلاً فأجراها، فعرقت، فخلقَ نفسَه من ذلك العَرَقِ»[٢]).

= ازداد إحسانًا إلَّا ازداد مَخافةً وشفقةً منه، ولا وجدتُ فيما مضىٰ، ولا فيما بقي عبدًا ازدادَ إساءةً إلَّا ازداد غِرَّةً.

(١) يعني المتقدم برقم (٢٧٦).

(٢) حديث موضوع، رواه ابن عدي في الكامل في «الضعفاء» (٩/ ٤٢٤) في ترجمة (محمد بن شُجاع الثلجي)، وقال: كان يضع أحاديث في التشبيه، ينسبها إلىٰ أصحاب الحديث ليثلبهم به، روىٰ عن حبان بن هلال - وحبان ثقة -، عن حماد ابن سلمة، عن أبي المهزم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ خلقَ الفَرَسَ فأجراها ...**»، مع أحاديث كثيرة وضعها مِن هذا النحو، فلا يجبُ أن يُشتَغَلَ به، لأنه ليس من أهلِ الرِّواية، حمله التعصُّب علىٰ أن وضع أحاديث ليثلب أهل الأثر بذلك. اهـ

ورواه الجورقاني في «الأباطيل والمناكير» (٥٢)، وقال: هذا حديث موضوعٌ باطلٌ كفرٌ، لا أصل له عند العلماء، ما قاله رسول الله ﷺ، ولا رواه عنه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .. والحمل علىٰ محمد بن شُجاع الثلجي.

- وقال: فهذا الحديث كفرٌ وزندقة، لا ينقاد ولا ينقاس، فكيف خلق الخيل =

فيُقالُ لهذا المُعارضِ: لو كان لك فَهمٌ وعَقلٌ لم تكُن تُذيعُ في الناسِ مثلَ هذا الحديثِ الذي لا أصلَ له عند العلماءِ، ولم يروه عن حمَّادٍ إلَّا كلُّ مَقروفٍ(١) في دينِه، فيَظُنُّ بعضُ مَن يَسمَعُه منك أنَّ له أصلًا، فيَضِلُّ به أو يُضِلُّ.

وهذا الحديث لا يُعرف له أصلٌ في كتابِ [حماد] بنِ سلمةَ، ولا ندري مِن أينَ وقعَ إلىٰ المُعارِض؟

وممَّا يَستنكِرُ هذا الحديث: أنه مُحالُ المعنىٰ، بل هو كفرٌ لا يَنقادُ ولا يَنقاسُ، فكيفَ خلقَ [اللهُ] الخيلَ التي عرقتَ قبل أن تكون نفسُه في دعواك؟

ويحك أيُّها المُعارِضُ! إنا نُكفِّرُ مَن يقول: (إنَّ كلامَ اللهِ مخلوقٌ)، فكيف مَن قال: (نفسُه؟ [مخلوقة]).

لا جزاك اللهُ خيرًا عمَّا تُوردُ علىٰ قلوبِ الجُهَّالِ، ممَّا لا حاجةَ لهم إليه.

فعمَّن رويتَه عن حمادٍ؟! وممَّن سمعتَه؟ فسَمِّه لنا نَعرِفْه، فإنَّا لا نَعرِفُ إلَّا أنَّ اللهَ الأولُ قبلَ كلِّ شيءٍ، فكيف كان هذا العرَقُ قبلَه، حتىٰ خلقَ منه

= التي عرقت قبل أن تكون نفسه، فإنا نُكفِّرُ من يقول: إن كلام الله مخلوق، فكيف من قال: نفسه؟! وإنا لا نعرف إلَّا أن الله هو الأول قبل كل شيءٍ، فكيف كان هذا العرقُ قبله، حتىٰ خلقَ منه نفسه؟! تعالىٰ عمَّا وصفه به المُلحدون، ونسبه إليه الكافرون المُبطلون. اهـ. وانظر: «ميزان الاعتدال» (٣/ ٥٧٩).

(١) في «الصحاح» (٤/ ١٤١٥): قَرَفْتُ الرجل، أي: عبته. ويقال: هو يُقْرَفُ بكذا، أي: يُرمىٰ به ويُتَّهم، فهو مقروف. اهـ

نفسَه؟ وهذا الحديثُ لا يحتاجُ إلىٰ تفسيره؛ فإنَّ الشاهدَ منه يدلُّ علىٰ أنه باطلٌ.

٢٩٠- ثمَّ لم ترضَ بما قُلتَ ورَويتَ ممَّا تُشنِّعُه، حتىٰ ادَّعيتَ له تفسيرًا عن إمامِكَ الثلجي أنه قال: (**يَحتملُ تأويلُ هذا الحديث: أن يكونَ الكُفارُ سألوا النبيَّ ﷺ عن آلهتِهِم التي كانوا يَعبُدُونها من دون الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك أن كبراءهم وأحبارَهم [ورهبانهم] كانوا عندهم كالأربابِ، قال الله تعالى:** ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]).

فيُقالُ لهذا الثلجيِّ الجاهلِ: ويلك! يَخلُقُ اللهُ أولئك الأحبارَ والرُّهبانَ الذين اتخذوهم أربابًا مِن عَرَقِ الخيلِ الذي أُجرِيَ.

وفي الحديث: (أنَّه خُلِقَ مِن ماءٍ، لا مِن أرضٍ، ولا مِن سماءٍ)، فهل شكَّ أحدٌ مِن ولدِ آدمَ أنَّ اللهَ خلقَ [٤٧/أ] آدمَ مِن الأرضِ، وذُرِّيَّته مِن نَسلِهِ؟

أوَلَم يَعلَم - أيها الثلجيُّ - رسولُ الله ﷺ ممَّا خلقَ اللهُ الأحبارَ والرُّهبانَ الذين اتَّخذوهم أربابًا مِن دونِ اللهِ؟!

أوَلَم يدرِ النبيُّ ﷺ أنهم مِن ولدِ آدمَ حتىٰ يقول: خلقَهم اللهُ مِن عَرَقِ الخيلِ، ولم يخلقهم مِن أرضٍ ولا سَماءٍ؟

لقد ضلَّ هذا الثلجيُّ بهذا التفسيرِ، وضلَّ به مِن اتَّبعَه، ولو فَسَّرَ هذا صبيٌّ لم يَبلغِ الحِنثَ؛ ما زادَ علىٰ هذا جَهلًا واستحالةً، هو كفرٌ أضافَه هذا الثلجيُّ إلىٰ رسولِ الله ﷺ.

ويلك ! نحن ندفعُ الحديثَ ونَستنكِرُه، وأنت تَستَشنِعُه، ثم تُثبِتُه وتُفسِّرُه وتَلتمِسُ له المخارجَ كي تصونه، ولئن كان هذا الحديثُ مُنكرًا، فتفسيرُكَ له أنكرُ.

٢٩١- واحتجَّ المُعارضُ أيضًا في دفعِ آثارِ رسولِ الله ﷺ، وتقليدِ رُواتِها مِن العلماءِ: بحكايةٍ حكاها عن بشرِ بن غياث المريسيّ، كأنَّه يحكيها[١] عن عامرٍ الشعبيِّ، فقال مُعجبًا بسؤاله:

(سألتُ بشرَ بن غياثٍ، عن التقليدِ في العلم.

فقال: حرامٌ مُحرَّمٌ للعلماءِ، حتى يَعرِفَ هذا العالِمُ أصلَه، ومعرفتُه مِن الكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ، وإنما التقليدُ للجُهَّالِ الذين لا يعلمون).

وافتخرَ المُعارِضُ بسؤالِ بشرٍ عن هذا، كأنه سألَ عنها الحسنَ، وابنَ سيرين! ولا يعلمُ أنه إنما سَألَ عنها جهمِيًّا جاهِلًا بالكِتابِ والسُّنةِ، مُخالفًا للإجماعِ، إن أخطأ فعليه خطؤُه، وإن أصابَ لم يُلتفت لإصابتِه؛ لأنه المَأبونُ في دِينِ اللهِ، المُتَّهمُ علىٰ كتابِ اللهِ، الطاعِنُ في سُنَّةِ رسول الله ﷺ[٢].

---

(١) في الأصل: (كان يحكيها)، وما أثبته من (ج).

(٢) روىٰ مسلم في «مقدمة صحيحه» عن محمد بن سيرين قال: إن هذا العلم دِينٌ، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

- وروىٰ أيضًا عن ابن سِيرين قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سَمُّوا لنا رجالكم، فينظر إلىٰ أهل السُّنة؛ فيؤخذ حديثهم، وينظر إلىٰ أهل البدع؛ فلا يؤخذ حديثهم.

- وفي «الضُّعفاء» (٣٣) قال مالك: لا يُؤخذُ العلمُ من أربعةٍ، ويؤخذُ ممَّن سوىٰ ذلك .. وذكر منهم: ولا مِن صاحِبِ هوًىٰ يدعو الناس إلىٰ هواه.

وكيف تَستفتي المريسيَّ، وقد رويتَ عن أبي يوسف، أنه هَمَّ بأخذِه، وتنكيله في هذه الضَّلالات، حتىٰ فرَّ منه إلىٰ البصرة؟!(١).

فإن يكن ما قال بِشرٌ حقًّا فبُؤسًا لك ولأصحابك الذين قلَّدتُم دِينكم أبا حنيفةَ، وأبا يوسفَ، ومحمدَ بن الحسن في أكثرِ ما تُفتون ممَّا لا تقعون مِن أكثرِه علىٰ كتابٍ ولا سُنةٍ.

غيرَ أنَّا نقول: إن علىٰ العالمِ باختلافِ العلماءِ؛ أن يَجتهدَ ويَفحصَ عن أصلِ المسألةِ، حتىٰ يعقِلها بجُهده ما أطاقَ، فإذا أعياه أن يَعقِلها مِن الكتابِ والسُّنةِ؛ فرأيُ مَن قبلَه مِن عُلماءِ السلفِ خيرٌ له مِن رأيِ نفسِه.

٢٩٢- كما قال ابنُ مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ألا لا يُقلِّدنَّ رجلٌ منكم دينَه رجُلًا، إن آمنَ آمَنَ، وإن كفَرَ كفَرَ، فإن كنتم لا بُدَّ فاعلين؛ فبالأمواتِ، فإنَّ الحيَّ لا تؤمنُ عليه الفتنةُ(٢).

٢٩٣- وقال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضًا: مَن عرضَ له منكم قضاءٌ، فليقضِ بما في كتابِ الله، فإن لم يجد في كتابِ اللهِ، ففي سُنةِ رسول الله ﷺ، فإن لم

(١) تقدم ذلك برقم (٢١٥).

(٢) رواه أبو داود في «الزهد» (١٣٢)، واللالكائي (١٣٢)، وإسناده صحيح.

والمُرادُ بالأمواتِ: هم أصحابُ النبيِّ ﷺ كما في «ذم الكلام» (٧٥٨) عن قتادة قال: كان ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: من كان منكم مؤتسِيًا فليأتَسِ بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأُمَّة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها أخلاقًا، اختارهم الله تعالىٰ لصُحبة نَبيِّه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتَّبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا علىٰ هُدًى مُستقيم.

يجد في سُنةِ رسولِ الله، ففيما قضىٰ به الصالحون قبلَه(١).

فأباحَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه التقليدَ للأمواتِ، وقَضاءَ الصَّالحين علىٰ التحرِّي والاحتياطِ.

فمَن هذا المريسيُّ الضَّالُّ الذي يَحظُرُه(٢) علىٰ الأُمَّةِ؟ ومَن هو حتىٰ يُستحلَّ بِقولِهِ شيءٌ أو يُحرَّمُ؟

٢٩٤- وقال شُريحٌ وابنُ سيرينَ: لن نَضِلَّ ما تَمسَّكنَا بالأثر(٣). [٤٧/ ب]

٢٩٥- وقال إبراهيمُ: ما الأمرُ إلَّا الأمرُ الأول، لو بلغنا أنهم لم يَغسلوا إلَّا الظُّفرَ ما جاوزناه، كفىٰ إزراءً علىٰ قومٍ أن تتخالفَ أعمالُهم(٤).

---

(١) رواه النسائي (٥٣٩٧)، وقال: هذا الحديث جيد جيد.

(٢) أي: يمنعه.

(٣) وفي «الإبانة الكبرىٰ» (١١١) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إنَّا نقتدي ولا نَبتدي، ونتَّبعُ ولا نبتدعُ، ولن نضلَّ ما تمسَّكنا بالأثر.

- وفي «مسند الدارمي» (١٤٢) عن ابن سيرين قال: كانوا يرون أنه علىٰ الطريق ما كان علىٰ الأثر.

- وعند اللالكائي (١١٦) قال شاذ بن يحيىٰ: ليس طريق أقصد إلىٰ الجنة من طريق مَن سلَكَ الآثار.

(٤) رواه الدارمي في «المسند» (٢٢٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٦٦)، ولفظهم: (أن تُخالِف أعمالهم).

- وفي «الإبانة الكبرىٰ» (٢٦٥): عن إبراهيم: لو أن أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم مسحوا علىٰ ظُفرٍ لما غسلته، التماس الفضل في اتباعهم.

- وفي «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨) قال النخعي: لو رأيت الصحابة ⇐

فالاقتداءُ بالآثارِ تَقليدٌ ! فإن كان لا يجوزُ في دعوىٰ المَريسيِّ أن يَقتدي الرجلُ بمَن قبلَه مِن الفُقهاءِ، فما مَوضعُ الاتِّباعِ الذي قالَه اللهُ تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]؟!

وما يُصنعُ بآثارِ الصحابةِ والتابعين بعدهم، بعد أن لا يَسعَ الرَّجُلَ استِعمالُ شيءٍ منها إلَّا ما استنبَطه بعقلِه في خِلافِ الأثر(١).

إذًا بَطَلَت الآثارُ، وذهبت الأخبارُ، وحرُمَ طلبُ العلمِ علىٰ أهلِه، ولزِمَ الناسَ المعقولُ مِن كفرِ المَريسيِّ وأصحابِه، والمُستحيلاتُ مِن تفاسيرِهم،

= ﷺ يتوضؤون إلىٰ الكوعين لتوضَّأت كذلك؛ وأنا أقرؤها إلىٰ المرفقين؛ وذلك لأنهم لا يُتَّهمون في ترك السُّنن، وهم أرباب العلم، وأحرصُ خلقِ الله تعالىٰ علىٰ اتِّباع رسول الله ﷺ، فلا يظُنّ ذلك بهم أحدٌ إلَّا ذو ريبة في دينه.

(١) ومِن هذا الضلال: قول الغزالي في «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ٢٧): (الحمد لله الذي اجتبىٰ من صفوة عباده عصابة الحقّ وأهل السُّنة ... وتحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحقّ المعقول. وعرفوا أن من ظنّ من الحشوية وجوب الجمود علىٰ التقليد، واتِّباع الظواهر ما أتوا به إلَّا مِن ضعف العقول، وقِلَّة البصائر ... وأنىٰ يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر مناهج البحث والنظر، أو لا يعلم أنه لا مستند للشرع إلَّا قول سيد البشر ﷺ، وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر ..). اهـ

- وقال السنوسي في «شرح الكبرىٰ» (ص ٣٨٣): أصول الكفر ستة ... إلىٰ أن ذكر في (الأصل السادس): التمسُّك في أصول العقائد بمُجرَّدِ ظواهر الكتاب والسُّنة ... والتمسُّك في أصول العقائد بمُجرَّد ظواهر الكتاب مِن غير بصيرة في العقل، وهو أصل ضلال الحشْوية، فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة ..اهـ

فقد عرضنا كلامَهم على الكتابِ والسُّنةِ، فأخطئوا في أكثرِها الكتابَ والسُّنةَ، ولم يُصيبوا السُّنةَ(١).

---

(١) قال حرب الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عقيدته» (٨٩): ومَن زعم أنه لا يرىٰ التقليدَ، ولا يُقلِّدُ دينَه أحدًا؛ فهو قولُ فاسقٍ مُبتدعٍ، عدوٍّ لله ولرسولِهِ ﷺ، ولدينِه، ولكتابِه، ولسُنةِ نبيه عليه الصَّلاة والسَّلام. إنما يريد بذلك: إبطالَ الأثرِ، وتعطيلَ العلمِ، وإطفاءَ السُّنةِ، والتفرُّدَ بالرَّأي، والكلامِ، والبدعةِ، والخلافِ. فعلىٰ قائلِ هذا القولِ لعنةُ الله، والملائكةِ، والنَّاسِ أجمعين.

فهذا مِن أخبثِ قولِ المُبتدعة، وأقربها إلىٰ الضَّلالةِ والرَّدىٰ، بل هو ضلالةٌ؛ زعم أنه لا يرىٰ التقليدَ، وقد قلَّدَ دينَه أبا حنيفةَ، وبشرًا المريسي، وأصحابه !!

فأيُّ عدوٍّ لدينِ الله أعدىٰ ممَّن يريدُ أن يُطفئَ السُّنن، ويُبطلَ الآثارَ والرِّوايات، ويزعمُ أنه لا يرىٰ التقليدَ، وقد قلَّدَ دينَه مَن قد سميتُ لك، وهم أئمَّةُ الضلالِ، ورؤوسُ البدعِ، وقادةُ المُخالفين. فعلىٰ قائل هذا القول غضبُ الله. اهـ

قلت: والمراد بالتقليد عند المُتقدِّمين مِن المُحدِّثين وأئمة السُّنة: اتِّباع آثار الصحابة رضي الله عنهم، ومَن اقتفىٰ آثارهم مِن علماء السنة والسلف، هذا هو التقليد المحمود، وأمَّا التقليد المذموم عند المُتأخِّرين: فهو تقليدُ مَن لا يُحتجّ بقوله بغير حُجَّةٍ، ولا دليلٍ، ولا أثرٍ.

- قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عليك بالاقتداء والتقليد. [«ذم الكلام» (٩٩٧)].

- قال إسحاق بن إبراهيم [هو البغوي لقبه: لؤلؤ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما نحن أصحاب اتِّباع وتقليد لأئمتنا وأسلافنا الماضين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، لا نُحدث حدثًا ليس في كتاب الله، ولا في سُنة رسول الله ﷺ، ولا قاله إمام. [«السنة» للخلال (٢١٧٩)].

- وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح السُّنة» (٩٣): واعلم أن الدِّين إنما هو بالتقليد، والتقليدُ لأصحاب محمد ﷺ. اهـ

- وقال (١٤٤): فالله الله في نفسك، وعليك بالأثر، وأصحاب الأثر، والتقليدِ، ⇦=

٢٩٦- حدثنا عبد الله بن صالح المصري، عن الهِقل بن زياد، عن الأوزاعي، قال: ما رأيُ امرئٍ في أمرٍ بلغَه عن رسولِ الله ﷺ إلَّا اتِّباعُه، ولو لم يكُن فيه عن رسولِ الله ﷺ، وقال فيه أصحابه مِن بعدِه، كانوا أولىٰ فيه بالحقِّ مِنَّا؛ لأن الله تعالىٰ أثنىٰ علىٰ مَن بعدهم باتِّباعهم إيَّاهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقلتم أنتم: [لا]، بل نَعرِضُها علىٰ رأينا في الكتابِ، فما وافقَه منها صدَّقناه، وما خالفَه تركناه، وتلكَ غايةُ كلِّ مُحْدِثٍ في الإسلام: ردُّ ما خالفَ رأيَه مِن السُّنَّة(١).

= فإن الدين إنما هو التقليد- يعني: للنبي ﷺ، وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين -، ومن قبلنا لم يدعونا في لبسٍ، فقلِّدهم واسترح، ولا تجاوز الأثر، وأهل الأثر. اهـ

(١) رواه الهروي في «ذم الكلام» (٣٩٠).

- وفي «الإبانة الكبرىٰ» (١٩٧٦) عن عبدالله بن صالح قال: كتب الأوزاعي إلىٰ صالح بن بكر: أما بعد؛ فقد بلغني كتابك تذكر فيه أن الكتب قد كثُرت في الناس، وردّ الأقاويل في القدر بعضهم من بعضٍ، حتىٰ يُخيَّل إليكم أنكم قد شككتُم فيه، وتسألني أن أكتُب إليك بالذي استقرَّ عليه رأيي، وأقتصر في المنطق، ونعوذُ بالله مِن التحيير في ديننا، واشتباه الباطل والحقّ علينا.

وأنا أُوصيك بواحدةٍ، فإنها تجلو الشَّكَّ عنك، وتُصيبُ بالاعتصامِ بها سبيل الرُّشد إن شاءَ الله:

أ- تنظر إلىٰ ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ مِن هذا الأمر؛ فإن كانوا اختلفوا فيه، فخُذ بما وافقك مِن أقاويلهم، فإنَّك حينئِذ منه في سَعةٍ.

ب- وإن كانوا اجتمعوا منه علىٰ أمرٍ واحدٍ لم يشُذّ عنه منهم أحدٌ، فأين =

٢٩٧- وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن للحسنِ البصري: لا تُفتِ الناسَ برأيكَ. فقال الحسنُ: رأيُنا لهم خيرٌ مِن آرائهم لأنفسِهم(١).

وكيف تَسألُ أيُّها المُعارِضُ بِشرًا عن التقليدِ، وهو لا يُقلِّدُ دينَه قائلَ القرآنِ ومُنزِّلَه، ولا الرسولَ الذي جاءَ به؟! حتىٰ عارضَهما في صفاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وكلامِهِ بخلافِ ما عَنَيا، وفسَّرَ عليهما برأيه خلافَ ما أرادا؟!

٢٩٨- وأعجبُ مِن ذلك قولُك: **إني سألتُ بِشرًا المريسي عن قول الله تعالى:** ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل].

فقال بِشرٌ: كوَّنَه كما شاءَ بغيرِ (كُن).

= المذهب عنهم؟ فإن الهلكةَ في خلافهم، وإنهم لم يجتمعوا علىٰ شيءٍ قطُّ، فكان الهُدىٰ في غيره، وقد أثنىٰ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أهل القدوةِ بهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]... إلخ.

- وفي «جامع بيان العلم» (١٤٢٣) روىٰ الأوزاعي، عن ابن المسيب: أنه سُئل عن شيءٍ، فقال: اختلف فيه أصحاب رسول الله ﷺ، ولا رأي لي معهم.

قال ابن وضَّاح: هذا هو الحقّ.

قال ابن عبد البر: معناه: أنه ليس له أن يأتي بقول يخالفهم جميعًا به.

- وفي «العُدَّة في أصول الفقه» (٤/ ١٠٥٩) قال أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ - في رواية عبد الله وأبي الحارث في الصحابة رضي الله عنهم إذا اختلفوا لم يخرج من أقاويلهم -: أرأيت إن أجمعوا هل له أن يخرج من أقاويلهم؟

[قال]: هذا قولٌ خبيث، قول أهل البدع، لا ينبغي أن يخرجَ من أقاويل الصحابة رضي الله عنهم إذا اختلفوا.

(١) تقدم تخريجه برقم (٢٥١).

أوَمَا وجدتَ أيُّها المُعارِضُ فيمن رأيتَ مِن المشايخِ شَيخًا أرشدَ مِن بِشرٍ؟! وأعلمَ بتأويلِ هذه الآيةِ مِن بشرٍ الذي كفَرَ بربٍّ قال قولًا لشيءٍ قطُّ: (كن) فكان؟!(١).

وهذا المشهورُ مِن مذهبِه المعروفُ في كلِّ مصرٍ: (أنَّ اللهَ لم يَتكلَّم بكلمةٍ قطُّ، ولا يتكلَّمُ بها قطُّ)، فسُؤالُك بِشرًا عن هذه الآيةِ مِن بينِ المشايخ؛ دليلٌ منك على الظِّنَّةِ والرِّيبةِ القديمة، وأنك لم تسأله عن ذلك إلَّا عن ضميرٍ مُتقدِّمٍ، أفلا سألتَ عنه مَن أدركتَ مِن المشايخِ، مثل: أبي عُبيدٍ، وأبي نُعيم(٢)، ونُظرائهم مِن أهلِ الدينِ، والفضلِ، والمعرفةِ بالسُّنةِ؟!

ثم ادَّعيتَ أن بِشرًا قال: **(معناه: (أن يكوِّنَه حتى يكون)، أي: مِن غيرِ قولٍ يقول له: (كُن)، ولكن يُكوِّنُه على ما أراد)**.

ثم فسَّرتَ قول بشرٍ هذا، فزعمتَ أنه عنىٰ بذلك: **(أن الأشياءَ ليست مخلوقةً مِن (كن)، ولكنَّ اللهَ كوَّنها على ما أرادَ** [٤٨/ أ] **مِن غيرِ كيفيةٍ، وللكلامِ وجوهٌ بزعمك)**.

---

(١) في «الرد علىٰ الجهمية» لابن أبي حاتم كما عند اللالكائي (٦٠٩) قال الجوزجاني - يعني: موسىٰ بن سليمان - وسأله رجلٌ عن مسألة، فأفتاه، ثم قال له الرجل: إن المريسي يقول بخلاف هذا.

فقال الجوزجاني لمن حضره: سبحان الله! سمعتم أعجب مِن هذا؟! سألني عن مسألة فأجبته، ثم حكىٰ لي عن كافرٍ.

(٢) أبو عُبيد هو القاسم بن سلَّام (٢٢٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وأبو نُعيم هو الفضل بين دُكين (٢١٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

فيُقالُ لهذا المعارِضِ: قد افتريتما علىٰ اللهِ جميعًا فيما تأوَّلتما مِن ذلك، وجحدتما قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل]، إذ ادَّعيتُما: (**أن الأشياءَ لا تكونُ بقوله: (كُن)، ولكن يكوِّنه بإرادتِه مِن غيرِ قولِ: (كُن)**.

وهذا هو الجحودُ بما أنزلَ اللهُ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ جمعَ فيه القول والإرادة، فقال: ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ [النحل:٤٠]، فسبقت الإرادةُ قبل (كُن)، ثم قال: (كُن)، فكان بقوله وإرادتِه جميعًا.

فكيفية هذا كما قال أصدقُ الصَّادقين: إنه إذا قال: (كُن) فكان، لا ما تأوَّله أكذبُ الكاذبين.

وليست هذه المسألةُ ممَّا يَحتاجُ الناسُ فيها إلىٰ تفسيرٍ، ولا هي مِن العويصِ الذي يَجهلُها العوامُّ، فكيفَ الخاصُّ مِن العُلماءِ؟

وليس هذا ممَّا يُشكِلُ علىٰ رجُلٍ رُزِقَ شيئًا مِن العقلِ والمعرفةِ حتىٰ يَسألَ عنه مثلَ المريسيِّ الذي لا يَعرفُ ربَّه، فكيف يَعرفُ قولَه؟

وإنما امتنعَ المَريسيُّ وأصحابُه مِن أن يُقرُّوا بهذا؛ أنهم قالوا: متىٰ ما أقررنا أنَّ اللهَ قال لشيءٍ: (كُن)، كلامًا منه، لزِمنا أن نُقِرَّ بالقرآنِ والتوراةِ والإنجيلِ أنه نفسُ كلامِهِ، فامتنعوا مِن أجلِ ذلك؛ لأنَّ الله - في دعواهم - لم يتكلَّم بشيءٍ، ولا يتكلَّمُ.

والدليلُ علىٰ هذا المُعارِضِ بسؤالِ بِشرٍ عن هذه الآيةِ قديمًا في شبابِه، وقد عُرِفَ مذهبُ بِشرٍ أنه [قد] اضطمرَ هذا الرأي في أوَّلِ دهرِهِ، وليس برأيٍ

استحدثَه حديثًا.

٢٩٩- وروى أبو ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**قال اللهُ: إن رحمتي كلامٌ، وعذابي كلامٌ، وغَضَبِي كَلامٌ، إنَّما قولي لشيءٍ إذا أردتُ أن أقولَ له: (كُن) فيكون**»(١).

٣٠٠- ادَّعىٰ المُعارِضُ أيضًا [مثله] في قولِ اللهِ تعالىٰ لعيسىٰ ابن مريم رُوح اللهِ وكلمته، فقال: (**يقولُ أهلُ الجُرأةِ في معنى (كلمته): أي بكلمتِهِ، وإن سُئلوا عن المَخرجِ منه لم يقدروا عليه، وتأوَّلوا على اللهِ برأيهم**).

فيُقالُ لهذا المعارضِ: أوَيحتاجُ في هذا إلىٰ تَفسيرٍ ومَخرجٍ؟ قد عَقَلَ تفسيرَه عامَّةُ مَن آمنَ باللهِ: أنه إذا أراد شيئًا قال له: (كُن) فيكون، ومتىٰ لا يقول له: (كُن)؛ لا يكون، فإذا قال: (كُن)؛ كان.

فهذا المخرجُ مِن أنه كان بإرادتِه وبكلمتِه، لا أنه نفسُ الكلمةِ التي خرجت منه، ولكن بالكلمةِ كان، فالكلمةُ مِن اللهِ: (كُن) غيرُ مخلوقةٍ، والكائنُ بها مخلوقٌ.

---

(١) رواه أحمد (٢١٣٦٧ و٢١٥٤٠)، والترمذي (٢٤٩٥) في حديث طويل، وفيه: «... **ذلك بأني جوادٌ ماجدٌ صمد، عطائي كلام، وعذابي كلامٌ، إذا أردتُ شيئًا فإنما أقول له: كن، فيكون**».

قال الترمذي: هذا حديث حسن، وروىٰ بعضهم هذا الحديث عن شهر بن حوشب، عن معدِ يكرب، عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ نحوه. اهـ

وأصل الحديث رواه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكن بدون زياده: «**ذلك بأني جواد ماجد ...**».

وقولُ اللهِ في عيسىٰ (روحُ اللهِ، وكلمتُه) فبَين (الرُّوحِ) و(الكلمةِ) فرقٌ في المعنىٰ؛ لأن (الروحَ) الذي نُفِخَ فيها [روح] (مخلوقٌ)، امتزجَ بخلقِه، و(الكلمةُ) مِن اللهِ غيرُ مخلوقةٍ لم تمتزج بعيسىٰ، ولكن كان بها، وإن كَرِه؛ لأنَّها مِن اللهِ أمرٌ، فعلىٰ هذا التأويلِ قُلنا، لا علىٰ ما ادَّعيت علينا مِن الكذبِ والأباطيلِ (١).

---

(١) تقدم التعليق في «الرد» (برقم/ ٢٥٥) عن الكلام عن المُضافات إلىٰ الله تعالىٰ.

- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٨٧): ثم إن الجهميَّ ادَّعىٰ أمرًا آخر ابتغاءَ الفتنة: فقال: إن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ [النساء:١٧١]، فعيسىٰ: (كلمة الله)، وعيسىٰ: (مخلوق).

فقيل للجهميِّ: جهلك بكتاب الله وقبيح تأويلك قد صار بك إلىٰ صُنوف الكفر، وجعلك تتقلَّبُ في فنون الإلحاد، فكيف ساغ لك أن تقيس عيسىٰ بالقرآن؟! وعيسىٰ قد جرت عليه ألفاظ، وتقلَّبت به أحوال لا يشبه شيءٌ منها أحوال القرآن؛ منها: أن عيسىٰ حملته أُمُّه، ووضعته، وأرضعته، فكان وليدًا، ورضيعًا، وفطِيمًا، وصبيًّا ... ويكون منه ما يكون من الحيوان إذا أكل وشرب.

وبذلك أخبرنا الله تعالىٰ عنه تكذيبًا للنصارىٰ حين قالوا فيه القول الذي يُضاهي قولك أيُّها الجهمي، فقال: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥]، فكنَّىٰ بالطَّعام عن خروج الحدث، وهو مع هذا مخاطَب بالتعبد، وبالسؤال والوعد والوعيد، ومُحاسب يوم القيامة، وأخبرنا أنه حيٌّ وميت ومبعوث. فهل سمعت الله عَزَّوَجَلَّ وصف القرآن بشيءٍ ممَّا وصف عيسىٰ؟!

فأمَّا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ

⇦=

٣٠١- ثم عاد المُعارِضُ أيضًا إلىٰ إنكارِ ما عنىٰ الله تعالىٰ بقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [الفجر]، فادَّعىٰ: (أن (المَجيء) و(الانتقالَ مِن مكانٍ إلى مكانٍ) صِفةُ المخلوقِ، والله يأتي في ظُللٍ من الغمامِ، فنُثبتُ الظُّلل ومجيئها؛ لأنها مخلوقةٌ.

= مَرۡيَمَ﴾ [النساء:١٧١]، فالكلمة التي ألقاها إلىٰ مريم قوله: (كُنْ)، فكان عيسىٰ بقوله: (كُنْ).

وكذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩].. فكلمة الله قوله: (كُنْ)، والمكون: عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. والجهمي حريصٌ علىٰ إبطال صفات ربِّه لإبطال إنِّيَّته - أي: وجوده -.اهـ

- قال المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «الصفات» لابن المُحبّ (١/ ٢٥٠): لا اختلاف بين المسلمين أن الأرواح التي في آدم، وفي عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ومَن سواهما مِن بني آدم كلها مخلوقة لله، خلقها وأنشأها وكوَّنها واخترعها بعد أن لم تكُن، ثم أضافها إلىٰ نفسه كما أضاف إليه سائر خلقه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [الجاثية:١٣].

- قال: فروح آدم وعيسىٰ وسائر الأرواح تُضاف إلىٰ الله، فيُقال: (هي منه)، علىٰ معنىٰ أنها خَلْقٌ له، ومُلْكٌ له، وكذلك نور المؤمنين والأنبياء والأنوار كلها تُضاف إلىٰ الله، ويقال: هي منه، علىٰ أنها خلقٌ له، وملك له.

قال: - ويقال: علم الله مِن الله، وقدرته منه، وكلامه وإرادته، وحِلْمه وسمعه وبصره ورحمته ووجهه ويداه منه، فهذه صفات ذات تُضاف إليه علىٰ أنها صفة له، ونَعْت له، لم يزل بهذه الصفات ولا يزال بها، لا علىٰ أنها خَلقٌ له ومُلكٌ له، فافهم الفرق بين الإضافتين. اهـ

فقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]، **يعني: (يأتيَهم أمرُه) في ظُللٍ مِن الغمامِ على إضمار (أمرِه) كما** [٤٨/ب]، **قال:** ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢]، **يريدُ: (أهل العِير) بإضمار (الأهل).**

• **فكذلك قوله:** ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]، **بإضمارِ (أمرِه).**

• **وكذلك:** ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر]، **يريدُ: أنَّ الملائكةَ هي الصفوف دونه جاءون بأمرِه، ففسَّروا:** ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، **وربُّك فيهم مُدبِّرٌ مُحكِمٌ).**

كما قال في سورة النحل: ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل:٣٣].

• **وقال في سورة الأنعام:** ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨]، **فبيَّنَ الأمرَ هاهنا، وأضمرَه في سورة الأنعام).**

فيقالُ لهذا المُعارِضِ المُفتري علىٰ اللهِ: قد فسَّرتَ هذه الآيةَ علىٰ خِلافِ ما عَنَىٰ، وفسَّرها رسوله ﷺ، وعلىٰ خلافِ ما فسَّرَها أصحابُه.

قد رَوينا تفسيرَها عنهم في صدرِ هذا الكتاب بأسانيدها المعروفةِ المشهورةِ، علىٰ خلافِ ما فسَّرتَ وادَّعيت عن هؤلاءِ المُفسِّرين(١).

---

(١) تقدم برقم (١١٤) نقض المُصنِّف علىٰ هذا التحريف، وذكرت هناك أن هذا القول هو الساري عند كثير مِن مُتأخري المُعطِّلة ممَّن اشتغل بالتصنيف.

فمَن مُفسِّروكُ هؤلاء الذين تحكي عنهم أنهم قالوا فيها كذا؟ وقال آخرون فيها كذا؟

فمَن هؤلاء الأوَّلون والآخِرون؟ فاكشِف عن رؤوسهم، وسَمِّهم بأسمائهم، فإنك لا تكشِفُ إلَّا عن زنديقٍ، أو جهميٍّ لا يؤمنُ بالله ولا باليومِ الآخرِ، ولا يُحكمُ لك بتفسيرِ هؤلاء المُعنعنين على تفسيرِ هؤلاءِ المكشوفين الذين سمَّيناهم لك مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ والتابعين. أصحابُ التفسير معروفون من أصحابِ النبيِّ ﷺ والتابعين عند الأُمَّةِ مثل: ابنِ عباس، وابنِ عمر، وزيدِ بن ثابت، وأُبي بن كعب، ونُظرائهم رضي الله عنهم.

ومِن التابعين مثل: سعيد بن جبير، ومجاهدٍ، وأبي صالح الحنفي، والسُّدي، وقتادة، وغيرهم.

فعن أيِّهم تحكي هذه التفاسير التي ترويها على ربِّ العالمين؟ فإنَّا [لـ]ـمَّا وجدناهم مُخالفين لِمَا ادَّعيتَ على اللهِ في كتابه، أتيناك بها عنهم في صدرِ هذا الكتابِ، منصوصةً مُفسَّرةً(١).

فعمَّن تَروي هذه الضلالات، وإلى مَن تُسنِدُها؟ فصرِّح بهم كما صرَّحتَ ببشرٍ المريسيِّ وابنِ الثلجيِّ، وما نراك صرَّحت ببشرٍ وابن الثلجي وكنَّيتَ عن هؤلاءِ المُفسِّرين إلَّا وإنهم أسوأ منزلةً عند أهل الإسلامِ، وأشدّ ظِنَّةً في الدِّين منهما، لولا ذلك لكشفتَ عنهم كما كشفتَ عن بشرٍ(٢).

---

(١) انظرها من فقرة (١١٤-١٢١).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٤/ ١٤٠٩): فإذا لم يجز تفسير ⇦=

وقد فسَّرنا لك أمرَ إتيانِ اللهِ ومجيئِهِ والمَلَكِ صَفًّا صَفًّا، في صدرِ هذا الكتابِ، لم نُحِبَّ أن نُعيده هاهنا فيطولَ [به] الكتاب.

٣٠٢ - وأمَّا ما ادَّعيتَ مِن: (**انتقالِ [الله مِن] مكانٍ إلى مكانٍ، أنَّ ذلك صفةُ المخلوقين**)، فإنَّا لا نُكيِّفُ مَجيئَه وإتيانَه أكثرَ ممَّا وصَفَ الناطِقُ مِن كتابِهِ، ثُم ما وصَفَ رَسولُه ﷺ(١).

= القرآن بإثبات ما دلَّ عليه، وحصول العلم اليقيني بسُنن رسول الله ﷺ الصحيحة الثابتة، وكلام الصحابة وتابعيهم، أفيجوز أن يرجع في معاني القرآن إلىٰ تحريفات جهمٍ وشِيعته؟ وتأويلاتِ العلَّافِ والنظَّامِ والجُبَّائي والمريسي، وعبد الجبار وأتباعهم مِن كلِّ أعمىٰ أعجمي القلبِ واللسان، بعيدٍ عن السنة والقرآن، مغموزٍ عند أهل العلم والإيمان؟!. اهـ

(١) في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٧٤٦/ أ) عن سُليمان بن حرب، قال: سأل بشر بن السري حماد بن زيد، فقال: يا أبا إسماعيل، الحديث الذي جاء: «**ينزلُ اللهُ إلىٰ سماء الدنيا**»، أيتحوَّلُ مِن مكانٍ إلىٰ مكان؟ فسكت حماد بن زيد، ثم قال: هو في مكانه، يقرُبُ مِن خلقه كيف شاء.

- وفيه (٢٧٤٦ / ب) قال إسحاق بن راهويه: دخلتُ علىٰ عبد الله بن طاهر، فقال: ما هذه الأحاديث التي تروونها؟ قلت: أي شيءٍ، أصلح الله الأمير؟

قال: تروون أن الله ينزلُ إلىٰ السماء الدنيا؟!

قلت: نعم، رواها الثقات الذين يروون الأحكام.

قال: أينزل ويدع عرشه؟!

قال: فقلت: يقدرُ أن ينزلَ مِن غير أن يخلو العرش منه؟ قال: نعم.

قلت: ولم تَتكلَّم في هذا؟!

- وفي «عقيدة أصحاب الحديث» للصابوني (٤٢) قال محمد بن سلام: سألت =

٣٠٣- وقد روى ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما في تفسيرها: أنَّ السماءَ تَشقَّقُ لمجيئِه يومَ القيامةِ، وتَتنزَّل ملائكةُ السماوات، فيقولُ الناسُ: أفيكم ربُّنا؟ فيقولون: لا، وهو آتٍ، حتىٰ يأتيَ اللهُ في أهلِ السماءِ السابعة، وهم أكثرُ مِن دونهم(١).

وقد ذكرنا هذا الحديث بإسنادِهِ في صدرِ هذا الكتابِ، وهو مُكذِّبٌ لدعواك: أنه إتيانُ الملائكةِ (بأمرِهِ)، دون (مَجيئه)، لكنَّه فيهم مُدبِّرٌ [بِزعمِكَ].

ويلك ! لو كانت [٤٩/ أ] الملائكةُ هي التي تجيءُ وتأتي [بِزعمِكَ] دونه؛ ما قالت الملائكةُ: (لم يأتِ ربُّنا، وهو آتٍ)، والملائكةُ آتيةٌ نازِلةٌ حين يقولون ذلك.

أرأيتم دعواكم: (**أنَّ اللهَ في كلِّ مكانٍ مِن الأرض والسماء**)، أوَلَم يكن قبلَ السماءِ والأرضِ علىٰ العرشِ فوق الماء؟ فكيف صارَ بعدُ في السماءِ والأرضِ في دعواكم؟

=

عبدالله بن المبارك في نزول ليلة النصف من شعبان.

فقال عبد الله: يا ضعيف، ليلة النِّصف؟ ينزل كل ليلة.

فقال الرَّجل: يا أبا عبد الرحمن، كيف ينزل؟ أليس يخلو ذلك المكان منه؟

فقال عبد الله: ينزل كيف يشاء.

- وفي «خلق أفعال العباد» (٦١) قال الفُضيل بن عياض: إذا قال لك جهمي: أنا أكفر بربٍّ يزولُ عن مكانه. فقل: أنا أؤمنُ بربٍّ يفعلُ ما يشاء.

(١) تقدم برقم (١١٩)، وانظر تعليق المُصنِّف عليه.

وفي دعوانا: (استوىٰ إلىٰ السماءِ دون الأرض)، فكما قدرَ علىٰ ذلك فهو القادرُ علىٰ أن يجيء ويأتي متىٰ شاء، وكيفما شاء.

أرأيتَك إذا فسَّرتَ قوله: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، فزعمتَ: **أنَّ الله أضمرَ في ذلك (أمرَه)، كما أضمرَ في القريةِ والعِيرِ (أهلَها).**

أوَلستَ قد ادَّعيتَ أيُّها المُعارِضُ في صدرِ كتابك[١]: أن لا يوصفَ بالضميرِ؛ فإن الضميرَ يُنفىٰ عن الله تعالىٰ، ومَن وصفَ اللهَ بشيءٍ وهو عنه منفيٌّ فهو الكافرُ عندك، فكيف نفيتَ عنه هذا الضميرَ هناك، وثبَّته له هاهنا؟!

أوَلَم تخشَ علىٰ نفسِكَ ما تخوَّفتَ علىٰ غيرِك مِن الكفرِ؟

ولكنَّك تدَّعي الشيءَ فتنساه حتىٰ تدَّعي بعدُ خلافَه، فيأخُذَ بحلقِكَ، غيرَ أني أظُنُّكَ تكلَّمتَ به بالخُرافِ[٢]، وأنت آمِنٌ مِن الجوابِ.

٣٠٤- وادَّعيتَ - أيضًا -: **(أن الزنادقةَ قد وضعوا اثني عشر ألفًا مِن الحديث، روَّجوها على رواةِ الحديثِ، وأهلِ الغفلةِ منهم[٣]).**

فيُقالُ لك أيها المعارِض: ما أقلَّ بصرَكَ بأهلِ الحديثِ وجهابذتِهِ، لو قد وضعتِ الزنادقةُ اثني عشرَ ألفَ حديثٍ ما تَروجُ لهم علىٰ أهلِ البصرِ بالحديثِ منها حديثٌ واحدٌ، ولا تقديمُ كلمةٍ ولا تأخيرُها، ولا تبديلُ إسنادٍ

---

(١) ذكر هذا عنه في آخر الكتاب تحت فقرة (٣٨٥).

(٢) من الخرف وهو فساد العقل.

(٣) تقدم برقم (٢٧٢) نحو هذا.

مكان إسنادٍ، ولو قد صحَّفوا عليهم في حديثٍ؛ لاستبانَ ذلك عندهم، ورُدَّ في نحورهم.

ويلك ! هؤلاء يَنتقِدونَ علىٰ العُلماءِ المشهورينَ تقديمَ رَجُلٍ مِن تأخيرِه، وتقديمَ كلمةٍ مِن تأخيرِها، ويُحصون عليهم أغاليطهم ومُدلَّساتِهم[1]، أفيجوزُ للزنادقةِ عليهم تدليسٌ؟ إذ هم في الغفلةِ مثلُ زُعمائك هؤلاءِ ضَربُ المريسيِّ ونُظرائه، إذ هم دلَّسوا عليه عن ابن عباس ﭬ : (إن اللهَ لا يُدركُ بشيءٍ مِن الحواسِّ)[2].

فإن كان شيءٌ من وضعِ الزنادقةِ فهو هذا؛ لأنَّ فيه تعطيلَ ذي الجلال والإكرام، لأن (شيئًا) لا يُدرك بشيءٍ مِن الحواسِّ فهو (لا شيءَ)، وهذا مذهبُ الزنادقةِ، فقد روَّجوه، وهذا تكذيبٌ لكتابِ الله تعالىٰ.

• قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء].

فأخبر أن موسىٰ أدركَه منه (الكلامُ)، وهو مِن أعظم الحواسِّ.

---

(١) فإذا كان أئمَّةُ السنة والحديث لا يرضون هذا في حديث النبيِّ ﷺ ؛ فكيف يرضون برواية الأحاديث المُنكرة في صفات الله تعالىٰ ويسكتون عنها؟
أو الأخبار المُنكرة عن بني إسرائيل في صفاتِ الله تعالىٰ.
فكيف يروونها في كتب السُّنة والاعتقاد والرد علىٰ الجهمية، ومع نكارتها يسكتون عنها، ولا ينكرون ما دَلَّت عليه مِن معانٍ باطلة لا تليق بحقِّ الله تعالىٰ ولا بصفاته؟!

(٢) تقدم ذكره برقم (٢٧) وأنه مفتعلٌ مكذوب.

وأخبرَ أن أولياءَه يُدرِكون منه بالحواسِّ (النظر إليه)، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة]، و(النظرُ) أحدُ الحواسِّ.

• وقال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة:١٧٤].

• وقال رسول الله ﷺ للمؤمنين: «**ما منكم مِن أحدٍ إلَّا سيُكلِّمُه ربُّه يومَ القيامةِ**»، رواه عنه عدي بن حاتم رضي الله عنه (١).

فهل مِن حواسَّ أبين مِن (الكلامِ) و(النظرِ)؟(٢).

فلذلك قلنا: إنَّ هذا مِن وضعِ الزنادقة روَّجوه علىٰ المريسيِّ، وتُروِّجه أنت أيها المُعارضُ علىٰ مَن حواليك مِن الجُهَّالِ، وما إخالُك إلَّا وستعلمُ أنه لا يجوزُ للزنادقةِ علىٰ أهلِ العلمِ بالحديثِ تدليسٌ، غيرَ أنك تريدُ أن تَهجُرَ(٣) العلمَ وأهلَه، وتُزري بهم مِن أعينِ من [٤٩/ ب] حواليك مِن السُّفهاءِ، بمثلِ هذه الحِكاياتِ؛ كيما يرتاب فيها جاهلٌ، فيراك صادقًا في دعواك.

فدونك أيُّها المُعارضُ فأوجدنا عشرةَ أحاديثَ دلَّسوها علىٰ أهلِ العلمِ، كما أوجدناك ممَّا دَلَّسوا علىٰ إمامِك المريسيِّ، أو جرِّب أنت فدلِّس عليهم منها عشرةً حتىٰ تراهم كيف يَرُدُّونها في نحرِكَ.

وكيف دلَّسَ الزنادقةُ علىٰ أهلِ الحديثِ اثني عشر ألفًا، ولم يبلُغ ما رُويَ

---

(١) رواه المُصنِّف مُسندًا برقم (١٢).

(٢) تقدم نحوه برقم (٢٨ و٢٩ و١٥٨).

(٣) في (ب): (تُهجِّن).

عن رسولِ الله ﷺ وأصحابِهِ اثني عشرَ ألفَ حديثٍ بغيرِ تكرارٍ إن شاء الله؟(١) إذًا رَواياتهم كلُّها مِن وضعِ الزنادقةِ في دعواك(٢).

٣٠٥- ورَويتَ أيُّها المعارضُ: عن حَرِيزِ بن عثمان، عن شَبيب أبي رَوح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**الإيمانُ يمانٍ، والحِكمةُ يمانِيَةٌ، وأجِدُ نَفَسَ ربِّكم مِن قِبَلِ اليمن**»(٣).

---

(١) وهذه فائدة مِن إمامٍ مُتقدِّم: في إحصاء عدد الأحاديث المروية عن النبي ﷺ.

(٢) تقدم برقم (٢٧٢) والتعليق عليه.

(٣) رواه أحمد (١٠٩٧٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢٦٧ و ٢٢٧٦)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٠٨٣).

- وروىٰ النسائي في «الكبرىٰ» (١٠٧٠٥)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١١٧٤) عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لا تسبُّوا الرِّيحَ فإنها مِن نَفَسِ الرَّحمن.

وروىٰ الطبراني في «الكبرىٰ» (٦٣٥٨) عن سلمة بن نفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال وهو مولٍّ ظهره إلىٰ اليمن: «**إني أجدُ نَفَسَ الرحمن مِن هاهنا**».

- وعند ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٤٦٠) بلفظ: «**إني لأجد نَفَس ربي عَزَّوَجَلَّ من هاهنا**».

- وروىٰ البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «..**الإيمانُ يَمَانٍ، والحِكْمَةُ يَمَانِيَة** ...».

والمراد بقوله: «**من نَفَسِ الرحمن**»: أي مما يُنَفِّس الله تعالىٰ به علىٰ عباده.

- قال الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ في «تهذيب اللغة» (١٣/ ٩) وهو يتكلم عن حديث: «**أجدُ نَفَسَ ربِّكم من قِبَل اليَمَن**»، وحديث: «**لا تَسُبُّوا الرِّيح فإنها مِن نَفَس الرّحمن**». قال: النَّفَس في هذين الحديثين اسمٌ وُضِع موضعَ المصدرَ الحقيقي، من نفَّس يُنفِّس تَنفيسًا ونفسًا، كما يقال: فرَّج الهمَّ عنه تفريجًا، وفرجًا، فالتفريجُ مصدرٌ حقيقي، ⇐

فقلت كالمُنكرِ لهذا، تعالىٰ الله عمَّا نحلَه المُبطلون: بأن ذلك (نَفَسٌ) يخرُجُ مِن جوفٍ.

فمِمَّن سمعتَ أيها المُعارِضُ أنَّ هذا (نَفَسٌ) يَخرجُ مِن جوفِ اللهِ تعالىٰ؟ وهذا الحديثُ معروفٌ معقولُ المعنىٰ، جهلتَ معناه، فصرَفتَه إلىٰ غيرِه ممَّا لم نرَ أحدًا يقولُه، أو يذهبُ إليه.

إنَّما فسَّرَه العلماءُ علىٰ الرَّوحِ الذي يأتي بها الرِّيحُ مِن نحو اليَمَنِ، لأنَّ مَهَبَّ الريحِ [والروحِ] مِن هناك عندهم، فأمَّا أن يقول أحدٌ: هو نَفَسٌ يَخرجُ مِن جوفِ الرحمنِ(١)، فما سمِعنا أحدًا يقوله قبلَك، وأدنىٰ ما عليك فيه

= والفَرَج اسمٌ وضع موضعَ المصدَر، كأنه قال: أجدُ تَنفيسَ ربِّكم عنكم من جهة اليَمن؛ لأن الله جلَّ وعزَّ نصرَهم بهم، وأيَّدهم برجالِهم. وكذلك قولُه: «**الرِّيحُ من نَفَس الرحمن**» أي: من تنفيسِ الله بها عن المكروبين، وتفريجِه عن الملهوفين. اهـ

وقد نقلت في تعليقي علىٰ «الإبانة الصُّغرىٰ» (٢٩٩) ما نقله ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في منع حمل هذا الحديث علىٰ ظاهره، وبيان أن معناه: أن الرِّيح ممَّا يُفرِّج الله عَزَّوَجَلَّ بها عن المكروب والمغموم، فيكون معنىٰ النَّفس معنىٰ: (التَّنفيس) .. وأنه قد روي في الخبر: «**مَن نَفَّسَ عن مؤمنٍ كُربَةً مِن كُربِ الدُّنيا؛ نَفَّسَ اللهُ عنه كُربَةً مِن كُربِ يومِ القيامَةِ**» .. إلخ.

وانظر مناقشة ابن تيمية في «تلبيس الجهمية» (٦/ ١٥٦-١٧٢) للرازي حول هذا الحديث، وما ادَّعاه مِن أن تأويل الصفات وارد عن السلفِ والأئمة.

وانظر التعليق علىٰ كتاب «الرد علىٰ المبتدعة» لابن البناء (٧٧).

(١) سيأتي قريبًا برقم (٣٠٧) أن الله تعالىٰ لا يوصف بأن له جوفًا لأنه الصمد سبحانه، وهو الذي لا جوف له.

الكذِبُ: أن ترميَ [به] قومًا مُشَنِّعًا عليهم، ثم لا تقدرَ أن تُثبته عليهم، وهذا كقول النبيِّ ﷺ: «**الإيمانُ يَمانٍ، والحِكمةُ يَمانِيَةٌ**»، أي: إنه جاء من قِبَلِ مكة.

٣٠٦- وادَّعىٰ المُعارِضُ أيضًا أن المُقرئ حدَّث: عن حرملةَ بن عمران، عن أبي موسىٰ يونس، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ أنه قرأ: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، فوضعَ إبهامَهُ علىٰ أُذُنِه، والتي تليها علىٰ عينِهِ(١).

وقد عرفنا هذا مِن رِوايةِ المُقرئ وغيرِه كما روىٰ المُعارِضُ، غيرَ أنه ادَّعىٰ: (**أن بعضَ كَتَبَةِ الحديثِ ثبَّتوا به بَصرًا بعينٍ كعينٍ، وسمعًا بسمعٍ(٢) جارِحًا مُركَّبًا**).

فيُقالُ لهذا المُعارِض: أمَّا دعواك عليهم أنهم (**ثَبَّتوا له سمعًا وبصرًا**)؛ فقد صدقت.

وأمَّا دعواك عليهم أنه (**كعينٍ وكسمعٍ**)؛ فإنَّه كذِبٌ ادَّعيته عليهم؛ لأنه ليس كمثلِهِ شيءٌ، ولا كصفاتِه صفةٌ.

وأمَّا دعواك أنهم يقولون: (**جَارِحٌ، مُركَّبٌ**)؛ فهذا كفرٌ لا يقوله أحدٌ مِن المسلمين(٣)، ولكنَّا نُثبتُ له السمعَ والبصرَ والعينَ بلا تكييفٍ، كما أثبته لنفسِه فيما أنزلَ مِن كتابه، وأثبتَه له الرسولُ ﷺ، وهذا الذي تُكَرِّرُه مرَّةً بعد مرَّةٍ: (جارحٌ وعُضوٌ) وما أشْبَهَه، حشوٌ وخُرافاتٌ، وتَشنيعٌ لا يقولُه أحدٌ مِن

---

(١) تقدم برقم (١٠٠) تخريجه والتعليق عليه.

(٢) كذا في الأصل، والمثبت في المطبوع: (وسمعًا كسمع).

(٣) في (ب): (المضلين).

العالمين(١).

---

(١) تقدم كذلك قول المُصنِّف (١٢٧): (وأمَّا تَشنيعُك علىٰ هؤلاء المُقرِّينَ بصفاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، المؤمنين بما قال اللهُ، أنهم يَتوهَّمون فيها (جوارِحَ وأعضاءَ)، فقد ادَّعيتَ عليهم في ذلك زُورًا باطِلًا ..). وسيأتي كذلك نحوه برقم (٣٧٤).

قلت: أهل السنة يثبتون صفات الله تعالىٰ علىٰ الحقيقة التي تليق بالله تعالىٰ، ولا يتلفظون بالألفاظ المُجملة التي تحتمل الحقّ والباطل، والتي يَتترَّس بها المُعطّلة لنفي حقيقة صفات الله تعالىٰ، كنفي (الجوارح والأعضاء عن الله تعالىٰ)، فإن المُعطِّلة ينفونها عن الله تعالىٰ ويُريدون بها نفي حقيقة الصفة، ولهذا كثيرًا ما تجد مَن ينفيها عن اللهِ مَن عُرِف بالتأويل والتحريف، أمَّا أئمَّة السنة المُتقدِّمون فإني لم أقف علىٰ من تلفَّظ بها ونفاها عن الله تعالىٰ، بل كانوا يُنكِرون علىٰ مَن تكلَّمَ بها نفيًا أو إثباتًا كصنيع الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاهنا.

وقد تقدم في التعليق علىٰ فقرة (١٢٧) النقل عن بعض من نفاها عن الله تعالىٰ ممن مسلكه مسلك أهل التأويل. وأزيد هاهنا بعض النقول:

- قال الأشعري في «الإبانة»: فإن قالوا : لأن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلَّا جارحة. قيل لهم: ولم قضيتم أن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلَّا جارحة؟ فلم أنكرتم أن تكون اليدان اللتان أخبر الله تعالىٰ عنهما يدين ليستا نعمتين، ولا جارحتين، ولا كالأيدي. اهـ

- وقال الإسماعيلي في «اعتقاد أهل الحديث»: ولا يُعتقد فيه الأعضاء، والجوارح، ولا الطول والعرض، والغلظ، والدِّقَّة، ونحو هذا ممَّا يكون مثله في الخلق، فإنه ليس كمثله شيءٌ تبارك وجه ربنا ذو الجلال والإكرام. اهـ

- وقال الباقلاني في «الإنصاف»: وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥]، وأنهما ليستا بجارحتين. اهـ

- وقال ابن بطال في «شرح صحيح البخاري» (١٠/ ٤١١): وفيه إثبات اليمين
⇦=

وقد روينا آياتِ السمعِ والبصرِ والعينِ في صدرِ هذا الكتاب بأسانيدها وألفاظها عن رسولِ اللهِ ﷺ(١)، فنقولُ كما قال، ونعني بها كما عنَىٰ(٢)، والتكييفُ عنَّا مرفوعٌ، وذِكرُ (الجوارحِ والأعضاءِ) تكلُّفٌ منك وتَشنيعٌ.

٣٠٧- وادَّعىٰ المُعارِضُ: أن عبد الرحمن بن مهدي روىٰ، عن معاوية بن صالح، عن العلاءِ بن الحارث، عن زيد بن أرطأة، عن جُبير بن نُفير، قال: قال رسول الله ﷺ [٥٠/أ]: «**إنكم لن تَقرَّبُوا إلىٰ اللهِ بشيءٍ أفضلَ ممَّا خرجَ**

= لله صفة من صفات ذاته ليست بجارحة، خلافًا لما تعتقده الجسمية في ذلك، لاستحالة جواز وصفه بالجوارح والأبعاض. اهـ

- وقال البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١١٨): فأمَّا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥]، فلا يجوز أن يحمل علىٰ الجارحة؛ لأن الباري جل جلاله واحد، لا يجوز عليه التبعيض. اهـ

فكل هذا النفي يسلكه أهل التأويل لتعطيل حقيقة الصفات.

وقد تورَّط بعض مَن يتنسب إلىٰ أهل السُّنة في إمرار الصفات بنفي (الجوارح والأعضاء) عن الله عَزَّوَجَلَّ، وأراد منه نفي المعنىٰ الباطل عن الله، ولكن ردَّ بدعة ببدعة، وخالف من قبله من أئمة السنة في تركهم الخوض في ذلك.

(١) تقدم برقم (٤٨ و٥٥ و٨٩) وما بعدها.

(٢) في الأصل: (عين)، وما أثبته من (ب).

وفي كلام المُصنّف هذا ردٌّ علىٰ المفوِّضة الذين يزعمون أن نصوص الصفات لا يُدرىٰ ما هي؟ ولا يُعرفُ لها معنىٰ ولا تفسير، وأنها لا تُحمل علىٰ حقيقتها التي خاطبنا الله تعالىٰ بها.

وانظر المقدمة (١/ ٨٩) ففيها زيادة بيان.

منه». - يعني: القرآن -(١).

فادَّعىٰ المُعارِضُ: **(أن الثلجيَّ قال في هذا مِن كتابٍ لم أسمعه من الثلجيِّ، قال: ذهبتِ المُشبِّهةُ في هذا إلى ما لا يعقلون مِن الكلامِ من الجوفِ، فناقضوا إذ صحَّحوا أنه الصَّمَدُ، و(الصَّمدُ): الذي لا جوفَ له، فاحتملَ أنه خرجَ منه، أي: [أتى] مِن عنده مِن غيرِ خروجٍ منه، كما يقال: خَرَجَ لنا مِن فلانٍ كذا وكذا مِن الخيرِ، وخرجَ العطاءُ مِن قبلِه، لا أنه خرجَ مِن جوفِه)**.

فيُقالُ لهذا المعارضِ ولإمامِه الثلجيِّ: قد فهِمنا مُرادك، إنما تُريدُ نفي الكلامِ عن اللهِ تعالىٰ، مُشنِّعًا بذكرِ الجوفِ، فأمَّا (خروجه مِن اللهِ) فلا يَشُكُّ فيه إلَّا مَن أنكرَ أنه كلامُه؛ لأنَّ الكلامَ يَخرجُ مِن المُتكلِّمِ لا مَحالةَ.

وأمَّا أن نَصِفَه بـ(الجوفِ) كما ادَّعيتَ علينا زُورًا، فإنَّا نُجِلُّه عن ذلك، وهو المُتعالي عنه؛ لأنه الأحد الصَّمدُ، كما قال(٢).

---

(١) رواه أبو داود في «المراسيل» (٥٣٨)، والترمذي (٢٩١٢)، وقال: مرسل.
وقال البخاري في «خلق أفعال العباد» (٥٣٣) بعد أن ذكره مِن غير إسناد: (هذا الخبر لا يصحّ؛ لإرساله، وانقطاعه).
قلت: أما معناه فصحيح، فقد روىٰ عبدالله بن أحمد في «السُّنة» (٩٣) بإسناد صحيح عن خبَّاب بن الأرت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: تقرَّب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ما استطعتَ، فإنَّك لن تقرَّبَ إليه بشيءٍ أَحبَّ إليه مِن كلامِهِ. يعني: القرآن.

(٢) أخرج أقوال السَّلف في معنىٰ (الصمد) الطبراني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السُّنة»، وقد ذكرها عنه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٥١١ - ٥٣٤) بأسانيدها، ثم قال:
- قال الطبراني: وهذه الصفات كلها صفات ربِّنا جلَّ جلاله، ليس يخالف شيء منها: هو (المُصمت الذي لا جوف له)، وهو (الذي يُصمد إليه في الحوائج)، وهو (السيد الذي قد انتهىٰ سؤدده)، وهو (الذي لا يأكل الطعام)، وهو (الباقي بعد ⇐=

ومَن زعمَ أنه لم يخرج منه إلَّا كخروجِ عطاءِ الرجلِ مِن قِبَلِه، فقد أقرَّ بأنه كلامُ غيرِه، وكلامُ غيرِه مخلوقٌ، لا يجوزُ أن يُضافَ إليه صِفةً، ولو جازَ ذلك لجاز أن يقولَ: كلُّ مَا تكلَّمَ به الناسُ مِن الغِناءِ والنَّوحِ والشِّعرِ كلُّه كلامُ الله، وهذا مُحالٌ يدعو إلىٰ الضلالِ.

وفي هذا القياسِ الذي ذهبتم إليه يجوزُ أن يقال: قولُ اليهودِ: (عُزيرٌ ابنُ الله)، والنصارىٰ: (المسيحُ ابنُ الله)، (ثالثُ ثلاثة)، قبل أن يُخبِرَ اللهُ عنهم كان كلامَ اللهِ، فإن كانَ القرآنُ عندكم كلامَ الله فمِنه خرجَ بلا شَكٍّ، والجوفُ

= خلقه).

قلت (ابن تيمية): ويدلُّ علىٰ ما ذكره الطبراني من جمع الصمد لهذه المعاني أن من سلف الأُمّة من قال هذا وهذا، ومثل هذا كثيرًا ما يجيء في تفسير معاني أسمائه، كالرحمن، والجبار، والإله، وغير ذلك، وقد قرَّرنا في غير هذا الموضع أن عامَّة تفاسير السلف ليست مُتباينة، بل تارة يصفون الشيء الواحد بصفات متنوعة، وتارة يذكر كل منهم مِن المُفسَّر نوعًا أو شخصًا علىٰ سبيل المثال لتعريف السائل بمنزلة الترجمان الذي يقال له ما الخبز؟ فيُشير إلىٰ شيء معين علىٰ سبيل التمثيل. اهـ

- وقال في «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٢١٤): والاسم (الصَّمد) فيه للسَّلف أقوال مُتعدِّدة، قد يظنّ إنها مُختلفة، وليس كذلك، بل كلها صوابٌ، والمشهور منها قولان؛ أحدهما: أن (الصَّمد) هو الذي لا جوف له.

والثاني: أنه السَّيد الذي يُصمد إليه في الحوائج.

والأول هو قول أكثر السَّلف من الصَّحابة والتابعين، وطائفة من أهل اللغة، والثاني قول طائفة من السَّلف والخلف وجمهور اللغويين. اهـ

وقد أطال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٨٦-٦٠١) في مناقشة الرازي في اعتراضه علىٰ معنىٰ الصمد، والرد علىٰ تحريفه وتأويله له.

منفيٌّ عنه، وإن لم يَخرُج منه، فليسَ بكلامِه، ولكن كلامُ غيرِه في دعواكم.

فقُل لهذا الثلجي يرُدُّ هذا التفسيرَ علىٰ شيطانِه الذي ألقاه علىٰ لسانِه، وما يصنعُ في هذا بقول الثلجيِّ مع ما يرويه سُفيان بن عيينة، عن عَمرو بن دينار، قال: أدركت الناسَ منذُ سبعينَ سنة، يقولون: اللهُ الخالقُ، وما سِواه مخلوقٌ، والقرآنُ كلامُ الله، منه خرجَ وإليه يَعُودُ.

٣٠٨- حدثناه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، عن سُفيان بن عُيينة(١).

وأمَّا أن يُقاسَ الكلامُ مِن المُتكلِّم: (**بالخيرِ الذي يأتي مِن قِبَلِه، والعطاءِ الذي يخرجُ مِن عنده**): فإنه لا يَقيسُ به إلَّا جاهلٌ مثل الثلجيِّ؛ لأنَّ الخلقَ قد علِموا أنَّ (الكلامَ) يخرجُ مِن المُتكلِّم بلا شكَّ، وأن (إعطاءَ العطاءِ، وبذلَ المالِ) لا يخرجُ مِن نفسِ المُعطي والباذلِ، ولكن مِن شيءٍ موضوعٍ عنده بعينه.

و(الكلام) غيرُ بائنٍ مِن المُتكلِّم، و(المالُ والعطاءُ) بائنٌ منه؛ لأنَّ المُتكلِّمَ متىٰ شاءَ عادَ في مثلِ كلامه الذي تكلَّمَ به قَبل، مِن غيرِ أن يرُدَّ الكلامَ الخارجَ منه إلىٰ نفسِه ثانيةً، ولعلَّه لا يقدِرُ علىٰ ردِّ المالِ والعطاءِ الذي خرجَ منه، ولا أن يعودَ فيه بعينه.

فمن قاسَ هذا بذاك؛ فقد تركَ القياسَ الذي يعرفُه أهلُ القياسِ،

---

(١) تقدم برقم (٢٣٢).

- وفي «السُّنة» للخلال (٢٣٢١) قال عبد الله بن أحمد: ذكر أبو بكر الأعين، قال: سُئِل أحمد عن تفسير قوله: القرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود.

قال أحمد: منه خرج هو المُتكلِّمُ به، وإليه يعود.

والمعقولَ الذي يعرِفُه أهلُ العقلِ.

٣٠٩- وروىٰ المُعارِضُ - أيضًا - عن ابن عباس رضي الله عنهما: (الرُّكنُ): يمينُ اللهِ في الأرضِ، يُصافحُ به خَلْقَه(١).

فروىٰ عن هذا الثلجيِّ مِن غيرِ سماعٍ منه أنه قال: **(يمينُ اللهِ)**: **(نِعمتُه)**، و**(بركتُه)**، و**(كرامتُه)**، **لا يَمينُ الأيدي**(٢).

فيُقالُ لهذا الثلجي الذي يُريدُ أن ينفي عن اللهِ بهذه الضلالاتِ يديه اللتين خَلَقَ بهما آدمَ: [٥٠/ ب] ويلك أيها الثلجيُّ! إنَّ تفسيرَه علىٰ خلافِ ما ذهبتَ إليه، وقد علمنا يَقينًا أن (الحجرَ الأسودَ) ليس (بيدِ اللهِ نفسِه)، وأنَّ يمينَ اللهِ معه علىٰ العرشِ غيرُ بائنٍ منه.

ولكنَّ تأويلَه عند أهلِ العلم: كأنَّ الذي يُصافِحُ الحجرَ الأسودَ ويستلِمُه كأنَّما يُصافِحُ الله، كقوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [الفتح: ١٠](٣).

فثبَّتَ له (اليدَ) التي هي اليدُ عند ذكرِ المُبايعةِ، إذ سمَّىٰ اليدَ مع اليدِ، واليدُ معه علىٰ العرشِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق (٨٩١٩)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣٢٣و٣٢٦).
وقد تقدم برقم (٨٠) حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**مَن فاوَضَ الحجَرَ؛ فإنما يُفاوِضُ كفَّ الرحمنِ**».

(٢) تقدم برقم (٥٨) نقض المُصنِّف رحمه الله علىٰ تأويل الجهمي اليد بالنعمة والرزق.

(٣) تكلَّمَ ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ١٣٧) عن هذا الحديث، وردّ علىٰ الرازي احتجاجه به علىٰ جواز تأويل الصفات، ونقل كلام الدارمي رحمه الله هذا.

وكقول النبي ﷺ: «**إنَّ الصدقةَ تَقَعُ في يدِ الرحمنِ قبل يدِ السائلِ**»(١).

فثبَّتَ بهذا اليدَ التي هي اليدُ، وإن لم يَضَعها المُتصدِّقُ في نفسِ يدِ اللهِ.

وكذلك تأويلُ (الحجرِ الأسودِ)، إنَّما هو إكرامٌ للحجرِ الأسودِ، وتعظيمٌ له، وتثبيتٌ ليد الرحمنِ ويمينه، لا (النِّعمة) كما ادَّعىٰ الثلجيُّ الجاهلُ في تأويله، وكما يقدِرُ أن يكون مع كلِّ صاحبِ نجوىٰ من فوقِ عرشِه، كذلك يقدِرُ أن تكون يدُه فوقَ أيديهم مِن فوقِ عرشه(٢).

٣١٠- وكذلك ادَّعىٰ الجاهلُ الثلجيُّ: **(أنَّ الله خلقَ آدمَ بيدِه)، قال:**

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٧٦) موقوفًا من قول ابن مسعود رضي الله عنه، وله حُكم الرفع.

(٢) قال ابن تيمية في «بيان التلبيس» (٦/ ١٣٨): هذا الحديث سواء كان عن ابن عباس رضي الله عنهما أو كان مرفوعًا؛ فلفظه نصٌّ صريحٌ لا يَحتاجُ إلىٰ تأويل؛ فإنّ لفظه: «**الحَجرُ الأسودُ يمين الله في الأرض، فمن استلمه وقبّله كأنما صافح الله، وقبّل يده**».

وتسمية هذا تأويلًا أبعد من تسمية الحديث الذي فيه: (جُعْتُ)، وذلك أنه يمين الله في الأرض، فقوله: (في الأرض) مُتَّصل بالكلام، مُظهر لمعناه، فدلَّ بطريقِ النّص أنه ليس هو يمين الله الذي هو صفة له، حيث قال: (في الأرض)، كما لو قال الأمير - مُخاطبًا للقوم في جاسوس له -: هذا عيني عندكم.

فإن هذا نصٌّ في أنه جاسوسُه الذي هو بمنزلة عينه، ليس هو عينه التي هي صفة. فكيف يجوز أن يقال: إن هذا مُتأوّلٌ مصروفٌ عن ظاهره؟! وهو نصٌّ في المعنىٰ الصَّحيح، لا يحتمل الباطل، فضلًا عن أن يكون ظاهره باطلًا.

وأيضًا فإنه قال: «**من استلمه وقبّله، فكأنّما صافح الله، وقبّل يده**»، فجعل المستلمَ له كأنما صافح الله تعالىٰ، ولم يقل: (فقد صافح الله)، والمُشبَّه ليس هو المشّبه به، بل ذلك نَصٌّ في المُغايرة بينهما، فكيف يُقال: إنه مصروف عن ظاهره، وهو نصٌّ في المعنىٰ الصَّحيح؟!. اهـ

بنعمتِهِ التي أنعمَ بها عليه، فخصَّه بما خصَّ مِن كراماتِه.

فيُقالُ لهذا الثلجيِّ البقباق النفَّاج[١]: لو كنتَ ممن يعقِلُ شيئًا من وجوه الكلامِ؛ لعلمتَ أن هذا تأويلٌ محالٌ مِن كلامٍ ليس له نِظامٌ.

ويلكَ! وأيُّ شيءٍ مِن خلقِ اللهِ مِن كلبٍ، أو خِنزيرٍ، أو قردٍ، أو إنسانٍ، أو بهيمةٍ لم يُنعمِ اللهُ عليه في خلقه إذ خلقه حتىٰ خصَّ بنعمتِهِ آدمَ، ومَنَّ عليه بذلك مِن بين هؤلاءِ الخلائق، وأيُّ منقبةٍ لآدمَ فيها إذ كلُّ هؤلاءِ خُلِقُوا بنعمتِه كما خُلِقَ آدمُ؟[٢].

٣١١- وأعجبُ مِن ذلك: قول الثلجيِّ الجاهلِ فيما ادَّعىٰ في تأويلِ حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ: «**المُقسِطون يومَ القيامةِ عن يمينِ الرحمنِ، وكِلتا يَديهِ يَمينٌ**»[٣].

فادَّعىٰ الثلجيُّ: أنَّ النبيَّ ﷺ تأوَّلَ: «**كِلتا يديه يمين**»: (**أنه خرجَ مِن تأويلِ الغُلُوليِّينَ أنها يَمينُ الأيدي، وخرجَ مِن معنى (اليدين) إلى: النِّعَمِ**[٤]).

---

(١) تقدم معناهما برقم (١٦٩).

(٢) قال ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ١٤٧): (باب ذكر صفة خلق الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ والبيان الشافي أنه خلقه بيديه، لا بنعمتيه، علىٰ ما زعمت الجهمية المُعطِّلة، إذ قالت: إنَّ الله يقبض بنعمتِه مِن جميعِ الأرض قبضةً، فيخلق منها بشرًا). اهـ

(٣) تقدم برقم (٥٩ و٨٥).

(٤) تقدم برقم (٨٦) نقض المُصنِّف علىٰ الجهمية قولهم: (فإذا ادَّعيتَ أن اليدَ عُرِفت في كلامِ العربِ أنها: (نِعمةٌ)، و(قوَّةٌ)). اهـ

يعني بـ(الغُلُوليِّين)(١): أهل السُّنة، يعني: أنه لا يكون لأحدٍ يمينانِ، ولا يُوصفُ أحدٌ بيمينينِ، ولكن يمينٍ وشمالٍ بزعمه.

*** قال أبو سعيد:**

ويلك أيها المُعارِضُ! إنما عنىٰ رسول الله ﷺ (باليدين)، [ما قد أَطَلَقَ علىٰ التي في مقابلة اليمين والشمال، ولكن تأويله: «**وكلتا يديه يمينٌ**»، أي: مُنَزَّهٌ عن النقص والضعف]، كما في أيدينا الشمالِ مِن النقصِ وعدمِ البطشِ، فقال: «**كلتا يدي الرحمنِ يَمينٌ**»، إجلالًا للهِ وتعظيمًا أن يُوصفَ بالشمالِ.

[وقد وُصِفت يداه بالشمال واليسار، وكذلك لو لم يجز إطلاق الشمال واليسار، لما أطلق رسول الله ﷺ](٢)، ولو لم يَجُز أن يُقالَ: (كِلتا

---

(١) لعلَّه يريد أن يُشبههم باليهودِ الذين أثبتوا اليد لله تعالىٰ، ثم وصفوها بالغلول، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

(٢) يُشير إلىٰ ما رواه مسلم (٢٧٨٨) من حديث عمر بن حمزة، عن سالم بن عبدالله، أخبرني عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطوي الله عَزَّوَجَلَّ السموات يوم القيامة، ثم يأخذهنَّ بيده اليمنىٰ، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المُتكبِّرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك..؟**».

وقد أعلَّ بعض أهل العلم لفظة: (بشماله) بسبب تفرُّد عمر بن حمزة، عن سالم بها دون سائر من روىٰ الحديث. وروىٰ هذا الحديث البخاري (٧٤١٢) من طريق عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله يقبضُ يومَ القيامة الأرض، وتكون السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك**».

ثم علَّق رواية عمر بن حمزة، عن سالم، عن ابن عمر رضي الله عنهما ولم يذكر لفظه.

=⇦

يـدي الـرحمنِ يَمينٌ)، لـم يَقُلـه رسـول الله ﷺ، وهـذا قـد جـوَّزُه النـاسُ في الخلقِ، فكيف لا يُجوِّزه الثلجيُّ في يدي الله أنهما جميعًا يمينانِ؟

وقد سُمِّيَ مِن الناسِ: ذا الشمالين؛ فجازَ في دعوىٰ الثلجيِّ أيضًا: خرجَ ذو الشمالينِ مِن معنىٰ أصحابِ الأيدي.

ثُمَّ ادَّعىٰ الجاهلُ: أن هذا مِن (النِّعَمِ والأفضالِ)، كقول الشاعر:

سَأُبكيك للدنيا وللعينِ(١) إنني ... رأيتُ يدَ المعروفِ بعدكَ شُلَّتِ

[نفسُ المعروفِ ليس له يدٌ، وإنما المُعطي له يدٌ حقيقة فهي التي تُشلُّ].

ويلكَ أيها الثلجيُّ! أتُعلِّمُ بوجه العربيةِ ولُغاتِ العربِ وأشعارِهم مَن هو

=

- وروىٰ عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٠٣٧) وغيره من حديث أبي الدرداء ﵁، قال: قال النبي ﷺ: «**خلقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حينَ خلقَه، فضرَبَ كتِفَهُ اليُمنىٰ؛ فأخرَجَ ذُرِّيَّتَه بيضَاءَ كأنهم الذَّرُّ، وضرَبَ كتِفَه اليُسرىٰ فأخرَجَ ذُرِّيَّتَه سَوداءَ، كأنهم الحُمَمُ، فقال للذِي في يمينِهِ: إلىٰ الجنّةِ ولا أُبالي، وقال للذِي في يسارِهِ: إلىٰ النَّارِ ولا أُبالي**».

ولكن المحفوظ من هذه الرواية بلفظ: (وقال للذي في يده الأُخرىٰ ...).

ومَن أنكر هذا اللفظ مِن أهل السنة أثبت يدين لله تعالىٰ كلاهما يمين كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم (١٨٢٧) عن عبد الله بن عمرو ﵄، قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله علىٰ منابر من نور، عن يمين الرحمن عَزَّوَجَلَّ، وكلتا يديه يمين ..**» الحديث.

والخلاف في هذه المسألة دائر بين أهل السُّنة، ولا حظَّ للجهمية فيه إذ هم ينازعون في أصل إثبات اليدين لله تعالىٰ.

(١) كذا في الأصل، وفي عامة مصادر الأدب: (وللدين).

أعلم بها منك؟

هذا هاهنا في (المعروفِ) جائزٌ في المجازِ لا يَستحيلُ(١)، وفي (يدي الله تعالىٰ) [٥١/أ] اللتين يقول: خلقتُ بهما آدمَ يَستحِيلُ أن تُصرف إلىٰ غيرِ (اليد)؛ لأن (المعروفَ) ليس له يدانِ يَقبضُ بهما ويَبسُطُ، ويخلُقُ ويبطِشَ، فيقالُ: (يدُ المعروفِ) مَثَلًا، ولا يقالُ: فَعَلَ المعروفُ بيديه كذا، وخلَق بيديه كذا، وكتبَ بيديه كذا، كما يقالُ: خلقَ اللهُ آدمَ بيدِه، وكتبَ التوراةَ بيده، ذاك في سياقِ القولِ بيِّنٌ معقولٌ، وهذا في سياقِ القولِ بيِّنٌ معقولٌ، مَن صرفَ منهما شيئًا إلىٰ غيرِ معناه المعقولِ جَهِلَ ولم يَعقِل.

أوَلَم يكفِكَ أيها المُعارِضُ كثرةُ ما نسبتَ إلىٰ اللهِ وإمامُك المريسيُّ في نفي (اليدينِ) عنه بهذه الأُغلوطات، وما حَسدتُما أباكما آدمَ في خِلقتِه بيدي الرحمن تبارك وتعالىٰ في صدرِ كتابِك حتىٰ عُدتَ لأقبحَ منها في آخرِ الكتاب؟

فادَّعيتَ أن (يدي الله) اللتين خَلقَ بهما آدم: (نِعمتُهُ وقُدرتُهُ)، فامتنَّ علىٰ آدمَ بما رَكَّبَ فيه.

ويحك ! وهل بقيَ أحدٌ مِن خلقِ اللهِ لم يخلقه بقُدرتِه، حتىٰ يَمتنَّ علىٰ آدمَ بهذه النعمةِ مِن بين الخلائقِ؟ هذا مُحالٌ لا يستقيمُ في تأويلٍ، بل هو أبطلُ الأباطيل(٢).

---

(١) تقدم برقم (٥٧) الكلام عن المجاز وأن مراد المُصنِّف: ما يجوز في اللغة.

(٢) تقدم برقم (٥٥) الكلام عن هذه المسألة. وانظر كذلك فقرة رقم (٨٦).

٣١٢- وأشدُّ منه استِحالةً؛ ما ادَّعيتَ في حديثِ سَلمان الفارسي رضي الله عنه: إنَّ اللهَ خَمَّرَ طِينةَ آدمَ، ثم خَلَطَها(١) بيدِه، فخرَجَ كلُّ طيِّبٍ بيمينِه، وكلُّ خبيثٍ بشمالِه، ثم مسَحَ إحدىٰ يديه بالأُخرىٰ(٢).

فادَّعيتَ أيها المُعارِضُ: **أن له تفسيرًا مِن قِبلِكَ: أنه لما امتنَّ اللهُ على آدمَ بنعمتِه، كانت تلك النِّعمةُ مُخالطةً لقدرتِه، وقال (بيديه): (بنعمتِه وقُدرتِه)، هكذا.**

فيُقالُ لهذا المُعارِضِ: إذا خلَطَ قدرَتَه بنعمتِه فسمَّاهما: (يديه) في دعواك، فما بالُ هذه المِنَّةِ وُضِعت علىٰ آدمَ مِن بين الخلائقِ، وكلُّ الخلقِ في نِعمتِه وقُدرتِه بمنزلةٍ واحِدةٍ؛ إذ كلًّا(٣) خُلِقَ في دعواكَ بِنعمتِه وقُدرتِه لا بيديه؟!

وكيفَ يجوزُ أن يَخلِطَ القُدرةَ بالنِّعمةِ، و(القُدرةُ) غيرُ مخلوقةٍ، و(النِّعمةُ) كُلُّها مخلوقةٌ؟ هذا كلامٌ لا يخرجُ مِن جوفِ عاقِلٍ، وما يُوفَّقُ لمثله إلَّا كلُّ جاهلٍ.

٣١٣- ثم رويتَ عن الحسنِ البصري كذِبًا أنه قال في قول الله تعالىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠]، قال: نِعمُ الله.

فعمَّن رويتَ هذا عن الحسنِ؟ فاكشف عن رأسه، فإنك لا تكشِفُ عن

---

(١) في (الأصل): (خلقها)، والمثبت من (ب).

(٢) تقدم تخريجه برقم (٧٧).

(٣) كذا في الأصل، والجادة: (كلٌّ).

ثقةٍ.

وقد أكثرنا النقضَ عليك وعلىٰ إمامِكَ المريسيِّ والثلجيِّ في تفسير (اليد) في صدر كتابِنا هذا(١)، غير أنك أعدته في آخرِ الكتابِ؛ فأعدناها.

٣١٤- ثم لمَّا فرغتَ مِن إنكارِ (اليدينِ)، ونفيِها عن اللهِ ذي الجلالِ والإكرامِ، أقبلتَ قِبَلَ (وجهِ الله) تبارك وتعالىٰ لِتَنفيَه عنه بمثلِ هذه العَماياتِ، كما نفيتَ عنه اليدينِ(٢)، فزعمت: أنَّ وكيعًا، روىٰ عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة رضي الله عنه: أنَّ العبدَ إذا قامَ يُصلِّي أقبلَ اللهُ عليه بوجهِهِ [الكريم]، فلا يَصرِفُه عنه حتىٰ يكونَ هو الذي يَنصرِفُ، أو يُحدِثَ حدَثَ سُوءٍ(٣).

---

(١) تقدم برقم (٥٥/ وما بعدها) كلام المُصنِّف عن إثبات صفة اليد لله تعالىٰ ونقض كلام الجهمية في تحريفها وتأويلها.

(٢) الجهمي لم يُصرِّح بنفي صفة (اليدين والوجه) لله تعالىٰ، وإنما تأول النصوص الواردة فيها وحرَّفها عن ظاهرها، ومع ذلك فالمُصنِّف يحكم عليه بأنه نافٍ لها، ومكذِّبٌ بها، وقد تقدم في التعليق علىٰ «الرد علىٰ الجهمية» برقم (٢٦ و٧٠) أن الأئمة كانوا يَعدُّون تأويل الصفاتِ نوعًا مِن أنواع التكذيب بها.

وسيأتي نقض المُصنِّف علىٰ الجهمي تحريفه لصفة الوجه عند فقرة (٣٦٩).

(٣) رواه عبد الرزاق (١٦٨٩)، وابن أبي شيبة (٧٥٣٢) موقوفًا، وهو الصحيح.

ورواه ابن ماجه (١٠٢٣)، وابن أبي شيبة (٧٥٣٣) مرفوعًا.

وفي الباب: آثار كثيرة نحوه، انظرها في «مُصنَّف ابن أبي شيبة» (٢٥٨/ مَن كَرِهَ الالتفات في الصلاة).

وروىٰ البخاري (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا كان أحدُكم يصلي فلا يبصق قِبَل وجهه، فإن الله قِبَل وجهه إذا صلىٰ**».

⇦=

ثم قلتَ أيها المُعارِض: (إنَّ هذا يَحتمِلُ أنَّ اللهَ يُقبِلُ عليه بنعمتِهِ وإحسانِهِ وأفعالِهِ[1]، وما أوجبَ للمُصلِّي مِن الثوابِ، كما قلتم: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، وكقوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ [الليل:٢٠]، وكقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن]، أي: يبقى الله وحدَه.

فإن قال قائلٌ: ولله وجهٌ؟

قيل له: إن [٥١/ب] كنتَ تُريدُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، فقوله الحقّ.

وإن أردتَ (عضوًا) كما ترى من الوجوه، فهو الخالِقُ هذه الوجوه، فقد يَحتمِلُ أن يقالَ: هذا وجهُ الشيءِ، ووجهُ الأمرِ، ويقول: هذا وجهُ الثوبِ، ووجهُ الحائط، فقوله: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧]: ما تُوجِّهَ به إلى ربِّكَ مِن الأعمالِ الصالحةِ.

=

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحموية» (ص ٥٢٦): وكذلك قول النبي ﷺ: «إذا قام أحدكم إلىٰ الصلاة فإن الله قِبَل وجهه..» الحديث حقٌّ علىٰ ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المُصليّ، بل هذا الوصف يثبت للمخلوقاتِ؛ فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء ويناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضًا قبل وجهه. اهـ

(١) وفي نسخة: (وأفضاله). كما في «مختصر الصواعق المرسلة» (٣/ ٩٩٣).

• **وقولـه:** ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، **يقول: ثَمَّ قبلة الناس يتوجَّهون إليها.**

• **وقوله: (ثم وجه الله): ثَمَّ قبلةُ الله**(١)**.**

فيُقالُ لهذا المُعارِضِ: لم تدع غايةً في إنكارِ (وجه الله) ذِي الجلالِ والإكرامِ، والجُحودِ به وبآياتِه التي تنطِقُ بالوجهِ، حتىٰ ادَّعيتَ: أن (وجهَ اللهِ) الذي وصفه بالجلالِ والإكرامِ مخلوقٌ، لأنك ادَّعيتَ: أنها أعمالٌ مخلوقةٌ، يُوجَّه بها إليه، ونِعَمٌ، وإحسانٌ، والأعمالُ كلُّها مخلوقةٌ لا شكَّ فيها، فوجه ربِّك ذي الجلالِ والإكرامِ في دعواك مخلوقٌ.

---

(١) قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة» (٢٧٨٩): وكذَّبت الجهميةُ بهذا كله، وقالوا: لا نقول إن لله تعالىٰ وجهًا؛ لأنه لا يكون وجه إلَّا بقفا، ووجه الله تعالىٰ بلا كيف.

وقد أكذبهم الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] . اهـ

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق المرسلة» (٣/ ٩٩٢): وجه الربِّ جلَّ جلاله حيث ورد في الكتاب والسُّنة فليس بمجاز بل علىٰ حقيقته.

واختلف المُعطِّلون في جهة التجوّز في هذا، فقالت طائفة: لفظ الوجه زائد، والتقدير: (ويبقىٰ ربُّك)، (إلَّا ابتغاء ربه الأعلىٰ)، و(يريدون ربهم).

وقالت فرقة أُخرىٰ منهم: الوجه بمعنىٰ: (الذات)، وهذا قول أولئك وإن اختلفوا في التعبير عنه.

وقالت فرقة: ثوابه وجزاؤه، فجعله هؤلاء مخلوقًا منفصلًا، قالوا: لأن الذي يراد هو الثواب. وهذه أقوال نعوذ بوجه الله العظيم من أن يجعلنا من أهلها. اهـ.

ثم أطال في الرد عليهم وبيان كذبهم.

فزعمتَ أيضًا: أنها (قِبلةُ الله)، والقِبلةُ أيضًا مخلوقةٌ(١).

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠١٠): إن تفسير وجه الله (بقبلة الله)، وإن قاله بعض السلف كمجاهد، وتَبِعه الشافعي، فإنما قالوه في موضع واحدٍ لا غير، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، فهب أن هذا كذلك في هذا الموضع، فهل يصحُّ أن يقال ذلك في غيره في المواضع التي ذكر الله تعالىٰ فيها الوجه؟

فما يفيدكم هذا في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، وقوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل]، وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان:٩].

علىٰ أن الصحيح في قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة:١١٥]، أنه كسائر الآيات التي ذكر فيها الوجه، فإنه قد اطَّرد مجيئُه في القرآن والسنة مُضافًا إلىٰ الربِّ تعالىٰ علىٰ طريقة واحدةٍ ومعنىٰ واحد، فليس فيه معنيان مُختلفان في جميع المواضع غير الموضع الذي ذُكر في سورة البقرة، وهو قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة:١١٥]، وهذا لا يتعيَّن حمله علىٰ القبلة والجهة، ولا يمتنع أن يراد به وجه الربِّ حقيقة، فحمله علىٰ غير القبلة كنظائره كلها أولىٰ. اهـ. ثم أطال في بيان ذلك.

وقد ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٧٢) أن هذه الآية احتجَّ بها المُعطِّلة في مجلس المُناظرة الذي عُقِدَ بينه وبينهم في إنكار التأويل عن السلف والأئمة.

وبيَّن لهم مأخذ مَن فسَّر هذه الآية بهذا التفسير، وأنه ليس مِن قبيل التأويل الذي يذهب إليه أهل التعطيل، وإنما هو ظاهر النصّ عند مَن فسَّرها بذلك، فإن لفظ الوجه ظاهر في الوجهة علىٰ قولهم، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ﴾ [البقرة:١٤٨]، فأخبر أن الوجهة يوليها العبد، أي: يتولاها، أي: يستقبلها .... إلخ.
⇐=

فادَّعيت: (**أنَّ كلَّ ما ذكَرَ اللهُ تعالى في كتابه مِن ذكرِ (وجْهِهِ): وجهٌ مخلوقٌ، ليس للهِ منها وجهٌ معه، ولا هو ذُو وجهٍ في دعواك**).

وكتابُ الله المُكذِّبُ لك في دعواك، وهو ما تلوتَ أيها المُعارِض مِن هذه الآياتِ التي كلها ناقِضةٌ لمذهبِكَ، وآخذةٌ بحلقِكَ.

أوْ تَأْثُرَ تفسيرَكَ هذا عن رسولِ اللهِ ﷺ بأثرٍ مأثورٍ منصوصٍ مشهورٍ ولن تَفعلَه أبدًا، لما قد رُوِيَ عنه خلافُه، وهو قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، قال: «**النظرُ إلىٰ وجهِ اللهِ**»(١).

ثم ذكر قاعدة مُهمّة في باب ما روي عن بعض السلف والأئمة مما ظاهره تأويل نصوص الصفات، فقال (٦/ ٧٤): والمقصود بهذا الكلام: أن من قال من السلف والأئمة لم يقولوه لأنهم ينفون وجه الله الذي يراه المؤمنون في الآخرة، بل قالوه لأن ذلك ظاهر الخطاب عندهم؛ لأن لفظ الوجه مشهورٌ أنه يقصد به الجِهة، والقِبلة هي الجهة، وقد أخبر أن وجهه ثَمَّ، أي: في ذلك المكان، وهذا يُناسب أن يكون قبلته في ذلك المكان؛ لأن صفته ليست في مكان.

فهذا القول ليس عندنا مِن بابِ التأويل الذي هو مُخالفةُ الظاهر أصلًا، وليس المقصود نصر هذا القول، بل بيان توجيهه وأن قائليه مِن السلف لم يكونوا من نفاة الصِّفة، ولا ممَّن يقول ظاهر الآية مُمتنع. اهـ

وهذا التنبيه مُهمٌّ في كشف ما يستدلّ به المُعطِّلة مما روي عن بعض السلف أو الأئمة ممَّا يُوهم ظاهره تأويل الصفات، فعند التحقق مِن ذلك إمَّا لا يثبت عنهم، وإمَّا لمعنًى آخر يراه في النصِّ جعله يُؤوِّله بهذا التأويل، فليس مأخذهم مأخذ المُعطِّلة ممَّا توهّموه مِن أن إثبات ظاهر النصِّ يلزم منه التشبيه والتجسيم. فتنبه لهذا، وسل ربَّك أن لا يجعل الحقَّ عليك مُلتبسًا فتضلَّ.

(١) رواه مسلم (١٨١) من حديث صُهيب رضي الله عنه.

أفَيَجوزُ أن يتأوَّلَ هذا أنه قال: (الزيادةُ): النظرُ إلىٰ الكعبةِ، أو إلىٰ أعمالِ المخلوقين؟

وكان يدعو: «**اللهم إني أسألك لذَّةَ النظرِ إلىٰ وجهك**»(١).

فيَجوزُ في تأويلِكَ أن يقولَ: اللهم إني أسألك لذَّةَ النظرِ إلىٰ الأعمالِ الصالحةِ مِن أعمالِ خلقِكَ، أم إلىٰ القبلة؟

ويلكم! ما سبَقَكم إلىٰ مثلِ هذه الفِريةِ علىٰ اللهِ إنسٌ ولا جانٌّ، ولا فرعونٌ مِن الفراعنةِ، ولا شيطانٌ.

وأعظمُ مِن ذلك: دعواك أنَّ (وجهَ اللهِ)؛ كوجهِ الثوبِ، والحائطِ، والمَيِّتِ الذي لا يوقفُ منها علىٰ وجهٍ ولا ظَهرٍ، ما تركتم مِن الكُفرِ بوجهِ اللهِ غايةً، ولو قد تكلَّمَ بهذا رجلٌ بالمغربِ؛ لوجبَ علىٰ أهلِ الشرقِ أن يَغزوه حتىٰ يقتلوه غضبًا لله، وإجلالًا لوجهه ذي الجلال والإكرامِ(٢).

أرأيتك أيها الجاهلُ إن كان (وجهُ اللهِ) عندك قبلَتَه، والأعمالَ التي ابتُغيَ بها وجهُه، وكوجهِ الثوبِ، والحائطِ، أفيجوزُ أن يُقالُ للقبلةِ ولأعمالِ العباد:

---

(١) حديث صحيح عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما، وسيورده المُصنف مسندًا برقم (٣١٨).

(٢) كيف لو أدرك الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عصرنا، إذًا لوجد من ينتسب إلىٰ السنة وينصر مذهب السلف ومع ذلك يُسمِّي المُعطّلة مُنكرة الصفات: أئمة وحُفَّاظًا وشيوخًا للإسلام والمسلمين، ويوصي بكتبهم وشروحاتهم التي مَلؤوها تحريفًا لصفات الله تعالىٰ دون تنبيه ولا تحذير!

وقد تقدم قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٣٠): (لو ظهرت التأويلات وهذه الأغلوطات علىٰ عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ما كان سبيل من يظهرها بينهم إلا كسبيل أهل الردة). اهـ

(ذو الجلالِ والإكرامِ؟)، فقد عَلِمَ المؤمنون مِن خلقِ اللهِ أنَّه لا يُقدَّسُ وجهُ بذي الجلال والإكرام غيرُ وجه الله [تعالىٰ].

وأمَّا تكريرُكَ وتَهويلُك علينا بـ(ـالأعضاءِ) و(الجوارحِ)، وهذا ما يقوله مُسلمٌ(١)، غير أنَّا نقولُ كما قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، أنه عنىٰ به الوجه الذي هو الوجه عند المؤمنين لا الأعمالَ الصالحةَ، ولا القِبلةَ، ولا ما حكيتَ مِن الخُرافاتِ كاللاعبِ بوجهِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ(٢).

* وكذلك قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]: نفسه الذي هو أحسنُ الوجوهِ، وأجملُ الوجوهِ، وأنورُ الوجوهِ، الموصوفُ بذي الجلالِ والإكرامِ، [٥٢/ أ] الذي لا يَستحِقُّ هذه الصفةَ غيرُ وجهِهِ، وأنَّ الوجه منه غيرُ اليدين، واليدينِ منه غيرُ الوجه علىٰ رَغمِ الزنادقةِ والجهمية.

وسنذكرُ في ذكرِ الوجهِ آياتٍ وآثارًا مُسندةً، ليَعرِضَها أهلُ المعرفةِ باللهِ علىٰ تفسيرِكَ هذا، هل يَحتمِلُ شيئًا منها شيءٌ منه؟ فإن كنت لا تؤمنُ بها؛ فخيرٌ منك وأطيبُ مِن عبادِ الله المؤمنين مَن قد آمنَ بها وأيقنَ.

٣١٥- قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن].

---

(١) تقدم برقم (١٢٧ و٣٠٦) الكلام عن هذه الألفاظ المُجملة المُحدثة.

(٢) وفي هذا نقضٌ مِن المُصنِّفِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمذهب المفوِّضة الذين يدَّعون أن نصوص الصفات: ألفاظ مُجرَّدة عن معانيها الحقيقية التي خاطبنا الله بها، والتي تليق بربنا عَزَّوَجَلَّ.

- و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨].
- وقوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل].
- ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥].
- ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان:٩][١].

---

(١) قال ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد على الجهمية» (ص٢٩٣): ومعنى وجه الله عَزَّوَجَلَّ هاهنا على وجهين: أحدهما: وجه حقيقة.

والآخر: بمعنى الثواب.

فأمَّا الذي هو بمعنى الوجه في الحقيقة: ما جاء عن النبي ﷺ في حديث أبي موسى، وصُهيب رضي الله عنهما وغيرهم، ممَّا ذكروا فيه الوجه. وسؤال النبيّ ﷺ بوجهه عَزَّوَجَلَّ، واستعاذته بوجه الله. وسؤاله النظرَ إلى وجهه عَزَّوَجَلَّ .. وكذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، وقول الأئمَّة بمعنى: إلى الوجه حقيقة؛ الذي وعد الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله الأولياء، وبشَّر به المؤمنين بأن ينظروا إلى وجه ربهم عَزَّوَجَلَّ.

وأمَّا الذي هو بمعنى الثواب: فكقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان:٩]. وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢]، وما أشبه ذلك في القرآن. وقول النبي ﷺ: «**ما قائل يلتمس وجه الله**»، وما أشبه ذلك مما جاء عن النبي ﷺ فهو على معنى الثواب. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (ص٢٩٣): إن من تدبر سياق الآيات والأحاديث والآثار التي فيها ذكر وجه الله الأعلى ذي الجلال والإكرام؛ قطع ببطلان قول مَن حملها على المجاز، وأنه الثواب والجزاء، لو كان اللفظ صالحًا لذلك في اللغة، فكيف واللفظ لا يصلح لذلك لغة، فمنها قوله: ⇐

فالخيبةُ لمن كفرَ بهذه الآياتِ كلِّها أنها ليست بوجهِ الله نفسِه، وأنها وجوهٌ مخلوقةٌ.

وممَّا يوافِقه مِن صِحاحِ أحاديثِ رسول الله ﷺ ما:

٣١٦- **حدثنا** عثمان بن أبي شيبة، ثنا جَرير، عن الأعمش، عن عَمرو بن مُرَّةٍ، عن أبي عُبيدة، عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلماتٍ، فقال: «**إنَّ اللهَ لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفضُ القِسطَ، ويرفعُه، يُرفعُ إليه عملُ الليلِ قبلَ عملِ النهارِ، وعملُ النهارِ قبلَ عملِ الليلِ، حِجابُه النورُ، لو كشفَها لأحرقت سبحاتُ وجهِهِ كلَّ شيءٍ أدركَه بصرُه مِن خلقِهِ**»(١).

أفيستقيمُ أيها المُعارِضُ أن يُتأوَّلَ هذا: أنه أحرَقَت سُبُحاتُ وجهِهِ (الأعمالُ الصالحةُ ووجهُ) القِبلةِ كلَّ شيءٍ أدركَه بصرُه؟ ما يَشُكُّ مسلمٌ في بُطُولِهِ واستحالتِه(٢).

* أم قولُ رسول الله ﷺ الذي:

=

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، وقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل]. اهـ

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٦٩ و٨٠)، وهو حديث متفق عليه.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٠٦): فإضافة (السُّبحات) التي هي الجلال والنور إلىٰ الوجه، وإضافة البصر إليه تُبطلُ كل مجازٍ، وتُبيِّن أن المُراد: (وجهه). اهـ

٣١٧- **حدثناه** سُليمان بن حرب، عن حماد بن زيد، عن عَمرو بن دينارٍ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: لما نزلت: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥]، قال رسول الله ﷺ: «**أعوذُ بوجهِكَ**»(١).

أفيجوزُ أيها المُعارِضُ أن يتأوَّلَ هذا: (أعوذُ بثوابكَ، والأعمال التي ابتُغيَ بها وجهُكَ، وبوجهِ القِبلةِ؟)، فإنه لا يجوزُ أن يُستعاذَ بوجه شيءٍ غيرِ وجه الله تعالىٰ، وبكلماتِهِ، لا يُستعاذُ بوجه مخلوقٍ(٢).

* ومن ذلك:

٣١٨- **ما حدثنا** سليمان بن حرب عن حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «**اللهم إني أسألُك لَذَّةَ النظرِ إلىٰ وجهِكَ**»(٣).

أفيجوزُ لك أن تقولَ في هذا: لذَّةَ النظرِ إلىٰ قِبلتِكَ، وإلىٰ الأعمالِ التي ابتُغي بها وجهُك؟(٤).

---

(١) رواه البخاري (٤٦٢٨ و ٧٣١٣).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (١/ ٩٩٨): صحَّ عن النبي ﷺ أنه استعاذ بوجه الله ... ولا يظن برسول الله ﷺ أن يستعيذ بمخلوق. اهـ

(٣) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٤١)، هو حديث صحيح.

(٤) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (١/ ١٠٠٣): لم يكن ليسأل لذَّة النظر إلىٰ الثواب، ولا يُعرف تسمية ذلك وجهًا لغةً ولا شرعًا ولا عرفًا. اهـ

* ومِن ذلك ما:

٣١٩- حدثنا يحيىٰ الحِمَّاني، وأبو بكر بن أبي شيبة، عن شَريك، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن نِمْران، عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، قال: (الزيادة): النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ(١).

أفيجوزُ أن يُتأوَّلَ هذا: أنه النظرُ إلىٰ [وجه] الأعمالِ التي ابتُغيَ بها وجهُ اللهِ أو إلىٰ وجه القبلة؟

وكذلك قاله رسول الله ﷺ: ﴿أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، قال: «**النظرُ إلىٰ وجْهِ اللهِ تعالىٰ**».

٣٢٠- حدثناه موسىٰ بن إسماعيل وغيره، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البُناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن صُهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ(٢). [٥٢/ب]

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٣٤).

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١١٩)، والحديث رواه مسلم (١٨١).

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حادي الأرواح» (٢/ ٦١٠): فـ(الحسنىٰ): الجنة، و(الزيادة): النظر إلىٰ وجهِه الكريم، كذلك فسَّرها رسول الله ﷺ الذي أُنزِل عليه القرآن، فالصحابة من بعده.

وقال: ولمَّا عطفَ سبحانه (الزيادة) علىٰ (الحُسنىٰ) التي هي الجنة؛ دلَّ علىٰ أنها أمرٌ آخر مِن وراء الجنة، وقدرٌ زائدٌ عليها، ومَن فسَّر الزيادة بالمغفرة والرضوان، فهو مِن لوازم رؤية الربِّ تبارك وتعالىٰ. اهـ

⇦=

٣٢١- **وحدثنا** أحمد بن يونس، عن أبي شهاب الحنَّاط، عن خالد بن دينار، عن حماد بن جعفر، عن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه إلىٰ النبي ﷺ: «**أنَّ أهلَ الجنةِ إذا بلَغَ النعيمُ منهم كلَّ مبلغٍ، وظنُّوا أن لا نَعيمَ أفضلُ منه، تجلَّىٰ لهم الربُّ، فنظروا إلىٰ وجه الرحمنِ، فنَسوا كلَّ نعيمٍ عاينوه حينَ نظروا إلىٰ وجهِ الرحمنِ**»(١).

أفيجوزُ أن تَتأوَّلَ هذا أنه: يَتجلَّىٰ لأهلِ الجنةِ، فنظروا إلىٰ وجهِ قبلَتِه، وإلىٰ الأعمالِ الصالحةِ؟ كأنَّ النظرَ إلىٰ وجهِ القبلةِ في دعواك آثرُ عندهم ممَّا هم فيه مِن نعيمِ الجنةِ.

• ومِن ذلك ما:

٣٢٢- **حدثنا** عبد الله بن رجاء البصري، عن المسعودي، عن عبد الله بن المُخارق، عن أبيه، قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إنَّ العبدَ إذا قال:

= - وقال كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١٠٠٨): إن الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وجميع أهل السنة والحديث، والأئمة الأربعة، وأهل الاستقامة من أتباعهم مُتَّفقون علىٰ أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنةِ، وهي (الزيادة) التي فسَّر بها النبي ﷺ والصحابة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، - وذكر حديث صهيب رضي الله عنه -، فمَن أنكر حقيقة (الوجه) لم يكن للنظر عنده حقيقة، ولا سيما إذا أنكر (الوجه) و(العلوَّ)، فيعود النظر عنده إلىٰ خيالٍ مُجرَّدٍ، وإن أحسن العبارة قال: (هو معنىً يقوم بالقلب، نسبته إليه كنسبة النظر إلىٰ العين)، وليس في الحقيقة عنده نظر، ولا وجه، ولا لذَّة تحصل للناظر. اهـ

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٣٣).

الحمدُ لله، وسبحانَ الله، ولا إله إلَّا الله، واللهُ أكبرُ، وتبارك الله، حَطَّ عليهنَّ مَلكٌ فضمَّهنَّ تحت جناحِهِ فصعدَ بهنَّ، لا يَمُرُّ علىٰ قومٍ مِن الملائكةِ إلَّا استغفروا لقائلهنَّ، حتىٰ يُحيَّا [بهنَّ] وجهُ الرحمنِ، وقرأَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠](١).

أفيجوزُ لك أن تتأوَّلَ هذا المَلَكَ يَصعدُ بهنَّ حتىٰ يُحيَّا وجهُ القبلةِ في السماءِ، والقبلةِ في الأرضِ؟!

قد علمتَ أيها المُعارِضُ وعلِمَ كلُّ ذي فهمٍ [وعلمٍ] أنَّ هذه تفاسيرُ مقلوبةٌ، ومغاليطُ لا يَستقيمُ شيءٌ منها في القياسِ، فكيف في الأثرِ؟ ولا يهدي شيءٌ منها إلىٰ هُدًى، ولا يُرشِدُ إلىٰ تُقىٰ.

* ومن ذلك ما:

٣٢٣- حدثنا عبد الله بن أبي شيبة، عن وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد، عن مسلم بن يزيد، عن حذيفة رضي الله عنه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. قال: (الحُسنىٰ): الجنة، و(الزيادة): النظرُ إلىٰ وجه الله(٢).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩١٧٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٦١)، وصَحَّحه.

وهو أثرٌ صحيحٌ عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٣٥).

٣٢٤- وعن أبي معاوية، عن جُويبرٍ، عن الضحاك(١).

٣٢٥- وعن جرير، عن ليثٍ، عن عبد الرحمن بن سابط(٢).

٣٢٦- وحدثناه الحِمَّاني، عن وكيعٍ، عن أبي بكر الهُذلي، عن أبي تَميمة الهُجيمي، عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه(٣).

٣٢٧- قال أبو سعيد:

كلهم قالوا: (الزيادةُ): النظر إلىٰ وجهِ اللهِ تعالىٰ، ولم يقُل أحدٌ منهم: (إلىٰ وجهِ الكعبةِ(٤))، و(وجوه الأعمالِ الصالحةِ)، كما ادَّعيتَ.

وعلىٰ تصديقِ هذه الآثار والإيمانِ بها؛ أدركنا أهلَ الفقهِ والعلمِ، ولو لم يكن إلَّا ما رويتَ أيها المُعارِضُ عن وكيعٍ، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٣٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٦١١٢)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٢١).

- وفي «الردّ علىٰ الجهمية» لابن أبي حاتم كما عند اللالكائي (٨٢٦) ذكره عبد الرحمن عن يحيىٰ بن المُغيرة، قال: كنَّا عند جرير بن عبد الحميد فذُكِرَ له حديثُ ابن سابطٍ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، قال: (الزيادةُ): النظرُ إلىٰ وجهِ الله.

قال: فحضَرَه رجلٌ، فأنكرَه، فصاحَ به، وأخرجَه مِن مجلسِه.

(٣) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٣٩).

وفي الأصل: (الأشجعي)، والصواب ما أثبته كما في (ب).

(٤) في (ب): (القبلة).

حُذيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنَّ العبدَ إذا قامَ يُصلِّي أقبلَ اللهُ عليه بوجهه(١).

فادَّعيتَ: **(أنه يُقبِلُ عليه بنعمتِه وثوابِهِ، وأنه قد يُقالُ: وجه الله في المَجازِ، كما يقال: وجهُ الحائطِ، ووجهُ الثوب)**.

ويلك! فهذا مع ما فيه من الكفرِ، مُحالٌ في الكلامِ؛ فإنه لا يقالُ لشيءٍ ليس مِن ذوي الوجوهِ: أقبلَ بوجهِهِ علىٰ إنسانٍ أو غيره، إلَّا والمُقبلُ بوجهه مِن ذوي الوجوهِ.

وقد يجوزُ أن يُقالَ: للثوبِ وجهٌ، وللحائطِ، ولا يجوزُ أن يُقالَ: أقبلَ الثوبُ بوجهِهِ [علىٰ شيءٍ أو] علىٰ المُشتري، وأقبلَ الحائطُ بوجهه علىٰ فلانٍ، لا يقالُ: أقبلَ بوجههِ علىٰ شيءٍ إلَّا مَن له القُدرة علىٰ الإقبالِ.

وكل قادرٍ علىٰ الإقبالِ ذو وجهٍ، هذا معقولٌ [٥٣/أ] مفهومٌ في كلامِ العربِ، فإن جهلتَه فسمِّ شيئًا مِن الأشياءِ ليس مِن ذوي الأوجهِ يجوزُ [لك] أن تقول: أقبلَ بوجهِهِ علىٰ فلانٍ؛ فإنك لا تأتي به، فافهم، وما أراكَ ولا إمامَك تَفهمانِ هذا وما أشبهه(٢).

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٣١٤).

(٢) وممَّن لا يُثبت الوجه لله تعالىٰ صفة تليق به سبحانه وتعالىٰ: كثير مِن الأشعرية وغيرهم، فقد قالوا: إن (الوجه) هو الذات، لا أنه صفة لله تعالىٰ كاليدِ والسمع والبصر وغيرها مِن الصفات. ومِن أقوالهم في ذلك:

- قال عبد القاهر البغدادي في «أصول الدين» (ص ١١٠): (والصحيح عندنا: أن (وجهه): ذاته، و(عينه): رُؤيته للأشياء). اهـ

- وقال أبو المعالي الجويني في «الإرشاد» (ص ١٥٥): فصل: (اليدان والعينان ⇦=

ولولا كثرةُ مَن يَستنكِرُ الحقَّ، ويستحسِنُ الباطلَ؛ ما اشتغلنا كلَّ هذا الاشتغالِ بتثبيتِ وجهِ اللهِ ذي الجلال والإكرامِ، ولو لم يكُن فيه إلَّا اجتماعُ الكلمةِ مِن العالمين: (أعوذُ بوجهِ الله العظيمِ)، و(أعوذُ بوجهكَ يا ربِّ)، و(جاهدتُ ابتغاء وجه الله)، و(أعتقتُ لوجه الله)، لكان كافيًا مما ذكرنا، إذ عقلَه النساءُ والصبيانُ، والبرُّ والفاجِرُ، والعربيُّ والعجميُّ، غيرَ هذه العِصابةِ الزائغة المُلحِدةِ في أسماءِ اللهِ، المُعطِّلةِ لوجهِ الله، ولجميعِ صفاتِه عَزَّوَجَلَّ وجهه، وتقدَّست أسماؤُه.

لقد سَببتُم اللهَ بأقبحِ ما سَبَّه اليهود: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقلتم أنتم: (يدُ اللهِ مخلوقة)، لما ادَّعيتُم أنها نِعمتُه ورِزقُه؛ لأنَّ النعمةَ والأرزاقَ مخلوقةٌ كلُّها.

= والوجه): (والذي يصحُّ عندنا: حمل (اليدين): علىٰ القُدرة، وحمل (العينين): علىٰ البصر، وحمل (الوجه): علىٰ الوجود). اهـ

- وقال الآمدي في «غاية المرام» (ص ١٤٠): المَعْنِيّ بالوجه: الذات، ومجموع الصفات، وحمله عليه أولىٰ. اهـ

- وقال الصنعاني في «التنوير شرح الجامع الصغير» (٨/ ٣٨٤): كان إذا دخل المسجد قال: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم**»: ذاته، إذ الوجه يُعبَّر به عن الذات. اهـ

فهذا كله من تأويلاتِ المُعطِّلة المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق المرسلة» (ص٣٣٧): إنه لا يُعرف في لُغةٍ مِن لغات الأُمم، (وجه الشيء) بمعنىٰ: ذاته ونفسه .. اهـ

ثم ردّ علىٰ المعُطلة في تأويل الوجه بالذَّاتِ.

ثم زدتُم علىٰ اليهودِ، فادعيتُم أنّ (وجه الله) مخلوقٌ؛ إذ ادَّعيتم أنه وجهُ القبلةِ، ووجوهُ الأعمال الصالحةِ، وكوجهِ الثوبِ والحائطِ، وهذه كلُّها مخلوقةٌ.

فادَّعيتُم أن علمَه وكلامَه وأسماءَه مُحدثةٌ مخلوقةٌ، كما هي لكم، فما بقي إلَّا أن تقولوا: هو بكمالِه مخلوقٌ، فلذلك قلنا: إنكم سَبَبتُم اللهَ بأقبحِ ما سبَّته اليهودُ.

٣٢٨- وروىٰ المعارض: عن شاذان، عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**دخلتُ علىٰ ربِّي في جنةِ عَدنٍ، شابّ، جعد، في ثوبين أخضرين**»(١).

---

(١) رواه الخلال في «السُّنة» كما في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ١٩٦)، وغُلام الخلال في «السُّنة» (٢٩)، والطبراني في «السُّنة» كما في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ١٩٧)، وابن عدي في «الكامل» (٤٦٢١)، والدارقطني في «الرؤية» كما في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ١٩٧).

ورواه ابن عدي في «الكامل» (٤٦٢٠)، قال: ثنا عبدالله بن عبدالحميد الواسطي، ثنا النضر بن سلمة، ثنا شاذان الأسود بن عامر، عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن محمدًا رأىٰ ربَّه في صورةِ شابٍّ أمردَ من دونه سترٌ من لؤلؤٍ، كأنَّ قدميه - أو قال: رجليه - في خضرة.

قال ابن عدي: قال لنا ابن أبي داود: روىٰ هذا الحديث شاذان، وإبراهيم بن أبي سويد، وعفان، وعبد الصمد بن حسان، عن حماد.

ورواه الحكم بن أبان، عن زيرك، عن عكرمة، وهو غريب.

وهذه الأحاديث التي رويت عن حماد بن سلمة في (الرُّؤية)، وفي رُؤية أهل الجنة ⇦=

=
خالقهم قد رواها غير حماد بن سلمة، وليس حماد بمخصوصٍ به، فيُنكر عليه. اهـ

ورواه القاضي أبو يعلىٰ في «إبطال التأويلات» (١٤٣) من طريق عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: ثنا الأسود بن عامر، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيتُ ربي في صورةِ شابٍّ أمردَ، له وفرة، جعد قطط، في روضة خضراء**». اهـ

ورواه مُختصرًا أحمد (٢٥٨٠)، وابن أبي عاصم في «السُّنة» (٤٤٩)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١٠٩٣ و١٠٩٤)، واللالكائي (٨٩٧)، بلفظ: (**رأيت ربي عَزَّوَجَلَّ**).

وقال ابن أبي عاصم: ثم ذكر كلامًا.

وممَّن صحَّح هذا الحديث:

- قال المَرُّوذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلتُ لأبي عبد الله: فشاذان كيف هو؟

قال: ثقة، وجعل يُثبته، وقال: في هذا يُشنَّع علينا.

قلت: أفليس العلماء تلقَّته بالقبول؟ قال: بلىٰ.

قلت: إنهم يقولون: إن قتادة لم يسمع من عكرمة؟

قال: هذا لا يدري الذي قال، وغضب، وأخرج إليَّ كتابه فيه أحاديث بما سمع قتادة من عكرمة، فإذا ستة أحاديث، سمعت عكرمة.

قال أبو عبد الله: قد ذهب مَن يُحسن هذا، وعَجِبَ من قول من قال: لم يسمع، وقال: سبحان الله! هو قدم البصرة فاجتمع إليه الخلق، وقال يزيد بن حازم - رواه حماد بن زيد - أن عكرمة سأل عن شيء من التفسير، فأجابه قتادة.

«المنتخب من العلل» (١٨٢).

- وفي «السُّنة» لغلام الخلال (٣٧) قال المروذي: حدثني عبد الصمد بن يحيىٰ الدهقان، قال: سمعت شاذان يقول: أرسلت إلىٰ أبي عبد الله أستأذنه في أن أُحدِّث بحديث قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «**رأيت ربي**».

قال: حدِّث به، فقد حدَّث به العلماء.

=

=

- قال عبد الصمد بن يحيىٰ: قال لي شاذان: اذهب إلىٰ أبي عبد الله فقُل: ترىٰ لي أن أُحدّث بحديث: قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «رأيتُ ربي عَزَّوَجَلَّ في صُورة شَابٍّ»؟ قال: فأتيت أبا عبد الله، فقلتُ له.

فقال لي: قُل له: تَحدّث به، قد حَدَّثَ به العُلماء.

[«طبقات الحنابلة» (٢/ ١٠٤)، و«إبطال التأويلات» (١٣٥)]

- وفي «إبطال التأويلات» (١٤٦)، و«المختارة» (٢٦٠) قال الطبراني رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت أبا بكر ابن صدقة يقول: سمعت أبا زُرعة الرازي يقول: حديث قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في الرُّؤية: صحيح، رواه شاذان، وعبد الصمد بن كيسان، وإبراهيم بن أبي سويد؛ لا ينكره إلَّا مُعتزلي. اهـ

- وقال البرذعي في «سؤالاته»: شهدت أبا زرعة ذكر نوح بن أنس، يُحدِّث عن أسود بن عامر حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصفة، فلقيني نوح، فقال: بلغني أن رجلًا قدم فحدَّث بحديث، فذكر لي هذا الحديث. فقلت: وما تُنكر؟! أنا انتخبت هذا الحديث، وأنا كتبته. قال أبو زرعة: ولم أُكلِّمه بغير هذا، وقطعته، وعلمت أنه لم يقل هذا إلَّا وهو مُضمر شرًّا، ثم تلا: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ [المائدة:٤١].

- وفي «إبطال التأويلات» (١٤٥) قال الطبراني رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت ابن صدقة الحافظ يقول: من لم يؤمن بحديث عكرمة فهو زنديق.

- وفيه (١٤٤) قال الطبراني: حديث قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرُّؤية صحيح، وقال: مَن زَعم أني رجعت عن هذا الحديث بعد ما حدّثتُ به فقد كذب، وهذا حديث رواه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجماعة من التابعين، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وجماعة من تابعي التابعين عن عكرمة، وجماعة من الثقات عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر أسانيدهم بطولها.

=

=

قلت: أخرج الطبراني هذا الحديث في كتابه «السُّنة»، فقال: حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، ثنا أبي، ثنا الأسود بن عامر.

(ح) وحدثنا محمد بن محمد بن عقبة الشيباني الكوفي، ثنا الحسن بن علي الحلواني، ثنا عفان، ثنا عبد الصمد بن كيسان.

(ح) وحدثنا محمد بن صالح بن الوليد النرسي، ثنا عيسىٰ بن شاذان، ثنا إبراهيم بن أبي سويد الذراع، قالوا: حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت ربي في صورةِ شابٍّ له وفرَةٌ**». [نقلًا من «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٣٣)].

- وفي «طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٩) قال أحمد البرمكي: سألت أبا الحَسن بن بشّار عن حديث أُمّ الطُّفيل، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما في الرُّؤية، فقال: صحيحان.

فعارض رجلٌ، فقال: هذه الأحاديث لا تذكر في مثل هذا الوقت.

فقال ابن بشَّار: فيَدرُسُ الإسلام؟! مُنكرًا علىٰ من منع السُّؤال عن الخبرين.

- وفي «إبطال التأويلات» (١٤٧) قال علي بن أحمد بن مهران المديني: حضرت أبا عبدالله بن مهدي، وحضر عنده جماعة، فتذاكروا حديث عكرمة، وأنكره بعضهم، وكنت قد حفظته، فحدَّثت به بطوله، فقام إليَّ أبو عبد الله، وقبَّل رأسي، ودعا لي.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٢٩٠): كما في الحديث الصحيح المرفوع عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**رأيتُ ربي في صورة أمرد، له وَفرة، جعد قطط، في روضة خضراء**». اهـ

- وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (٧/ ٤٥٠): فإنه حديث إسناده علىٰ شرط الصحيح؛ لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الإمام أحمد. اهـ

قلت: وللحديث شاهد من حديث أُم الطُّفيل رضي الله عنها امرأة أُبي بن كعبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -، أنها سمعت رسول الله ﷺ يذكرُ أنه: «**رأىٰ ربَّه في أحسنِ صورَةٍ، شاب مُوفَّر..**».

انظر تخريجه وذكر مَن صَحَّحه في تحقيق «السُّنة» لغلام الخلال (٤٢).

=

وليس هذا من الأحاديثِ التي يجبُ علىٰ العلماءِ نشرُه وإذاعتُه في أيدي الصِّبيانِ(١)، فإن كان مُنكرًا عند المُعارِضِ فكيفَ يَستنكرُه مرَّةً ثم يُثبته

=

- قال القاضي أبو يعلىٰ في «إبطال التأويلات» (ص ١٧٤): واعلم أنها رُؤيا منام؛ لأن أُمّ الطُّفيل قد صرَّحت بذلك في خبرها، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أكثر ألفاظه مُطلقة، وقد نقل في بعضها صريح بذكر المنام فيما حدثنا أبو القاسم، فقال: «أتاني ربي الليلةَ في أحسنِ صورةٍ»، يعني: في المنام). اهـ

(١) ومن هذا الباب: ما رواه الخطيب في «تاريخه» (١٥/ ٤٢٥) بإسناده عن عبدالخالق ابن منصور، قال: رأيتُ يحيىٰ بن معين كأنه يُهجن نُعيم بن حماد في حديث أم الطُّفيل حديث الرُّؤية، ويقول: ما كان ينبغي له أن يُحدِّث بمثل هذا الحديث.

قلت: حديث أُمِّ الطُّفيل رضي الله عنها تقدم ذكره قريبًا في التعليق السابق.

ولهذا السبب - والعلم عند الله - امتنع هذان الإمامان مِن التحديث بهذه الأحاديث، وهذا الذي صنعه ابن أبي عاصم في «السُّنة»، فقد رواه بإسناده مختصرًا، ثم أشار إلىٰ بقيته بقوله: (وذكر كلامًا)، فلو كان منكرًا مِن أصله لما أورده في كتابه مُقرًّا له، ولكنه رأىٰ أن في متنه ما قد يستنكره من لا يحتمله عقله، فأشار إليه إشارة.

وهذا مقصد شرعيٌّ صحيح، سار عليه أئمة أهل السُّنة، فهذا الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعقد في «صحيحه» في كتاب العلم: (باب من خصَّ بالعلم قومًا دون قوم كراهية ألا يفهموا)، و(باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يَقْصُر فهمُ بعض الناس عنه، فيقعوا في أشدّ منه). وأورد فيه قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ : حدِّثوا الناسَ بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسوله.

- وفي مُقدمة «صحيح مسلم»، عن ابن مسعود رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ قال: ما أنت بمحدثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم، إلَّا كان لبعضهم فتنة.

قلت: فلهذا السبب امتنع بعضُ أهل العلم من التحديث بمثل هذه الأحاديث

=

أُخرىٰ، فيُفسِّرُه تفسيرًا أنكرَ مِن الحديثِ؟!

والله أعلمُ بهذا الحديثِ وبِعلَّتِه، غيرَ أني استنكرتُه جدًّا؛ لأنه يُعارضُه حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لرسولِ الله ﷺ: هل رأيتَ ربَّك؟

فقال: «نورٌ أنَّىٰ أراه؟»(١).

ويُعارِضُه قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَن زعمَ أنَّ محمدًا رأىٰ ربَّه فقد أعظمَ علىٰ اللهِ الفريةَ، وتلت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣](٢).

= لعامة الناس دون أهل العلم، ولهذا قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وليس هذا من الأحاديثِ التي يجبُ علىٰ العلماءِ نشرُه وإذاعتُه في أيدي الصِّبيانِ)، فلم يمنع من روايته مُطلقًا مادام أن الأئمة رووه ولم يستنكروه، ولهذ قال بعد ذلك: (ومِن الأحاديثِ أحاديثُ جاءت عن النبيِّ ﷺ قالها العلماء، ورَووها، ولم يُفسِّروها، ومَن فَسَّرها برأيه اتهموه). فالأمر كله علىٰ الاتباع والتقليد لأئمة السلف والسُّنة كما تقدم بيان ذلك برقم (٢٩٥).

وأما إنكار الجهمية لمثل هذه الأحاديث فهو لما توهَّموه من التشبيه المزعوم.

(١) تقدم ذكره مسندًا برقم (١٢٣) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحديث رواه مسلم.

(٢) حديث صحيح، وسيأتي مسندًا برقم (٣٤٢).

وقد قال بعض أهل العلم: لا مُعارضة بين هذه الأحاديث، فحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا محمولٌ علىٰ رؤيا المنام كما صرَّحت بذلك الروايات.

وحديث أبي ذرٍّ وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا محمول علىٰ نفي الرؤية البصرية، وبذلك تجتمع الروايات. والله أعلم.

وسيأتي قول المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٣١) وهو يتكلم عن حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن =

فهذا هو الوجه عندنا فيه والتأويلُ، والله أعلم، لا ما ادَّعيت أيُّها المُعارِضُ أن تفسيرَه: (**أنَّي دخلتُ على ربِّي في جنةِ عدنٍ**)، **كقولِ الناسِ: أتيناك ربَّنا شُعثًا غُبرًا مِن كلِّ فجٍّ عميقٍ لتغفِرَ لنا ذنوبنا**).

وهذا تفسيرٌ مُحالٌ لا يُشبه ما شبَّهتَ؛ لأن في رِوايتِك أنه قال: «**رأيتُه شابًّا، جَعدًا، في ثوبينِ أخضرين**»، ويقول أولئك: (أتيناك شُعثًا غُبرًا)، أي: قصدنا إليك نرجو عفوكَ ومغفِرتَك، ولم يقولوا: (أتيناك فرأيناكَ شابًّا جعدًا في ثوبين أخضرين لتغفِرَ لنا)، هؤلاءِ قصدوا قصدَ الثوابِ والمغفرةِ، ولم يَصِفوا الذي قصدوا إليه بما في حديثِكَ من الحليةِ والكِسوةِ والمُعاينةِ، فلفظُ هذا الحديثِ بخلافِ [٥٣/ ب] ما فسَّرتَ، وتفسيرُك أنكرُ مِن نفسِ الحديثِ، فافهم وأقصِر عن شبهِ هذا الضربِ مِن الحديثِ، فإنَّ الخطأ فيه كفرٌ، وأرىٰ الصوابَ مرفوعًا عنك.

ومِن الأحاديثِ أحاديثُ جاءت عن النبيِّ ﷺ قالها العلماء، ورَووها، ولم يُفَسِّروها، ومَن فَسَّرها برأيه اتَّهموه. فقد

= النبي ﷺ قال: «**أتاني ربي في أحسنِ صورة ..**»: وإنما هذه الرؤية كانت في المنام، وفي المنام يمكن رؤية الله تعالىٰ علىٰ كل حالٍ، وفي كل صورة. اهـ

«**تنبيه**»: وهنا يحسن التنبيه لأمر مهم، وهو الفرق بين مأخذ استنكار أئمَّة السنة لبعض أحاديث الصفات وبين مأخذ الجهمية، فالإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من الأئمة يستنكرون بعض الأحاديث لضعف أسانيدها، أو لما يرون من معارضتها لما هو أصحّ منها، وأمَّا أئمة الجهمية فيستنكرون أحاديث الصفات لما يتوهَّمونه مِن التشبيه والتجسيم اللازمين مِن إثباتها عندهم، فتنبه لهذا.

٣٢٩- كتب إليَّ علي بن خَشْرم: أن وكيعًا سُئِلَ عن حديثِ عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما: الجنةُ مطويةٌ مُعلَّقةٌ بِقرونِ الشمسِ(١).

فقال وكيعٌ: هذا حديثٌ مشهورٌ، قد رُوِيَ فهو يُروىٰ، فإن سألوا عن تفسيرِه لم نُفسِّر لهم، ونَتَّهِمُ مَن يُنكِرُه ويُنازِعُ فيه، والجهميةُ تُنكِرُه(٢).

٣٣٠- فلو اقتديتَ أيها المُعارِضُ في مثلِ هذه الأحاديثِ الضعيفةِ المُشكلةِ المعاني بوكيعٍ؛ كان أسلمَ لك مِن أن تُنكِرَه مَرَّةً، ثم تُثبتَه أُخرىٰ، ثم تُفسِّرَه تَفسيرًا لا يَنقاسُ في أثرٍ ولا قِياسٍ عن ضربِ المريسيِّ والثلجيِّ ونُظرائهم.

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٥١١١)، وخشيش بن أصرم كما في «الصفات» لابن المُحِبِّ (٤٠٢)، والطبراني في «الكبير» (١٤١٦٧)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٠٧)، من طريق ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: الجنة مطويةٌ مُعلَّقةٌ بقرون الشمس، تنشر في كل عامٍ مرَّةً، وأرواح المؤمنين في طير كالزرازير، يتعارفون، يرزقون من ثمر الجنة.

- وفي «فوائد الحنائي» (٢٧٤) قال الحافظ أبو محمد عبد العزيز بن محمد النخشبي: هذا حديث مشهور من حديث أبي خالد ثور بن يزيد الكلاعي الشامي، عن خالد بن معدان الكلاعي الشامي، عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو صحيح غير أنه موقوفٌ، وهو مِن صحاح الموقوفات، والله أعلم. اهـ

وهذا الأثر حَدَّث به جماعة مِن جِلة العلماء؛ كالثوري، وأبي عاصم النبيل، وإسحاق بن راهويه، وابن المبارك، وغيرهم، وذكره الإمام أحمد مُستدلًّا به في «مسائل عبد الله» (٥٤٦).

(٢) تقدم برقم (٢٥٢) التعليق علىٰ قبول ما تلقاه أهل السنة بالقبول والتسليم.

ثم لا حاجةَ لمَن بين ظهريكَ مِن الناسِ إلىٰ مثلِ هذه الأحاديث(١).

ثُم فسَّرتَه تفسيرًا أوحش مِن الأولِ، فقلت: (**يَحتملُ أن يكون هذا الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «دخلتُ على ربِّي في جنَّةِ عدنٍ، شابًّا، جَعدًا»، أن**

---

(١) هنا تَنبيهٌ مُهمٌّ حول الاهتمام بتعليم الناسِ والعامَّة ما ينفعهم من أمورِ التوحيد والسُّنة والعقيدة الصحيحة، وتركِ المسائل الغريبة المُحدثة التي حصل فيها كثيرٌ مِن الجدال ممَّا لا طائل تحته إلَّا النزاع، والقيلِ والقال، والفُرقة والهجران.

وقد كان أئمَّة السُّنة ينهون الطلاب والمُتعلِّمين عن هذا الضرب من المسائل، ويأمرونهم بتعلُّمِ المسائل التي فيها عمل، ومن ذلك:

- ما عند «اللالكائي» (٢٨٢) قال مُصعبٌ: وبلغني عن مالك بن أنس أنه كان يقول: الكلامُ في الدِّين كله أكرَهُه، ولم يزل أهلُ بلدنا يكرهونَه؛ القدرُ، ورأيُ جهمٍ، وكلُّ ما أشبهه، ولا أُحبُّ الكلامَ إلَّا فيما كان تحتَه عملٌ، فأمَّا الكلامُ في الله فالسُّكوت عنه؛ لأني رأيتُ أهلَ بلدنا ينهون عن الكلامِ في الدِّين إلَّا ما كان تحتَه عمَلٌ.

- وفي «الإبانة الكبرىٰ» (٢٥٢١) عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه - وذكر قصَّة طويلة - قال: وجعل أولئك [يعني: الجهمية] يُلقون المسائِل.

قال أحمد: قلتُ: هذا ممَّا لا أتكلَّمُ فيه؛ لأنه ليس في كتاب الله، ولا سُنَّة رسول الله ﷺ، فقلتُ لهم: أيّ شيءٍ تقولون إذا دخلتم المسجد؟ وأيّ شيءٍ تقولون إذا خرجتم من المسجد؟ فسكتوا.

قال أحمد: قلت: يا أمير المؤمنين، هؤلاء لا يدرون أيّ شيءٍ يقولون إذا دخلوا المسجد وإذا خرجوا، يسألون عن القرآن؟ أمر القرآن أعظم. اهـ

- وفي «السُّنة» للخلال (٧٩٧) قال أحمد: لا أُحبُّ لأحدٍ أن يكتب هذه الأحاديث التي فيها ذكر أصحاب النبي ﷺ، لا حلال، ولا حرام، ولا سُنن.

قلت: أكتبها؟ قال: لا تنظر فيها، وأيُّ شيءٍ في تلك مِن العلم؟! عليكم بالسُّنن، والفقه، وما ينفعكم.

النبيَّ ﷺ رأى شابًّا في الجنةِ مِن أولياءِ الله، وافاه رسولُه في جنةِ عدنٍ، فقال: «دخلتُ على ربِّي»(١)).

فقد ادَّعىٰ المُعارِضُ علىٰ رسولِ الله ﷺ كفرًا عظيمًا أنه دخلَ الجنةَ فرأىٰ شابًّا مِن أولياء الله، فقال: «**رأيتُ ربي**».

ثم بعدما فسَّرَ هذه التفاسيرَ المقلوبةَ، قال: (**ويَحتملُ أن يكون هذا مِن الأحاديثِ التي وضعتها الزنادقةُ، فدسّوها في كُتبِ المُحدِّثين**).

فيُقالُ لهذا المُعارِضِ الأحمقِ، الذي تَتَلعَّبُ به الشياطين: وأيُّ زنديقٍ استمكنَ مِن كتبِ المُحدِّثين مِثل: حمادِ بن سلمة، وحمادِ بن زيد، وسفيانَ، وشعبةَ، ومالكٍ، ووكيعٍ، ونُظرائهم فيَدُسُّوا مناكيرَ الحديثِ في كُتبِهم؟! وقد كان أكثرُ هؤلاءِ أصحابَ حفظٍ؟

ومَن كان منهم مِن أصحاب الكتبِ كانوا لا يَكادون يُطلِعون علىٰ كُتُبهم أهلَ الثقةِ عندهم، فكيفَ الزنادقة؟!(٢).

---

(١) وسيذكر المُصنِّف برقم (٣٧١) تفسيرًا آخر للجهمي لهذا الحديث بأن الذي رآه النبي ﷺ : هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(٢) ومِن هؤلاء الحُفَّاظ الذين اتّهِموا بهذه التُّهمة: الإمام حماد بن سلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٣٧): الوضاعون انقسموا سبعة أقسام:

القسم الأول: الزنادقة الذين قصدوا إفساد الشريعة، وإيقاع الشكِّ فيها في قلوب العوام، والتلاعب بالدينِ، كعبد الكريم بن أبي العوجاء، وكان خال معن بن زائدة، وربيب حماد بن سلمة، وكان يَدُسُّ الأحاديث في كُتبِ حماد، كذلك قال أبو أحمد ابن عدي الحافظ. اهـ

وهذه التُّهمة ينقلها بعض المحققين في حواشي الكتب المُحققة مقرّين لها! كما =⇦

=

في تحقيق «تاريخ بغداد» وغيره.

فهذه تُهمة باطلة عن هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما نقله ابن الجوزي عن ابن عدي لا يصحّ، فإن ابن عدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما أورد هذا الكلام في «الكامل» (٣/ ٤٧) لم يرتضيه، وقال: وأبو عبد الله ابن الثلجي كذَّاب، وكان يضع الحديث، ويَدُسّه في كتب أصحاب الحديث بأحاديث كُفريَّات، فهذه الأحاديث مِن تدسيسه. اهـ

وردَّ الذهبي ما ذكره ابن الجوزي ووصفه بالتحامل كما في «أحاديث مختارة من موضوعات الجورقاني وابن الجوزي» (ص٣٧).

وممَّا ينبغي أن يعلم أن حماد بن سلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكن يُحدِّث مِن كُتبه، وإنما كان يُحدِّث مِن حفظه، كما قال أبو دواد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولم يكن له كتاب إلَّا كتاب قيس بن سعد المكي). وعلَّق عليه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٤/ ٣٤٥) بقوله: يعني: كان حافظًا يروي مِن حفظه. اهـ

ودِفاعُ الأئمَّة عنه وثناؤهم عليه معروف مشهور، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حماد بن سلمة لا أعلم أحدًا أروىٰ في الردِّ علىٰ أهل البدع منه.

وقال ابن معين: إذا رأيت الرجل يتكلَّم في حمادٍ فاتَّهمه علىٰ الإسلام.

وقال ابن حبان: ولم يكن يثلبه في أيَّامه إلَّا معتزلي قدريّ، أو مبتدع جهميّ، لما كان يظهر مِن السُّنن الصحيحة التي يُنكرها المعتزلة.

وقال أبو الفضل بن طاهر: وكذلك حماد بن سلمة إمام كبير، مدحه الأئمة، وأطنبوا لما تكلم بعض منتحلي المعرفة أن بعض الكذبة أدخل في حديثه ما ليس منه! لم يخرج عنه البخاري مُعتمدًا عليه، بل استشهد به في مواضع ليُبين أنه ثقة، وأخرج أحاديثه التي يرويها من حديث أقرانه، كشعبة، وحماد بن زيد، وأبي عوانة، وغيرهم، ومسلم اعتمد عليه؛ لأنه رأىٰ جماعة من أصحابه القدماء والمُتأخِّرين لم يختلفوا، وشاهد مسلم منهم جماعة، وأخذ عنهم، ثم عدالة الرجل في نفسه، وإجماع أئمَّة أهل النقل علىٰ ثقته وأمانته. اهـ

وأيُّ زنديقٍ كان يَجترئُ علىٰ أن يَتراءىٰ لأمثالهم، ويزاحمَهم في مجالسِهم؟ فكيف يَفتعلون عليهم الأحاديثَ، ويَدُسُّوها في كتبهم؟!

أرأيتك أيُّها الجاهلُ إن كان الحديثُ عندك مِن وضعِ الزنادقةِ؛ فلِمَ تَلتمسُ له الوجوهَ والمخارِجَ مِن التأويلِ والتفسيرِ، كأنك تُصوِّبُه وتُثبتُه؟

أفلا قلتَ أولًا: (**إنَّ هذا مِن وضعِ الزنادقةِ**) فتستريحَ وتُريحَ العناءَ والاشتِغالَ بتفسيرِه، ولا تدَّعي في تفسيرِه علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ (**أنه دخلَ الجنةَ، فرأى شابًّا مِن أولياء الله تعالى، فقال: هذا ربِّي**)، غيرَ أنك خَلَّطتَ علىٰ نفسِكِ؛ فوقعت في تشويشٍ وتخليطٍ لا تجِدُ لنفسِكَ مَفزعًا إلَّا بهذه التخاليطِ، ولن يُجزئ عنك شيئًا عند أهلِ العلمِ والمعرفةِ، وكلما أكثرتَ مِن هذا وشِبهِهِ؛ ازددتَ به [٥٤/ أ] فضيحةً؛ لأنَّ أحسنَ حُججِ الباطلِ: تركُهُ، والرجوع عنه.

٣٣١- وروىٰ المُعارِض أيضًا: عن عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن أبي يحيىٰ، عن أبي يزيدَ، عن أبي سلَّام، عن ثوبان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**أتاني ربِّي في أحسنِ صورةٍ، فقال: يا محمد، فِيمَ يَختصمُ الملأُ الأعلىٰ؟ فقلتُ: لا عِلمَ لي يا ربِّ، فوضعَ كفَّهُ بين كتِفَيَّ حتىٰ وجدتُ بَردَ أنامِلِهِ في صَدري، فتجلَّىٰ لي ما بين السماءِ والأرضِ**»(١).

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٧٩)، والطبراني في «الدعاء» (١٤١٧)، وابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٩). وفي إسناده انقطاع
وروىٰ نحوه أحمد والترمذي وصحَّحه عن معاذ رضي الله عنه كما سيأتي (٣٣٢).
⇦=

فادَّعىٰ المُعارِضُ أن هذا يَحتمِلُ أن يقول:

(أتاني ربي مِن خلقِهِ بأحسنِ صورةٍ، فأتتني[١] تلك الصورةُ، وهي غيرُ الله، واللهُ فيها مُدبِّرٌ، وضعَ كفَّه بين كتفي، حتى وجدتُ بردَ أنامله في صدري، يعني: تلك الصورة التي هي مِن خلقِه، والأناملُ لتلك الصورةِ منسوبة إلى الله، على معنى: أن الخلقَ كلَّه للهِ).

فيُقالُ لهذا المعارضِ: كم تدحضُ في قولِكَ، وتَرتطِمُ فيما ليس لك به علِمٌ، أرأيتَكَ إذا ادَّعيتَ أن هذه كانت صورةً من خلقِ اللهِ سِوىٰ اللهِ أتَتْه؟

= وروىٰ أحمد (٢٣٢١٠ و٢٢١٠٩ و١٦٦٢١ و٣٤٨٤)، والترمذي (٣٢٣٥)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١٠٩٨)، وابن خُزيمة في «التوحيد» (٣٢١) من طريق أبي قلابة، عن خالد بن اللَّجْلَاج، عن عبد الله بن عباس ﵄، عن النبي ﷺ.

وهذا الحديث وقع في إسناده اختلاف كبير، ولهذا اختلف أهل العلم فيه.

- قال ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية» (٧٥): وروىٰ هذا الحديث ابن حنبل، وروي هذا الحديث عن عشرة من أصحاب النبي ﷺ، ونقلها عنهم أئمة البلاد من أهل الشرق والغرب. اهـ

وأطال ابن تيمية في جمع طُرُقِ هذا الحديث، والكلام عن علله في «بيان تلبيس الجهمية»، وقال (٧/ ٢٠٨): فهذه الروايات يُصدِّقُ بعضُها بعضًا؛ إذ قد رواه عن كلِّ شخصٍ أكثر من واحدٍ، لكن بمجموع الطُّرُقِ انكشف ما وقع في بعضها من غلطٍ في بعض طريقه. اهـ

وبيَّن أيضًا في (٧/ ٢٣٨) أن هذه الرؤية كانت في المنام؛ فقال: إنما كان في المنام بالمدينة، ولم يكن ذلك ليلة المعراج كما يظنه كثيرٌ من الناس. اهـ

(١) في (ب): (فأنتفىٰ).

فيقال له(١): هل تدري يا محمدُ، فيم يختصِمُ الملأُ الأعلىٰ؟ أفتتأوَّلُ علىٰ رسولِ الله ﷺ أنه أجابَ صورةَ غيرِ اللهِ [فقال لها]: «**لا يا ربِّ، لا أدري**»، فدعاها: ربًّا دون الله؟! أم أتته صورةٌ مخلوقةٌ، فقال النبيُّ ﷺ: «**أتاني ربِّي؟!**» إن هذا لكفرٌ عظيمٌ ادَّعيتَه علىٰ رسول الله ﷺ.

وأيةُ صورةٍ تضعُ أناملَها وكفَّها في كتِفِ النبيِّ ﷺ؛ فيتجلَّىٰ له بذلك ما بين السماءِ والأرضِ غيرُ الله؟

ففي دعواك: ادَّعيتَ علىٰ رسولِ الله ﷺ أنه أقرَّ بالربوبيةِ لصورةٍ مخلوقةٍ غير الله؛ لأن في روايتك: أن الصورةَ قالت له: (هل تدري يا محمد، فقال لها: يا ربِّ)، وهل يُمكِنُ أن تكون صورةٌ مخلوقةٌ تضعُ أناملَها في كتفِ نبيٍّ مثل محمدٍ، فيتجلَّىٰ له بذلك فيما بين السماوات والأرض أمورٌ لم يكن يعرفُها قبلَ أن تضعَ تلك الصورةُ كفَّها بين كتِفيه؟!

ويحك! لا يُمكِنُ هذا جبريلَ، ولا ميكائيلَ، ولا إسرافيلَ، ولا يُمكن هذا غيرَ الله، فكم تَجلبُ علىٰ نفسِكَ من الجهلِ والخطإ، وتتقلَّدُ من تفاسيرِ الأحاديثِ الصعبة(٢)، ما لم يرزُقك الله معرِفتَها!

ولا تأمن مِن أن يجُرَّكَ ذلك إلىٰ الكفرِ كالذي تأوَّلت علىٰ رسول الله ﷺ: أنَّ صورةً مخلوقةً كلّمته، فأجابها محمدٌ: (يا ربِّ)، أم لله صورةٌ لم

(١) كذا في الأصل، وفي المطبوع: (فقالت له).

(٢) في (ب): (الضعيفة).

يَعرِفها، فقال: «أتاني ربي»، لِمَا أنَّ اللهَ في تلكَ الصورةِ مُدبِّرٌ؟

ففي دعواك: يجوز لك كلَّما رأيتَ كلبًا، أو حِمارًا، أو خِنزيرًا، قلتَ: (هذا ربي) لِمَا أنَّ اللهَ مُدبِّرٌ في صورِهم في دعواك.

وجازَ لفرعون في دعواك أن يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات]؛ لِمَا أن اللهَ مُدبِّرٌ في صورتِه بزعمك، هذا أبطلُ باطلٍ، لا ينجعُ(١) إلَّا في أجهلِ جاهلٍ.

ويلك! إنَّ تأويلَ هذا الحديثِ علىٰ غيرِ ما ذهبتَ إليه؛ لما أن رسولَ اللهِ ﷺ قال في حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنه لم يرَ ربَّه(٢).

• وقال رسول الله ﷺ: «لن تَروا ربَّكم حتىٰ تموتوا»(٣).

• وقالت عائشة رضي الله عنها: مَن زعَمَ أن محمدًا رأىٰ ربَّه فقد أعظمَ علىٰ اللهِ الفرية(٤).

وأجمعَ المسلمون علىٰ ذلك مع قولِ الله تعالىٰ: [٥٤/ ب] ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، يعنون: أبصارَ أهل الدنيا، وإنما هذه الرؤيةُ كانت

---

(١) أي: لا يؤثِّر، كما في «الصحاح» (٢/ ١٢٨٨): وقد نَجَعَ فيه الخطابُ، والوعظُ، والدواءُ، أي: دخل وأثَّر. اهـ

(٢) تقدم برقم (١٢٣).

(٣) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٢٦)، وهو حديث صحيح.

(٤) سيأتي مسندًا برقم (٣٤٢).

في المنامِ، وفي المنامِ يُمكِن رؤية اللهِ تعالىٰ علىٰ كلِّ حالٍ، وفي كلِّ صورةٍ(١).

٣٣٢- [كذلك] روىٰ معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**صلَّيتُ ما شاءَ اللهُ مِن الليلِ، ثم وضعتُ جَنبي، فأتاني ربِّي في أحسنِ صُورةٍ**»(٢).

---

(١) نقل المُصنِّف هاهنا الإجماع علىٰ عدم رؤية النبي ﷺ لربِّه عَزَّوَجَلَّ بعينه، وقد وقع في هذه المسألة خلافٌ بين أهل السُّنة بعد عصر المؤلف، هل النبيّ ﷺ رأىٰ ربَّه عَزَّوَجَلَّ بعيني رأسه في ليلة المعراج أم لا بعد اتفاقهم علىٰ عدم رؤية النبي ﷺ لربه عَزَّوَجَلَّ في الأرض.

ومَن ذهب إلىٰ هذا القول من أهل السنة يقولون: لم نخالف هذا الإجماع، فهو محمول عندنا علىٰ رؤية الله في الدنيا في الأرض، ورؤية النبي ﷺ لربه بعيني رأسه في المعراجِ ليس هو في الأرض.

والصحيح أنه لم يثبت أن النبيَّ ﷺ رأىٰ ربَّه عَزَّوَجَلَّ في المعراج بعيني رأسه كما بينت ذلك في التعليق علىٰ كتاب «الرد علىٰ المبتدعة» برقم (١٩٠).

(٢) رواه أحمد (٢٢١٠٩)، والترمذي (٣٢٣٥) نحوه عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «... **إني قمتُ مِن الليل فتوضَّأتُ فصليتُ ما قُدِّر لي، فنعستُ في صلاتي فاستثقلتُ، فإذا أنا بربي تبارك وتعالىٰ في أحسنِ صورة، فقال: يا محمد. قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصمُ الملأ الأعلىٰ؟ قلتُ: لا أدري ربّ - قالها ثلاثًا -. قال: فرأيته وضع كفَّه بين كتفي حتىٰ وجدتُ برد أنامله بين ثديي، فتجلَّىٰ لي كل شيء وعرفتُ، فقال: يا محمد، قلتُ: لبيك ربِّ، قال: فيم يختصمُ الملأ الأعلىٰ؟ قلتُ: في الكفارات...**» الحديث.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. سألت محمد بن إسماعيل [البخاري] عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث حسن صحيح.

فحينَ وُجِدَ هذا لمُعاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كذلك، صُرفتِ الرِّواياتِ التي فيها إلىٰ ما قال معاذٌ، فهذا تأويلُ هذا الحديث عند أهل العلمِ، لا ما ذهبتَ إليه من الجنونِ والخُرافاتِ، فزعمتَ: (**أنَّ اللهَ بعثَ إلى النبيِّ ﷺ صورةً في اليقظةِ كلَّمَتْه، فقال لها النبي ﷺ: «يا ربِّ»**)، غير أني أظنُّك لو دريتَ أنه يُخرجُك تأويلُك إلىٰ مثل هذه الضلالاتِ؛ لأمسكتَ عن كثيرٍ منها، غيرَ أنك تكلَّمتَ علىٰ حدِّ الجوارِ آمنًا مِن الجوابِ غارًّا أن يُنتقدَ عليك.

٣٣٣- وقد روىٰ المُعارِضُ أيضًا: عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: بينما عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يُمجِّدُ ربَّه إذ قال مِعضَدٌ: نِعمَ المَرءُ ربُّنا.

فقال عبد الله: إني أُجِلُّه عن ذلك، ولكن ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى:١١](١).

فادَّعىٰ المُعارضُ في تفسيره تَخليطًا مِن الكلامِ، غير أنه قال:

(**الشخصُ في قوله: (شيء)، ولا يجوزُ أن يُوصفَ اللهُ إلاَّ بما وصف به نفسَه، فأظُنُّ به أنه يعني [به]: (الشيء) لا يخلو مِن أن يكون شخصًا، واللهُ لا يُوصفُ بأنه (شيءٌ)**).

فإن كان هذا المُعارضُ ذهبَ إلىٰ هذا التأويل؛ فهذا محضُ الزندقةِ؛ لأن الله أكبرُ الأشياءِ، وأعظمُ الأشياءِ، وخالِقُ الأشياء، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى:١١]، نورُ السماوات والأرض مِن نِورِ وجهه، كما قال ابن مسعود

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٣٤)، وهو صحيح.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١).

٣٣٤- **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن الزبير أبي عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله الفهري، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢).

وإنه ليس مِن نـورِ مخلوقٍ إلَّا ولـه مرأىٰ ومنظرٌ، فكيف النورُ الأعظمُ خالقُ الأنوارِ.

٣٣٥- وذكر المعارضُ أيضًا: عن ابنِ عُيينة، عن حُميد الأعرج، عن مُجاهد، قال: يقولُ داودُ يوم القيامةِ: أَدنِني. فيقال له: أُدنُه. فيَدنو حتىٰ يَمسَّ رُكبتَه(٣).

---

(١) تقدم في «الرد علىٰ الجهمية» برقم (١١٠) بيان جواز الإخبار عن الله تعالىٰ بأنه: (شيء)، وأنه (شَخصٌ) كما أخبر الله تعالىٰ ونبيه ﷺ بذلك.

(٢) تقدم تخريجه برقم (١٨٠).

- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مختصر الصواعق المرسلة» (١/ ١٠٠٧): قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السماوات والأرض من نور وجهه)، فهل يصحُّ أن يحمل الوجه في هذا علىٰ مخلوق، أو يكون صلة لا معنىٰ له، أو يكون بمعنىٰ القبلة والجهة، وهذا مطابق لقوله ﷺ: «**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظُّلمات**»، فأضاف النور إلىٰ الوجه، والوجه إلىٰ الذات، واستعاذ بنور الوجه الكريم، فعلم أن نوره صفة له كما أن الوجه صفة ذاتية، وهو الذي قاله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو تفسير قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور:٣٥]، فلا تشتغل بأقوال المُتأخِّرين الذين غشت بصائرهم عن معرفة ذلك، فخذ العلم عن أهله، فهذا تفسير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. اهـ

(٣) روىٰ عبد الله بن أحمد في «السنة» (١١٤٣) عن مجاهد قال: إن داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

=⇦

=

يجيءُ يوم القيامةِ خَطيئتُه مَكتوبة في كفِّه، فيقول: يا ربِّ خطيئتي مُهلِكتي. فيقول له: كن بين يديَّ. فينظرُ إلىٰ كفِّه فيراها. فيقول: يا ربِّ خطيئتي مُهلِكتي. فيقول: كن عن يميني، فينظر إلىٰ كفِّه فيراها، فيقولُ: يا رَبِّ خطيئتي مُهلِكتي. فيقول: خذ بحقوي. فذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص].

- وفيه (١٠٦٣) عن مُجاهد، عن عُبيد بن عُمير: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾، قال: يقول: ادنُه، ادنُه إلىٰ موضعٍ اللهُ أعلمُ به.

- وفيه (١٠٦٤) عن مجاهد، عن عُبيد بن عُمير، قال: حتىٰ يضعَ بَعضَه عليه.

- وفيه (١١٣٩) عن سُفيان بن عُيينة، عن حُميد، عن مجاهد، عن عُبيد بن عُمير، قال: ما يأمنُ داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يومَ القيامَةِ حتىٰ يقال له: اُدنُه. فيقول: ذَنبي، ذَنبي، حتىٰ بلغَ. فيقال: ادنُه. فيقول: ذَنبي ذَنبي. حتىٰ بلغَ. فيقال له: ادنه. فيقول: ذَنبي ذَنبي. حتىٰ بلغَ مكانًا الله أعلم به. قال سُفيان: كأنه يُمسِكُ شيئًا.

- وفيه (١١٥٨) عن سُفيان، عن منصور، عن مُجاهد، عن عُبيد بن عُمير: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾، قال: يقول الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ لداود: ادنُه، حتىٰ يضعَ بعضَه علىٰ بعضِه.

- وفيه (١١٥٩) عن مجاهد، عن عُبيد بن عُمير: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾، قال: يقولُ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ: ادنُه، ادنُه، حتىٰ يَنتهي إلىٰ موضعٍ، اللهُ أعلمُ به.

- وفيه (١١٦٠) عن ليثٍ، عن مجاهد: حتىٰ يأخذَ بقدَمِه.

ولم يذكُر فيه: عُبيد بن عُمير.

- وفيه (١١٦١) عن أبي عُبيد الله، عن مجاهد، قال: حتىٰ يأخُذَ بحقوِه.

- وفي «السنة» للخلال (٣٠٣) عن سعيد بن جُبيرٍ، قال: إذا نظر داود إلىٰ خصمِه وَلّىٰ هاربًا منه، فيُنادي الله عَزَّوَجَلَّ: يا داود، ادنُ مني، فلا يزال يُدنيه حتىٰ يَمسَّ بعضه.

- وفي «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٩٨) بإسناده عن الحسن بن عرفة، ثنا علي بن ثابت الجزري، عن المكيين عمرو بن دينار وغيره في هذه الآية، قال: لا يزال يُدنيه =

فادَّعىٰ المعارضُ أن تأويلـه: (**أنـه يُدنيـه إلى خلـقٍ مِـن خلقِـهِ، ذي رُكبـةٍ حتى تَمَسَّ رُكبَةُ داودَ رُكبةَ ذلك**.

قال: **ويَحتملُ أيضًا أن يتقرَّبَ إليه بالعملِ الصالحِ**).

فلو كان لهذا المُعارِضِ مَن يَقطعُ لسانَه كان قد نَصحَه.

ويلك! أيُّ زنديقٍ تروي عنه هذه التفاسيرَ ولا تُسَمِّيهِ؟!

= حتىٰ يمسَّ بعضه. وصحَّحه ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٥٥).

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التسعينية» (٢/ ٣٩٣): وروىٰ الثوري، وحماد بن سلمة، وسفيان بن عيينة بعضهم عن ابن أبي نجيح، وبعضهم عن منصور، عن مجاهد، عن عُبيد بن عُمير في قوله في قِصّة داود: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٢٥﴾ [ص]، قال: يُدنيه حتىٰ يمسَّ بعضه. وهذا متواتر عن هؤلاء، وممن رواه الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم في كتاب «السُّنة». اهـ

- وقال في «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٥٥): وفي الأثر المحفوظ عن مجاهد، عن عُبيد بن عمير، قال: (يدنيه حتىٰ يمسَّ بعضه)، رواه حماد بن سلمة، والثوري، وسفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. اهـ

- وقال أيضًا (٣/ ٥٤٤): إن لفظ (البعض) جاء في كلام طائفة من السَّلف من الصَّحابة والتابعين، وهو مذكور في كتب «السُّنة»، جاء عن عُبيد بن عُمير من رواية ابن أبي نَجيح، عن مجاهد عنه. ورواه عنه حماد بن سلمة وصَرّح به. ورواه سفيان الثوري وأظنه اختصر بعضه، ورواه سفيان بن عيينة فكنَّىٰ عنه. اهـ

- وقال القاضي أبو يعلىٰ في «إبطال «التأويلات» (١/ ٢٠٩): فإن قيل: مجاهد وابن سيرين ليسا بحُجّة، ولا ممّن يثبت بقولهما صفات الله تعالىٰ.

قيل: إثبات الصِّفات لا يؤخذ إلَّا توقيفًا؛ لأنه لا مجال للعقل والقياس فيه، فإذا رُوي عن بعض السَّلف فيه قول، عُلم أنه قاله توقيفًا. اهـ

وأيُّ دَرَكٍ لداودَ إذا استغفرَ اللهَ لذنبِه، ولجأ إليه، واستعاذَ به في أن يُدنيه إلىٰ خلقٍ سِواه، فيَمَسَّ رُكبتَه؟

وما يُجزئُ عن داودَ رُكبةُ ذلك المخلوقِ الذي إذا مسَّ داودُ النبيُّ ركبتَه غَفَرَ ذَنبَه، وآمَنَ رَوعتَه، إن ذلك خَلْقٌ كريمٌ علىٰ ربِّه أكرمُ مِن داودَ، ومِن جميعِ الأنبياءِ في دعواك، إذ جعلَه مَفزَعًا للأنبياءِ، ومُعَوَّلًا عليه في ذنوبهم، يَحكمُ علىٰ اللهِ في مغفرتِه، فيَغفرُ لمن يشاءُ، ويرحمُ مَن يشاءُ يومَ القيامةِ دون الله!!

ولا بُدَّ لمثلِ هذا الخلْقِ أن يكونَ سبقَ له مِن اللهِ اسمٌ في الملائكةِ، أو في النبيينَ، فما اسمُه أيُّها الجاهِلُ؟ لو تكلَّمَ بهذا شيطانٌ أو مُدمِنُ خمرٍ سكران، ما زاد عليك جهلًا [٥٥/ أ]، فكيف إنسانٌ؟!

وأعجبُ مِن ذلك قولُك: (**إنه يَتقرَّبُ إليه يومئذٍ بالعملِ الصالحِ لا بالدنوِ منه**).

أوَلَم تعلمُ أيُّها المُعارِضُ أن يومَ القيامةِ ليس بيومِ عملٍ، إنما هو يومُ جزاءٍ للأعمالِ التي يُتقرَّبُ بها إلىٰ اللهِ في الدنيا؟ فكيف رفعَ اللهُ العملَ يومئذٍ عن جميعِ المسلمين وأوجبه علىٰ داود؟!

٣٣٦- قُلتَ: وكذلك ما روىٰ المسعودي، عن المِنهال بن عَمرو، عن أبي عُبيدة، عن عبد الله رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: أنَّ الربَّ يَبدُو لأهلِ الجنةِ في كلِّ جمعةٍ علىٰ كثيبٍ مِن كافورٍ، فيكونون منه في القُربِ علىٰ قدرِ تَسارُعِهم إلىٰ الجمعةِ في

الدنيا(١).

فادَّعيتَ: أن تفسيرَ قوله هذا مِن القُرب: (أنه يَبدو لهم بظهورِ الدلالاتِ،

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٣٦)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٦٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٦٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٣٨/ ٩١٦٩)، والدارقطني في «الرؤية» (١٦٥و١٦٦). قال الذهبي في «العلو» (١٤٣): موقوف حسن.

وقال أيضًا (١٦٢): أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» بإسناد جيد. اهـ

- ورواه ابن بطة نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ كما في «إبطال التأويلات» (٢٨٤)، وقال: (في كل يوم جمعة) معناه: يرونه علىٰ مقادير أوقات الدنيا وأيامها، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم]، وذلك علىٰ التقدير بأيام الدنيا وأوقاتها؛ لأن ليس هناك غدوة وعشية وجمعة.

وأمَّا قوله: (أقربهم منه مجلسًا) فلا يمتنع حمله علىٰ ظاهره في القرب من الذات، وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم]، وكذلك قول النبي ﷺ: «**يؤتىٰ بالعبد يوم القيامة فيدنيه اللهُ فيضع كنفه عليه**»، وقد بيَّنا فيما تقدم أن ذلك علىٰ ظاهره في الدنو من الذات، وهذا الخبر محمول علىٰ ذلك.

فإن قيل: يُحمل القرب علىٰ القُرب من الثواب والكرامة والرحمة.

قيل: هذا لا يصح لوجهين:

أحدهما: أن رحمته وكرامته وثوابه سابق لرؤيتهم له.

والثاني: أنه إن جاز تأويلُه علىٰ هذا جاز تأويل قوله: «**ترون ربكم**» علىٰ التعطف والرحمة والكرامة، وقد اتفقنا ومثبتو الصفات علىٰ فساد هذا التأويل، كذلك ههنا.

فأمَّا قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق]، فالمُراد به: علمه؛ لأنه قد تقدم ذكر العلم في أول الآية بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق:١٦]، فوجب حمله علىٰ العلم. اهـ

وبذلِ الكراماتِ لأوليائِهِ، فيَظهرُ بما فعلَ، ودلالاتِهِ وعلاماتِه لا هو بنفسِه).

فيُقالُ لك أيُّها المُعارِضُ: بئسما أثبتَّ علىٰ أولياءِ الله أنهم لم يعرفوا اللهَ بدلالاتِهِ وعلاماتِهِ وبرسالاتِ نَبيِّه، وما أنزلَ في كُتُبِهِ في الدنيا قبلَ مَقامهم حتىٰ يَعرِفوه بها في الآخرةِ؛ إذ ماتوا كُفَّارًا في دعواك، جُهَّالًا باللهِ وبدلالاتِه.

فإن كانوا كذلك في دعواك؛ لم يكونوا إذًا أولياءَ اللهِ؛ إذ لم يَموتوا علىٰ حقيقةِ معرفة الله تعالىٰ، ولا استحقُّوا الكراماتِ من اللهِ، ولم يكونوا أهلًا في دعواكَ أن يَبدُو لهم في كثيبٍ مِن كافورٍ، بل يَحتجِبُ عنهم؛ إذ لم يعرِفُوه بدلالاتِه وعلاماتِه ورِسالاتِ نبيِّه إلَّا يوم لا ينفع نفسـ[ـًا] إيمانها لم تكن آمنت مِن قبلُ؛ إذ كلُّ كافرٍ ومنافقٍ يَعرِفُه يومئذٍ بدلالاتِه وعلاماتِه، فما فضلُ المؤمنِ عندك في هذا علىٰ الكافر؟!

ثم فسَّرتَ قول عبد الله ﵁: (أنهم يكونون في القُربِ منه علىٰ قدرِ تَسارعهم إلىٰ الجمعة): **أن ذلك تَقرُّبٌ إليه بالعملِ الصالحِ كما قال الله تعالى: «مَن تَقرَّبَ إليَّ شبراً، تقرَّبتُ منه ذراعًا»**(١).

ويلك أيُّها الحيرانُ! إنما قال الله: **«مَن تَقرَّبَ إليَّ شِبرًا، تَقرَّبتُ منه ذراعًا»** في الدنيا بالأعمالِ الصالحةِ، لا في الآخرةِ يومَ تُرفعُ الأعمالُ مِن العبادِ.

لقد تَقلَّدتَ أيُّها المُعارِضُ مِن تفاسيرِ هذه الأحاديثِ أشياءَ لم يَسبقك

---

(١) رواه البخاري (٧٥٣٦) من حديث أبي هريرة ﵁.

إلىٰ مثلها فصيحٌ، ولا أعجميٌّ، ولو قد عِشتَ سنين لَقَلَبتَ العربيةَ علىٰ أهلِها إن شاء الله تعالىٰ.

ثم قُلتَ: (**هذا كقولِ ابنِ عمر** رضي الله عنهما**، عن النبيِّ** ﷺ **في النجوى: «إنه يَدنو المؤمنُ مِن ربِّه حتىٰ يضعَ كَنَفَه عليه، فيُقَرِّره بذنوبِهِ، فيقولُ: سَترتُها عليك في الدنيا، وأنَا أغفرُها لك اليوم»**(١)).

قُلتَ: (**فتَفسيرُ «كنَفَه»: نِعمته، وسِتره، وعافيته**).

فتأويلُ هذا: أنه علىٰ السِّترِ مع القُربِ والدُّنو والمُناجاة التي قالها النبيُّ

(١) رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

هذا الحديث مِن أعظم الأحاديث التي تُبيِّن ضلال المُعطلِ وكفره، وزندقته، وسبب قول أئمَّة السلف فيهم: إنهم مشركون زنادقة، وإنهم يحكون كلام اليهود والنصارىٰ ولا يحكون كلام الجهمية، ويتبيّن ذلك في أمرين:

الأول: في قوله ﷺ: «**يَدنو المؤمنُ مِن ربِّه**»، فهذا محمولٌ عند أهل السنة علىٰ ظاهره وحقيقته مِن دنو العبد يوم القيامة مِن ربِّه تعالىٰ، وعند المُعطلة يُدنيه مِن رحمته، أو مِن بعض خلقه، فمَنِ الذي يُقرِّره بذنوبه، ومن الذي يغفرها له بعد ذلك؟! فهل عند المُعطِّلة ربٌّ يحاسب غير الله تعالىٰ، وعندهم من يغفر الذنوب غير الله تعالىٰ؟!

الأمر الآخر: في قوله ﷺ: «**فيُقَرِّره بذنوبه، فيقولُ: سترتُها عليك في الدنيا، وأنَا أغفرُها لك اليوم**»، فإن قائل ذلك هو الله عَزَّوَجَلَّ، لا أحد غيره يغفر الذنوب، خِلافًا لمن أنكر حقيقة كلام الله تعالىٰ مِن الجهمية والأشعرية وغيرهم.

وانظر لمناقشة ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ للرازي في «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ١٩٨-٢٠٣) حول تحريفهم لهذا الحديث، وما يلزمهم من ذلك.

ﷺ، وأنت لجميعها مُنكِرٌ، وعلىٰ مَن آمن بها مُغتاظٌ[(١)].

٣٣٧- ثـم طعـنَ المُعـارِضُ في الحُجُبِ التي احتجبَ اللهُ تعالىٰ بها عن خلقِه[(٢)]، فقال: روىٰ وكيعٌ، عن سفيانَ، عن عُبيدٍ المُكتِبِ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عُمرَ رضي الله عنهما: احتجبَ اللهُ مِن خلقِه[(٣)] بأربعٍ: بنارٍ، ونورٍ، وظُلمةٍ، ونورٍ[(٤)].

---

(١) قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «خلق فعال العباد» (٣٢٩): قال ابن المُبارك: «**كنفه**»، يعني: سِتره.

- وقال الخلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السنة» في (٣٣/ باب يضع كنفه علىٰ عبده تبارك وتعالىٰ): أخبرني محمد بن أبي هارون ومحمد بن جعفر، أن أبا الحارث حدثهم، قال: قلت: لأبي عبدالله: ما معنىٰ قوله ﷺ: «**إن الله يُدني العبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه**»؟ قال: هكذا يقول: «**يُدنيه ويضع كنفه عليه**»، كما قال، ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟

- وقال: قال إبراهيم الحربي: قوله: «**فيضع عليه كنفه**»، يقول: ناحيته.

قال إبراهيم: أخبرني أبو نصر، عن الأصمعي، يقال: أنا في كنف بني فلان، أي: في ناحيتهم، وأنا في ظلك، أي: قُربك. اهـ

- وقال أبو موسىٰ المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المجموع المغيث» (٣/ ٧٨): في الحديث: «**حتىٰ يضع عليه كَنَفَه**»؛ أي: يستره، وقيل: يرحمه، وقال الإمام إسماعيل: لم أر أحدًا فسَّرَه؛ إلَّا إن كان معناه: يستره من الخلق، وقيل في رواية: يستره بيده. وكنفا الإنسان: ناحيتاه، ومن الطائر: جناحاه. اهـ

(٢) تقدم في «الرد علىٰ الجهمية»: (٣/ باب الاحتجاب).

(٣) وفي نسخة: (عن خلقه).

(٤) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٨١).

ففسَّره المُعارِض تفسيرًا يُضحَكُ منه، فقال: (**يَحتملُ أن تكونَ تلك الحُجُبُ آياتٍ يَعرِفونَها، ودلائلَ على معرفته أنه الواحِدُ المعروفُ، إذ عرَّفَهم بدلالاته، فهي آياتٌ لو** [٥٥/ب] **قد ظهرت للخلقِ لكانت معرفتُهم كالعيانِ بها**).

فيُقال لهذا المُعارِضِ: عمَّن رَويتَ هذا التفسيرَ؟! ومِن أيِّ شيطانٍ تلقَّنته؟! ومَن ادَّعىٰ قبلك أنَّ حُجُبَ اللهِ آياتُه التي احتجبَ بها؟

فما معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ**﴾ [الشورى: ٥١]؟ أمعناه عندك: مِن وراءِ الدلالاتِ والعلامات؟

أم قولُه: ﴿**كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾**﴾ [المطففين]؛ أهو عندك: أن لا يَرَوا يومئذٍ آياتِه ودلائِلَه، ولا يَعرِفوا يومئذٍ أنه الواحِدُ المعروف بالوحدانية؟ وأنه ليس أحدٌ يومَ القيامةِ في دعواك عنه محجوبٌ؛ لما أن كلًّا يرىٰ يومئذٍ دلالاتِه وعلاماتِه وآياتِه، وكلٌّ يعرِفُ يومئذٍ أنه الواحِدُ الأحد.

فما موضعُ الحِجابِ يومئذٍ؟ وكيف صارت تلك الدلالاتُ والعلاماتُ مِن نارٍ، ونُورٍ، وظُلمةٍ؟ وما يصنع بذكرِ النارِ والنورِ والظُّلمةِ هاهنا في الدلالات؟

٣٣٨- قُلتَ: وكذلك حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ: «**إنَّ اللهَ لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، حِجابُه النارُ، لو كشَفَها لأحرقت سُبُحاتُ وجهِهِ**

كلَّ شيءٍ أدركه بَصَرُه»(١).

ثم قُلتَ: **(فتأويلُ الحِجابِ فِي هذا الحديث مِثلُه فِي الحديثِ الأولِ: هي الدلالاتُ التي ذكرها، وعلى أنَّ الدلالاتِ كشفٌ عن الشيءِ، لا حِجابٌ و[لا] غِطاءٌ)**.

ثم قُلتَ: **(فتأويلُ قولِه: «لو كشَفَها لأحرقت سُبُحاتُ وجهِهِ»، لو كشفَ تلك النارَ؛ لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ذلك العَلَمَ الدالَّ عليه)**.

قُلتَ: **(ويَحتمِلُ قولُه: «سُبُحاتُ وجهِه»، سُبُحات وجه ذلك العِلمَ، وذلك العلمُ وجهٌ يُتوجَّه برؤيتِه إلى معرفةِ الله، كقوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾** [البقرة:١١٥]، **قلتَ: قبلةُ الله)**.

فيُقالُ لهذا المُعارضِ: نَراكَ قد كثُرت لَجاجتُك في ردِّ هذا الحديث، إنكارًا منك (لوجه الله تعالىٰ)؛ إذ تَجعلُ ما أخبرَ رسولُ الله ﷺ بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ معقولٍ في سياق اللفظِ، أنه وجه اللهِ نفسه، فجعلتَه أنت وجهَ العَلَمِ، ووجهَ القبلةِ، وإذ قال رسول الله ﷺ: «**حِجابُ اللهِ النارُ، لو كشفها عن وجهِهِ لأحرقت سُبُحاتُ وجهِهِ كلَّ شيءٍ أدركَه بصرُه**»، فإن لم تتحوَّل العربيةُ عن معقولِها؛ إنه لوجهٌ حقًّا كما أخبر رسول الله ﷺ، ولو كانت سُبُحاتِ وجوهِ الأعلامِ، لقال النبي ﷺ: (حِجابُه النارُ، لو كشفَها لأحرقت النارُ سُبُحاتِ وجوه الخلقِ كلها).

وما بالُ تلك النارِ تَحرِقُ مِن العلمِ سُبُحاتِه، وتَترُكَ سائِرَه؟!

---

(١) رواه مسلم، وقد تقدم مسندًا برقم (٣١٦)، وسيأتي برقم (٣٤١).

وإنما تفسيرُ (السُّبُحات): الجلالُ، والنورُ(١).

فأيُّ نورٍ لوجهِ الخلقِ حتىٰ تحرِقَها النارُ منهم؟ وما للنارِ تَحرِقُ منهم سُبُحاتِهم بعدَ أن يَكشِفَها اللهُ عن وجهه، ولا تحرِقُها قبل الكشفِ؟ فلو قد أرسلَ اللهُ منها حِجابًا واحِدًا لأحرقت الدنيا كلها، فكيف سُبُحاتُ وجوه الخلقِ؟

ويحكَ ! إنَّ هذا بيِّنٌ، لا يحتاجُ إلىٰ تفسيرٍ، إنما نقولُ: احتجَبَ اللهُ بهذه

---

(١) قال غُلام الخلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السنة» (٦٨): حدثنا أحمد، قال: سألتُ ثعلبًا عن قول النَّبي ﷺ: «**لأحرَقتْ سُبحاتُ وجهِهِ**». فقال: السُّبحات - يعني: من ابن آدم - الموضع يَسجدُ عليه.

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ١٤٣ - ١٤٦): وهذا الذي قال ثعلب معروف، يقول أحدهم: أما ترىٰ إلىٰ سُبحات وجهه، يعني: إلىٰ نور هذا الموضع.

وقال القاضي أبو يعلىٰ: فأمَّا قوله: «**كلُّ شيء أدركه بصره من خلقه**»، معناه: أن نور وجهه يحرقُ ما يُدركه من خلقه، - وذكر قول ثعلب - وهذا يطابق معنىٰ الحديث، حيث أخبر أن حجابه النار أو النور، وأنه لو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه التي حجابها النور أو النار ما أدركه بصره من خلقه، قال: نور سُبحاته تحرق ما أدركه بصره من خلقه، وقد تقدم أن أبا عبيدة بن عبدالله بن مسعود كان إذا روىٰ هذا الحديث عن أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقرأ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨﴾ [النمل]. اهـ

والضمير في قوله: «**ما انتهىٰ إليه بَصَرُه مِن خلقِه**» يعود إلىٰ الرب تعالىٰ لا للمخلوق.

النارِ عن خلقه، بقدرتِه وسُلطانِه، لو قد كشَفَها لأحرَق نورُ الربِّ وجلاؤه كلَّ ما أدرَكَه بصرُه، وبَصرُه مُدرِكٌ كلَّ شيءٍ، غيرَ أنه يُصيبُ [٥٦/ أ] ما يشاءُ، ويَصرِفُه عمَّا يشاءُ، كما أنه حينَ تجلَّىٰ لذلك الجبلِ خاصَّةً مِن بين الجبالِ، ولو قد تجلَّىٰ لجميعِ جِبالِ الأرضِ لصارت كلُّها دكًّا، كما صارَ جبلُ موسىٰ، ولو قد تجلَّىٰ لموسىٰ كما تَجلَّىٰ للجبلِ جعلَه دكًّا، وإنما خرَّ موسىٰ صعِقًا مما هالَه مِن الجبلِ ممَّا رأىٰ مِن صوتِه حينَ دُكَّ فصارَ في الأرضِ(١).

٣٣٩- وحدثنا موسىٰ بن إسماعيل، عن وهب(٢)، عن خالد الحذَّاء، عن

---

(١) يُشير إلىٰ قول تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف].

- وروىٰ أحمد (١٢٢٦٠)، والترمذي (٣٠٧٤) بإسناد صحيح عن معاذ بن معاذ، عن حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف:١٤٣]، قال: قال: هكذا، - يعني: أنه أخرج طرف الخنصر -.

قال أحمد: أراناه معاذ، قال: فقال له حُميد الطويل: ما تريد إلىٰ هذا يا أبا محمد؟ قال: فضرب صدره ضربةً شديدة، وقال: من أنت يا حُميد؟ وما أنت يا حُميد؟ يُحدثني به أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، فتقول أنت ما تريد إليه؟!

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١٠٣٣): معلوم أن الذي أصار الجبل إلىٰ هذا الحال ظهور هذا القدر من نور الذات له بلا واسطة، بل بتجلي ربه له سبحانه. اهـ

(٢) كذا في الأصل، والصواب: (وهيب بن خالد)، وهو الذي يروي عن خالد الحذاء، =

أبي قِلابةَ، عن النُّعمان بن بَشيرٍ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ في كسوفِ الشمسِ والقمرِ، فقال: «**إنَّهما لا ينكسِفانِ لموتِ أحدٍ ولا حياتِه، ولكنَّ اللهَ إذا تَجلَّىٰ لشيءٍ مِن خلقِهِ خَشَعَ له**»(١).

وإنَّما كانت تَحرِقُ سُبُحاتُ وجهِهِ لو كشفَها كلَّ شيءٍ في الدنيا؛ لأنَّ اللهَ كَتَبَ الفناءَ عليها، وركَّبَ ما رَكَّبَ مِن جوارحِ الخلقِ للفناءِ، فلا يَحتمِلُ نورَ البقاءِ فتُحرَقُ به، أو تُدكُّ كما دكَّ الجبلُ، فإذا كان يوم القيامةِ؛ رُكِّبتِ الأبصارُ والجوارحُ للبقاءِ، فاحتملتِ النظرَ إلىٰ وجهِهِ، وإلىٰ سُبُحاتِهِ ونورِ وجهِهِ، مِن غيرِ أن تُحرِقَ أحدًا.

كما لو أن أجسمَ رجلٍ وأعظمَه وأكملَه لو أُلقِيَ في الدنيا في تَنُّورٍ مَسجورٍ

= كما في «السير» (٨/ ٢٢٣).

(١) رواه أحمد (١٨٣٦٥)، والنسائي في «الكُبرىٰ» (١٨٨٣)، وابن ماجه (١٢٦٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٥٩٨)، وقال: أبو قلابة لا نعلمه سمع من النعمان بن بشير رضي الله عنه شيئًا، ولا لقيه. اهـ.

وقد وقع في إسناد هذا الحديث اضطراب كبير.

والحديث في الكسوف: رواه البخاري (١٠٥٧)، ومسلم (٩١١)، عن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشمسُ والقمرُ لا ينكسفانِ لموت أحدٍ ولا لحياته، ولكنهما آيتانِ مِن آياتِ الله فإذا رأيتموهما فصلوا**».

وروي كذلك عن غير واحدٍ مِن الصحابة رضي الله عنهم، ولكن ليس فيه ذِكرُ التجلي.

* انظر: «الصفات» لابن المُحبّ (١/ ١٣٥) (باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم﴾ [الشمس: ١٤]. وانظر: كذلك (٢/ ٨٣٥/ رقم١٤٤٧، و١٤٧٨).

لصارَ رمادًا في ساعةٍ، فهو يَحترقُ في نارِ جهنمَ ألفَ عامٍ وأكثرَ، ونارُها أشدُّ حرًّا مِن نارِ الدنيا سبعين ضِعفًا، لا يصيرُ منها رمادًا، ولا يموتُ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]؛ لأن أجسامَهم وأبصارَهم وأسماعَهم تُركَّبُ يومئذٍ للبقاءِ، فاحتملت مِن عذابِ جهنمَ ما لم تكن تحتمِلُ جزءًا من ألفِ جُزءٍ مِن عذابِ الدنيا.

وكذلك أولياءُ اللهِ تحتمِلُ أبصارُهم النظرَ إلىٰ وجهِ اللهِ يوم القيامة، ولو قد أدركَهم شيءٌ مِن سُبُحاتِ وجهِهِ في الدنيا لاحترقُوا، كما قال رسول الله ﷺ، ولم تَحتمِلها أبصارُهم(١).

فهذا تأويلُ حديثِ رسول الله ﷺ الذي تدلُّ عليه ألفاظُه، لا ما تأوَّلتَ له من التفسيرِ المقلوبِ، الذي لا يَنقاسُ للفظِ الحديثِ إلَّا أن تقلِبَ لفظَه، كما قلبتَ تفسيرَه، فاربحِ العناءَ؛ فإنَّ ظاهِرَ ألفاظِه تشهدُ عليك بالتكذيبِ بالتوحيدِ.

وسنذكرُ بعض ما ذُكِرَ في القرآنِ وفي الرِّواياتِ مِن أمرِ الحُجُبِ؛ ليَعرِضَها [كل] عاقل علىٰ قلبه، هل يَنقاسُ شيءٌ منها علىٰ ما تأوَّلتَ؟

أوَّلُ ذلك ما رويتَه أيها المعارِضُ عن أبي موسىٰ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ.

٣٤٠- **حدثناه** عثمان بن أبي شيبة، ثنا جَريرٌ، عن الأعمشِ، عن عمرِو بن مُرَّة، عن أبي عُبيدة، عن أبي موسىٰ رضي الله عنه، قال: قام فينا رسول الله ﷺ

(١) تقدم بيان ذلك والتعليق عليه في «الرد علىٰ الجهمية» برقم (١٥١).

بأربعٍ، فقال: «إنَّ اللهَ لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفِضُ القسطَ ويرفعُه، يُرفعُ إليه عملُ الليلِ قبل النهارِ، وعملُ النهارِ قبلَ الليلِ، حِجابُهُ النورُ(١)، لو كشفها لأحرقت سُبُحاتُ وجهِهِ كلَّ شيءٍ أدركَه بصرُه»(٢).

٣٤١- **وحدثنا** علي بن المدينيّ، ثنا موسىٰ بن إبراهيم بن كثير بن بشير(٣) الأنصاري، قال: سمعتُ طلحة بن خِراشٍ، يقول: سمعتُ جابرَ بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: [٥٦/ ب] قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ لم يُكلِّم أحدًا إلَّا مِن وراءِ حِجابٍ»(٤).

٣٤٢- **حدثنا** عمرو بن عونٍ، أبنا هُشيمٌ، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: مَن زعَمَ أنَّ محمدًا رأىٰ ربَّه، فقد أعظمَ علىٰ اللهِ الفِريةَ، ثم تلت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١](٥).

أفيجوزُ أن يُتأوَّلَ هذا: أنَّ اللهَ لم يُكلِّم بَشرًا إلَّا مِن وراءِ الآياتِ والعلاماتِ؟

---

(١) في (ب): (النار).

(٢) تقدم تخريجه برقم (٣١٦).

(٣) في الأصل: (بشر)، وما أثبته من «الرد علىٰ الجهمية» (١٩٦).

(٤) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٩٦) بأتم من هذا، وهو حديث صحيح.

(٥) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٧٩)، وهو حديث متفق عليه.

٣٤٣- **وحدثنا** محمد بن كثيرٍ، أبنا سفيان، عن عُبيد المُكتِبِ، عن مجاهدٍ، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: احتجَبَ اللهُ عن خلقِهِ بأربعٍ: بنارٍ، وظُلمةٍ، ونُورٍ، وظُلمةٍ(١).

أفيجوزُ أن يُتأوَّلَ علىٰ اللهِ في هذا الحديثِ بأربعِ علاماتٍ، وأربعِ دلائل، ونارٍ، وظُلمةٍ، ونورٍ، وظُلمةٍ؟

٣٤٤- **وحدثنا** موسىٰ بن إسماعيلَ، عن حماد بن سلمة، عن أبي عمران الجَوني، عن زُرارةَ بن أوفىٰ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ سألَ جبريلَ: «**هل رأيتَ ربَّكَ؟ فانتفَضَ جبريلُ، وقال: يا محمدُ، إن بيني وبينه سبعينَ حِجابًا مِن نورٍ، لو دنوتُ مِن أدناها حِجابًا؛ لاحترقتُ**»(٢).

أفيجوزُ أن يتأوَّلَ علىٰ جبريلَ أن يقولَ: بيني وبين اللهِ سبعينَ(٣) علامةً ودلالةً مِن نورٍ، لو دنوتُ مِن أدناها لاحترقتُ؟

أم يَجوزُ أن يُتأوَّلَ علىٰ جبريل: أنه لا يستدلُّ علىٰ معرفةِ الواحدِ لِمَا رأىٰ وشاهدَ مِن آياتِه وعلاماتِه إلَّا بهذه الأربعةِ الحُجُبِ التي ادَّعيتَ أنها دلائلُ علىٰ معرفةِ الواحدِ المعروفِ؟

أوَلَم يكتفِ جبريلُ بما رأىٰ وعاينَ مِن الدلالاتِ والعلاماتِ علىٰ معرفةِ اللهِ، وهو السفيرُ بينه وبين رُسُلِه، حتىٰ يستدلَّ عليه بالحُجُبِ التي ادَّعيتَ أنها

---

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٨١)، وهو صحيح.

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٨٢).

(٣) كذا في الأصل، والجادة: (سبعون).

آياتُه وعلاماتُه؟

لو قد رُزِقتَ أيها المُعارِضُ شيئًا مِن العقلِ؛ علمتَ أنَّ ما تدَّعي زُورٌ وباطلٌ، ولكن قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ ممَّا أدركَ الناسُ مِن كلامِ النبوةِ الأُولىٰ: إذا لم تستحي فاصنع ما شِئتَ**»(١).

٣٤٥- **حدثنا** عبد الله بن صالح، حدثني يحيىٰ بن أيوب، عن المُثنىٰ، عن عَمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**احتجبَ ربُّنا عَزَّوَجَلَّ عن خلقِهِ بأربعٍ: بنارٍ وظُلمةٍ، ثم بنورٍ وظُلمةٍ مِن فوقِ السماوات السبع، والبحرُ الأعلىٰ فوقَ ذلك كُلِّه تحتَ العرش**»(٢).

٣٤٦- **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، عن حَبَابة بنتِ عجلانَ الخُزاعيةِ، عن أُمِّها: أُمِّ حفصٍ، عن صَفية ابنةِ جريرٍ، عن أُمِّ حكيم بنتِ وداعٍ الخُزاعية، قالت: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**دُعاءُ الوالدةِ يُفضي إلىٰ الحِجابِ**»(٣).

ويحك أيها المُعارِضُ! قد علِمَ كلُّ ذي عقلٍ [وعلمٍ] أن ألفاظَ هذه الرِّواياتِ كلِّها مُخالفةٌ لما ادَّعيتَ مِن هذه التفاسيرِ المقلوبةِ، وأنَّ للهِ أكثرَ من ألفِ آيةٍ وعلامةٍ، فكيف لم يحتجب منها إلَّا بأربعٍ، جعلها دلالةً وعلامةً علىٰ معرفتِه؟ وسائِرُها لا تدلُّ في دعواك؟ [٥٧/أ]

---

(١) رواه أحمد (١٧٠٩٠)، والبخاري (٦١٢٠)، من حديث أبي مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢٧٤)، ولا يصح مرفوعًا، وقد تقدم نحوه موقوفًا عن ابن عمر رضي الله عنهما، هو الصحيح.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٨٦٣)، ولفظه: «**دعاء الوالد ..**». وإسناده ضعيف لجهالة رواته.

٧- باب

إثبات الضحك(١)

(١) عقد غير واحدٍ من أهل العلم أبوابًا في إثبات هذه الصفة لله تعالىٰ، ومن ذلك: معمر ابن راشد في «جامعه» (١١/ ١٨٤): (باب من يضحك اللهُ إليه)، وابن أبي عاصم في «السُّنة» (١/ ٢٤٤): (باب ما ذُكر مِن ضَحِكِ ربِّنا عَزَّوَجَلَّ)، وغُلام الخلال في «السُّنة»: (باب في أن الله يضحك ويرضا ويغضب)، والآجري في «الشريعة»: (٤٨/ باب الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ يضحك)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ»: (٧٦/ باب الإيمان بأن الله يضحك)،

- قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشريعة» (٧٢٩): اعلموا وفقنا الله وإياكم للرَّشاد من القول والعمل أن أهل الحقِّ يصفون الله عَزَّوَجَلَّ بما: وصف به نفسه عَزَّوَجَلَّ، وبما وصفه به رسوله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم.

وهذا مذهب العلماء ممَّن اتبع ولم يبتدع، ولا يُقال فيه: كيف؟ بل التسليم له، والإيمان به أن الله عَزَّوَجَلَّ يضحك، كذا رُوي عن النبي ﷺ، وعن صحابته، ولا يُنكرُ هذا إلَّا من لا يُحمَدُ حاله عند أهل الحق. اهـ

- وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ»، فقال: اعلموا - رحمكم الله - أن من صفات المؤمنين من أهل الحقِّ: تصديق الآثار الصحيحة، وتلقيها بالقبول، وترك الاعتراض عليها بالقياس، ومواضعة القول بالآراء والأهواء، فإن الإيمان: تصديق، والمؤمن: هو المُصدِّق ... فمِن علامات المؤمنين:

أ- أن يصفوا الله بما وصف به نفسه.

ب- وبما وصفه به رسوله ﷺ ممَّا نقلته العلماء، ورواه الثقات من أهل النقل، الذين هم الحُجَّة فيما رووه من الحلال والحرام والسُّنن والآثار.

⇐

٣٤٧- ثم أنشأَ المُعارِضُ أيضًا مُنكِرًا أنَّ اللهَ يَضحكُ إلىٰ شيءٍ ضَحِكًا هو الضحِكُ، طاعِنًا علىٰ الرِّواياتِ التي نُقِلت عن رسولِ اللهِ ﷺ، يُفسِّرُها أقبحَ التفسيرِ، ويتأوَّلُها أقبحَ التأويلِ(١).

فذكر منها:

• حديثَ أبي موسىٰ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**يتجلَّىٰ ربُّنا ضاحِكًا يومَ القيامةِ**»(٢).

• وأيضًا: حديثَ أبي رَزِين العُقيلي رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، أيضحكُ الربُّ؟

فقال: «**نعم**».

=

ج- ولا يقال فيما صحَّ عن رسول الله ﷺ: كيف؟ ولا لم؟ بل يتبعون ولا يبتدعون، ويُسلِّمون ولا يعارضون، ويتيقنون ولا يشُكُّون ولا يرتابون.

فكان ممَّا صحَّ عن النبيِّ ﷺ، رواه أهل العدالة، ومن يلزم المؤمنين قبول روايته وترك مخالفته: (أن الله تعالىٰ يضحك)، فلا يُنكر ذلك، ولا يجحده إلَّا مُبتدعٌ، مذموم الحال عند العلماء، داخل في الفِرقِ المذمومة وأهل المذاهب المهجورة، عصمنا الله وإياكم من كل بدعة وضلالة برحمته. اهـ

(١) الجهميُّ فسَّر نصوص ضحك الله تعالىٰ وتأولها وحرَّفها ولم يُصرِّح بإنكارها ولا بالتكذيب بها، ومع ذلك جعله الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُكذبًا بها لما تقدم بيانه من أن الأئمة كانوا يجعلون تأويل نصوص الصفات وتحريفها عن ظاهرها نوعًا من أنواع التكذيب لها، انظر: رقم (٤٨ و٦٧)، و«الرد علىٰ الجهمية» (٢٥ و٧٠).

(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٢٤).

فقال: لن نَعدَم مِن ربٍّ يَضحكُ خيرًا(١).

* وحديثَ جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا، عن النبيِّ ﷺ في ضَحِكِ الربِّ(٢).

فادَّعىٰ المُعارِضُ في تفسيرِ الضَّحك(٣): (أنَّ **ضَحِكَ الربِّ: (رِضاه، ورحمتُه، وصَفحُه عن الذنوبِ)، ألا ترى أنك تقول: رأيتُ زرعًا يَضحَكُ**)(٤).

---

(١) سيأتي مسندًا برقم (٣٤٩).

(٢) مشهور بحديث الورود، رواه المُصنِّف في «الرد» (١٢٩)، ورواه مسلم.

(٣) في الأصل: (الرب)، والتصويب عن هامش الأصل.

(٤) اعلم - أرشدك الله لاتباع السُّنة - أن كثيرًا من شُرَّاح كتب الحديث قد ابتُلي بهذا التحريف والتأويل، وسلك فيه مسلك المُعطِّلة، ومن ذلك:

- قال الخطابي في «أعلام الحديث» (٢/ ١٣٦٥): «**يضحكُ الله**»: .. معناه في صفة الله سبحانه: الإخبار عن الرِّضا .. إلخ

- وقال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٥/ ٩٧): وأمَّا قوله: «**يَضْحَكُ اللهُ إليه**»؛ أي: يتلقَّاه الله عَزَّوَجَلَّ بالرَّحمة والرضوان، والعفو والغفران.

ولفظ (الضَّحك) هاهنا مجازٌ؛ لأنَّ الضحك لا يكون مِن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ما هو من البشر؛ لأنه ليس كمثله شيء، ولا تشبهه الأشياء. اهـ

- وقال ابن المُلقِّن في «التوضيح شرح الجامع الصحيح» (٧/ ٢٠٧): والضحك من صفات الربِّ جل جلاله، ومعناه: الاستبشار والرِّضا، لا الضحك بلهوات وتعَجُّب. اهـ

- وقال ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٤٤٤): قال البيضاوي: نسبة الضحك إلىٰ الله تعالىٰ مجاز بمعنىٰ الرِّضا. اهـ

- وقال الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني في «التَّنوير شرح الجامِع الصَّغيرِ» ⇦ =

فيُقالُ لهذا المُعارِضِ: قد كذبتَ فيما رويتَ عن النبيِّ ﷺ في الضحكِ، [إذا] شبَّهتَ ضَحِكَه بضحِكِ الزَّرعِ؛ لأن ضحِكَ الزرعِ ليس بضحِكٍ، إنما هو خُضرتُه ونَضارَتُه، فجعل مَثَلًا للضَّحِكِ(١).

فعمَّن رويتَ هذا التفسيرَ مِن العلماءِ: (أنَّ ضحِكَ الربِّ): رِضاه ورَحمتُه؟ فسَمِّه وإلَّا فأنتَ المُحرِّفُ قولَ رسولِ الله ﷺ بتأويلِ ضلالٍ؛ إذ شبَّهتَ ضَحِكَ اللهِ الحيِّ القيومِ الفعَّالِ لما يشاءُ ذي الوجه الكريمِ، والسمعِ السميعِ، والبصرِ البصيرِ: بضحكِ الزرعِ الميِّتِ الذي لا ضحِكَ له، ولا قُدرةَ له، ولا يقدِرُ علىٰ الضحِكِ، وإنما ضحِكُه يُمثَّلُ، وضحِكُ اللهِ ليس يُمثَّلُ(٢).

ويحَكَ [أيُّها المُعارِض] ! إنَّ ضَحِكَ الزرعِ: نَضارَتُه، وزهرتُه، وخُضرتُه، فهو أبدًا ما دام أخضر ضاحِكٌ لكلِّ أحدٍ للوليِّ والعدوِّ، ولمن

=

(٥/ ٢٤٢): «**ثلاثة يضحك الله إليهم**»، أي: يرضىٰ عنهم، ويلطف بهم، قالوا: الضحك منه تعالىٰ محمول علىٰ غاية الرضا والرأفة، والدنو والقرب، كأنه قيل: رضي عنهم، ويدنو إليهم برأفته ورحمته ولطفه. اهـ

قلت: كل هذا وغيره تأويلٌ وتحريف لحقيقة صفة الضحك لله تعالىٰ، وسيأتي نقض تحريفهم هذا من كلام المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) صدق أئمة السُّنة لما قالوا: الجهمية المُعطِّلة هم المُشبِّهة. وقد تقدم تقريرُ ذلك تحت (فقرة / ٨٩)، وانظر كذلك ما سيأتي تحت فقرة (٣٦٠).

(٢) في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٦٥٣) قال المرُّوذي: سألت أبا عبد الله عن عبدالله التيمي.
قال: هو صدوق، وقد كتبت عنه شيئًا من الرَّقائق؛ ولكن حُكِيَ عنه أنه ذكر حديث الضحك، فقال: مثل الزرع إذا ضحك؛ وهذا كلام الجهمية.

يسقيه، ولمن يَحصُدُه، لا يقصِد بضحِكِه إلىٰ شيءٍ، والله يقصد بضَحِكِه إلىٰ شيءٍ، والله يَقصدُ بضحكِه إلىٰ أوليائه عندما يُعجِبُه [مِن] فِعالهم، ويصرِفُه عن أعدائِه فيما يُسخِطُه مِن أفعالِهم.

فالدليلُ مِن فعلِ اللهِ أنه يَضحكُ إلىٰ قومٍ، ويصرِفُه عن قومٍ: أنَّ ضحِكَ الزرعِ مَثَلٌ علىٰ المجازِ، وضحِكَ اللهِ أصلٌ وحقيقةٌ للضَّحكِ، يَضحَكُ كما يشاء، والزرعُ أبدًا نَضارَتُه وخُضرَتُه التي سَمَّيتَه ضَحِكًا قائمٌ أبدًا حتىٰ يُستَحصدَ.

وأمَّا قولُك: (**إنَّ ضَحِكَه: رِضاه ورحمتُه**)، فقد صدقتَ في بعضٍ؛ لأنه لا يَضحكُ إلىٰ أحدٍ إلَّا عن رِضًا، فيجتمعُ منه الضحِكُ والرِّضا، ولا يصرِفُه إلَّا عن عدوٍّ(١).

---

(١) وسيأتي قول المُصنِّف (فقرة/ ٣٩٠) عن هؤلاء الجهمية المُعطِّلة أنهم قالوا في نصوص الصفات: (... تَفسيرُ حُبِّه ورضاه - بزعمهم -: ما يُصيبُ الناسَ من العافيةِ والسلامةِ، والخصبِ والدَّعةِ، وغضبُه وسَخَطُه ...لا أن اللهَ يُحِبُّ ويبغضُ، ويرضىٰ ويسخطُ حالًا بعد حالٍ في نفسه). اهـ

قلتُ: فاعلم أن أهل السُّنة يثبتون الصفة ولازمها خلافًا للمُعطلة الذين يثبتون لازم الصفة، وينكرون أصل الصفة، فيُثبتون من الضحك لازمه وهو الرحمة والرِّضا، وينكرون صفة الضحك لله تعالىٰ.

وهنا تنبيه مُهمٌّ وهو: أن بعض أئمة السُّنة قد يتكلم عن صفة من الصفات فيثبت لازمها، ولا يتعرَّضُ للصفة أصلًا نفيًا ولا إثباتًا، فيلتبس علىٰ القارئ بأن هذا تأويل للصفة، وقد يأخذ هذه الأقوال المُجملة بعض المُعطلة فيثبتون تأويل الصفات لبعض أهل السنة، وهذا كذب عليهم، فإن الكلام عن لازم الصفة لا يستلزم إنكار ⇐

وأنت تنفي الضحِكَ عن اللهِ، وتُثبتُ له الرِّضا وحدَه(١)، ولئن جزعتَ مِن حديث أبي موسىٰ ﵁، عن النبيِّ ﷺ في الضَّحِكِ حتىٰ نفيتَه عن اللهِ بمعنىٰ: (ضحِكِ الزرعِ)؛ ما لكَ مِن راحةٍ فيما روىٰ عنه ابن مسعودٍ ﵁ ممَّا يُكذِّبُ دعواكَ، ويَستحيلُ به تفسيرُك.

٣٤٨- حدثناه موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن عبد الله بن مسعود ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «**آخِرُ رجلٍ**

= الصفة ولا تعطيلها، كما قال المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاهنا: (وأمَّا قولُك: (إنَّ ضَحِكَه: رِضاه ورحمتُه)، فقد صدقتَ في بعضٍ .. إلخ).

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١٠٤٧ - ١٠٤٨): من عادة السَّلف أن يذكر أحدُهم في تفسير اللَّفظةِ بعض مَعانيها، أو لازمًا من لِوازمِها، أو الغاية المقصودة منها، أو مثالًا يُنبِّه السَّامع علىٰ نظيره، وهذا كثير في كلامِهم لمن تأمله. اهـ

- وقال في «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢١٨): إن الصِّفة يلزمها لوازم مِن حيث هي هي، فهذه اللَّوازم يجب إثباتها، ولا يصحُّ نفيها إذ نفيها ملزوم كنفي الصّفة؛ مثاله: الفعل والإدراك للحياة، فإن كلّ حيٍّ فعَّال مُدرك، وإدراك المسموعات بصفة السَّمع، وإدراك المُبصرات بصفة البصر .. فهذه اللوازم ينتفي رفعها عن الصّفة، فإنّها ذاتية لها، ولا يرتفع إلَّا ترتفع الصّفة. اهـ

وانظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٤١٤).

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق» (١/ ٢٣٦): من تأوَّل الضَّحك بالرِّضا، والرِّضا بالإرادة، إنما فرَّ من صفة إلىٰ صفة، فهلَّا أقرَّ النُّصوص علىٰ ما هي عليه ولم ينتهك حرمتها؟ فإنَّ المُتأول إمَّا أن يذكرَ معنًى ثبوتيًّا، أو يتأوَّل اللَّفظ بما هو عدم محضٌ، فإنْ تأَوَّلَهُ بمعنى ثبوتيٍّ كائنٍ لَزِمَه فيه نظير ما فرَّ منه. اهـ

يدخلُ الجنةَ يَمشي، يَكبو علىٰ الصراطِ مرَّةً، وتَسفَعُه النارُ مَرَّةً، فإذا جاوزَها التفتَ إليها، فقال: تباركَ الذي أنجاني منكِ، فترفعُ له شجرةٌ فيقول: [٥٧/ ب] **يا ربِّ أدنني منها، فيُدنيه حتىٰ إنه ليقولُ له: يا ابنَ آدمَ، أيُرضِيكَ أن أُعطِيَكَ الدنيا ومِثلَها معها؟ فيقولُ: يا ربِّ أتستهزئُ بي وأنت ربُّ العالمين؟**».

فضَحِكَ ابن مسعودٍ ﵁، ثم قال: ألا تسألُني ممَّ ضحِكتُ؟ هكذا فعلَ رسول الله ﷺ، ضحِكَ ثم قال: «**ألا تسألوني مِمَّ أضحكُ؟**».

فقالوا: مِمَّ تَضحكُ؟

فقال: «**مِن ضَحِكِ ربِّ العالمين منه حين يقولُ: أتستهزئُ بي؟ فيقولُ الله: إني لا أستهزئُ بك، ولكنِّي علىٰ ما أشاءُ قادِرٌ، فيُدخِلُه الجنة**»(١).

أفلا تسمعُ أيها المُعارِضُ مِن قولِ رسول الله ﷺ: «**مِن ضَحِكِ ربِّ العالمين منه**»، أنه لا يُشبِه ضحِكَ الزرعِ؛ لأنه يقالُ للزرعِ: يَضحكُ، ولا يقالُ: يَضحكُ مِن أحدٍ، ولا مِن أجلِ أحدٍ.

وإنَّا لم نجهل مَجازَ هذا في العربية، ولكنَّه علىٰ خلافِ ما ذهبتَ إليه، فقد سمعنا قولَ الأعشىٰ، وفهمنا معناه، وهو مِن معنىٰ ضحِكِ الربِّ بعيدٌ، إذ يقولُ:

ما رَوضةٌ مِن رياضِ الحَزْنِ مُعشِبَةٌ ... خَضراءُ جادَ عَلَيها مُسبِلٌ هَطِلُ

يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ ... مُؤزَّرٌ بِعَميمِ النَّبتِ مُكتَهِلُ(٢)

---

(١) رواه أحمد (٣٨٩٩)، ومسلم (١٨٦).

(٢) في (ب): (مكتمل).

فالزرعُ ما دامَ أخضر، فهو مضاحِكٌ الشمسَ أبدًا، لا يخُصُّ بضحِكِه أحدًا، ولا يصرِفُه عن أحدٍ، والله يضحكُ إلىٰ قومٍ، ويصرِفُه عن آخرينَ.

٣٤٩- وحدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد، أبنا يعلىٰ بن عطاء، عن وكيع بن حُدُس، عن أبي رَزينٍ العُقيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**ضَحِكَ ربُّنا مِن قُنوطِ عبادِهِ، وقُربِ غِيَرِهِ**».

قال أبو رَزينٍ: أيضحكُ الربُّ يا رسولَ الله؟!

قال: «**نعم**».

قال: لن نَعدَمَ مِن ربٍّ يَضحَكُ خيرًا(١).

---

(١) رواه أحمد (١٦١٨٧)، وابن ماجه (١٨١)، وعبدالله بن أحمد في «السُّنة» (٤٣٣)، والآجري في «الشريعة» (٧٣٩)، وصحَّحه أبو عُبيد القاسم بن سلّام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «الصِّفات» للدارقطني (٥٧)، وانظر في إثبات صِحَّته التعليق علىٰ كتاب «السُّنة» لعبدالله، وكتاب «إثبات الحد» (٢٥).

- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٦٥٤): سألت أبا عمر محمد بن عبد الواحد - صاحب اللغة [غُلام ثعلب] - عن قول النبي ﷺ: «**ضَحِكَ ربُّنا من قنوطِ عباده، وقُربِ غِيَرِه**». فقال: الحديث معروف، وروايته سُنَّة، والاعتراض بالطعن عليه بدعة، وتفسير الضَّحِكِ تكلُّف وإلحاد، فأمَّا قوله: «**وقُربِ غِيَرِه**»: فسُرعة رحمته لكم وتَغيير ما بكم من ضُرٍّ. اهـ

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٤/ ١٤٣٠) وهو يتكلمُ عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم: أنهم كانوا يسألونه ﷺ عمَّا يُشكل عليهم من الصفات، فيجيبهم بتقريرها، لا بالمجاز والتأويل الباطل، كما سأله أبو رزين العُقيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن صفة الضحك لمَّا قال: «**ينظر إليكم أزلين مشفقين، فيظلُّ يضحكُ يعلم أن فرجكم قريب**»، فتعجَّبَ أبو رَزين مِن ضحك الرب تعالىٰ، وقال: يا رسول الله أَوَيضحك =

فهذا حديثُكَ أيُّها المُعارِضُ الذي رويتَه، وثبَّتَه، وفسَّرتَه، وأقررتَ أنَّ النبيَّ ﷺ قد قاله، ففي نفسِ حديثك هذا ما يَنقُضُ دعواكَ وهو قولُ أبي رَزينٍ رضي الله عنه للنبيِّ ﷺ: (أيضحكُ الربُّ؟!).

ولو كان تفسيرُ الضحكِ: الرِّضا، والرَّحمةَ، والصَّفحَ عن الذنوبِ فقط؛ كان أبو رَزينٍ في دعواك إذًا جاهِلًا أن لا يعلمَ أنَّ ربَّه يَرحمُ، ويرضىٰ، ويغفرُ الذنوبَ، حتىٰ يسألَ رسول الله ﷺ: أيرحمُ ربُّنا، ويغفِرُ، ويصفحُ عن الذنوبِ؟

بل هو كافرٌ في دعواك؛ إذ لم يعرف اللهَ بالرِّضا والرحمةِ والمغفرةِ، وقد قرأ القرآنَ، وسمعَ ما ذكرَ اللهُ فيه مِن رحمتِهِ، ومغفرتِهِ، وصفحِهِ عن الذنوبِ،

= الربُّ؟! فقال رسول الله ﷺ: «نعم». فقال: لن نعدم من ربٍّ يضحك خيرًا.

والجهمي لو سُئِل عن ذلك لقال: لا يجوز عليه الضحك كما لا يجوز عليه الاستواء، والنزول، والإتيان، والمجيء.

وكذلك لما أخبرهم رسول الله ﷺ برؤية الرب تعالىٰ، فهموا منها رؤية العيان لا مزيد العلم، كما استشكل بعضهم ذلك، وقال: يا رسول الله، كيف يسع الخلائق وهو واحد ونحن كثير؟ وهذا السائل أبو رزين رضي الله عنه أيضًا، فقرَّر رسول الله ﷺ فهمه، وقال: «**سأخبرك بمثل ذلك في آلاءِ الله، أليس كلكم يرىٰ القمر مخليًا به؟**»، قال: بلىٰ، قال: «**فالله أكبر**». وهذا يدل علىٰ أن القوم إنما أُحيلوا في إثبات ذلك علىٰ ما دلَّ عليه اللفظ، وعلىٰ ما بينه لهم من أُنزل عليه الوحي، لا علىٰ رأي جهم، وجعد، والنظَّام، والعلَّاف، والمريسي وتلامذتهم، ولا علىٰ غير ما يتبادر إلىٰ أفهامهم من لغاتهم وخطابهم، كان يُقرِّر لهم ذلك ويقرِّبه من أفهامهم بالأمثال والمقاييس العقلية تقريرًا لحقيقة الصفة. اهـ

قلت: وفي هذا ردٌّ علىٰ المُفوِّضة، وسيأتي قريبًا زيادة بيان.

ما كان له فيه مَندُوحةٌ عن [سؤال](١) رسول الله ﷺ: أيغفرُ ربُّنا ويرحمُ؟ إنما سأله عمَّا لا يعلمُ، لا عمَّا علِمَ وآمنَ به قبلُ، وقرأَ القرآن فوجدَ فيه ذِكرَه، ولم يجد فيه ذِكرَ الضحكِ(٢).

فلمَّا أخبرَه النبيُّ ﷺ أنه يضحك قال: (لا نَعدَم من ربٍّ يضحكُ خيرًا)، ولو كان على تأويلك لاستحالَ أن يقول أبو رَزِين للنبي ﷺ: لا نعدم مِن ربٍّ يرحمُ ويرضىٰ ويغفرُ خيرًا، لما أنه قد آمنَ وقرأ قبل في كتابه: (أنه غفور رحيم) [٥٨/ أ]، فَاعْقِلْهُ(٣)، وما أراك تعقله(٤).

---

(١) ما بين [ ] من (ج).
(٢) فيه بيان أن القرآن تقام به الحُجّة علىٰ مَن بلغه أو قرأه أو سَمِعه.
(٣) في (الأصل): (فاعقلته)، والمثبت من (ب).
(٤) في هذا الحديث ردٌّ علىٰ المُفوِّضة الذين يدعون أن معاني صفات الله تعالىٰ لا يعلمها إلَّا الله، فهي مجهولة عند المُخاطبين بها غير معلومة، فهذا الصحابي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما سمع من النبي ﷺ أن الله تعالىٰ يضحك، فهم من الضحك حقيقته المعلومة عندهم، فسأل النبي ﷺ من باب التأكد لما فهمه من حقيقة الضحك: (أوَيَضحكُ الرَّبُّ؟)، فأجابه ﷺ جوابًا بيِّنًا واضحًا بـ(نعم)، ولو كان للضَّحِكِ معنىٰ غير المُتبادر إلىٰ الأذهان لنفاه النبي ﷺ وبيَّن له، ولنزَّه الله تعالىٰ عمَّا فهمه هذا من هذا الحديث، ثم إن الصحابي أكَّد ما فهمه من هذه الصفة، فقال: (لن نعدم مِن ربٍّ يضحكُ خيرًا).

فهو كما قال يزيد بن هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الاستواء): مَن زعم أن الرَّحمن علىٰ العرش استوىٰ علىٰ خلافِ ما يَقِرُّ في قلوبِ العامّة فهو جهمي. [رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٦٣)، وعبدالله بن أحمد في «السُّنة» (٥٦ و١٠٨٧)].

– وعند اللالكائي (٦٨٨) عن هَديَّة بن عبد الوهاب، قال: سمعتُ وكيعًا يقول: إذا سُئِلتُم: هل يَضحكُ ربُّنا؟ فقولوا: كذلك سَمِعنا.

٣٥٠- ثم لم تأنف مِن هذا التأويلِ حتىٰ ادعَّيتَ علىٰ قومٍ مِن أهلِ السُّنة (**أنهم يُفسِّرون ضَحِكَ اللهِ على ما يعقلون مِن أنفسِهم**)، وهذا كذِبٌ تدَّعيه عليهم؛ لأنا لم نسمع أحدًا منهم يُشَبِّه شيئًا مِن أفعالِ الله تعالىٰ بشيءٍ من أفعالِ المخلوقين، ولكنا نقولُ: هو نفسُ الضحِكِ، يضحكُ كما يشاءُ، وكما يليق به، وتفسيرُك هذا مَنبوذٌ في حُشِّكَ(١).

٣٥١- ثم فسَّرتَ الضحِكَ تفسيرًا أوحشَ مِن هذا أيضًا، فقلتَ: (**يَحتملُ أن يكون ضحِكُه أن يَبدُوَ له خلقٌ مِن خلقِ اللهِ ضاحِكًا يأتيهم مُبَشِّرًا ومُغيثًا ودليلاً إلى الجنةِ**).

ويحك أيُّها المُعارِضُ ! ألا تسمعُ ما في حديثك الذي رويتَه، وثبَّتَّه عن أبي رَزين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلتُ: يا رسول الله، أيضحكُ ربُّنا؟

قال: «**نعم**»، ولم يقُل: أيخلقُ اللهُ خلقًا يَضحكُ، ثم قال: لا نَعدَمُ من ربٍّ يضحكُ خيرًا.

---

(١) قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: يضحك الله ولا يُعلم كيف ذلك إلَّا بتصديق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبتثبيت القرآن، لا يصفه الواصفون، ولا يحدُّه أحدٌ تعالىٰ الله عمَّا يقول الجهمية والمُشبِّهة. «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٦٢٥).

- وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في «التوحيد» (١/ ٤٥٣): (باب ذكر إثبات ضحك ربنا عَزَّ وَجَلَّ بلا صفة تصف ضحكه جلَّ ثناؤه، لا ولا يُشبَّه ضحِكه بضحك المخلوقين وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضحك كما أعلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونسكت عن صفة ضحكه جلَّ وعلا، إذ الله عَزَّ وَجَلَّ استأثر بصفة ضحكه لم يُطلعنا علىٰ ذلك، فنحن قائلون بما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُصدِّقون بذلك بقلوبنا، مُنصتون عما لم يُبيِّن لنا ممَّا استأثر الله بعلمه). اهـ

ولم يقُل: لا نَعدَم مِن ربٍّ يخلقُ الضاحِكَ، فهذا في نفسِ حديثكَ لو قد عقلته، وأنَّىٰ لك العقلُ مع هذا التخليطِ؟!

٣٥٢- وادَّعيتَ أيضًا تفسيرًا للضحكِ أبعدَ مِن هذا مِن الحقِّ والمعقولِ؛ فزعمتَ: (**أنَّ اللهَ يُضْحِكُكَ مِن رجلٍ، أو مِن شيءٍ، تفسره: أنه يُضحِكُه، ويَسُرُّه، فذلك ضحِكُ الله تعالى على النسبةِ، يعني: أن الخلقَ وضحِكَهم وكلامَهم لله**)(١).

فيُقالُ لك أيها المُعارِضُ: إذا تحوَّلتِ العربيةُ إلىٰ لُغتِكَ، ولُغاتِ أصحابِك؛ جازَ فيها أنكرُ مِن هذا التأويلِ، وأفحشُ مِن هذا التفسيرِ، وهذا أيضًا بَيِّنٌ في نفسِ حديثك الذي رويتَه عن أبي رزينٍ ﵁، عن النبيِّ ﷺ أنه قال له: أيضحكُ ربُّنا يا رسول الله؟

ولم يقُل: أيُضحِكُ ربُّنا، ولو قال كذلك لكان جاهِلًا؛ إذ سألَ رسول الله ﷺ: أيُضحِكُ الربُّ الخلقَ؟ وقد قرأ في كتابِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ٤٣﴾ [النجم]، [ومحالٌ أن يسألَ أحدٌ: أيُضحِكُ اللهُ الخلقَ؟ لما قد عَلِمَ كلّ الخلقِ أنَّ اللهَ هو أضحكَ وأبكىٰ].

---

(١) وقريب من هذا التعطيل قول ابن حبان البُستي في «صحيحه» (١٠/ ٥٣٢): «ضَحِكَ من رجلين»، يُريد: ضحَّك الله ملائكته وعجَّبهم من الكافر القاتل المسلم، ثم تسديد الله للكافر وهدايته إياه إلىٰ الإسلام ... فيُعجِّب الله ملائكته ويُضحِّكهم من موجود ما قضىٰ وقدَّر، فنُسِبَ الضحك الذي كان من الملائكة إلىٰ الله جل وعلا علىٰ سبيل الأمر والإرادة. اهـ

فلو اشتغلتَ أيُّها المُعارِضُ فيما تتقلَّبُ فيه مِن مسائلِ أبي يوسف، ومحمد بن الحسن(١)، ونُظرائهم كان أعذرَ لك مِن أن تَتعرَّضَ بمثل هذه

---

(١) وهما إماما أهل الرأي؛ فأمَّا أبو يوسف فقد تقدَّمت ترجمته برقم (١٧).

وأمَّا الآخر: فهو محمد بن الحسن الشيباني (١٨٩هـ)، مِن أئمة أهل الرأي والإرجاء، واتَّهمه غير واحد من الأئمة برأي جهم!

- روىٰ ابن عدي في «الكامل» (١٥٠٠٦) من طريق إسحاق بن راهويه، سمعت يحيىٰ بن آدم يقول: كان شريكٌ لا يُجيز شهادة المُرجئة، قال: فشَهِدَ عنده محمد بن الحسن؛ فلم يُجز شهادته. فقيل له: محمد بن الحسن!

فقال: أنا لا أجيز شهادة من يقول: الصلاة ليست مِن الإيمان.

- وفي «الجرح والتعديل» (٧/ ٢٢٧) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي عن محمد بن الحسن صاحب الرأي، قال: لا أروي عنه شيئًا.

- وفيه عن الدوري، قال: سُئِلَ يحيىٰ بن معين عنه، فقال: ليس بشيء.

- وقال ابن حبان في «المجروحين» (٩٦٧): محمد بن الحسن الشيباني صاحب الرأي ... وكان مُرجئًا داعيًا إليه، وهو أول مَن ردَّ علىٰ أهل المدينة، ونصر صاحبه - يعني: النعمان - وكان عاقِلًا ليس في الحديث بشيءٍ، كان يروي عن الثقات، ويَهِمُ فيها، فلمَّا فَحُشَ ذلك منه استحقّ تركه مِن أجل كثرة خطئه؛ لأنه كان داعية إلىٰ مذهبهم. اهـ

- قال الجوزجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أحوال الرجال» (٩٥-٩٩): أبو حنيفة لا يقنع بحديثه، ولا برأيه، وأسد بن عَمرو، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن، واللؤلؤي قد فرغَ الله منهم. اهـ

- وفي «تاريخ بغداد» (٢/ ٥٦٩) قال أحمد: فأما أبو حنيفة ومحمد بن الحسن فكانا مُخالفين للأثر، وهذان لهما رأي سوء.

- وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «خلق أفعال العباد» (٦٣): حذَّرَ يزيد بن هارون ⇐

الأحاديثِ الصِّعابِ المعاني التي كان يَستعفي مِن تفسيرِها العلماءُ أصحابُ العربيةِ البُصراءُ، فتُفسِّرَها بجهلٍ وضلالٍ.

وسنذكرُ لك أيضًا بعض ما رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ في ضَحِكِ الربِّ تعالىٰ ممَّا يَنقُضُ دعواك حتىٰ تَضُمَّه إلىٰ حديث أبي رَزِينٍ وأبي موسىٰ رضي الله عنهما؛ فتعلَمَ أنَّ اللهَ لم يُوفِّقك فيها لصوابٍ مِن التأويلِ.

٣٥٣- **حدثنا** يحيىٰ الحِمَّاني، وأبو بكر بن أبي شيبة، عن هُشيم، عن مُجالدٍ، عن أبي الوَدَّاك، عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ثلاثةٌ يَضحَكُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ: رجلٌ قامَ مِن الليلِ، والقومُ إذا اصطفُّوا للقتالِ، والقومُ إذا اصطفُّوا للصلاةِ**»(١).

أفلا ترىٰ أيها المُعارِضُ: أنَّ [هذا] الضحِكَ لا يُشبِه ضَحِكَ الزرعِ الذي تأوَّلتَه؛ لأن ضَحِكَ الزرعِ لا يخُصُّ به أحدًا، ولا يصرِفُه عن أحدٍ، والله يضحكُ إلىٰ قومٍ ويَصرِفُه عن قومٍ.

= عن الجهمية، وقال: ومحمد الشيباني جهمي.

- وفي «تاريخ بغداد» (٢/ ٥٧٠) قال أبو زرعة الرازي: .. كان محمد بن الحسن جهميًّا، وكان أبو يوسف سليمًا مِن التجهُّم.

- وفيه (٢/ ٥٦٩) قال محمد بن إسماعيل أبو إسماعيل: سمعت أحمد بن حنبل، وذكر ابتداء محمد بن الحسن، فقال: كان يذهب مذهب جهم.

- وفيه (٢/ ٥٧٠) قال زكريا الساجي: كان يقول بقول جهم، وكان مُرجئًا.

(١) رواه أحمد (١١٧٦١)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٠٤٨)، والآجري في «الشريعة» (٧٣٦)، وانظر بقية تخريجه هناك.

٣٥٤- **حدثنا** هشام بن عمَّار الدمشقي، ثنا إسماعيل بن عياش، حدثني بَحِير بن سعد(١)، عن خالد بن معدان، عن كثير [٥٨/ ب] بن مرَّة، عن نُعيم ابن همَّارٍ، قال: جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ ﷺ فقال: أيُّ الشُّهداءِ أفضلُ؟

قال: «**الذين يُلقَونَ في الصفِّ، ولا يلفِتون وجوهَهم حتىٰ يُقتلوا، أولئك الذين يتلَبَّطون(٢) في العُلىٰ في الجنةِ، يَضحَكُ إليهم ربُّك، وإذا ضَحِكَ ربُّكَ إلىٰ عبدٍ في موطنٍ؛ فلا حِسَابَ عليه**»(٣).

٣٥٥- **حدثنا** عبد الله بن صالح، عن أبي شُريح المَعافري، عن عُبد الله ابن المُغيرة، عن أبي فراس، عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: يضحَكُ اللهُ إلىٰ صاحبِ البحرِ ثلاثَ مرَّاتٍ: حينَ يركبُه ويُخَلَّىٰ مِن أهلِهِ، وحِينَ يَميدُ مُتَشَحِّطًا(٤)، وحِينَ يَرىٰ البرَّ ليُشرِفَ له(٥).

٣٥٦- **حدثنا** أحمد بن يونس، أبنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، وأبي الكنود، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ اللهَ يضحكُ

---

(١) في الأصل: (يحيىٰ بن سعيد)، وكتب في الهامش صوابه: (بَحير بن سعد)

(٢) في «تهذيب اللغة» (١٣/ ٢٣٩): أي: يتمرَّغون ويضطجعون، ويقال: يتصرَّعون، ويقال: فلان يتلبط في النعيم: أي يتمرَّغ فيه. اهـ

(٣) رواه أحمد (٢٢٤٧٦)، وأبو يعلىٰ (٦٨٥٥)، والآجري في «الشريعة» (٢٦٤٠). والحديث صحيح.

(٤) (يميد): المائد هو الذي يُدار برأسه من ريح البحر واضطراب السفينة بالأمواج. و(متشحطًا): يتخبط فيه، ويضطرب ويتمرغ. انظر: «لسان العرب» (٣/ ٤١٢).

(٥) رواه ابن أبي شيبة (١٩٨٣٨)، وابن خزيمة (٤٦٧)، وهو أثرٌ صحيح.

إلىٰ اثنين: رجلٍ قامَ مِن جوفِ الليلِ فتوضَّأ وصلَّىٰ، ورجلٍ كان مع قومٍ فلقوا العدوَّ فانهزموا، وحَمَلَ عليهم، فالله يَضحكُ إليه(١).

٣٥٧- **ورُوي** عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ اللهَ يَضحَكُ مِن رَجُلين؛ قتَلَ أحدُهما صاحِبَه، كلاهما داخلُ الجنةَ: مُشرِكٌ قتَلَ مُسلِمًا، ثم يُسلِمُ فيُستَشهدُ بَعدُ**»(٢).

٣٥٨- **حدثناه** محبوب بن موسىٰ، عن أبي إسحاق الفزاري، عن سفيان ابن حُسين، عن الزُّهري، عن سعيد بن المُسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ.

٣٥٩- **وحدثناه** القعنبي، عن مالك بن أنس، عن أبي الزناد، عن الأعرج،

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» (٧٣٨).

(٢) قال قوام السُّنة رَحِمَهُ اللهُ في «الحُجَّة» (٢/ ٥٢٨): وأنكر قومٌ في الصفات الضحك، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**يضحكُ اللهُ إلىٰ رجلين قَتلَ أحدهما الآخر ...**»، وإذا صحَّ الحديث لم يحلّ لمسلمٍ ردّه، وخيف علىٰ مَن يرده الكفر.

قال بعض العلماء: مَن أنكر الضحك فقد جهل جهلًا شديدًا، ومن نسب الحديث إلىٰ الضعف، وقال: لو كان قويًّا لوجب ردّه. وهذا عظيم من القول أن يردَّ قول رسول الله ﷺ، والحقّ أن الحديث إذا صحَّ عن النبي ﷺ وجب الإيمان به، ولا توصف صفته بكيفية؛ ولكن نُسلِّم إثباتًا له، وتصديقًا به.اهـ

- وفي «إبطال التأويلات» (٣٦)، و«الحُجَّة» (١/ ٤٧٧): عن أبي معمر الهُذلي: مَن زعمَ أن الله تعالىٰ لا يتكلمُ، ولا يُبصرُ، ولا يسمعُ، ولا يعجبُ، ولا يضحكُ، ولا يغضبُ - وذكر أحاديث الصفات - فهو كافر بالله، ومَن رأيتموه علىٰ بئرٍ واقف فألقوه فيها.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

٣٦٠ - وحدثناه محمد بن بكار البغدادي، ثنا إسماعيل بن زكريا أبو زيادٍ، عن محمد بن أبي إسماعيل السُّلمي، عن عبد الله بن أبي الهُذيل: أنه سمع ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: إنَّ اللهَ يَضحكُ ممن ذكرَه في الأسواقِ(٢).

٣٦١ - حدثنا محمد بن عبد الله بن نُمير، ثنا يزيد بن هارون، ثنا إسماعيل(٣)، ثنا إسحاق بن راشد، عن أسماء بنت يزيد بن السكن، قالت:

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠).

(٢) صحيح عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- وروى ابن بطة في «الإبانة» (٢٦٥٠) عن عبد الله بن أبي الهذيل العنزي، قال: قلت لعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أبلغك أن الله عَزَّ وَجَلَّ يعجب ممن يذكره؟

فقال: لا، بل يضحك.

- وفيه (٢٦٥١) عن أبي صالح الحنفي قال: إن الله تعالىٰ يضحك إلىٰ العبد يذكره في الأسواق.

- وفي «المراسيل لأبي داود» (٧٥)، و«الصفات» للدارقطني (٦٣) عن أحمد ابن نصر، قال: سألت ابن عيينة، قلتُ: أريد أسألك، قال: لا تسأل.

قلتُ: إذا لم أسألك فمَن أسأل؟ قال: سل.

قلتُ: ما تقول في هذه الأحاديث التي رويت .. و «**أن الله يضحك أو يعجب ممن يذكره في الأسواق**». فقال: أمرُّوها كما جاءت بلا كيف.

- وفي «السير» (٨/ ٤٦٦) قال: هي كما جاءت نقرُّ بها، ونُحدِّثُ بها بلا كيف.

(٣) في الأصل: (إسماعيل بن زكريا أبو زيادٍ، عن محمد بن أبي إسماعيل السُّلمي، عن عبد الله بن أبي الهُذيل، أنه سمع ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: إنَّ الله يضحكُ)، وهذا تكرَار من الناسخ من الإسناد الذي قبله، كما أشار إليه في هامش الأصل، وما أثبته ممَّن خرجه.

لما تُوفِّيَ سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحت أُمُّه، فقال لها رسول الله ﷺ: «**ألا يرقأُ دمعُكِ، ويذهبُ حُزنُكِ؟ فإن ابنَكِ أوَّلُ مَن ضَحِكَ اللهُ إليه**»(١).

ولو كان تأويلُ ضَحِكِه ما شبَّهت به أيها المُعارضُ مِن ضَحِكَ الزرعِ؛ ما كان يقول النبي ﷺ: «**أوَّلُ مَن ضَحِكَ اللهُ إليه**»؛ لأن خُضرة الزرعِ ونَضارَته باديةٌ لأولِ ناظرٍ إليها وآخر، لا يَقصِدُ بضحِكِه إلىٰ تَقِيٍّ، ولا يصرِفُه عن شقِيٍّ، فكم تَدحضُ في بولِكَ(٢)، وتَعثُرُ في قولك، وتَغُرُّ مَن حولك!

أوَلَم تقُل في صدرِ كتابِكَ هذا: إنَّ اللهَ لا يُقاسُ بالناسِ، ولا يَحِلُّ للرجلِ أن يَتوهَّمَ في صفاتِه ما يعقِلُه مِن نفسِه؟ وأنت تقيسُه في ضحِكِه بالزرعِ [فكيف بالناسِ]، وتَتَوهَّم فيه ما تَتَوهَّمُ بالزَّرعِ.

٣٦٢- وادَّعيتَ أيضًا في صَدرِ كتابِكَ هذا: (**أنه لا يُجوزُ في صِفاتِ الله تعالى اجتهادُ الرأيِ، وأنت تَجتهدُ فيها أقبحَ الرأيِ، حتى مِن قباحَةِ اجتهادِكَ تَتخطّى به الحقَّ إلى الباطلِ، والصوابَ إلى الخطإ**)(٣). [٥٩/أ]

---

(١) رواه أحمد (٢٧٥٨١)، وابنه عبدالله في «السُّنة» (١٠٣٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٤٢)، ومحمد بن أبي شيبة في «العرش» (٥٥).

ويشهد لآخره: ما رواه البخاري (٣٨٠٣) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**اهتزَّ عرشُ الرَّحمنِ لموتِ سعد بن مُعاذٍ**».

(٢) في «لسان العرب» (٧/ ١٤٧): (الدُّحَّضُ): جمع داحِضٍ، وهم الذين لا ثباتَ لهم، ولا عزيمة في الأمور. وفي حديث معاوية قال لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (لا تزال تأتينا بهنة تدحض بها في بولك)، أي: تزلق، ويروىٰ بالصاد، أي: تبحث فيها برجلك. ودحض برجله ودحص إذا فحص برجله. اهـ

(٣) في «ذم الكلام» (١١٣١) قال المُزني: سَألتُ الشافعيّ عن مسألةٍ في الكلام، فقال: ⇦=

أوَلَم تذكر في كتابك: أنه لا يُحتملُ في التوحيدِ إلَّا الصوابُ فقط؟ فكيفَ تخوضُ فيه بما لا تدري أمصيبٌ أنت أم مُخطئٌ؟ لأن أكثرَ ما نراكَ تُفسِّرُ التوحيدَ بالظنِّ، والظنُّ يُخطئُ ويُصيبُ، وهو قولُكَ: يَحتملُ في تفسيرِه كذا، ويَحتملُ كذا تفسيرًا، ويَحتملُ في صفاتِه كذا، ويَحتملُ خِلافَ ذلك كذا، ويَحتملُ في كلامِه كذا وكذا.

والاحتمالُ ظَنٌّ عند الناسِ غيرُ يقينٍ، ورأيٌ غيرُ مُبينٍ، حتىٰ تدَّعي للهِ في صفةٍ مِن صفاتِه ألوانًا كثيرةً، ووجوهًا كثيرةً أنه يَحتمِلُها لا تقِفُ علىٰ الصوابِ مِن ذلك فتختارُه، فكيف تندُبُ الناسَ إلىٰ صوابِ التوحيدِ، وأنت دائِبٌ تجهلُ صفاتِه، وأنت تَقيسُها بما ليس عندك بيقينٍ؟(١).

=

سَلني عن شيء إذا أخطأت فيه قُلت فيه: أخطأت، ولا تسألني عن شيءٍ إذا أخطأت فيه قُلتَ: كَفرت!

- وقال الإمام الشافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله لأن يُفتي العالم فيقال: أخطأ العالم، خيرٌ له مِن أن يتكلَّمَ فيُقال: زِنديق، وما شَيء أبغضَ إليّ مِن الكلامِ وأهلِه.

- قال الذهبي في «السير» (١٠/ ١٩): هذا دالٌّ علىٰ أن مذهب أبي عبد الله: أنّ الخطأ في الأصولِ ليس كالخطأ في الاجتهادِ في الفُروع. اهـ

وقد تقدم تحت الفقرة رقم (٥٠) الكلام عن هذه المسألة.

(١) أهل تأويل الصِّفات لا يجزمون بأن هذا التأويل لمعاني الصفات هو مُراد الله تعالىٰ، ولهذا هم يذكرون عِدّة مَعانٍ واحتمالات في تأويل نصٍّ واحدٍ، ولا يجزمون بواحدٍ منها، وهذا في الحقيقة: كَذِبٌ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وعلىٰ رسوله ﷺ.

- قال القُرطبي الأشعري في «المفهم» (١/ ٤١٩): اعلم أن الناس قد أكثروا في تأويلات هذه الأحاديث فمِن مُبعدٍ ومِن مُحوِّمٍ، وما ذكرناه أحسنها وأقومها لمنهاج =

ولكنا نظنُّك تقولُ الشيءَ فتنساه، حتىٰ يدخلَ عليك فيه ما يأخُذُ بحلقِكَ أو يَكظِمُك.

والعجبُ مِن رجلٍ يدَّعي علىٰ قومٍ زُورًا وكذبًا أنهم يُشَبِّهون الله بآدمَ في صورتِهِ(١)، فتدَّعي عليهم بذلك كفرًا، وهو يُشَبِّهه في يدِهِ بأقطعَ مِن ذُريةِ آدمَ،

= كلام العرب، ولِأَنْ يكون هو المُراد، ومع ذلك فلا يقطع بأنه هو المُراد، والتحقيق أن يقال: (الله ورسوله أعلم)، والتسليم الذي كان عليه السلف أسلم. اهـ

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «درء التعارض» (١/ ١٢): وهم في أكثر ما يتأوّلونه قد يعلم عقلاؤهم عِلمًا يقينًا أن الأنبياء لم يريدوا بقولهم ما حملوه عليه، وهؤلاء كثيرًا ما يجعلون التأويل من بابِ دفع المُعارض؛ فيقصدون حمل اللفظ علىٰ ما يمكن أن يريده مُتكلّم بلفظه، لا يقصدون طلب مُراد المُتكلِّم به، وحمله علىٰ ما يناسب حاله، وكلّ تأويلٍ لا يقصد به صاحبه بيان مراد المتكلِّم وتفسير كلامه بما يعرف به مراده، وعلىٰ الوجه الذي به يعرف مراده؛ فصاحبه كاذبٌ علىٰ من تأوّل كلامه، ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل بل يقولون: يجوز أن يُراد كذا، وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ. اهـ

(١) يشير إلىٰ ما رواه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٦١٢) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**خلق اللهُ آدمَ علىٰ صورته**».

وقد اتفق السلف علىٰ أن الضمير في هذا الحديث يعودُ علىٰ الله تعالىٰ كما جاء ذلك مصرَّحًا به في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبي ﷺ: «**لا تُقبِّحوا الوجه، فإن اللهَ خلقَ بني آدمَ علىٰ صورَةِ الرحمن**».

رواه ابن أبي عاصم في «السُّنة» (٥٢٩)، وعبدالله في «السُّنة» (٤٨٢)، والآجري في «الشريعة» (٨٣٧)، والدارقطني في «الصِّفات» (٤٨).

- وفي «الفتح» (٥/ ١٨٣): قال حرب الكرماني في كتاب «السُّنة»: سمعت =

=
إسحاق بن راهويه يقول: صحَّ أن الله خلق آدم على صورة الرحمن.

وقال إسحاق الكوسج: سمعت أحمد يقول: هو حديث صحيح.

وقال الطبراني في «السُّنة»: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: قال رجلٌ لأبي: إن رجلًا قال: خلق اللهُ آدم على صورته. أي: صورة الرجل.

فقال: كذب، هو قول الجهمية. اهـ

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٣٧٣) وهو يرد على الرازي لتأويله هذا الحديث: (والكلام على ذلك أن يُقال: لم يكن بين السَّلف من القرون الثلاثة نزاع في أن يقال: إن الضمير عائد إلى الله، فإنه مُستفيضٌ من طُرُق مُتعدِّدة عن عدد من الصحابة ﷺ، وسياق الأحاديث كلها تدلُّ على ذلك).

- وقال أيضًا (٦/ ٣٧٦): لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة، جعل طائفة الضمير فيه عائدًا إلى غيرِ الله تعالى. اهـ

وقد أمرَّ أئمة السنة هذا الحديث على ظاهره، واشتد إنكارهم على من أعاد الضمير فيه إلى آدم أو إلى المضروب، وجعلوا ذلك من أقوال الجهمية كما بينت ذلك في التعليق على «الشريعة» (٥٣/ باب الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ خلق آدم على صورته بلا كيف).

وأما المُعطلة فقد شنَّعوا على من أعاد الضمير إلى الله تعالى وكفَّروه، ومن ذلك:

- قال القُرطبي في «المفهم» (٦/ ٥٩٧): وقد أعادت المُشبهة هذا الضمير على الله تعالى، فالتزموا القول بالتجسيم، وذلك نتيجة العقل السقيم، والجهل الصميم، وقد بيَّنَّا جهلهم، وحقَّقنا كُفرهم فيما تقدم، ولو سلمنا: أن الضير عائد على الله تعالى، فللتأويل فيه وجه صحيح .. إلخ.

- وقال ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» (ص٢٠٨): .. الحديث إن أُعيد الضمير فيه لله وجب تأويله على ما هو المعروف من مذهب الخلف الذي هو أحكم وأعلم، خلافًا لفرقة ضلوا عن الحقِّ، وارتكبوا عظائم من (الجهة =

وفي بصرِه بأعمىٰ، وفي سمعِه بأصمَّ، وفي وجهه بوجه القبلةِ، ووجوه الأعمالِ الصالحةِ، وفي كلامِه بأبكمَ، حتىٰ تتوهَّمَ في كلامِهِ أنه ككلامِ الجبالِ والشجرِ، وفي ضحِكِه بالزرعِ الأخضرِ(١).

فكيف تُجيزُ لنفسِكَ أيها المُعارِضُ مِن ذلك ما تجحدُه علىٰ غيرِك؟ لقد احتظرتَ واسِعًا، وكلَّما احتججتَ لمذهبِك مِن باطلٍ احتُمِلَ، وما احتجَّ عليك غيرُك فيه مِن حقٍّ بَطَلَ! رُويدك بالقضاءِ فلا تعجل، فتزل قدمُك وتُستجهلَ، وتَفتضِحَ بها عند مَن عقلَ.

ولَئن لم يَكن للجهميةِ مِن الحُججِ إلَّا ما حكيتَ عنهم مِن هذه العماياتِ المُستشنعةِ، والتفاسيرِ المقلوبةِ؛ ما أسديتَ إليهم بذكرِها نصيحةً، وقد زدتَهم بها فضيحةً علىٰ فضيحةٍ، إذ تضيفُ إليهم هذه الشنائعَ القبيحةَ، فكشفتَ عنهم الغِطاءَ فيما كان بينهم هَينمةً(٢) في خفاءٍ.

٣٦٣- وروىٰ المُعارضُ أيضًا عن الشعبيِّ: أنَّ اللهَ قد ملأ العرشَ، حتىٰ

=

والتجسيم) اللذين هما كفرٌ عند كثير من العلماء. اهـ

* وانظر في فساد هذا التأويل «الإبانة الكبرىٰ» (٨٣/ باب الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ خلق آدم علىٰ صورته بلا كيف)، و«دفاع أهل السُّنة والإيمان عن حديث خلق آدم علىٰ صورة الرَّحمن» للدويش رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وكتاب «عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم علىٰ صورة الرحمن» للتويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) تقدم قريبًا برقم (٣٤٧) الإشارة إلىٰ أن الجهمية هم المُشبِّهة.

(٢) ذكر أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «غريب الحديث» (١/ ٢٦٠) (الهينمة): بأنه الكلام الذي تسمع نغمته ولا تفهم عنه لأنه يُخفيه. اهـ

إن له أطيطًا(١) كأطيطِ الرحْلِ(٢).

ثم فسَّرَ قولَ الشعبيِّ: **(أنه قد مَلأه آلاءً ونعمًا حتى إن له أطيطًا، لا على تحميلِ جسمٍ، فقد حمَّلَ اللهُ السماواتِ والأرضَ والجبالَ الأمانةَ، فأَبَيْنَ أن يحمِلنَها، و(الأمانةُ) ليست بجسمٍ، فكذلك يُحتملُ ما وُصِفَ على العرشِ(٣))**.

فيُقالُ لهذا المُعارِضِ: لجلجتَ بها ولبَّستَ، حتىٰ صرَّحتَ بأنَّ اللهَ ليس علىٰ العرشِ، إنما عليه آلاؤُه ونعماؤُه، فلم يبقَ من إنكارِ العرشِ غايةٌ بعد هذا التفسيرِ.

ويلك! فإن لم يكُن علىٰ العرش بزعمكِ إلَّا آلاؤُه، ونَعماؤه، وأمرُه فما بالُ العرشِ يتأطَّطُ مِن الآلاءِ والنعماءِ؟ لكأنها عندك أعكامُ الحجارةِ

---

(١) تقدم برقم (١٥٧) معنىٰ الأطيط.

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٧١٦) من طريق أبي بكر المَرُّوذي، قال: ثنا أبو عبد الله، قال: ثنا حسن بن موسىٰ الأَشيب، قال: ثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن الشَّعبي قال: إن الله تعالىٰ قد ملأ العرش .. فذكره.

وهو أثر صحيح عنه، وقد روي نحوه عن الشعبي، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما بينت ذلك في التعليق علىٰ «إثبات الحد لله تعالىٰ» للدشتي.

ويشهد له كذلك ما تقدم من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه برقم (١٧٦).

(٣) وهذا التأويل ذكره ابن فورك الأشعري في «مشكل الحديث وبيانه» (ص٣٤١)، فقال: قيل معنىٰ قوله: (ملأ العرش) يحتَمل: أن يكون المُراد ملأه عَظمَة ورفعة وعزَّة وآلاء، وهذا كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ [الأحزاب:٧٢]، والأمانة ليست بجسم. اهـ

والصخورِ والحديدِ؛ فيتأطَّطُ منها العرشُ ثِقلًا، إنما الآلاء طبائعُ أو صنائعُ ليس لها ثِقلٌ ولا أجسامٌ يتأطَّطُ منها العرشُ، مع أنك قد جحدتَ في تأويلِكَ هذا أن يكون علىٰ العرشِ شيءٌ مِن الله، ولا مِن تلك الآلاءِ والنعماءِ، إذ شبَّهتَها بما حمَّلَ اللهُ السماواتِ والأرضَ والجبالَ مِن الأمانةِ فأَبينَ أن يحملنها، فقد أقررتَ بأنه ليس علىٰ العرش شيءٌ؛ لأن السماواتِ والأرضَ [٥٩/ ب] والجبالَ إذ أبينَ أن يحمِلنَ الأمانةَ؛ لم يُحمِّلهُنَّ اللهُ شيئًا، بل تركهُنَّ خِلوًا مِن تلك الأمانةِ وحَمَلَها الإنسانُ، إنه كان ظلومًا جهولًا.

ففي دعواكَ: ليس علىٰ العرشِ شيءٌ مِن تلك الآلاءِ والنعماءِ التي ادَّعيتَ، كما ليس علىٰ السماواتِ والأرضِ والجبالِ مِن تلك الأمانةِ شيءٌ فكما السماواتُ والأرضُ والجبالُ خِلوٌ مِن الأمانةِ؛ كذلك العرشُ عندك خِلوٌ مِن كلِّ شيءٍ عليه.

فانظُر أيها الجاهِلُ [إلىٰ ما][(١)] تُوردكَ هذه التفاسيرُ مِن المهالكِ، وماذا تَجُرُّ إليك مِن الجهلِ والضلالِ، فتشهدُ عليك بأقبحِ المُحالِ، ولم تتأوَّل في العرشِ في صدرِ كتابِكَ تأوِيلًا أفحشَ ولا أبعَدَ مِن الحقِّ مِن هذا.

٣٦٤- وادَّعيتَ أيضًا: أنَّ قتادة[(٢)] رضي الله عنه روىٰ عن النبي ﷺ قال: «**لمَّا قَضَىٰ اللهُ خلقَه استلقىٰ، ووَضَعَ إحدىٰ رِجليهِ علىٰ الأُخرَىٰ، ثم قال: لا يَنبغي**

---

(١) في الأصل: (أن)، وما أثبته من (ب).

(٢) في الأصل: (أبا قتاده)، وما أثبته من (ب)، وهو الصواب، وهو الصحابي (قتادة بن النعمان رضي الله عنه).

لأحدٍ أن يَفعلَه»(١).

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السُّنة» (٥٨٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ١٣) (١٨)، ومن طريقهما أبو نعيم في «المعرفة» (٥٧٥٢).

وقد اختلف أهل العلم في قبول هذا الحديث ورده اختلافًا طويلًا، ذكرت ذلك في التعليق على كتاب «إثبات الحد» للدشتي (٥٣).

ومدار كلام أهل السنة على إسناده، فمَن أثبته أمضاه على ظاهره كسائر أحاديث الصفات، ومَن ضَعَّفه فمأخذه النظر في إسناده وعِلله دون النظر إلى ما يتوهَّمه المُعطلة مِن التشبيه والتجسيم.

وأهل التعطيل يحاولون إبطاله بأيِّ عِلَّةٍ ولو كانت الطعن في الصحابة رضي الله عنهم واستجهالهم، كصنيع البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٠٠)، فقد قال: إن صحَّ طريقه يحتمل أن يكون النبيّ ﷺ حدَّث به عن بعضِ أهلِ الكتابِ على طريق الإنكارِ، فلم يفهم عنه قتادة بن النعمان رضي الله عنه إنكاره!. اهـ

قلت: ولقد ردَّ ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ على هذه الشُّبهة، فقال في «الصَّواعق المرسلة على الجهمية والمُعطلة» (٤/ ١٥٢٢): إن جماع ما يردُّ به المبطلون ما ثبت عن رسول الله ﷺ في الأمور العلمية الخبرية، والأمور العملية الطلبية نوعان:

أحدهما: منع دلالة ما جاء به على تلك المسألة. ...

والثاني: معارضة الدلالة بما يمنع اتِّباعها. ...

فأمَّا الأولى: فاستعملوها في الأحاديث المُخالفة لأقوالهم وقواعدهم، ونسبوا رواتها إلى الكذِبِ والغلط والخطأ في السَّمع، واعتقاد أن كثيرًا منها من كلامِ الكفارِ والمشركين، كان النبي ﷺ يحكيه عنهم، فربما أدركه الواحد في أثناءِ كلامِه بعد تصديره بالحكاية، فيسمع المحكي فيعتقده قائلًا له لا حاكيًا، فيقول: قال رسول الله ﷺ، كما قاله بعضهم في حديث قتادة بن النعمان رضي الله عنه في الاستلقاء.

قال: يحتمل أن يكون النبي ﷺ حدَّث به عن بعض أهل الكتاب على طريق الإنكار عليهم، فلم يفهم عنه قتادة بن النعمان رضي الله عنه إنكاره، فقال: قال ﷺ ...

⇦=

ثم فسَّرَه المُعارِضُ بأسمجِ التفسير وأبعَدِه مِن الحقِّ، وهو مُقِرٌّ أنَّ النبيَّ ﷺ قد قالَه.

فزعمَ أنه قيل في تفسيرِ هذا الحديث: «إنَّ اللهَ لمَّا خلقَ الخلقَ استَلقَىٰ»،

= قالوا: فلهذا الاحتمال تركنا الاحتجاج بأخبار الآحاد في صفات الله.

فتأمَّل ما في هذا الوجه من الأمر العظيم، أن يشتبه علىٰ أعلم النَّاس بالله وصفاتِهِ وكلامِهِ وكلام رسوله كلام الرسول الحق الذي قاله مدحًا وثناء علىٰ الله بكلام الكفار المشركين الذي هو تنقصٌ وعيبٌ، فلا يُميِّز بين هذا وهذا، ويقول: قال رسول الله ﷺ لما يكون من كلام ذلك المشرك الكافر !

فأيّ نسبةِ جهلٍ واستجهال لأصحابِ رسول الله ﷺ فوق هذا: أنه لا يُميِّز أحدهم بين كلام رسول الله ﷺ، وكلام الكفار والمشركين، ويُميز بينهما أفراخ الجهمية والمُعطِّلة !

وكيف يستجيز مَن للصَّحابة في قلبِهِ وقارٌ وحرمةٌ أن ينسب إليهم مثل ذلك؟

ويا لله العجب، هل بلغ بهم الجهل المُفرط إلىٰ أن لا يفرِّقوا بين الكلام الذي يقوله رسول الله ﷺ حاكيًا عن المشركين والكفار، والذي يقوله حاكيًا له عن جبريل عن رَبِّ العالمين، ولا بين الوصف بما هو مدح وثناء وتمجيد لله، ووصفه بما هو ضد ذلك؟! فتأمل جناية هذه المعرفة علىٰ النُّصوص !

ومَن تأمَّل أحاديث الصِّفات وطرقها وتعدد مخارجها ومَن رواها مِن الصَّحابة علم بالضَّرورة بطلان هذا الاحتمال، وأنه مِن أبين الكذب والمحال، فو الله لو قاله صاحب رسول الله ﷺ مِن عند نفسه لكان أولىٰ بقبوله واعتقاده من قولِ الجهمي المُعطل النَّافي، فكيف إذا نسبه إلىٰ رسول الله ﷺ؟!

والمقصود: أن هذه الدرجات الثلاث قد وضعت الجهمية أرجلهم فيها، فهذه درجة منه كون الرسول ﷺ قاله، وأكّدوا أمر هذه الدرجة بأن أخبار الآحاد يتطرَّق إليها الكذب. اهـ

فتفسيرُه: (أنه ألقاهم وبثَّهم، وجعلَ بعضَهم فوقَ بعضٍ، وذلك قولُه: «وضعَ إحدَى رِجليهِ على الأُخرَى»، فيَحتمِلُ أنه أرادَ بالرِّجلِ: الجماعةَ الكثيرة، كقولِ الناسِ: رِجلٌ مِن جَرادٍ، فنُسِبَت تلك الرِّجلُ إلى اللهِ كما نُسِبَ رُوحُ عيسى إلى الله بالإضافةِ، فألقى رِجلاً على رِجلٍ، أي: جماعةً على جماعةٍ - في دعواه -).

فيُقالُ لهذا المعارِضِ: مَن يتوجَّه لنقيضةِ هذا الكلامِ مِن شِدَّةِ استِحالتِه وخُرُوجِه مِن جميعِ المعقولِ عند العربِ والعجمِ، حتىٰ كأنه ليس مِن كلامِ الإنسِ؟! ومع كلِّ كلمةٍ منها شاهِدٌ مِن نفسِها ينطقُ لها حتىٰ لا تحتاجُ نقيضةً.

ويلك ! عمَّن أخذتَ هذا التفسيرَ؟ ومَن علَّمَكَ؟ وعمَّن رويتَ هذا؟ فسَمِّه حتىٰ يرتفعَ عنك عارُه، ويلزمُ مَن قاله، فأغرِب بها من ضُحكةٍ ! وأعظِم بها من سُخريَّةٍ !

ويَحكَ ! أخلقَ اللهُ خَلقًا فسمَّاهم: رِجلًا له، ثم ألقىٰ رِجلًا علىٰ رِجلٍ، بعضهم علىٰ بعضٍ؟! أَحَطَبًا كانوا فخدَّهم، فألقىٰ بعضَهم علىٰ بعضٍ في الشمسِ؟

وفي أيِّ لُغاتِ العربِ وجدتَ (استَلقَىٰ) في معنىٰ: (ألقىٰ)؟! فإنك لم تجِده في شيءٍ مِن لُغاتِهم.

وأعجبُ مِن ذلك كلِّه: احتِجاجُك بجهلِكَ لمقلوبِ تفسيرِكَ هذا بقول الشاعر:

فمَرَّ بنا رِجلٌ مِن الناسِ وانزَوَى ... إليهم مِن الرِّجلِ الثمانينَ أَرجُلُ

ويلكَ ! إنما قال [الشاعر]: (رِجلٌ مِن الناسِ، ورِجلٌ مِن الثمانين)، ولم

يَقُل: رِجلٌ مِن اللهِ، كما ادَّعيت [أنت]: أنَّ الخلقَ رِجلٌ مِن الله تعالىٰ ألقىٰ بعضَهم علىٰ بعضٍ، ثم انتحلتَ أنت فيه قول الشاعرِ بما بَهتَّه به، ولو تكلَّمَ بهذا مجنونٌ ما زادَه، فبؤسًا لقريةٍ مِثلُك فقيهها، والمنظورُ إليه فيها!

٣٦٥- وادَّعىٰ المُعارض أيضًا زُورًا علىٰ قومٍ أنهم يقولون في تفسيرِ قول الله: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦].

قال: **(يعنون بذلك: (الجَنْبَ) الذي هو العُضوُ، وليس على ما يتوهَّمونه)**.

فيُقالُ لهذا المُعارضِ: ما أرخصَ الكذِبَ عندك، [٦٠/ أ] وأخفَّه علىٰ لسانِك ! فإن كنتَ صادِقًا في دعواكَ فأشِر بها إلىٰ أحدٍ مِن بني آدمَ قالَه، وإلَّا فلم تُشنِّعُ بالكذبِ علىٰ قومٍ هم أعلمُ بهذا التفسيرِ منك، وأبصرُ بتأويلِ كتابِ اللهِ منك، ومِن إمامِك؟

إنما تفسيرُها عندهم: تَحسُّرُ الكفَّارِ علىٰ ما فرَّطوا في الإيمانِ والفضائلِ التي تدعو إلىٰ ذاتِ اللهِ، واختاروا عليها الكفرَ والسُّخريةَ بأولياءِ الله؛ فسمَّاهم: (الساخِرين)(١)، فهذا تفسير (الجَنبِ) عندهم(٢).

---

(١) في الأصل: (الساخرون).

(٢) في «تفسير الطبري» (٣٠٤٤٢) عن مجاهد، في تفسير هذه الآية، قال: في أمرِ الله.

- وفيه (٣٠٤٤٤) عن السُّدي قال: تركت مِن أمر الله.

- قال القاضي أبو يعلىٰ في «إبطال التأويلات» (٤٠٠) وأمّا قوله تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]، فحكىٰ شيخنا أبو عبد الله [ابن حامد] في كتابه عن جماعة من أصحابنا الأخذ بظاهر الآية في إثبات الجنب صفة له سبحانه.

⇐

=

ونقلت مِن خطِّ أبي حفص البرمكي: قال ابن بطة قوله: (بذات الله): أمر الله، كما تقول: في (جنبِ الله)، يعني: في أمر الله.

وهذا منه يمنع أن يكون الجنبُ صفة ذات، وهو الصحيح عندي، وأن المراد بذلك التقصير في طاعةِ الله، والتفريط في عبادته؛ لأن التفريط لا يقع في جنبِ الصفة، وإنما يقع في الطاعة والعبادة، وهذا مُستعمل في كلامهم: فلان في جنبِ فلان، يريدون بذلك: في طاعته، وخدمته، والتقرُّب منه، ويُبيِّن صحَّة هذا التأويل ما في سياق الآية من قوله: ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزمر]، ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزمر]، وهذا كله راجع إلىٰ الطاعات. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الجواب الصحيح» (٤/ ٤١٥): لا يُعرف عالمٌ مشهورٌ عند المسلمين، ولا طائفة مشهورة من طوائف المسلمين، أثبتوا لله (جنبًا) نظير جنب الإنسان، وهذا اللفظ جاء في القرآن في قوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]، فليس في مُجرَّد الإضافة ما يستلزم أن يكون المُضاف إلىٰ الله صفة له، بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة له باتفاق الخلق، كقوله: (بيت الله)، و(ناقة الله)، و(عباد الله)، بل وكذلك (روح الله) عند سلف المسلمين وأئمّتهم وجمهورهم. ولكن إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس بصفة لغيره، مثل: (كلام الله) و(علم الله)، و(يد الله) ونحو ذلك، كان صفة له.

وفي القرآن ما يُبيّن أنه ليس المراد بالجنبِ ما هو نظير جنب الإنسان، فإنه قال: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]، والتفريطُ ليس في شيءٍ من صفات الله عَزَّوَجَلَّ. والإنسان إذا قال: فلان قد فرَّط في جنبِ فلان، أو جانبه، لا يريد به: أن التفريط وقع في شيءٍ من نفس ذلك الشخص، بل يريد به: أنه فرَّط في جهته وفي حقِّه.

فإذا كان هذا اللفظ إذا أضيف إلىٰ المخلوق لا يكون ظاهره أن التفريط في نفس جنب الإنسان المُتَّصل بأضلاعه، بل ذلك التفريط لم يلاصقه، فكيف يظن أن

=

فمَن أنبأك أنهم قالوا: جنبٌ مِن الجنوبِ؟ فإنه لا يجهلُ هذا المعنىٰ كثيرٌ مِن عوامِّ المسلمين، فضلًا عن علمائهم.

٣٦٦- وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : الكذِبُ مُجانِبُ الإيمانَ(١).

٣٦٧- وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه : لا يجوزُ مِن الكذبِ جِدٌّ ولا هَزلٌ(٢).

٣٦٨- وقال الشعبيُّ: مَن كان كذَّابًا فهو منافقٌ(١).

= ظاهره في حقِّ الله - أن التفريط كان في ذاته؟

وجنب الشيء وجانبه، قد يراد به منتهاه وحدّه، ويُسمىٰ جنب الإنسان جنبًا بهذا الاعتبار، قال تعالىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة:١٦] .. وإذا قُدِّر أن الإضافة هنا تتضمن صفة الله، كان الكلام في هذا كالكلام في سائر ما يضاف إليه تعالىٰ من الصفات. اهـ

وقد نقل ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ٤٦٧) كلام المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا، وعلَّق عليه تعليقًا حسنًا.

قلت: قد أثبتَ بعض أهل السُّنة (الجَنب) صفةً مِن صفات الله تعالىٰ كما في ظاهر هذه الآية، كما تقدّم ذلك قريبًا من قول القاضي أبي يعلىٰ، وممَّن أثبتها كذلك: ابن سُريج في «عقيدته»، والطلمنكي في كتاب «السُّنة» له: (باب الجنب لله)، كما في «السير» (١٧/ ٥٦٩).

(١) رواه أحمد (١٦)، وابنه عبد الله في «السُّنة» (٧٦٣).

وروي مرفوعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في «شعب الإيمان» (٤/ ٢٠٦)، وقال: هذا إسناد ضعيف، والصحيح أنه موقوف.

ورجَّح الدارقطني في «العلل» (١/ ٢٥٨) وقفه.

(٢) رواه أحمد (٣٨٩٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٧)، وهو أثر صحيح.

فاحذر أن تكونَ منهم(٢).

٣٦٩- ورَوىٰ المُعارِض أيضًا: عن إسرائيل، عن ثُوير بن أبي فاخِتَة، عن ابنِ عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنَّ مِن أدنىٰ أهلِ الجنةِ منزلةً، مَن يَنظرُ إلىٰ نَعِيمهِ وجنَّاتِه مسيرةَ ألفِ سَنةٍ، وأكرَمُهم علىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَن ينظرُ إلىٰ وجهِهِ غُدوةً وعَشِيَّةً**»، ثم تلا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة](٣).

قال المُعارِضُ: (**فيَحتملُ أن يكون (النظرُ إلى وجههِ): نظرًا إلى ما أعدَّ اللهُ لهم مِن النظرِ إلى الجنةِ التي هي أعلى الجِنانِ**)(٤).

=

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦١١٨)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٠٠١)، ولفظهما: عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: ذكر عند الشعبي: أن المنافق الذي إذا حدَّث كذب.

فقال عامر: لا أدري ما تقولون؟ إن كان كذابًا فهو منافق. وهو أثر صحيح.

(٢) نقل هذا الكلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (١/ ٦٠) في ردِّه علىٰ الرازي الذي شنَّع علىٰ أهل السنة في إثباتهم لله تعالىٰ (الجنب)، ثم علَّق عليه ابن القيم بقوله: (والتفريط فعل أو ترك فعل، وهذا لا يكون قائمًا بذات الله لا في جنبٍ ولا غيره، بل لا يكون مُنفصلًا عن الله تعالىٰ، وهو معلوم بالحسِّ والمُشاهدة). اهـ

(٣) رواه أحمد (٤٦٢٣)، والترمذي (٢٥٥٦)، وابن جرير (٢٩/ ١٩٣)، والدارقطني في «الرؤية» (ص٢٧٠ - ٢٧٤)، والآجري في «الشريعة» (٧١٦).

وصحَّحه: الحاكم (٢/ ٥٠٩)، وتعقَّبه الذهبي بأن فيه: ثويرًا: واهي الحديث.

قال ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية»: وروىٰ هذا الحديث إسرائيل وغيره عن ثوير مثله، وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما من وجوه من قوله. اهـ

(٤) تقدم نقض المُصنِّف لتحريفات الجهمي لصفة الوجه في هذا الكتاب برقم (٣١٤/ =

فيُقالُ لهذا المُعارِض: قد جئتَ بتفسيرٍ طَمَّ(١) علىٰ جميع تفاسيرك ضُحكةً وجَهالةً، ولو قد رزقَكَ اللهُ شيئًا مِن معرفةِ العربيةِ؛ لعلمتَ أنَّ هذا الكلامَ الذي رويتَه عن رسولِ اللهِ ﷺ بهذه السياقةِ، وهذه الألفاظِ الواضحةِ لا يَحتملُ تفسيرًا غيرَ ما قال رسول الله ﷺ، وتلا تصديقَ ذلك مِن كتابِ الله.

وإنَّما قال رسول الله ﷺ: «**إلىٰ وجهِ اللهِ**»، ولم يقُل: (إلىٰ وجوه ما أعدَّ اللهُ لهم مِن الكراماتِ)، ومَن سمَّىٰ مِن العربِ والعجمِ ما أعدَّ اللهُ لأهلِ الجنةِ (وجهًا للهِ) قبلَكَ؟

وفي أيِّ سورةٍ مِن القرآنِ وجدت أن وجهَ اللهِ أعلىٰ جنَّته؟

ما لقِيَ وجه الله ذي الجلالِ والإكرامِ مِن تفاسيرِك [هذه]؟!

مرَّةً تجعلُه: ما أعدَّ اللهُ لأهلِ الجنةِ.

ومرَّةً تجعلُه: أعلىٰ الجنةِ.

ومرَّةً تجعلُه: وجهَ القبلة.

ومرَّةً تُشبِّهُه بوجه الثوب، ووجهِ الحائط، والله سائِلُك عمَّا تتلاعبُ بوجهه ذي الجلال والإكرامِ.

فإن كان كما ادَّعيت: أنَّ أكرمهم علىٰ اللهِ مَن ينظرُ إلىٰ وجهِ ما أعدَّ الله

= وما بعدها)، وكذلك في أبواب إثبات الرؤية كما في «الرد علىٰ الجهمية» (٩/ باب الرؤية).

(١) أي: زاد وعظم وغلب.

لهم مِن الكرامةِ التي يتوقعونها مِن الله، أفليس قد قال رسول الله ﷺ في حديثك أيضًا: «**إنَّ أدناهم منزلةً: يَنظرون إلىٰ ما أعدَّ اللهُ لهم مِن جناتِه ونعيمِهِ وكراماتِهِ مَسيرةَ ألفِ سَنةٍ، وإنَّ الأدنينَ منهم يتوقَّعون مِن كراماتِ اللهِ ما يتوقَّعُ أكرمُهم، وينظرون إلىٰ أعلىٰ الجنةِ كما ينظرُ أكرَمُهم؟**».

فما موضعُ تَمييزِ رسولِ الله ﷺ (الأدنىٰ) بالنظرِ إلىٰ مُلكِه ونعيمِهِ، و(الأعلىٰ) إلىٰ وجهه بُكرةً وعشيَّةً إذ كلُّهم عن النظرِ إلىٰ ما أعدَّ اللهُ لهم [٦٠/ ب] فيها غيرُ محجوبين، ولا عن التوقُّعِ ممنوعين حتىٰ تلا رسولُ الله ﷺ في الأكرمين منهم ما لم يتلُ في الأدنين منهم، تثبيتًا لوجهه ذي الجلالِ والإكرامِ، وتكذيبًا لدعواك، فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، ولم يقل: إلىٰ كراماتِها ناظِرة.

فسُبحان الله ! ما أوحشَها مِن تأويلٍ، وأقبحها مِن تفسيرٍ، وأشدَّها استحالةً في جميعِ لُغاتِ العالمين، فسبحان مَن لم يرزُقك من الفهمِ إلَّا ما ترىٰ، لو تكلمَ بهذا الكلامِ صبيانُ الكُتَّابِ لاستضحكَ الناسُ منهم، فكيف رجلٌ يعُدُّ نفسَه مِن عدادِ عُلماءِ أهلِ بلادِهِ؟(١).

٣٧٠- وروىٰ المُعارِضُ أيضًا: أنَّ الحجاج بن محمد، روىٰ عن ابن جُريجٍ، عن الضحَّاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ محمدًا رأىٰ ربَّه مرتينِ في

---

(١) وفي زمانِنا أصبح هؤلاء الذين يتكلَّمون بهذه التأويلات والتحريفات هم: علماء الدِّين، وشيوخ الإسلام، وحُفَّاظ حديث رسوله ﷺ، وأصبح مَن يُحذِّرُ منهم، ومِن ضلالهم عدوًّا للدينِ ولعُلماء المسلمين. فالله المُستعان.

صورةِ شابٍّ أمردَ(١).

٣٧١- وروىٰ حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ رأىٰ ربَّه جَعدًا أمردَ، عليه حُلَّةٌ خَضَراء(٢).

فادَّعىٰ المُعارِضُ: (**أنَّ أهلَ العلمِ فسَّرُوا هذا أنَّ هذه صفةُ جبريلَ، فعرفَ ربَّه برؤيةِ جبريلَ عِلمًا بقلبه بإدراكه جبريلَ عِيانًا، فهذا تفسيرُ أنه رأىٰ مِن خلقِه، وهو الصورةُ التي شاهدَ ببصرِه، وكانت الصورةُ صورةَ جبريلَ**(٣)).

فقلنا لهذا المُعارِض المناقض: أليسَ قد زعمتَ في صدرِ كتابك أنَّ هذا الحديثَ مِن وضعِ الزنادقةِ؟ ثم تدَّعي هاهنا أنَّ أهلَ العلمِ فسَّرُوه أنه صورةُ جبريلَ.

وأيُّ صاحِبِ علمٍ يُفسِّرُ أحاديثَ الزنادقةِ؟ يوهِمُ الناسَ أنَّها عن رسول الله ﷺ؟ إلَّا أن يكونَ زُعماؤُك هؤلاءِ المُعطِّلون.

وكيف تثبتُ الشهادةَ علىٰ حديثِ الزنادقةِ: أن هذا تفسيرُه؟

---

(١) رواه أبو يعلىٰ في «إبطال التأويلات» (١٢٧)، وزاد: (رأىٰ محمدٌ رَبَّه بعيْنَيه)، وإسناده منقطع، ابن جريج لم يسمع من الضَّحَّاك.

- روى عبد الله بن أحمد في «السنة» (١١١٥) عن عطاء، أنه سمعَ ابن عباس ﷺ يقول: رأىٰ محمد ﷺ ربَّه عَزَّوَجَلَّ مرَّتين.

وروىٰ مسلم (١٧٦) عن ابن عباس ﷺ قوله: رآه بفؤاده مرتين.

وفي لفظ عنده (١٧٦): رآه بقلبه.

(٢) تقدم تخريجه برقم (٣٢٨).

(٣) تقدم برقم (٣٢٨) ذكر عدّة تحريفات لهذا الحديث غير ما ذكر هاهنا.

أوليسَ قد أنبأناكَ في صدرِ كتابِنا هذا[١]: أنَّ هذا وما أشبهَه من الرِّواياتِ يُعارِضُه: حديث أبي ذرٍّ ﵁، عن رسول الله ﷺ أنه قال: هل رأيتَ ربَّك؟

قال: «**نورٌ أنَّىٰ أَراه**»[٢].

• وبقولِ عائشةَ ﵂: مَن زعم أن محمدًا رأىٰ ربَّه؛ فقد أعظمَ علىٰ اللهِ الفريةَ؛ لأنَّ اللهَ قال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣][٣].

غيرَ أنك فسَّرته تفسيرًا شهدتَ فيه بالكفرِ علىٰ رسولِ الله ﷺ؛ إذ ادَّعيتَ أنه رأىٰ جبريلَ في صورتِه، فظنَّ أنه ربُّه، وأنه قال لصورةٍ مخلوقةٍ شاهدها ببصرِه أنه ربُّه.

فتفكَّر أيها المُعارِضُ فيما يجلبُ عليك تأوِيلُك هذا مِن الفضائح حين تدَّعي أن رسولَ الله ﷺ لم يعرف جبريلَ مِن الله، حتىٰ يرىٰ صُورة جبريلَ في صورةِ شابٍّ جعدٍ، فيدَّعي أنه ربُّه بزعمِكَ.

لو ولَدَتكَ أُمُّك أبكمَ كان خيرًا لك مِن أن تَتعرَّض لهذا وما أشبهَه!

أرأيتَ قولكَ: إنَّ أهل العلمِ قالوا: إنَّ هذا صورةُ جبريلَ، فمِن أيِّ أهلِ العلمِ سمعتَ هذا التفسيرَ فأسنِده إليه، فإنك لا تُسنِدُه إلَّا إلىٰ مَن هو أجهلُ منك.

---

(١) تحت رقم (٣٢٨).

(٢) تقدم ذكره مُسندًا برقم (١٢٣) من حديث أبي ذرٍّ ﵁، والحديث رواه مسلم.

(٣) تقدم تخريجه في «الرد علىٰ الجهمية» برقم (٧٩).

وقد علِمنا أنك إنما تُغالِطُ بمثلِ هذه الرِّواياتِ لتدفعَ بها قولَ الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

وقول رسول الله ﷺ: [٦١/أ] «**[إنكم] ترون ربَّكم [يوم القيامةِ] كما ترون الشمسَ والقمرَ ليلةَ البدرِ**»(١).

فتوهِمُ الناسَ أنَّ هذه الأحاديثَ التي تَستنكرها، وتَلتمِسُ لها هذه العمايات، كالتي يَروون في الرُّؤية والنُّزولِ وما أشبهه، وإنه لا تُدفعُ تلكَ بمثلِ هذا التفسيرِ المقلوبِ لما أنها قد ثبتت عن النبي ﷺ بأسانيدَ كالصُّخورِ، فلا يُدفعُ إلَّا بأثرٍ مثله مأثورٍ، فاربحِ العناءَ! فقد علِمنا حولَ ماذا تَدورُ، ولن تَغُرَّ بمثلِها إلَّا كلَّ مغرورٍ.

٣٧٢- واحتجَّ المُعارِضُ أيضًا في إنكارِ الرُّؤيةِ بحديثٍ رواه: أنَّ خالد بن الوليد رضي الله عنه ضربَ العُزّىٰ بالسيفِ، فقال له: (كُفرانَكِ لا سُبحانك، إنِّي رأيتُ اللهَ قد أهانكِ)(٢).

قال المُعارِضُ: فهذه رؤيةُ عِلم لا رُؤية بصرٍ.

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٣٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٧٨٨ و٣٨٠٩٤)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٣٩٦)، وهو مرسل.

وقصَّة هدم خالد بن الوليد رضي الله عنه للعُزَّىٰ رواها النسائي في «السنن الكبرىٰ» (١١٤٨٣)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (١٩٦ و١٩٧)، وهي صحيحة، ولكن ليس فيها ذكر الشاهد.

قال: يعني: أن المؤمنين لا يرون ربَّهم يومَ القيامةِ إلَّا كنحوِ ما رأىٰ خالد ابن الوليد في دُنياه(١).

٣٧٣- قال المُعارِضُ: وفَسَّرَ قومٌ أن (الرُّؤيةَ) للشيء: **(أن يكون على (العلمِ)، كما يقالُ: رأيتُ الخَلَّ شديدَ الحُمُوضةِ، ورأيتُ العودَ طيِّبًا، يُريد: رائحته).**

كما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل]، **ولم يرَه إلَّا بالمعرفةِ، وكلُّ شيءٍ يُدرَكُ بالرؤيةِ فله قِلةٌ وكثرةٌ، فالله المُتعالي عن ذلك، إنما يُرى بدلائله وآثارِ صُنعِهِ، فهي شواهِدُه لا الذي يُعرفُ بمُلاقاةٍ ولا بمُشاهدةِ حاسَّةٍ، فإذا كان يومُ القيامةِ ذهبتِ الشُّكوكُ وعَرَفوه عيانًا، لا بإدراكِ بصرٍ.**

ثم قال: **(فإن كان الرِّواياتُ فهاهنا رواياتٌ أيضًا مُعارِضةٌ، وإن كان يَحتمَلُ التأويلَ، فهاهنا ما يَحتمِلُ أيضًا.**

فيُقالُ لهذا المُعارِض:

أمَّا (الرِّواياتُ) فما نَراكَ تَحتجُّ في جميعِ ما تدَّعي إلَّا بكلِّ أعرجَ مكسورٍ، بالتجهُّمِ مشهورٍ، وفي أهلِ السُّنةِ مغمورٍ.

وأمَّا (المَعقولُ) الذي تدَّعيهِ مِن كلامِكَ: فقد أنبأناكَ أنه عند العربِ مجهولٌ، وعند العلماءِ غيرُ مقبولٍ، لا يخفىٰ تناقُضُه إلَّا علىٰ كلِّ جهولٍ.

وأمَّا ما احتججتَ به من قولِ خالد بن الوليد ﵁: فمعقولٌ بأنَّ اللهَ لمَّا

---

(١) تقدم نقض المُصنِّف برقم (٣٠ / وما بعدها) كلام الجهمي في إنكار الرؤية.

قال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

• وروىٰ أبو ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**نورٌ أنَّىٰ أَراه**».

• وقال النبي ﷺ: «**إنكم لن تَروا ربكم حتىٰ تموتوا**».

آمنَّا بما قال الله ورسولُه، وعلمنا أنه لا يُرىٰ في الدنيا(١).

فلمَّا قال: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١﴾ [الفيل]؛ عِلمنا أنَّ النبيَّ ﷺ لم يُدرِكه، ولم يَره، لِمَا أنه وُلِدَ عامَ الفيلِ، فاستيقنَّا عِلمًا يَقينًا أن هذه رُؤيةُ عِلمٍ، لا رُؤية بصرٍ.

وكذلك قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان:٤٥]؛ فاستيقنا بقوله: إنه لم يرَ ربَّه أنَّ هذا ليس برؤيةِ اللهِ عيانًا، وأنه رُؤيةُ الفعلِ مُدُودِ الظلَّ الذي يرَاه بُكرة وعشِيًّا.

وكذلك قول خالد بن الوليدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إني رأيتُ اللهَ قد أهانَكِ).

لاجتماعِ الكلمةِ مِن اللهِ ومن رسولِه، ومِن جميعِ المؤمنين: [٦١/ ب] أنَّ أبصارَ أهلِ الدنيا لا تُدرِكُه في الدنيا.

فحِينَ حدَّ اللهُ لرؤيته حدًّا في الآخرةِ، بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة]، عَلِمنا أنها رُؤيةُ عيانٍ.

وكذلك النبيُّ ﷺ حين سألَه أبو ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل رأيتَ ربَّك؟

---

(١) تقدم برقم (١٢٢) بيان المُصنِّف لهذه النصوص.

فقال: «نورٌ أنَّىٰ أراه؟».

فلمَّا سألَه أصحابُه: أنراه في الآخرةِ؟

قال: «نعم، كرؤيةِ الشمسِ والقمرِ ليلة البدرِ».

وأمَّا تفسيرُك أن رؤيته يوم القيامة، رؤيةُ آياته ودلائله [لا إدراكُ بصرٍ]، فإذا رأوا آياته وذهبت الشُّكوك عنهم، فهذه أفحش كلمةٍ ادَّعيتها علىٰ المؤمنين من أصحاب النبيِّ ﷺ أنهم ماتوا شُكَّاكًا لم يعرفوا ربَّهم حتىٰ يروا آياتِه يوم القيامة، فبها تذهبُ الشُّكوك عنهم يومئذٍ(١).

ويحك ! أمَا علمتَ أنه لن يموتَ أحدٌ وفي قلبه أدنىٰ شكٍّ مِن خالقِه إلَّا مات كافرًا؟ وكيف تَعتَري المؤمنين يومئذٍ الشكوكُ، والكفارُ يومئذٍ بربوبيتهِ موقنون لا تَعتريهم شُكوكٌ؟!

فإن كانت الشُّكوكُ يومئذٍ تنزاحُ عن المؤمنين بما تصِفُ مِن الدلائلِ والعلاماتِ مِن غيرِ إدراكِ بصرٍ؛ فكذلك الكفارُ كلهم قد رأوا يومئذٍ آياتِه وعلاماتِه مِن غيرِ إدراكِ بصرٍ، فانزاحت عنهم الشكوكُ، فصاروا كالمؤمنين في دعواكَ، فما فضلُ بُشرىٰ الله ورسوله المؤمنين علىٰ الكفارِ الذين قال [الله] في كتابه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين]؟

ويحك ! لَلغِناءُ والعزفُ أحسنُ مما تدَّعي علىٰ الله ورسولِه، وما تقذِفُ به المؤمنين: أن الشكوكَ في وحدانية الله تعالىٰ لا تذهب عنهم إلَّا في الآخرة،

---

(١) تقدم نحو هذا تحت فقرة (١٢٢)، وكذا عند فقرة (٣٣٧).

يوم يرون آياته وعلاماتِهِ.

فأمَّا ما احتججتَ به من قولِ خالدِ بن الوليد رضي الله عنه حين قال: (رأيتُ اللهَ قد أهانَكِ)، فمِثلُ هذا جائزٌ فيما أنت منه على يقينٍ أنه لم يُرَ، ولم يُدرَك، ولم يُمكِن إدراكُه.

فأمَّا ما يُرجَىٰ إدراكُه ببصرٍ فلا يجوزُ فيـ[ـه] هذا المجازُ إلَّا بحُجَّةٍ واضحةٍ مِن كتابٍ مسطورٍ، أو أثرٍ مأثورٍ، أو إجماعٍ مشهورٍ.

وقولُ خالدٍ رضي الله عنه عندنا معناه كمعنىٰ قولِ أبي بكر لعمرَ رضي الله عنهما يوم ماتَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فقال عمرُ: إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لم يَمُت. فقال أبو بكرٍ: ألم تسمع اللهَ يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء](١).

إنَّما عنىٰ أبو بكر رضي الله عنه: ألم تسمع قولَه في كتابه، لِمَا أنَّ العلمَ من جميعِ العلماءِ قد أحاطَ بأنه لم يَسمع كلامَ اللهِ بشرٌ مِن بني آدمَ غيرَ موسىٰ(٢)، فحينَ أحاطَ العلمُ بذلك علمنا أنَّ أبا بكرٍ عنَىٰ: (قوله)، لا السماعَ مِن اللهِ، وهكذا قِصَّةُ خالد بن الوليد رضي الله عنه.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الفرقان:٤٥]، لإحالةِ العلمِ أنَّ ذلك لم يكن، فلا يدفع ما أحاطَ العلمُ أنه لم يكن، ما أحاط العلمُ بأنه كائنٌ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٧٧٨٨ و٣٨٠٩٤)، وأبو نُعيم في «معرفة الصحابة» (٢٣٩٦).
(٢) يعني: في الأرض.

ومثله: قول الكُمَيْتِ(١):

وجـــدتُ اللهَ إذْ سَـــمَّى نِـــزارًا ... وأسْكنَهـــم بمَكَـــةَ قاطِنينـــا

لنـــا جَعَـــلَ المكـــارِمَ خالِصَـــاتٍ ... وللنَّـــاسِ(٢) القَفَـــا ولنَـــا الجَبِينَـــا

فحينَ عرفنا يَقينًا: أن أحدًا مِن خلقِ اللهِ لم يجِده عيانًا في الدنيا؛ علِمنا أنَّ قولَ الكُميتِ: (وجدتُ الله): يريدُ به: المكارِمَ التي أعطاهم الله.

٣٧٤- وادَّعىٰ المُعارِضُ أيضًا: **أن قومًا زعموا أنَّ لله (عينًا)، يريدون: (جارِحًا)** [٦٢/ ب] **كجارحِ العينِ من الإنسانِ، وأرادوا (التركيبَ)، واحتَجُّوا بقوله:** ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه]، ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود:٣٧]، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨].

قال المُعارِضُ: **(والمعقولُ بيَّنَ أن هذا يُريدُ: (عينَ القوم)، يعني: رئيسَهم وكبيرَهم، ولا يُريدُ (جَارِحًا)، ولكن يريدُ الذي يَجوزُ في الكلامِ.**

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما **في قوله:** ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، **يقول: في كلاءتِنا وحِفظنا**(٣).

ألا ترى إلى قول القائل: (عينُ اللهِ عليك)، يقول: أنتَ في حِفظِ اللهِ وكلاءتِه).

فيقالُ لهذا المُعارِضُ: أمَّا ما ادَّعيتَ أن قومًا يزعمون أن للهِ (عينًا) فإنا

(١) هو ابن زيد الأسدي الكوفي المتوفي سنة (١٢٦هـ).

(٢) في الأصل: (فللناس).

(٣) سيأتي قريبًا مناقضة المُنصنف لهذا الأثر.

نقوله؛ لأنَّ اللهَ قاله ورسوله(١).

وأمَّا (جارحٌ) كجارحِ العينِ من الإنسانِ على التركيبِ؛ فهذا كذِبٌ ادَّعيتَه علينا عمدًا، لما أنك تعلمُ أنَّ أحدًا لا يقوله، غيرَ أنَّك لا تألو ما شنَّعتَ، ليكون أنجعَ لضلالتِك في قلوبِ الجُهَّالِ، والكذِبُ لا يَصلُحُ منه جِدٌّ ولا هزلٌ.

فمن أيِّ الناسِ سمعتَ أنه قال: (جارحٌ، مُركَّبٌ)، فأشِر إليه، فإن قائله كافِرٌ، فكم تُكرِّرُ قولك: (جِسمٌ مُركَّبٌ)، و(أعضاءٌ)، و(جوارحُ)، و(أجزاءٌ)، كأنك تُهوِّلُ بهذا التشنيعَ علينا أن نكُفَّ عن وصفِ اللهِ بما وصفَ نفسَه في كتابه، وما وصفَه الرسول(٢).

ونحن وإن لم نصِفِ اللهَ بجسمٍ كأجسامِ المخلوقين، ولا بعُضوٍ، ولا بجارحةٍ؛ لكنا نصِفُه بما يَغيظُكَ مِن هذه الصفاتِ التي أنت ودُعاتُك لها مُنكِرونَ(٣).

---

(١) تقدم برقم (١٠٤/ وما بعدها) ذكر الأدلة على إثبات عين الله تعالى.

(٢) تقدم برقم (١٢٧ و٣٠٦) نقض المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على دعوى المُعطل أن أهل يثبتون الجوارح والتركيب والأعضاء.

(٣) فيه الرد على من ادَّعى على الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يصف الله تعالى بأنه (جِسمٌ)، فهذا كذبٌ عليه، فهذان الكتابان بين يديك فأين ما ادّعته عليه المُعطِّلة، ولكن الأمر كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يريدون التشنيع على أهل السنة).

وانظر كذلك رقم (١٦٢).

- وسيأتي قوله (٤٠٩): (وذِكرُ الجسمِ، والفمِ، واللسانِ؛ خُرافاتٌ وفضولٌ مرفوعةٌ عنَّا، لم نُكلَّفه في ديننا).

⇦=

فنقولُ: إنه الواحد، الأحد، الصمد، لم يلد ولم يُولد، ولم يكن له كفوًا أحدٌ، ذُو الوجهِ الكريم، والسمعِ السميعِ، والبصرِ البصيرِ، نورُ السماواتِ والأرضِ، وكما وصفَه الرسولُ ﷺ في دُعائه حينِ يقول: «**اللهم أنت نورُ السماواتِ والأرض**»(١).

• وكما قال أيضًا: «**نورٌ أنَّىٰ أراه؟**»(٢).

• وكما قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: نورُ السماوات والأرض مِن نورِ

=

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ١٧): السلف والأئمة لم ينطقوا بلفظ (الجسم)، لكن نطقوا بالألفاظ التي هي صريحة في المعنىٰ الذي يُسمِّيه هؤلاء جسمًا.

وقال: لفظ الجسم لفظٌ مُجملٌ، وكل واحد من إطلاق القول بإثباته أو نفيه عنه بدعة، لا يؤثر عن أحدٍ من السلف والأئمة، ولا لذلك أصل في الكتاب، وأن الواجب أحد أمرين: إمَّا ترك إطلاق هذا الاسم نفيًا وإثباتًا.

وإمَّا التفصيل، وهو أن يقال: إن أُريد بالجسم: كذا وكذا، فهذا المعنىٰ حقّ، وإن كنا لا نُسميّه بهذا الاسم، لما فيه من الإجمال، والاشتراك، والإبهام، والإيهام، والبدعة.

وإن أُريد بالجسمِ: كذا وكذا، فهذا المعنىٰ باطل، ولا يحتاج أن يُنفىٰ مثل هذا اللفظ المُجمل، بل يُنفىٰ بالألفاظ الناصّة كما دلَّ علىٰ ذلك الكتاب والسُّنة. اهـ

وانظر المقدمة (١/ ٧١) ففيها الرد علىٰ من اتهمه بإثبات الجسم.

(١) رواه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه: «**اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن...**».

(٢) تقدم ذكره مُسندًا برقم (١٢٣) من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه، والحديث رواه مسلم.

وجهِهِ(١).

والنورُ لا يَخلو مِن أن يكونَ له إضاءةٌ واستِنارةٌ ومَرأىٰ ومَنظرٌ، وإنه يُدرَكُ يومئذٍ بحاسَّةِ النظرِ والكلامِ، إذا كشَفَ عنه الحِجابَ، كما يُدرَكُ الشمسُ والقمرُ في الدنيا(٢).

وإنما احتجبَ اللهُ عن أعينِ الناظرينَ في الدنيا رحمةً لهم؛ لأنه لو تَجلَّىٰ في الدنيا لهذه الأعيُنِ المخلوقةِ الفانيةِ لصارت كجبلِ موسىٰ دكًّا، وما احتملت النظرَ إلىٰ الله تعالىٰ؛ لأنها أبصارٌ خُلِقت للفناءِ، لا تَحتمِلُ نورَ البقاءِ، فإذا كان يومُ القيامةِ؛ رُكِّبت الأبصارُ للبقاءِ فاحتملتِ النظرَ إلىٰ نورِ

---

(١) تقدم تخريجه برقم (١٨٠).

(٢) قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ٨٧): وربنا جلَّ وعلا النور، وقد سمَّىٰ الله بعض خلقه نورًا، فقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور:٣٥]، وقال: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٣٥].

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ كان يدعو: «**اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن** ..» الحديث بتمامه ...

قال: وكلُّ مَن فَهِمَ عن الله خطابَه، يعلمُ أن هذه الأسامي التي هي لله تعالىٰ أسامي، بين الله ذلك في كتابه، وعلىٰ لسان نبيه ﷺ، ممَّا قد أوقع تلك الأسامي علىٰ بعض المخلوقين، ليس علىٰ معنىٰ تشبيه المخلوق بالخالقِ؛ لأن الأسامي قد تتّفق وتختلف المعاني، فالنورُ وإن كان اسمًا لله، فقد يقع اسمُ النورِ علىٰ بعض المخلوقين، فليس معنىٰ النور الذي هو اسم لله في المعنىٰ مثل النورِ الذي هو خلقُ الله. قال الله جل وعلا: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٣٥]، واعلم أيضًا أن لأهل الجنة نورًا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، وقد أوقع الله اسم النور على معان. اهـ

البقاءِ(١).

٣٧٥- وأمَّا تفسيرُك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قولك: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، أنه قال: (بحفظِنا وكلاءتنا)، فإن صحَّ قولك عن ابن عباس(٢)؛ فمعناه الذي ادَّعينا لا ما ادَّعيتَ أنت، يقول: (بحِفظِنا وكلاءتِنا بأعيُنِنا)؛ لأنه لا يجوزُ في كلامِ العربِ أن يُوصَفَ أحدٌ بكلاءةٍ إلَّا وذلك الكالئُ من ذوي الأعين(٣).

(١) تقدم نحو هذا برقم (٣٣٩). وكذا في «الرد على الجهمية» (١٥١) مع زيادة بيان.

(٢) (في قولك: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، أنه قال: (بحفظِنا وكلاءتنا)، فإن صحَّ قولك عن ابن عباس رضي الله عنهما) كُرِّرَ سهوًا في (الأصل)، وليس في (ب).

(٣) المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما جعل هذه الآية مِن آيات الصفات، وإثبات العين لله تعالىٰ، فممّا روي عنه في ذلك:

- في «تفسير البغوي» (٤/ ١٧٣)، و«تفسير السمعاني» (٥/ ٢٨١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]: بمرأىٰ مِنَّا.

- وفي «تفسير البغوي» (٧/ ٣٩٤) قال ابن عباس رضي الله عنهما: نرىٰ ما يُعمَلَ بك.

- قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (٢١/ ٦٠٥): ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، يقول جل ثناؤه: فإنك بمرأىٰ مِنَّا، نراك ونرىٰ عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين. اهـ

- وروىٰ الطبري في «تفسيره» (١٨٢١٢) من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ [هود:٣٧]، قال: بعينِ الله.

- وفي «تهذيب اللغة» (٣/ ١٣٠): قال ابن الأنباري في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾، قال أصحاب النقل والأخذ بالأثر: (الأعين) يريد به: العين.

=⇦

فإن جهِلتَ؛ فسمِّ [لنا] شيئًا مِن غيرِ ذوي الأعيُنِ يوصف بالكلاءةِ.

وإنما أصلُ الكلاءةِ مِن أجلِ النظرِ، وقد يكونُ الرجلُ كالِئًا من غيرِ نظرٍ، ولكنه لا يخلو أن يكون مِن ذوي الأعينِ، [٦٢/ ب] وكذلك معنىٰ قولك: (عينُ الله عليك)، فافهم.

وقد فسَّرنا لك بعضَ هذا الكلامِ في صدرِ كتابِنا(١)، غير أنك أعدتَّه لحاجةٍ منك، اغتياظًا علىٰ مَن يؤمنُ برؤيةِ الله يوم القيامةِ، كاغتياظِكَ وإفراطِكَ علىٰ مَن يزعُمُ أن كلام اللهِ غيرُ مخلوقٍ.

فانتدبتَ مُختلِطًا غَضبانًا تدَّعي أنهم قومٌ جهلةٌ، لا تَمييزَ عندهم، ولا نظرَ لديهم، يقولون: إنه يجبُ علينا أن نقولَ: (غير مخلوقٍ)، فألزمَ بجهلِهِ مَن لا يقولُ ذلك الكفرَ، وهو الكافِرُ عيانًا فيما يتكلَّفُ ممَّا لم يُؤمر به، ولم يتكلَّم(٢) فيه السلفُ، فجاء الظالمُ الجريءُ فهو آمِنٌ بجهلِهِ علىٰ نفسِهِ، ولا يرضىٰ حتىٰ يَنسِبَ المؤمنَ التقيَّ الكافَّ عن الخوضِ فيه إلىٰ الكفرِ(٣).

= قال: وعين الله لا تُفسَّر بأكثر من ظاهرها، ولا يسع أحدًا أن يقول: كيف هي أو ما صفتها؟. اهـ

(١) تقدم برقم (٤٠).

(٢) في (ب): (يتكلف).

(٣) تقدم برقم (١١٤ و١١٥) نقض المُصنِّف لكلام الجهمي في القرآن، وتكفيره لمن قال: (غير مخلوق).

٣٧٦- ثم وصفَ أنَّ الكلامَ مِن الناطقِ لا يُسمَّى (مُحدَثًا) متى ما قاله، ولا يتركون مَن عرفَ وجه الكلام مِن الكتابِ والسُّنةِ.

فيُقالُ لهذا المُعارضِ: لا كل هذا الأخلاط غَيرةٌ، غيرَ أن الدليلَ عليك، أنك لا تبدي [كل] هذا إلَّا عن حُرقةٍ، فأهلُ لك أنهم لا يرون الكلام مِن الناطق (مُحدثًا)، فقد فهمنا مُرادك مِن هذا، يعني: أنهم لا يرونَه مخلوقًا مُحدثًا لله، فقد صدقت في دعواك عليهم، لا يرونه مُحدثًا لله كما ادَّعيتَ، ومَن رآه مُحدَثًا لله عَدُّوه كافرًا، لأن مذهبَه في ذلك: أنَّ اللهَ كان ولا كلامَ له(١).

---

(١) في «السنة» لحرب الكرماني (٣٦٦) قال وكيع بن الجراح: من زعمَ أن القرآن مخلوق؛ فقد زعم أن القرآن مُحدثٌ، ومَن زعمَ أن القرآنَ مُحدث؛ فقد كفرَ بما أُنزِلَ علىٰ محمدٍ؛ يُستتاب، فإن تابَ وإلَّا ضُربت عُنقه.

- وفيه قال حرب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (برقم/ ٣٦٤): سمعتُ إسحاقَ يقول: مَن قال: إنَّ القرآن مُحدثٌ علىٰ معنىٰ: مخلوق؛ فهو كافرٌ بالله العظيم.

قلتُ: ما معنىٰ قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء:٢]؟

قال: مُحدث مِن العرشِ، آخر مَا نزلَ مِن الكتبِ مِن العرشِ.

ثم راجعتُه في ذلك، فقال: أحدثُ الكتبِ عهدًا بالرحمن. اهـ

- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الزنادقة» (٣١): ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء:٢]، إنّما هو مُحدَثٌ إلىٰ النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ كان لا يعلمه فعلّمه الله تعالىٰ، فلما علّمه الله تعالىٰ كان ذلك مُحدثًا إلىٰ النبي ﷺ. اهـ

- وقال الكرجي القصَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نكت القرآن» (٤/ ١٤٢) في ردِّه علىٰ الجهمية والمعتزلة في احتجاجهم بهذه الآية علىٰ القول بخلق القرآن، قال: فهلا يزعمون - ويحهم - أن الله مخلوق؛ إذ قد سمَّىٰ نفسه وآياته: حديثًا، كما ترىٰ. =

وأمَّا قولك: (**لم يتكلَّم فيه السلفُ**)، فقد أنبأناك في صدرِ كتابنا هذا[١] مَن تكلَّمَ فيه مِن السلفِ الذين كانوا أعلمَ باللهِ وبكتابِه مِن سلفِكَ الذين احتججتَ بهم؛ مثل: المريسي، وابن الثلجي، ونُظرائهم.

وأمَّا ما تَصِفُ عن نفسِكِ مِن الكفِّ عن الخوضِ فيه، فقلَّما رأينا أسفَقَ[٢] عينًا منك، ولا أقلَّ حياءً، أوَليسَ كل ما ضمَّنتَ هذا الكتاب مِن هذه العماياتِ خوضًا كُلُّه؟ فإنَّا ما رأينا خائضًا فيه أقبحَ منك خوضًا، وأوحشَ منك تأويلًا، وأقلَّ مِنكَ إصابةً، فمثلُك في وعظِكَ كالذين يأمرون الناسَ بالبرِّ وينسون أنفسهم.

وأمَّا قولُك: (**لا يتركون مَن عرَفَ وجوه الكلام**)، ما ضمَّنت هذا الكلام[٣] عن نفسِكِ، وعن إمامِكَ المريسيِّ والثلجيِّ، فقد انقلبت لُغاتُ العربِ، فصارَ المُنكرُ منها مُعروفًا، والمعروفُ مُنكرًا، والعربيُّ عجميًّا، والعجميُّ عربيًا؛ لأن تفاسيرَكم هذه كلَّها مخالِفةٌ لِلُغاتِهم، وللكتابِ والسُّنةِ.

= وقولهم (في الحديث) غلط غير مشكل، إنما معنىٰ الحديث في اللغة: ما يَحْدُثُ عند الناس ممَّا لم يكن لهم به عهد، ولا عرفوه، وكان توحيد الله، وخلع الأنداد، وتلاوة القرآن ممَّا لم يكن لهم به عَهد، فحدَثَ عندهم، وكان ما عهدوا مِن آبائهم، ومَن سلف قبلهم ترك توحيد الله، وجعل الشركاء معه، وعهد الشعر، والخطب، فكان توحيد الله، وتلاوة كلامه - معًا - حديثين عندهما، لا أنهما أُحدثا بالخلق. اهـ

(١) تقدم ذلك عند قوله (٢١٥): (السلف كانوا يكرهون الخوضَ في القرآنِ).

(٢) في «العين» (٥/ ٨٢): رجل سفيق الوجه أي: قليل الحياء. اهـ

(٣) في (ب): (الكتاب).

مَن أئمَّتُك هؤلاءِ الذين تَنسبُهم إلىٰ معرفةِ وجوه الكلامِ بالكتابِ والسُّنةِ؟ لما أنهم لم يتركوا لأهلِ السُّنةِ حُجَّةً مِن كتابِ اللهِ علىٰ الجهميةِ والزنادقةِ إلَّا نقضوها بخُرافاتٍ وعماياتٍ، ولا تركوا للنبيِّ ﷺ حديثًا صحيحًا ناقضًا لمذهبهم إلَّا وردُّوه بتلك العمايات.

لقد تركوا معرفةَ كتابِ الله والسُّنةِ شأوًا مُغرِّبًا، مثل انتحالِكَ لهؤلاءِ بحُسنِ الكلام ممَّا يوافق الكتابَ والسُّنةَ، كما قال رسول الله ﷺ: «**المُتشبِّعُ بما لم يُعطَ كلابسِ ثوبي زُورٍ**»(١)؛ لأنهم لم يُؤتوا فيها مِن البصرِ إلَّا خِلافَ ما مضىٰ عليه أسلافُ المسلمين من أهلِ البصرِ.

فإن جَحَدتَه فهاهنا رواياتُهم وتفاسيرُهم إذا نظرَ فيها [٦٣/أ] الناظرُ استيقنَ بضلالِ تفسيرِكم، واستدلَّ علىٰ قِلَّةِ عِلمِكم بالمُستحالاتِ منها، فما تدرِي أيَّ زُعمائك هؤلاءِ الذين يُبصرون وجوه الكلام؟

فإن كان هؤلاء الذين حكيتَ عنهم هذه العماياتِ، فقد أنبأناك بناقِضها واستِحالتِها، ممَّا يجلبُ عليهم مِن أنواعِ الكفرِ الذي لا مخرجَ لهم منها.

فمَن هؤلاءِ الذين [حكيت عنه] يُبْصِرون وجوه الكلامِ مِن زُعمائك؟ أهو المريسيُّ المشهورُ بالتَّجهُّمِ؟ فقد أنبأناك عورةَ كلامِهِ، وكذلك الثلجيُّ، وكذلك ضِرارٌ(٢)، ذاك الزنديقُ الذي تَنتحِلُ بعضَ كلامِهِ، وتُكنِّي عنه.

---

(١) رواه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٢٩)، من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

(٢) هو ابن عَمرو القاضي، من رؤوس المعتزلة. وإليه تنسب الطائفة: (الضِّرارية).

قال أبو همام السكوني: شهد قومٌ علىٰ ضِرار بأنه زنديق، فقال سعيد: قد أبحتُ =

فإن كان أهلُ البصرِ هؤلاءِ، وأحسنُ الكلامِ عندك ما حكيتَ عن هؤلاءِ؛ فإلىٰ الله نبرأُ ممَّا حكيتَ عنهم، لَلغِناءُ، والنَّوحُ، ونُباحُ الكِلابِ أحسنُ ممَّا حكيتَ عنهم مِن هذه الحِكاياتِ التي لا تنقاسُ في كتابٍ، ولا سُنةٍ، ولا إجماعٍ.

أحسدتَهم أيها المُعارِضُ فيما أصابوا بهذه العمايات من وجوهِ الحقِّ؟! أم فيما نالوا مِن المراتبِ السَّنيةِ عند أهلِ الإسلامِ، والثناءِ الحسنِ علىٰ ألسُنِ المؤمنين حتىٰ انتحلت مَذهبَهم، واحتججتَ بكلامِهم؛ حتىٰ تنالَ [بهم و]بذكرِهم مِن شرفِ الدنيا مثل ما نالوا؟! إذ يُدعىٰ أحدُهم: (زنديقٌ)، والآخَرُ: (جهميٌّ)، والآخرُ: (تُرسُ الجهميةِ)(١)، يعنون: ابن الثلجي.

وهنيئًا لك مِيراثُهم غيرَ محسودٍ ولا مَغبُوطٍ ! فبأيِّ مُتكلِّمٍ منهم تستطِيلُ؟ أبالذي زعم: أن كلام الله مُحدثٌ مخلوقٌ؟

أم بالذي قال: أسماءُ الله محدثة مُستعارةٌ مخلوقةٌ؟

أم بالذي زعمَ أنَّ النبيَّ ﷺ رأىٰ جبريلَ في صُورتِه، فقال له: يا ربِّ.

وما أشبَهَها مِن فضائحِ ما حكيتَ عنهم في كتابِكَ هذا كثيرًا.

= دمه، فمن شاء، فليقتله. قال: فعزلوا سعيدًا من القضاء.

وقال المروذي: قال أحمد: شهدتُ علىٰ ضِرار بن عَمرو عند سعيد بن عبد الرحمن، فأمر بضربِ عنقه، فهرب. [نقلًا من «السير» (١٠/ ٥٤٥)].

(١) (التُّرس): آلة مِن آلاتِ الحرب مُستديرة تُحمل لوقاية الوجه والرأس.

هؤلاء عندك أهلُ البصرِ بالكلامِ وأهلُ المعرفةِ بالتمييزِ؟

فقد أخبرنَاك أن النوحَ والغِناءَ، ونُباحَ الكلابِ أحسنُ من كلامهم وتفاسيرِهم.

٣٧٧- ثم زعمَ المُعارِضُ أنه فرغَ مِن الأحاديثِ المُشتبهةِ، وابتدأ في التوحيد بالمعقولِ، ثم حكىٰ في تفسيرِ التوحيدِ كلامًا ليس مِن كلامِ أهلِ الفقهِ والعلمِ، ولم نجد شيئًا منها في الرِّواياتِ.

فقال: (**سلِ الرجلَ: هل عرفتَ الخلقَ باللهِ؟ أو عرفتَ اللهَ بالخلقِ؟**

فيقال له: معبودك هذا ما هو؟ ومِن أيِّ شيءٍ هو؟ وما صِفتُه؟ وما مِثالُه؟!).

ثم فسَّرَهما بتفاسيرَ لا يؤثرُ شيءٌ منها عن أحدٍ موسومٍ بالعلمِ ممَّن مضىٰ، وممَّن غبَرَ، فلم أجد لبعضها نقيضةً أسلم مِن الإمساكِ عن جهلِ الجاهلين، وكثيرًا منها قد فُسِّرت في صدرِ كتابنا هذا.

فإن لم يوحِّدِ اللهَ مِن أُمَّة محمدٍ إلَّا مَن قامَ بهذا الخُرافاتِ وجوابِها؛ ما في أُمةِ محمدٍ ﷺ عند هذا المُعارضِ مُوحِّدٌ.

وقد فسَّرنا للمُعارِضِ مِن تفسيرِ التوحيدِ ما كان فيه مندوحَة مِن هذه التخاليطِ، أنه قول: لا إله إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، هذا تفسيرُه المعقولُ، وهي كلمةُ التقوىٰ، والعُروةُ الوثقىٰ، مَن جاءَ بها مُخلِصًا؛ فقد وحَّدَ اللهَ تعالىٰ - وإن لم يجئ بما فسَّرَ المُعارِضُ، ولم يُحسِن مِن هذه العماياتِ - وهي

الكلمةُ التي رَضِيَ بها محمدٌ ﷺ مِن عَمِّهِ(١)، وهو الدليلُ علىٰ إيمانِ الرجلِ وإسلامِهِ وتوحيدِهِ(٢).

ويحكَ أيها المُعارِضُ! أوَلَم تزعُم: أنه لا يجوزُ في التوحيدِ إلَّا

(١) روىٰ البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤) عن المسيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ حضر عمه عند الموت فقال له: «**يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله**».

(٢) تقدم برقم (٨) ذكر الأدلة علىٰ فضل كلمة التوحيد.

وفي هذا الكلام فائدة مُهمّة وهي بيان ما هو أول واجب علىٰ العبيد؟ وأنه توحيد الله تعالىٰ لا النظر والاستدلال كما يزعم أهل الكلام.

- قال إسماعيل التيمي رحمه الله في «الحُجَّة» (١/ ١٠٨): قال بعض العلماء: أول فرض فرضه الله تعالىٰ علىٰ خلقه معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه، قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]. فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حقّ عظمته.اهـ

- وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في «قُرَّة عيون الموحِّدين» (ص٣٧) شارحًا لقول النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلىٰ اليمن: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»: فيه دليل أن توحيد العبادة هو أول واجب؛ لأنه أساس المِلَّة، وأصل دين الإسلام.

وأمَّا قول المُتكلِّمين ومن تبعهم: إنَّ أول واجب: معرفة الله بالنظر والاستدلال، فذلك أمرٌ فطري فطر الله عليه عباده. ولهذا كان مفتتح دعوة الرسل أممهم إلىٰ توحيد العبادة. اهـ

- وقال الإمام المُجدِّد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كما في «مجموع رسائله» (٦/ ١٦): قولك: (أول واجب علىٰ كلِّ ذكرٍ وأنثىٰ: النظر في الوجود، ثم معرفة العقيدة، ثم علم التوحيد). وهذا خطأ، وهو من علم الكلامِ الذي أجمع السلف علىٰ ذمِّه. اهـ

الصواب؟ [٦٣/ ب] أفتأمنُ الجواب في هذه العمايات، أن تجُرَّكَ إلىٰ الخطإِ في التوحيدِ، والخطأُ فيه كفرٌ؟ فأين أنت عن نفسِك لِمَا ندبتَ إليه غيرَكَ مِن الخوضِ فيه وما أشبَهَه؟(١).

٣٧٨- ثم عادَ المُعارِضُ إلىٰ أسماءِ الله تعالىٰ ثانيةً، فادَّعىٰ: (**أنها مُحدثةٌ كلّها؛ لأنَّ الأسماءَ هي ألفاظٌ، ولا يكون لفظٌ إلا مِن لافِظٍ، إلا أنَّ مِن معانِيها ما هي قديمةٌ، ومنها حديثةٌ**).

وقد فسَّرنا للمُعارِضِ تفسيرَ أسماءِ اللهِ في صدرِ كتابنا هذا(٢)، واحتججنا عليه بما تقومُ به الحُجَّةُ مِن الكتابِ والسُّنةِ، فلم نُحِبّ إعادتَها هاهنا ليطولَ به الكتابُ.

غير أنَّ قولَه: (**هي لفظُ اللافِظِ**)، يعني: أنه مِن ابتداعِ المخلوقين بألفاظهم؛ لأنَّ اللهَ لا يلفِظُ بشيءٍ - في دعواه -، ولكن وصفَه بها المخلوقون(٣)، فكلما حدثَ لله فعلٌ - في دعواه - أعارَه العبادُ اسمَ ذلك الفعلِ، يعني: أنه لمَّا خلقَ سمَّوه: خالِقًا، وحين رزقَ سمَّوه: رازِقًا، وحين خلق الخلقَ فملكهم سَمَّوه: مَالِكًا، وحين فعلَ الشيء سمَّوه: فعَّالًا.

ولذلك قالوا: (منها حديثةٌ، ومنها قديمةٌ)، فأمَّا قبل الخلقِ، فبزعمهم: لم يكن لله تعالىٰ اسمٌ، وكان كالشيءِ المجهولِ الذي لا يُعرَفُ، ولا يُدرىٰ ما هو، حتىٰ حدثَ الخلقُ، فأحدثوا [له] أسماءه، ولم يعرِفِ الله - في دعواهم -

---

(١) تقدم نحوه برقم (٨).

(٢) تقدم ذلك في (١/ باب الإيمان بأسماء الله تعالىٰ وأنها غير مخلوقة).

(٣) في الأصل: (المخلوقين)، وما أثبته من (ب).

لنفسِهِ اسمًا حتىٰ خلقَ الخلقَ؛ فأعاروه هذه الأسماءَ مِن غيرِ أن يتكلَّمَ اللهُ منها بشيءٍ، فيقول: ﴿أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص]، و(أنا الله الرحمنُ الرحيمُ)، و﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة].

فنفوا كلَّ ذلك عن اللهِ عَزَّوَجَلَّ، مع نفي (الكلامِ) عنه، حتىٰ ادَّعىٰ جهمٌ أن رأسَ مِحنتِه: (نفيُ الكلامِ عن اللهِ تعالىٰ)، فقال: متىٰ نَفينا عنه (الكلامَ)، فقد نفينا عنه جميعَ الصفاتِ، مِن: (النفس)(١)، و(اليدين)، و(الوجه)، و(السمع)، و(البصرِ)؛ لأنَّ الكلامَ لا يثبتُ إلَّا لذي نفسٍ، ووجهٍ، ويدٍ، وسمعٍ، وبصرٍ، ولا يثبُتُ كلامٌ لمتكلِّمٍ إلَّا مَن اجتمعت فيه هذه الصفاتُ.

وكذبَ جهمٌ وأتباعُه، فيما نفوا عنه مِن (الكلامِ)، وصدقوا فيما ادَّعوا: أنه لا يَثبتُ (الكلامُ) إلَّا لِمَن [قد] اجتمعت فيه هذه الصفاتُ، وقد اجتمعت في اللهِ علىٰ رغمِ أعداءِ الله، وإن جَزِعُوا منه بلا تكييفٍ ولا تمثيلٍ، وهو الذي أخبرَ عن نفسِه بأسمائِه في مُحكمِ كتابه المُنزَّلِ علىٰ نبيِّهِ المُرسلِ، ووصفَ بها نفسَه.

وقولُه ووصفُه غيرُ مخلوقٍ، علىٰ رَغمِ الجهمية.

غيرَ أنَّ الوصفَ مِن الله علىٰ لونينِ:

- أمَّا ما وصفَ به نفسَه: فالوصفُ والواصفُ غيرُ مخلوقٍ.

---

(١) بيَّن المُصنِّف فيما سيأتي أن (نفْس الله) هو الله تعالىٰ، فقال: (فنفْسُ اللهِ، هو الله، والنفْسُ تجمع الصفات كلها، فإذا نفيتَ النفْسَ؛ نفيتَ الصفات، وإذا نفيتَ الصفاتِ؛ كان لا شيء). اهـ. وانظر التعليق عليه.

- وأمَّا ما وصفَ به خلقَه مِن السماواتِ والأرضِ والجبالِ والشجرِ والجنِّ والإنسِ والأنعامِ وسائرِ الخلائقِ: فالوصفُ منه غيرُ مخلوقٍ، والموصوفاتُ مخلوقاتٌ كلُّها.

٣٧٩- وادَّعىٰ المُعارِض أيضًا: (**أنَّ اللهَ لا يوصف بالضميرِ، والضمير مُنتفي عن اللهِ تعالى**).

وليس هذا مِن كلامِ المُعارض، وهي كلمة خبيثة قديمة مِن كلام جهمٍ؛ عارَض بها جهمٌ قول الله تعالىٰ: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة:١١٦]، يدفع بذلك أن يكون الله سبق له علمٌ في نفسه بشيءٍ مِن الخلقِ وأعمالهم [٦٤/أ] قبل أن يخلُقَهم، فـ[تـ]ـلطف بذكر (الضمير) ليكون أستر له عند الجُهَّال.

فردَّ علىٰ جهمٍ بعضُ العلماءِ قوله هذا، وقالوا له: كفرتَ بها يا عدوَّ اللهِ مِن ثلاثةِ أوجه:

وجهٌ: أنك نفيتَ عن اللهِ تعالىٰ العلمَ السابقَ في نفسه قبل حدوث الخلقِ وأعمالهم.

والوجه الثاني: أنَّك استجهلتَ المسيحَ أنه وصفَ ربَّه تعالىٰ بما لا يوصفُ بأن له خفايا علمٍ في نفسه؛ إذ يقول له: (أعلمُ[١]، ولا أعلمُ ما في نفسِكَ).

---

(١) كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: (تعلم).

والوجه الثالث: أنك طعنتَ به على محمدٍ ﷺ؛ إذ جاء به مُصدِّقًا لعيسى.

فأَفْحَمَ جهمًا.

وقول جهمٍ: **لا يوصف الله بالضمير، يقول: (لم يعلمِ الله في نفسِهِ شيئًا مِن الخلقِ قبل حُدوثهم وحدوث أعمالهم).**

وهذا أصلٌ كبيرٌ في تعطيلِ النفسِ والعلمِ السابق، والناقضُ عليه بذلك قول الله تعالى: ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾ [المائدة:١١٦]، فذكرَ المسيحُ أن للهِ عِلمًا سابقًا في نفسِه يعلمُه الله، ولا يعلمُه هو.

• وقال الله تعالى: ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾**﴾ [طه]، و﴿**كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ [الأنعام:١٢]، ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾ [آل عمران:٢٨].

• وقال رسول الله ﷺ: «**لمَّا خلقَ اللهُ الخَلقَ كَتَبَ بيدِهِ على نفسِهِ: إنَّ رَحمَتِي تغلِبُ غَضَبِي**».

٣٨٠- **حدثنا** أحمد بن يونس، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن ذكوان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ(١).

٣٨١- **وحدثنا** عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال اللهُ: أنا عند ظنِّ عبدي بي، إذا ذكرني في نفسِهِ؛ ذكرتُه في نفسِي، وإن ذكرني في مَلأٍ؛ ذكرتُه في ملأٍ**

(١) رواه البخاري (٧٤٠٤)، ومسلم (٢٧٥١).

خيرٍ منهم»(١).

فقد أخبرَ رسولُ اللهِ ﷺ أن اللهَ يُخفِي ذكرَ العبدِ في نفسِه إذا أخفىٰ ذِكرَه، ويُعلِنُ ذِكرَه إذا هو أعلنَ ذِكرَه، ففرَّقَ بين علمِ الظاهرِ والباطنِ، والجهرِ والخَفِيِّ، فإذا اجتمعَ قولُ اللهِ وقولُ الرسولين عيسىٰ ومحمد ﷺ فمن يَكترِثُ لقولِ جهمٍ والمريسيِّ وأصحابهما؟

فنفْسُ اللهِ، هو الله، والنفْسُ تجمع الصفات كلها، فإذا نفيتَ النفْسَ؛ نفيتَ الصفاتِ، وإذا نفيتَ الصفاتِ؛ كان لا شيء(٢).

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٤٢٧): النفس هو الذات، وهذا هو الصواب، فإن طائفة مِن مُتأخِّري أهل الإثبات جعلوا (النفس) في هذه النصوص صفة لله زائدة علىٰ ذاته، لما سمعوا إدخال المُتقدِّمين لها في ذكر الصفات، ولم يكن مقصود المُتقدِّمين ذلك، وإنما قصدهم الردّ علىٰ من يُنكر ذلك من الجهمية، وزعموا أن ذلك هو ظاهر النصوص، وليس الأمر كذلك، وقد صرَّحَ أئمَّة السنة بأن المرادَ بالنفس هو الذات، وكلامهم كلّه علىٰ ذلك كما في كلام الإمام أحمد فيما خرجه من الرد علىٰ الجهمية... ثم نقل كلامه.

ونقل كلام الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا، وقال: فهذا الكلام عن عثمان بن سعيد يُبيِّن أن مُسمَّىٰ النفس عند السلف وهو الذات كما قال: (فنفس الله هو الله..)، وكذلك قوله: (فأخبر أبو البَخْتَري أن رحمة الله في نفسه)؛ لأن الصفة قائمة بالموصوف، فهذا ونحوه يُبيّن مرادهم، وأنهم قصدوا ردَّ ما أنكرته الجهمية من ذكر إثبات مسمَّىٰ النفس لله، وقيام العلم بها.

وقال: فإدخاله النفس هنا في الصفات، وقوله: (إن الكلام لا يثبت إلَّا لذي نفس، ووجه، ويد، وسمع، وبصر)، قد يشعر ظاهره أن مُسمَّىٰ النفس صفة ⇐=

٣٨٢- **وحدثنا** محمد بن كثير، أبنا سفيان، عن زيد بن جُبير، قال: سمعتُ أبا البَخْتري قال: لا يقولنَّ أحدُكم: اللهم أدخلني مُستقرَّ رحمتِكَ، فإن مُستقرَّ رحمتِه نفسُه(١).

= لصاحبها؛ لأنه أضافها إليه، وقرنها بالوجه واليد، وليس كذلك؛ فإن إضافتها إليه كإضافتها في قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]، وفي قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، وقد قال بعد هذا: (فنفْس الله هي الله، والنفْس تجمع جميع الصفات كلها، فإذا نفيت النفْس نفيت الصفاتِ)، فهذا يُبيّن أنه أراد الذات التي تقوم بها الصفات كالعلم القديم كما ذكره.

ثم نقل قول ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كتابه «التوحيد»، وبيَّن مقصوده من إثبات هذا الباب على طريق من تقدمه من أن النفس هي الذات، وقال:

فلمّا كان اسم النفس مستلزمًا لإثبات ما تنكره الجهميّة من الصفات أنكروه، فردّ عليهم السلف والأئمة ذلك، ولم يقصدوا بالرد أنَّ نفس الله صفة ليست هي ذاته كما ذهب إليه طائفة مِن المُتأخِّرين، فهذا القول ضعيف، وإن كان قول الجهمية أضعف منه. اهـ.

(١) إسناده صحيح عنه.

- وروى البخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٦/ باب مَن كَرِهَ أن يُقالَ: اللهم اجعلني في مُستقرِّ رحمتك)، عن أبي الحارث الكرماني، قال: سمعت رجلًا قال لأبي رجاء [العطاردي]: أقرأ عليك السلام، وأسأل الله أن يجمع بيني وبينك في مُستقرِّ رحمته! قال: وهل يستطيع أحدٌ ذلك؟

قال: فما مستقرُّ رحمته؟ قال: الجنة. قال: لم تُصِب.

قال: فما مُستقرُّ رحمتِه؟ قال: قلتُ: ربُّ العالمين.

- وفي «الصَّمت» لابن أبي الدنيا (٣٤٧) عن ليث، عن مجاهد، أنه كان يكره أن =

فقد أخبر أبو البَخْتَري أن رحمة الله في نفسِهِ، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه:١٥].

٣٨٣- **فحدثنا** ابن نُمير، ثنا محمد بن عُبيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح الحنفي: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾، قال: مِن نفسِي(١).

فأيُّ مُسلمٍ سَمِعَ بما أخبرَ اللهُ عن نفسِه في كتابه، وما أخبرَ عنه الرسول ﷺ، ثم يلتفتُ إلىٰ أقاويلهم إلَّا كلّ شقيٍّ غويٍّ.

= يقول: اللهم أدخلني في مُستقرٍّ من رحمتك، فإن مُستقرَّ رحمتِه نفسُه.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بدائع الفوائد» (٢/ ١٨٣): واعلم: أن الرحمة المُضافة إلىٰ الله تعالىٰ نوعان. أحدهما: مضاف إليه إضافة مفعول إلىٰ فاعله.

والثاني: مضاف إليه إضافة صفة إلىٰ الموصوف بها، فمِن الأول قوله في الحديث الصحيح: «**احتجت الجنة والنار**»، فذكر الحديث، وفيه: «**فقال للجنة: إنما أنتِ رحمتي، أرحم بك من أشاء**»، رواه مسلم وأحمد، فهذه رحمة مخلوقة، مضافة إليه إضافة المخلوق بالرحمة إلىٰ الخالق تعالىٰ، وسمَّاها: رحمة؛ لأنها خلقت بالرحمة، وللرحمة، وخصّ بها أهل الرحمة، وإنما يدخلها الرحماء ... وعلىٰ هذا فلا يمتنع الدعاء المشهور بين الناس قديمًا وحديثًا، وهو قول الداعي: (اللهم اجمعنا في مستقرِّ رحمتك)، وذكره البخاري في كتاب «الأدب المُفرد» له عن بعض السلف. وحكىٰ فيه الكراهة قال: إن مُستقرّ رحمته ذاته. وهذا بناء علىٰ أن الرحمة صفة، وليس مراد الداعي ذلك، بل مراده: الرحمة المخلوقة التي هي الجنة..ثم أطال في بيان سبب كراهة من كراهه من السلف.

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٤٢٥٤).

وهو تفسير أكثر أهل العلم كما قال الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٤).

ولو قد أظهرَ المُعارِضُ هذا وما أشبهه ببلدٍ سِوىٰ بلدِهِ؛ لظنَّنا أنه كان يُنفىٰ عنها، وجانبه مِن أهلِها أهلُ الدينِ والورعِ(١).

٣٨٤- ويحكَ ! إن الناسَ لم يرضوا مِن أبي حنيفةَ إذ أفتىٰ بخلافِ رِواياتٍ رُويت عن النبيِّ ﷺ [٦٤/ ب] في البيعينِ بالخيارِ ما لم يَتفرَّقا(٢).

• وفي الوضوءِ مِن لحومِ الإبلِ(٣).

---

(١) إذا قوي أهل السنة واشتدت شوكتهم علىٰ أهل البدع، واهتم السلطان بأمر السُّنة ونصرتها، قمعوا أهل البدع، واشتدّ إنكارهم عليهم، وطردوهم من ديارهم حتىٰ لا يفسدوا علىٰ الناس عقائدهم وأديانهم.

(٢) رواه البخاري (٢١٠٩)، ومسلم (١٥٣١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

المراد بالتفرُّق في هذا الحديث عند عامّة أهل العلم: التفرُّق بالأبدان.

وهو المروي عن راوي هذا الحديث ابن عمر رضي الله عنهما، وهو أعلم بما روىٰ.

وخالف أهل الرأي فذهبوا إلىٰ أن التفرُّق بالكلام، ولو لم تفترق الأبدان.

- ففي «السُّنة» لعبد الله (٣٤٢) عن إبراهيم بن بشَّارٍ، قال: سمعت سُفيان بن عُيينة يقول: كان أبو حنيفة يضربُ بحديثِ رسول الله ﷺ الأمثال، فيرُدُّها؛ بلغه: أني أُحدّثُ بحديثٍ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**البيِّعانِ بالخِيارِ ما لم يَتفرَّقا**».

فقال أبو حنيفة: أرأيتم إن كانا في سفينةٍ؛ كيف يتفرَّقان؟!

فقال سُفيان: فهل سمعتم بأشرّ مِن هذا؟!

وزاد في «السُّنن الكبرىٰ» (٥/ ٣٧٣): قال ابن المديني: إنّ الله سَائله عمَّا قال.

- وفي «المجروحين» لابن حبان (٣/ ٧٠) عن أبي بكر بن الأسود، قال: سمعت بشر بن المُفضل يقول: حدثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن بن عمر رضي الله عنهما، قال: «**البيِّعانِ بالخِيارِ ما لم يَتفرَّقا**». وقال أبو حنيفة: هذا رَجَزٌ.

(٣) رواه مسلم (٣٦١) من حديث جابر بن سَمُرة رضي الله عنه.

⇦=

• وإشعارِ البُدْنِ(١).

• وفي إسهامِ الفارِسِ والرَّاجِلِ(٢).

• وفي لُبسِ المُحْرِمِ الخُفينِ إذا لم يجد نَعلينِ(٣).

=

وقد ذكر ابن أبي شيبة في «مُصنَّفه»: (٣٨- كتاب الرد علىٰ أبي حنيفة): (٢/ الصلاة في أعطان الإبل، والوضوء من لحومها)، أحاديث الأمر بالوضوء منها، والنهي عن الصلاة في أعطانها، وختم الباب بقولِ أبي حنيفة: لا بأس بذلك.

(١) رواه البخاري (١٦٩٦)، ومسلم (١٣٢١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

- وفي «النهاية» (٢/ ٤٧٩): «**إشعار البُدن**»: وهو أن يشقَّ أحد جنبي سنام البدنة حتىٰ يسيل دمها، ويجعل ذلك لها علامة تُعرف بها أنها هَديٌ. اهـ

وذكر ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مُصنَّفه» (٣٨/ كتاب الرد علىٰ أبي حنيفة): (٨/ باب إشعار الهدي)، عن عائشة رضي الله عنها: أن النبيَّ ﷺ أشعر.

وذكر عن أبي حنيفة أنه قال: (الإشعار مُثلَة)، فخالف بذلك فعل النبي ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٢٨٦٣)، ومسلم (١٧٦٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ جعل للفرسِ سَهمين، ولصاحبه سهمًا.

وذكر هذا الحديث ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (٣٨/ كتاب الرد علىٰ أبي حنيفة) من «مُصنفه»: (٣/ سهمُ الفارس والراجِلِ من الغنيمة)، ثم ذكر أن أبا حنيفة قال: (سهمٌ للفرس، وسهمٌ لصاحبه)، فخالف قول النبي ﷺ.

قال أبو حنيفة: أنا لا أجعل سهم بهيمة أكثر مِن سهم المؤمن.

(٣) رواه البخاري (١٨٤١)، ومسلم (١١٧٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

- وفي «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٢٨٣) عن حماد بن زيد، قال: جلستُ إلىٰ أبي حنيفة بمكةَ؛ فجاءَهُ رجلٌ فقال: لبستُ النَّعلينِ، أو قال: لَبِسْتُ السَّراويل وأنا مُحرمٌ، أو قال: لبستُ الخُفينِ وأنا مُحرمٌ، فقال أبو حنيفة: عليك دَمٌ.

=

وما أشبهها مِن الأحاديثِ حتىٰ نَسبوا أبا حنيفة فيها إلىٰ ردِّ حديث رسول الله ﷺ، وناقضوه فيها، ووضعوا عليه فيها الكُتُبَ(١).

= فقلتُ للرَّجلِ: وجدتَ نعلين، أو وجدت إزارًا؟ قال: لا.

فقلت: يا أبا حَنيفة، إنَّ هذا يَزعُم أنه لم يجد. قال: سواءٌ وجدَ، أو لم يجد.

قال حماد: فقلت: حدثنا عَمرو بن دِينار، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**السَّراويلُ لمن لم يجِدِ الإزارَ، والخُفَّينِ لمن لم يجدِ النَّعلينِ**».

* ومن هذا الباب:

- قال في حديثٍ في ردِّ السيفِ: (حديث خُرافة).

- وفي حديث: «**ذكاة الجنين ذكاة أُمِّه**»: (هذه خُرافات).

كما في مخطوط «نبذة في نقد أبي حنيفة» لابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال ابن منده: [١٤٠/ ب] (باب قوله: «**ذكاة الجنين ذكاة أُمِّه**»)، قال أبو حنيفة - وذُكِرَ له هذا الحديث - فقال: هذه خُرافات ... وفي هذا أخبارٌ صِحاح لا تُدفع، وهذا الذي قاله يدلُّ علىٰ عقد سُوءٍ، وإضمار رَديء، ولم يُطلق الأئمَّة فيه ما قالوا إلَّا عن بصيرةٍ.

حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد، ثنا رجاء بن صُهيب، سمعت موسىٰ بن المساور، عن جبر، عن سفيان الثوري قال: ماتَ أبو حنيفة ضالًّا مُضلًّا.

ثم ساق بأسانيده الأخبار في ذكاة الجنين.

وفي «المُصنَّف» قال ابن أبي شيبة: وذكر أن أبا حنيفة قال: لا تكون ذكاته ذكاة أُمِّه.

وقال في أحاديث القُرعة: (قمارٌ).

وعن يوسف بن أسباط أنه قال: ردَّ أبو حنيفة علىٰ رسول الله ﷺ أربعمائة حديث أو أكثر.

وعن وكيع أنه قال: وجدنا أبا حنيفة خالف مائتي حديث. اهـ

(١) صنَّف غير واحدٍ مِن أئمَّة السنة الكبار وغيرهم مُصنَّفات في الردِّ علىٰ إمام أهل =

=

الرأي فيما خالف فيه السُّنة والآثار، ومِن ذلك:

١ - الإمـام أبـو عمـرو الأوزاعـي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ففـي «السـنة» لعبـد الله بـن أحمـد (١/ ١٨٧): قال عيسىٰ بن يونس: خرج الأوزاعي عليَّ، وعلىٰ المُعافىٰ بن عمران، وموسىٰ بن أعين ونحن عنده ببيروت بكتاب «السير»، وما ردَّ علىٰ أبي حنيفة.

فقال: لو كان هذا الخطأ في أُمَّة محمد ﷺ لأوسعهم خطأ. اهـ

وفي كتاب «تسمية ما ورد به الخطيب دمشق من الكتب ومصنفاته» (ص١٣٤): «الرد علىٰ أبي حنيفة» للأوزاعي.

٢ - ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المُصنَّف» (٣٨/ كتاب الردِّ علىٰ أبي حنيفة).

٣- الحُميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ففي «المُجروحين» لابن حبان (٣/ ٧٠) قال محمد بن منصور الجوار: رأيت الحُميدي يقرأ كتاب «الرد علىٰ أبي حنيفة» في المسجد الحرام، فكان يقول: قال بعض الناس كذا، فقلت له: فكيف لا تُسميه.

قال: أكره أن أذكره في المسجد الحرام.

- وقال الحافظ أبو زرعة الرازي: كان أهلُ الريّ قد افتتنوا بأبي حنيفة، وكنَّا أحداثًا نجري معهم، ولقد سألت أبا نُعيم عن هذا، وأنا أرىٰ أني في عملٍ، ولقد كان الحُميدي يقرأ كتاب «الردِّ»، ويذكر أبا حنيفة، وأنا أهم بالوثوب عليه، حتىٰ مَنَّ الله علينا، وعرفنا ضلالة القوم. اهـ

«سؤالات البرذعي لأبي زرعة الرازي» (٢/ ٧٥٥).

٤ - عقد عبد الله بن الإمام أحمد رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ في «السنة» بابًا طويلًا في الرد عليه، قال: (ما حفظتُ عن أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من المشايخ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في أبي حنيفة).

٥ - محمد بن عبد الله الحضرمي المعروف بمُطيّن: له كتاب «الرد علىٰ أبي حنيفة» كما في «تسمية ما ورد به الخطيب دمشق من الكتب» (ص١٣٤)

٦ - القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر القاضي عياضٌ مِن جُملةِ مؤلفاته: (كتُبُه في الرد علىٰ أبي حنيفة). «ترتيب المدارك» (٤/ ٢٩١)

٧- نُعيم بن حماد المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وضع كتبًا في «الردِّ علىٰ أبي حنيفة».

=

فكيف بمَن ناصبَ اللهَ في صِفاتِه التي ينطقُ بنصِّها كتابه، فينقضها علىٰ اللهِ صِفةً بعد صِفةٍ، وشيئًا بعد شيءٍ بعمايات مِن الحُججِ، وخُرافاتٍ مِن الكلامِ خلافَ ما عنىٰ الله، ولم يأتِ بشيءٍ منها الرِّوايات، ولم يوجد شيءٌ منها عن العلماءِ الثقاتِ، بل كلها ضَحِكٌ وخُرافاتٌ؟

فإن كان أبو حنيفة استحقَّ بما أفتىٰ مِن خلافِ تلك الرِّوايات أن يُنسَبَ إلىٰ ردِّ حديثِ رسول الله ﷺ(١)؛ اسْتَحقَقْتُم أنتم أن تُنْسَبُوا إلىٰ ردِّ ما أنزلَ

=

انظر: «الكامل في ضعفاء الرجال» (٨/ ٢٥٢) و«السير» (١٠/ ٥٩٩).

٨- كتاب «الحيل» للإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو ضمن «جامعه الصحيح»، وهو ردٌّ علىٰ أهل الرأي، ونقدهم في قولهم بإجازة الحِيل.

٩- محمد بن إسحاق بن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب سمّاه: «نبذة في نقد أبي حنيفة»، منه ورقتان في الظاهرية مجموع رقم (٣٧٩٨/ عام).

١٠- ابن حبان البُستي، ذكر الخطيب مِن مُصنِّفاته: «كتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثالبه» عشرة أجزاء، كتاب «علل ما أسند أبو حنيفة» عشرة أجزاء.

يقول الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢/ ٣٠٣) قبل ذلك: ولم يقدر لي الوصول إلىٰ النظر فيها؛ لأنها غير موجودة بيننا، ولا معروفة عندنا. اهـ

فهذه بعض المُصنفات في الرد عليه، أمّا المُصنَّفات في الرد علىٰ أهل الرأي، وبيان عوارهم، ومخالفتهم للنصوص والآثار فلا يُمكن ذكرها هنا لكثرتها.

(١) كان أئمة السُّنة يَنقِمون علىٰ أبي حنيفة أخذه بالرأي، وتركه للسُّنن ونقضها.

- قال ابن هانئ في «مسائله» (١٩٠٩): سألت أبا عبد الله [أحمد بن حنبل] عن كتبِ مالكٍ، والشافعيِّ، أحبّ إليك؟ أو كُتُبُ أبي حنيفة، وأبي يوسف؟

فقال: الشافعيُّ أعجب إليَّ، هذا وإن كان وضع كتابًا، فهؤلاء يفتون بالحديثِ، وهذا يفتي بالرَّأي، فكم بين هذين؟!

=

الله، بل[١] أنتم أولىٰ بالردِّ مِن أبي حنيفة؛ لأن أبا حنيفة قد وافَقَه علىٰ بعضِ فُتياه بعض الفُقهاءِ، ولم يُتابعكم علىٰ مذاهبِكم إلَّا السُّفهاءُ وأهلُ البدعِ والأهواءِ، ومَن لا يَعرفُ له إلهًا في السماءِ، فشتَّان ما بينكم وبين أبي حنيفة فيما أفتىٰ؛ لأنه ليس مَن كفَرَ كمَن أخطأَ، ولا هما في الإثمِ والعارِ سَواء[٢].

=

– وفي «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٢٣٧) قال الأوزاعيُّ: إنّا لا ننقمُ علىٰ أبي حنيفةَ أنه كان يرىٰ، كلنا نرىٰ، ولكِنَّا نَنْقم عليه أنه يجيءُ الحديث عن النبي ﷺ فيخالفه إلىٰ غيره.

– وفيه (٣٢٢) قال حماد بن سلمة: إن أبا حنيفة استقبل الآثار والسُّنن فردّها برأيه.

– وفيه (٢٨١) قال مالك بن أنس: ينقض السُّنن بالرَّأي.

– وفي «تاريخ بغداد» (١٥/ ٥٣٢) قال أبو إسحاق: كان أبو حنيفة يجيئه الشيء عن النبي ﷺ فيُخالفه إلىٰ غيره.

– قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ السُّبكي في مسألة الطلاق» (٢/ ٨٣٧): وأكثر أهل الحديث طعنوا في أبي حنيفة وأصحابه طعنًا مشهورًا امتلأت به الكتب، وبلغ الأمر بهم إلىٰ أنهم لم يرووا عنهم في كتب الحديث شيئًا، فلا ذِكْرَ لهم في الصحيحين والسُّنن. اهـ

(١) في الأصل: (جل)، وما أثبته من (ب).

(٢) الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقارن بين الخطأ في أبوابِ الاعتقاد، وبين الخطأ في أبواب الفقه والرأي، فشتان ما بينهما، كما قال المُزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سَألتُ الشافعيَّ عن مسألةٍ في الكلام، فقال: سَلني عن شيءٍ إذا أخطأت فيه قُلتَ فيه: أخطأت، ولا تسألني عن شيءٍ إذا أخطأت فيه قُلتَ: كَفرت. [«ذم الكلام» (١١٣١)].

– وقال: والله لأن يُفتي العالم، فيقال: أخطأ العالم، خيرٌ له مِن أن يتكلَّمَ فيقال: زِنديق، ومَا شيء أبغض إليّ مِن الكلامِ وأهلِه. [«السير» (١٠/ ١٩)]

=

٣٨٥- ونحن قد عرفنا بحمدِ الله تعالىٰ مِن لغات العربِ هذه المجازات التي اتخذتموها دِلسةً وأغلوطةً علىٰ الجُهَّال، تنفون بها عن اللهِ حقائقَ الصفاتِ بعللِ المَجازاتِ.

غير أنا نقولُ: لا يحكمُ للأغربِ مِن كلامِ العربِ علىٰ الأغلبِ، ولكن نَصْرفُ معانيها إلىٰ الأغلبِ، حتىٰ تأتوا ببُرهان أنه عَنَىٰ بها الأغربَ، وهذا هو المذهبُ الذي إلىٰ العدلِ والإنصافِ أقربُ، لا أن تُعترضَ صِفات اللهِ المعروفة المقبولة عند أهلِ البصرِ فتُصرَف معانيها بعلَّةِ المجازاتِ إلىٰ ما هو أنكرُ، ونرُدُّ علىٰ اللهِ بداحضِ الحُجَجِ، وبالتي هي أعوج.

وكذلك ظاهرُ القرآنِ وجميعُ ألفاظِ الرِّواياتِ، تُصرفُ معانيها إلىٰ العمومِ، حتىٰ يأتي متأوِّلٌ ببُرهانٍ بَيِّنٍ أنه أُريدَ بها الخُصوصُ؛ لأن اللهَ تعالىٰ قال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء].

فأثبتُهُ عند العلماءِ: أعمُّهُ وأشدُّهُ استفاضةً عند العربِ، فمَن أدخلَ منها الخاصَّ علىٰ العامِّ؛ كان مِن الذين يَتَّبعون ما تشابَه منه ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ

=

وقد نقض المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول كتابه علىٰ الجهمي تلبيسه علىٰ الناسِ والجُهَّال في أن خطأ الجهمية في التوحيدِ كخطأ بعضِ الفرق في الإيمان أو التشيع أو القدر ونحوها، فقال: (وقد أخطأَ المُعارِضُ مَحجَّةَ السبيلِ، وغَلِطَ غلطًا كثيرًا في التأويلِ، لِمَا أنَّ هذه الفِرقَ لم يُكفِّرهم العلماءُ بشيءٍ مِن اختلافهم، والمريسيُّ وجهمٌ وأصحابُهما؛ لم يشُكَّ أحدٌ منهم في إكفارِهم).

والمقصود مِن هذا أن المُصنِّف أراد أن يُفرِّقَ بين ما وقع فيه النُّعمان، وما وقع فيه المريسي مِن الكفرِ والضَّلال.

تأويله، فهو يُريدُ أن يتَّبعَ فيها غيرَ سبيل المؤمنين(١).

---

(١) قال أبو القاسم خلف بن عبد الله المُقرئ الأندلسي المالكي (٤٥٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومِن حقِّ الكلام أن يُحمل علىٰ حقيقته حتىٰ تتّفق الأُمَّة أنه أُريد به المجاز، إذ لا سبيلَ إلىٰ اتِّباع ما أُنزل إلينا مِن ربنا سبحانه وتعالىٰ إلَّا علىٰ ذلك، وإنما يُوجَّه كلام الله تعالىٰ إلىٰ الأشهر والأظهر مِن وجوهه، ما لم يمنع ذلك ما يوجب له التسليم، ولو ساغَ ادِّعاء المجاز لكلِّ مدَّعٍ ما ثبت شيء من العبادات، وجلّ الله تعالىٰ أن يخاطب إلَّا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصحُّ معناه عند السامعين. [«اجتماع الجيوش» (ص ٢٢٩)]

- وقال السِّجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته إلىٰ أهل زبيد» (١٥٢): الواجب أن يُعلمَ أن اللهَ تعالىٰ إذا وصفَ نفسَه بصفةٍ معقولةٍ عند العربِ، والخطاب وردَ بها عليهم بما يتعارفون بينهم، ولم يُبيِّن سبحانه أنها بخلاف ما يعقِلونه، ولا فسَّرها النبيُّ ﷺ لمّا أدّاها بتفسير يُخالف الظاهر، فهي علىٰ ما يعقلونه ويتعارفونه. اهـ

- وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٨٣٧): فالقرآن مردود إلىٰ ما جعله الله عليه، فإنه قال: ﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [يوسف:٢]، وقال: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣﴾ [النحل].

فالجهميُّ الملعون إنما أُتي من جهله باللسان العربي، ومن تعاشيه عن الجادَّةِ الواضحة، وطلبه المُتشابه، وبُنيات الطُّرق ابتغاء الفتنة ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾ [النحل]. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (١/ ٢٣٣): وقد اتّفقت اللغة والشرع علىٰ أن اللفظَ المُجرَّدَ إنما يُراد به ما ظهر منه، وأن ما يُقدَّر مِن احتمال مجاز أو اشتراك أو حذف أو إضمار ونحوه إنما يقع مع القرينة، أمَّا مع عدمها فلا، والمراد معلوم علىٰ التقديرين. اهـ

فمُرادُ جهمٍ بقولِه: (**لا يوصفُ اللهُ بضميرٍ**) يقول: لا يوصفُ اللهُ بسابقِ علمٍ في نفسِه، واللهُ مُكذِّبُه بذلك ثم رسوله إذ يقول: «**سبَقَ عِلمُ اللهِ في خلقِه، فهم صائرونَ إلىٰ ذلك**».

٣٨٦- **حدثناه** نُعيم بن حمَّاد، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن العلاءِ ابن عبد الرحمن الحُرَقيِّ، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ(١).

٣٨٧- **وحدثنا** نُعيم بن حمَّاد، ثنا ابن المُبارك، ثنا الأوزاعي، عن ربيعة ابن يزيد، عن عبد الله بن الديلمي، عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**جفَّ القلمُ علىٰ عِلمِ اللهِ**»(٢).

٣٨٨- **وحدثنا** نعيم بن حماد، ثنا ابن المبارك، أبنا رباح بن زيد(٣)، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بَزَّة، عن سعيد بن جبير [٦٥/ أ] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يُحدِّث: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أولَ شيءٍ خلقَه اللهُ القلمُ، فأمرَه فكتبَ كلَّ شيءٍ يكونُ**»(٤).

فهل جرىٰ القلمُ إلَّا بسابقِ علمِ اللهِ في نفسِه قبل حدوث الخلقِ وأعمالهم؟ واللهِ ما جرىٰ(٥) القلمُ بما يجري حتىٰ أجراه اللهُ تعالىٰ بعلمِه،

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٥٥).
(٢) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٥٦)، والصحيح وقفه.
(٣) في الأصل: (يزيد)، والصواب ما أثبته كما في «الرد علىٰ الجهمية».
(٤) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٦٨)، وهو حديث صحيح.
(٥) في (ب): (درىٰ).

وعلَّمَه ما يَكتبُ ممَّا يكون قبل أن يكون.

• وقال رسول الله ﷺ: «**كتبَ اللهُ مقاديرَ أهلِ السماواتِ والأرضِ قبل أن يَخلُقَهم بخمسينَ ألفَ سَنةٍ**».

فهل كتبَ ذلك إلَّا بما عَلِمَ؟ فما موضعُ كتابِه هذا إن لم يَكُن عَلِمَه في دعواهم؟

٣٨٩- حدثناه عبد الله بن صالح المصري، حدثني الليث، عن أبي هانئ حميد بن هانئ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كتبَ اللهُ مقاديرَ كلِّ شيءٍ قبلَ أن يَخلُقَ السماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سَنةٍ**»(١).

والأحاديث عن رسولِ اللهِ ﷺ في الإيمانِ بسابقِ عِلمِ الله تعالىٰ كثير[ةٌ]، يَطولُ إن ذكرناها، وفيما ذكرنا مِن ذلك ما يُبطلُ دعوىٰ جهمٍ في أغلوطته التي توهَّمَ علىٰ الله في الضميرِ(٢).

٣٩٠- ثم عارضَ المُعارِضُ أيضًا أشياءَ مِن صِفاتِ الله تعالىٰ التي هي مذكورةٌ في كتابِ اللهِ، ونازعَ في الآياتِ التي ذُكِرت فيها ليُغالطَ الناسَ في تفسيرِها؛ فذكر منها: الحُبَّ والبُغضَ، والغضبَ، والرِّضا والفرحَ، والكُرهَ، والعَجبَ، والسَّخَطَ، والإرادةَ، والمشيئةَ، ليُدخل عليها مِن الأغلوطاتِ ما

(١) رواه المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (١٦٩)، والحديث رواه مسلم.

(٢) عقد المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية» بابًا في إثبات علم الله تعالىٰ، فقال: (١٠/ باب ذكر عِلمِ الله تعالىٰ)، وساق فيه ما أورده هاهنا من الأحاديث وغيرها.

أدخلَ علىٰ غيرها ممَّا حكيناه عنه، غير أنه قد أمسكَ عن الكلامِ فيها بعدما خلطها بتلك، فحينَ أمسكَ المُعارِضُ عن الكلامِ فيها؛ أمسكنا عن جوابِه، وروينا ما روي فيها عن رسولِ اللهِ ﷺ مما لا يَحتملُ أغلوطاته، فإلىٰ الله نشكو قومًا هذا رأيهم في خالقنا ومذهبهم في إلهنا.

مع أنه - عزَّ وجهُه، وجلَّ ذِكرُه - قد حقَّقها في مُحكمِ كتابِه قبل أن ينفيها عنه المُبطلون، وكذَّبَهم في دعواهم قبل أن يدعوه، وعابهم به قبل أن يحكوه، ثم رسولُه المُجتبىٰ، وصفيُّه المُصطفىٰ، فاستغنينا فيه بما ذكرَ اللهُ في كتابه منها، وسنَّ رسولُه المُصطفىٰ وأخبرَ، وردَّدَ من ذِكرِها وكرَّر، فمن يكترثُ لضلالتِهم بعد قولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف:٤]، أم قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، فجمعَ بين الحُبَّينِ: حُبِّ الخالق، وحُبِّ المخلوق متقارنين.

ثم فرَّق بينَ ما يُحِبُّ وبين ما لا يُحِبُّ، لِيُعلِمَ خلقَه أنهما متضادَّانِ غير مُتفقين، فقال: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء:١٤٨]، و﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالىٰ: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:٨٠]، ثم فرَّقَ بين سخطِهِ وإسخاطِ العباد إيَّاه، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمد:٢٨]، وقال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [الفتح:٦].

ثم ذكرَ إغضابَ الخلقِ إيَّاه، فقال تعالىٰ: [٦٥/ ب] ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف:٥٥]، يقول: أغضبونا، فذكر أنه يَغضَبُ ويُغضَبُ.

وقال تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦].

فهذا الناطقُ مِن كتابِ الله يُستغنىٰ فيه بظاهرِ التنزيلِ عن التفسيرِ، وتعرفُه العامَّةُ والخاصَّةُ، غيرَ هؤلاءِ المُلحدين في آياتِ الله الذين غالطوا فيها الضُّعفاء، فقالوا: نقرُّ بها كلها؛ لأنها مذكورةٌ في القرآنِ لا يمكنُ دفعُها، غيرَ أنا لا نقولُ: يُحِبُّ ويرضى، ويَغضبُ ويسخطُ، ويكرَه في نفسِه، ولا هذه الصِّفات مِن ذاتِه علىٰ اختلافِ معانيها؛ ولكن تَفسيرُ حُبِّه ورضاه - بزعمهم -: ما يُصيبُ الناسَ مِن العافيةِ والسلامةِ، والخصبِ والدَّعةِ.

وغضبُه وسَخَطُه - بزعمهم -: ما يقعون فيه مِن البلاءِ، والهلكةِ، والضيقِ والشدَّةِ.

فإنما آية غضبِه ورضاه وسخطِه - عندهم -: ما يتقلَّبُ فيه الناسُ مِن هذه الحالات وما أشبهها، لا أن اللهَ يُحِبُّ ويبغضُ، ويرضىٰ ويسخطُ حالًا بعد حالٍ في نفسه(١).

---

(١) تقدم كذلك قول المُصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٤٧): (وأمَّا قولُك: (إنَّ ضَحِكَه: رِضاه ورحمتُه)، فقد صدقتَ في بعضٍ؛ لأنه لا يَضحكُ إلىٰ أحدٍ إلَّا عن رِضًا، فيجتمعُ منه الضحِكُ والرِّضَا، ولا يصرِفُه إلَّا عن عدوٍّ).

⇦=

فيُقالُ لهؤلاءِ المُلحِدين في آياتِ اللهِ تعالىٰ، المُكذِّبينَ بصفاتِ اللهِ: ما رأينا دعوىٰ أبطلَ ولا أبعدَ مِن صحيحِ لغاتِ العربِ والعجمِ مِن دعواكم هذه، ففي دعواكم: إذا كان أولياءُ اللهِ المؤمنون[1] مِن رُسلِهِ وأنبيائِه وسائرِ أوليائِه في ضيقٍ وشِدَّةٍ وعَوَزٍ من المأكلِ والمشربِ، وفي خوفٍ وبلاءٍ كانوا - في دعواكم - في سخطٍ مِن اللهِ وغضبٍ وعقابٍ، وإذا كان الكافرُ في خَصبٍ ودَعَةٍ وأَمنٍ وعافيةٍ، واتَّسعت عليه دُنياه مِن مأكلِ الحرامِ وشربِ الخمورِ كانوا في رضًا مِن اللهِ وفي محبةٍ، ما رأينا تأويلًا أبعدَ مِن الحقِّ مِن تأويلكم هذا!

٣٩١- وبلغنا أن بعضَ أصحابِ المريسيِّ قال له: كيفَ تصنعُ بهذه الأسانيدِ الجيادِ التي يحتجُّون بها علينا في ردِّ مذاهبنا، مما لا يمكن التكذيبُ

=

وقد تقدم التعليق مع زيادة بيان أن المُعطلة يثبتون لازم الصفات دون ملزومها، فيثبتون من النصوص الدالة علىٰ صفة الغضب لله تعالىٰ وسخطه: العذاب والنِّقمة، ولا يثبتون صفة الغضب والسخط لله تعالىٰ، وكذا نصوص المحبة والرضا، يثبتون بها دخول الجنة والرحمة، دون صفة المحبة لله تعالىٰ.

وأما أهل السنة فيثبتون لازم هذه الصفات، ويثبتون ما دلَّت عليه من الصفات، ويمرُّونها علىٰ ظاهرها اللائق بالله تعالىٰ من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تفويض، فتنبَّه لهذا فإنه باب عظيم يلج منه المُعطلة لإنكار الصفات وتحريفها كما في كثيرٍ من كتب التفاسير وشروح الأحاديث التي تَسلَّطوا عليها.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (١٤/ ٣٥٣): وجهم لم يثبت شيئًا من الصفات - لا الإرادة ولا غيرها -، فهو إذا قال: إن الله يحبُّ الطاعات، ويبغض المعاصي، فمعنىٰ ذلك عنده: الثواب والعقاب. اهـ

(١) في الأصل: (المؤمنين)، وما أثبته من (ج).

بها، مثل: سفيان، عن منصورٍ، عن الزُّهري.

والزُّهري، عن سالم.

وأيوب وابن عون، عن ابن سيرين.

وعَمرو بن دينار، عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ، وما أشبهها؟

قال: فقال المريسيُّ: لا تَرُدُّوه فتفتضحوا؛ ولكن غالِطوهم بالتأويل، فتكونوا قد رَدَدتموها بلُطفٍ إذ لم يُمكِنْكم رَدُّها بعُنفٍ، كما فعل هذا المُعارِضُ سواء(١).

---

(١) روىٰ الخلال في «السنة» (١٧٢٣) أخبرنا محمد بن علي الورَّاق، قال: ثنا محمد بن إسماعيل الترمذي، قال: سمعتُ الحسن بن البزار، يقول: جاء رجلٌ إلىٰ المريسي، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أُذاكِر أصحاب الحديث، فكلما ذكروا الحديث عن النبي ﷺ رددته، قال: يقولون: أنت كافر.

قال: صدقوا، إذا ذكروا الحديث عن النبي ﷺ فرددته، يقولون: أنت كافر.

قال: فكيف أصنع؟!

قال: إذا ذكروا حديث النبي ﷺ قل: صدقت، ثم اضربه بعلَّة، فقل: له عِلَّة.

- وقد تقدم برقم (١٣٨) قول المريسي: ما شيءٌ أنقضَ لدعوانا مِن القرآنِ، غيرَ أنه لا سبيلَ إلىٰ دفعِهِ إلَّا مُكابرةً بالتأويل.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الدرء» (٥/ ٢١٧): وقيل عن بعض رُؤوس الجهمية إمَّا بشر المريسي أو غيره أنه قال: ليس شيء أنقض لقولنا مِن القرآن، فأقرُّوا به في الظاهر، ثم صرّفوه بالتأويل.

ويقال: إنه قال: إذا احتجّوا عليكم بالحديث؛ فغالطوهم بالتكذيب، وإذا احتجُّوا بالآيات فغالطوهم بالتأويل. اهـ

⇦=

وسنقصُّ عليه بعض ما رُوي في بعضِ هذه الأبواب مِن الحُبِّ والبُغضِ، والسخطِ والكراهيةِ وما أشبهه.

٣٩٢- حدثنا محمد بن كثير العبدي، أبنا همام، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**مَن أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَه، ومَن كرِهَ لقاءَ اللهِ كرِهَ اللهُ لقاءَه**»(١).

=

- وقال في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٣٠٢): وممَّا ينبغي أن يُعلمَ أن المُبطِلَ إذا أراد أن ينفي ما أثبته القرآن أو يُثبتَ ما نفاه لم يصادم لفظ القرآن إلَّا إذا أفرط في الجهلِ .. وإذا كان ألفاظ النصوص لها حُرمة لا يمكن المُظهر للإسلام أن يُعارضها، فهم يُعبِّرون عن المعاني التي تنافيها بعبارات أُخرىٰ ابتدعوها، ويكون فيها اشتباه وإجمال ... ومِن هذا الباب قول هذا المُؤسِّس [الرازي] ونحوه ممَّن فيه تجهُّم: (إقامة البراهين علىٰ أنه ليس بمختصٍّ بحيِّزٍ وجهة، بمعنىٰ أنه يصحّ أن يشار إليه بالحسّ أنه هاهنا وهناك)، فإن المقصود الذي يُورِدُه علىٰ منازعه بهذا الكلام: أنه ليس علىٰ العرشِ، ولا فوق العالم كما يذكره في سائر كلامه، ويُحرِّف النصوص الدالة علىٰ ذلك، ولكن لم يترجم للمسألة بنفي هذا المعنىٰ الخاصّ الذي أثبتته النصوص، بل عمد إلىٰ معنىٰ عام مُجمل يتضمّن نفي ذلك، وقد يتضمن أيضًا نفي معنىٰ باطل، فنفاهما جميعًا ... إلخ.

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (١/ ٢١٦): والجهمية فإنهم سلكوا في تحريف النصوص الواردة في الصِّفات مسالك إخوانهم مِن اليهود، ولما لم يتمكّنوا مِن تحريف نُصوص القرآن حرَّفوا معانيه، وسطوا عليها، وفتحوا باب التأويل لكلِّ مُلحدٍ يكيد الدِّين. اهـ

وانظر التعليق علىٰ «الرد علىٰ الجهمية» (فقرة/ ٧٠) ففيه زيادة بيان.

(١) رواه البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣).

فذكرَ رسولُ الله ﷺ الكراهتين معًا مِن الخالقِ والمخلوقِ.

٣٩٣- وحدثنا مُسدَّد، ثنا يحيىٰ - وهو القطان -، عن زكريا بن أبي زائدة، حدثني عامر الشعبي، حدثني شريح بن هانئ، قال: حدثتني عائشة رضي الله عنها: أن رسولَ الله ﷺ [٦٦/ أ] قال: «**مَن أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءه، ومَن كَرِهَ لقاءَ الله كرِهَ اللهُ لقاءه، والموتُ قبل لقاء الله**»(١).

٣٩٤- وحدثنا عَمرو بن عون الواسطي، أبنا خالد - وهو ابن عبد الله -، عن سُهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أحبَّ اللهُ عبدًا دعا جبريلَ، فقال: إني أُحِبُّ فلانًا فأحِبُّوه، فيُحبُه [جبريلُ، ثم ينادي في السماء إنَّ اللهَ يُحِبُّ فلانًا فأحِبُّوه، فيُحبُه] أهلُ السماءِ، قال: ثم يُوضعُ له القبولُ في الأرضِ، وإذا أبغضَ عبدًا دعا جبريلَ، فقال: إني أبغضُ فلانًا فأبغضوه، فيُبغضُه أهلُ السماءِ، ويوضعُ له البغضاءُ في الأرضِ**»(٢).

٣٩٥- وحدثنا محمد بن كثير، أبنا سفيان، قال: ما أحبَّ اللهُ عبدًا فأبغضَه، وما أبغضَ عبدًا فأحبَّه، وإن الرجلَ ليعبُدُ الأوثانَ وهو عبدُ اللهِ(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٨٤).

(٢) رواه مسلم (٢٦٣٧). وروىٰ البخاري (٧٤٨٥) شطره الأول فيمن أحبَّهم الله تعالىٰ، ولفظه: «**إذا أحب الله عبدًا نادىٰ جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبَّه...**».

(٣) روىٰ اللالكائي (١١٤٩) قال الثوري: إنَّ الرجلَ ليعبُدُ الأصنامَ وهو حبيبُ الله.

- وفي «الحلية» (٧/ ٢٩)، ولفظه: ما أحبَّ الله عبدًا فأبغضه، وما أبغضه فأحبَّه، وإن الرجل ليعبد الأوثان وهو عند الله سعيد.

⇦=

٣٩٦- حدثنا مسدد، ثنا يحيىٰ، عن ابن جريج، قال: سمعت ابن أبي مليكة يُحدِّث، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ أبغضَ الرجالِ إلىٰ اللهِ الألدُّ الخَصِمُ»**(١).

٣٩٧- حدثنا زكريا بن نافع الرملي، عن نافع بن عمر الجُمحي، عن بشر ابن عاصم الثقفي، عن أبيه، عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إنَّ اللهَ يُبغضُ البليغَ مِن الرِّجالِ الذي يتخلَّلُ بلسانِه تَخلَّلَ الباقِرِ بألسِنَتِها»**(٢).

٣٩٨- وحدثنا علي بن المديني، ثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن عبد الله بن بُريدة، عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقولوا للمُنافقِ: سَيِّدنا، فإنه إن يَكُ سَيِّدَكُم فقد أسخطتُم ربَّكم»**(٣).

= قلت: هذا لأنه في عِلمِ الله تعالىٰ أنه سيُسلم ويوحِّد الله تعالىٰ، فإن العِبرة بما يُختم له، ويموت عليه، أمَّا حال كونه يعبد الأصنام فهو مشركٌ، وهو مِن أعداء الله تعالىٰ الذين يجبُ مُعاداتهم وبغضهم في الله تعالىٰ.

(١) رواه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).

و(الألد): شديد الخصومة، و(الخَصِم): هو المجادل، والمراد بالحديث: (هو الشحيح الذي لا يزيغ إلىٰ الحق). «تاج العروس» (٩/ ١٣٨).

(٢) رواه أحمد (٦٥٤٣)، وأبو داود (٥٠٠٥)، والترمذي (٢٨٥٣)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن سعد رضي الله عنه. اهـ

(٣) رواه أحمد (٢٢٩٣٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٠٠٢)، وأبو داود (٤٩٧٧). =

٣٩٩- **حدثنا** محمد بن كثير، أبنا شعبة، عن عمرو بن مرة قال: سمعت عبد الله بن الحارث، عن أبي كثير، عن عبد الله بن عمرو ﭬ، عن النبي ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول الله ! أيُّ الهجرةِ أفضل؟

قال: «**أن تَهجُرَ ما كَرِهَ ربُّك**»(١).

٤٠٠- **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد - وهو ابن سلمة -، أبنا عطاء ابن السائب، عن مُرَّة الهمداني، عن عبد الله بن مسعود ﭬ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَجِبَ ربُّنا مِن رَجُلينِ: رَجُلٍ قامَ عن وطائِه ولحافِه مِن بين حِبِّه وأهله إلىٰ صلاتِه، ورجلٍ غزَا في سبيلِ اللهِ فانهزمَ، فعلِمَ ما عليه في الفِرارِ وما له في الرُّجوعِ فرجعَ حتىٰ أُهريقَ دَمُه**»(٢).

٤٠١- حدثنا سلام بن سليمان المدائني، ثنا شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة ﭬ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**عَجِبَ رَبُّنا مِن قومٍ جيء بهم في السَّلاسلِ حتىٰ يُدخلَهم الجنَّةَ**»(٣).

=

- قال البخاري في «التاريخ» (٤/ ١٢): ولا يُعرف سماع قتادة من ابن بُريدة.
- وقال الدارقطني في «أطراف الغرائب والأفراد» (١٥٢١): تفرَّد به هشام الدستوائي، عن قتادة، عن ابن بُريدة. اهـ

(١) رواه أحمد (٦٤٨٧ و٦٨١٣)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٤٠)، وهو حديث صحيح.

(٢) رواه أحمد (٣٩٤٩)، وأبو داود (٢٥٣٦).

ورجَّح الدارقطني في «العلل» (٨٦٩) وقفه علىٰ ابن مسعود ﭬ.

(٣) رواه أحمد (٨٠١٣)، والبخاري (٣٠١٠).

٤٠٢- **حدثنا** مُسدَّد، ثنا يحيىٰ، عن سفيان، حدثني أبو إسحاق، عن علي ابن ربيعة أنه كان رِدْفَ عليٍّ، فقال عليٌّ رضي الله عنه: كنت رِدْفَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: «**يَعَجبُ الربُّ - أو ربُّنا - إذا قال العبدُ: سبحانَكَ لا إله إلَّا أنتَ، إني قد ظلمتُ نفسي، فاغفر لي إنه لا يَغفرُ الذنوبَ إلَّا أنت**»(١).

٤٠٣- **وحدثنا** الطيالسي أبو الوليد، ثنا عبيد الله بن [٦٦/ ب] إياد بن لَقِيط، حدثني إياد، عن البراء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كيف تقولون بفرحِ رجلٍ انفلتت منه راحلتُه، تجُرُّ زِمامَها بأرضٍ قَفرٍ ليس بها طعامٌ ولا شرابٌ، وعليها طعامُه وشرابُه، فطلبَها حتىٰ شقَّ عليه، فمرَّت بجذلِ شجرةٍ فتعلَّقَ زِمامُها به، فوجدَها مُتعلِّقَةً به؟**».

قال: قلنا: شديدٌ [الفرح] يا رسول الله.

قال: «**واللهِ للهُ أشَدُّ فرحًا بتوبةِ عبدِه مِن [الرَّجُلِ براحلتِه**»(٢).

٤٠٤- **وحدثنا** هُدبة بن خالد، حدثنا همام بن يحيىٰ، حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لله أشدُّ فرحًا بتوبةِ عبدِهِ مِن]**

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، وقال: وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما. هذا حديث حسن صحيح. اهـ

(٢) رواه أحمد (١٨٤٩٢)، ومسلم (٢٧٤٦).

- قال ابن القيم رحمه الله كما في «مُختصر الصواعق» (٤/ ١٤٢٨) بعد ذكره لهذا الحديث: فهذا الكشف والبيان والإيضاح الذي لا مزيد عليه تقرير لثبوت هذه الصفة، ونفي الإجمال والاحتمال عنها. اهـ

أحدِكم يَسقطُ علىٰ بعيرِه قد أضلَّه(١) **بأرضِ فَلاةٍ**»(٢).

٤٠٥- **وحدثني** يحيىٰ الحِماني، ثنا شريك، عن سماك، عن النعمان بن بَشيرٍ ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**للربُّ تبارك وتعالىٰ أفرحُ بتوبةِ أحدكم مِن رجلٍ كان في فلاةٍ مِن الأرضِ، ومعه راحلتُه عليها زادُه ومالُه، فتوسَّدَ راحلتَه، فغلبتهُ عينُه فنامَ، ثم قامَ والراحلةُ قد ذهبت، فصَعدَ شَرَفًا فنظرَ فلم يرَ شيئًا، ثم هَبَطَ فنظرَ فلم يرَ شَيئًا، ثم قال: لأعودنَّ إلىٰ المكانِ الذي نِمتُ فيه حتىٰ أموتَ**»، قال: «**فعادَ فغلبتهُ عينُه فنامَ، فاستيقظَ والراحلةُ قائمةٌ علىٰ رأسِه**»، فقال النبي ﷺ: «**للهُ أفرحُ بتوبةِ أحدِكم مِن صاحبِ الراحلةِ بها حين وجَدَها**»(٣).

٤٠٦- **وحدثنا** عبد الله بن صالح، حدثني الليث بن سعد، حدثني سعيد ابن أبي سعيد المقبري، عن أبي عبيدة، عن سعيد بن يسار: أنه سمع أبا هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتوضأ أحدٌ فيُحسِنُ وُضوءَه ويُسبِغُه، ثم يأتي المسجدَ لا يُريدُ إلَّا الصلاةَ فيه إلَّا تَبشبَشَ اللهُ[به] كما يَتبشبشُ أهلُ الغائبِ بطلعتِه**»(٤).

---

(١) في الأصل: (أطله)، والمثبت من (ب).

(٢) رواه أحمد (١٣٢٢٧)، والبخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٥).

(٣) رواه أحمد (١٨٤٢٣)، ومسلم (٢٧٤٥) موقوفًا، وزاد: قال سماك: فزعم الشعبي أن النعمان ﵁ رفع هذا الحديث إلىٰ النبي ﷺ، وأما أنا فلم أسمعه. اهـ

(٤) رواه أحمد (٨٠٦٥ و ٨٣٥٠ و٩٨٤١)، وابن ماجه (٨٠٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٩١). وقد بيَّنَ الدارقطني في «العلل» (٢٠٨٦) الخلاف الواقع في إسناده.

٤٠٧- وحدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث قال: حدثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن نوحًا النبيَّ - عليه الصلاة والسلام - قال لابنه: اثنتان أُوصيك بهما؛ فإني رأيتُ اللهَ يَستبشرُ بهما، وصالحَ خلقِه، ورأيتهما يُكثرَانِ الولوجَ علىٰ اللهِ: سبحانَ الله وبحمدِه، وقول: لا إله إلَّا الله.**

وأمَّا اللتان أنهاك عنهما؛ فإني رأيتُ اللهَ يكرههما، وصالحَ خلقِه: الكِبرُ، والشِّركُ».

فقلت: يا رسول الله: أمِن الكبرِ أن ألبسَ الحُلَّة الحسنةَ؟

قال: «**لا، إنَّ اللهَ جميلٌ يُحبُّ الجمالَ**»(١).

وفي هذه الأبوابِ رِواياتٌ كثيرةٌ أكثر ممَّا ذكرنا، لم نأتِ بها مخافةَ التطويل، وفيما ذكرنا منها دلالة ظاهرة علىٰ ما دَلَّسَ هذا المُعارِض عن

---

(١) رواه الطبراني في «الدعاء» (١٧١٤) من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم به.

ورواه أحمد (٦٥٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨) من طريق سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد، عن الصقعب بن زهير، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بنحوه.

ورواه أحمد في «الزهد» (٢٨٢)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٥٦٤) عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن النبيِّ ﷺ بنحوه مرسلًا.

ورواه النسائي في «الكبرىٰ» (١٠٦٠٠)، عن سُليمان بن يسار، عن رجلٍ من الأنصار، عن النبي ﷺ.

وشطره الأخير: رواه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله جميلٌ يُحبُّ الجمالَ، الكِبرُ: بَطرُ الحقِّ، وغمطُ الناس**».

زُعمائه الذين كنَّىٰ عنهم مِن الكلامِ المُموّه المُغطَّىٰ، وهو يرىٰ أنه يستخفي علىٰ مَن لا يفطنُ لمعناه ولا يدري، ونحن نكتفي منه باليسيرِ الأدنىٰ؛ حتىٰ تقع علىٰ الفرحةِ الكُبرىٰ.

٤٠٨- فلم يزل هذا المُعارِضُ يُلجلجُ بأمرِ القرآنِ في صدرِهِ حتىٰ كشفَ عن رأسِهِ الغِطاءَ، وطرَحَ جِلبابَ الحياءِ، فصرَّحَ وأفصحَ بأنه [٦٧/ أ] مخلوقٌ، وأن مَن قال: (غيرُ مخلوقٍ) كافرٌ - في دعواه -، فلم يترك لمُتأوِّلٍ عليه موضعَ تأويلٍ، ولا لمُستنبطٍ عليه موضعَ استنباطٍ؛ لأنه إن كان الذي يزعمُ أنه (غيرُ مخلوقٍ) كافرًا عنده؛ فالذي يَزعمُ أنه (مخلوقٌ) مؤمنٌ موفَّقٌ رَاشدٌ، تابعٌ للحقِّ.

فحين تَكَشَّفَ عنه للناسِ إرادتُه، وشهِدَ عليه بها عبارتُه، سُقِطَ في يده، وكُسِرَ في دِرعِه، فادَّعىٰ: (**أنه قصدَ بالإكفار إلى مَن يتوهَّمُ أنَّ كلامَ الله ذلك بفمٍ ولِسانٍ دون مَن سِواهم.**

يُسألون عن الكلامِ، فإن ادَّعوا فَمًا ولِسانًا؛ فهو كفرٌ لا شكَّ فيه، وإن أمسكوا عن الجوابِ فيه؛ كانوا بإمساكهم أن يَدَّعوا فَمًا ولسانًا؛ جَهلٌ(١) **لا يُعذرون به**).

فيُقال لهذا المُعارضِ المُحتجِّ بالمُحالِ مِن الضلال: قد تفلَّتتْ منك الكلمةُ بلا تفسيرٍ، ولا بحضرةِ مَن تَدَّعي عليه فَمًا ولِسانًا، أو تقدِرُ أن تُشيرَ إلىٰ أحدٍ مِن خلقِ اللهِ أنه يَتوهَّمُ ذلك؟

(١) كذا في الأصل. ولعل الصواب: (جُهَّالًا).

فتَعلُّقُك بهذا التفسيرِ اليومَ منك مُواربةٌ(١)واعتذارٌ(٢) منك إلىٰ الجُهَّالِ كيلا يَفطنوا لمُرادكَ منها.

ولئن كان أهلُ الجهلِ في غلطٍ مِن مُرادِكَ؛ إنَّا منه لعلىٰ يَقينٍ.

ولئن جازَ لك هذا التأويلُ؛ إذًا يَجوزُ لكلِّ زِنديقٍ وجهميٍّ أن يقولَ: مَن زعمَ أن القرآنَ كلامُ الله؛ فهو كافِرٌ.

فإذا وُبِّخَ وَوقِّفَ علىٰ دعواه، قال: إنما قصدتُ بالكُفرِ قصدَ من يدَّعي به فمًا ولسانًا.

وهو لا يَقدرُ أن يُشيرَ إلىٰ أحدٍ مِن ولدِ آدمَ أنه قالَه.

فلم يَنَلِ المُعارِضُ عند الناسِ باعتِذارِه عُذرًا، بل حقَّقَ بما فسَّرَ، وأكَّدَ مِن ذلك: أنه كلامُ المخلوق [دون الخالق] ؛ لأ[نه] قال: يُسألُ مَن قال: (كلامُ الله غير مخلوق): فإن ادَّعوا فَمًا ولِسَانًا؛ لقد كفروا.

وإن أمسكوا عن الجوابِ؛ فقد جَهِلوا ولم يُعذروا.

لِمَا أنَّ الكلامَ كلَّه - في دعواه - لا يَحتملُ معنًىٰ إلَّا بفمٍ ولِسانٍ، وخُرُوجٍ مِن جوفٍ، مَن لم يفقه ذلك فهو عند المُعارِضِ جَاهلٌ.

فإن كان كما ادَّعىٰ فقد حقَّقَ أنه كلامُ البشرِ، لم يخرُج - بزعمه - إلَّا مِن الأجوافِ والألسُنِ والأفواه المخلوقةِ - تعالى الله عن هذا الوصف وتكبَّرَ -؛

(١) أي: مُداهنة.

(٢) في الأصل: (واعتذارًا).

لأنه كلامُ الملِكِ الأكبرِ، نزلَ به الروحُ الأمينُ علىٰ خيرِ البشرِ صلوات الله عليهما عددَ مَن مضىٰ وغبَرَ، وعددَ التُّرابِ والرَّملِ وأوراقِ الشجرِ(١).

(١) قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٥٣٩) بعد ذكره لنصوص إثبات كلام الله تعالىٰ: فأنكر الجهمي الخبيث الملعون هذا كله، وردَّه وجحد به، وقال: إن الله ما تكلَّم قطُّ، ولا يتكلَّم، وزعم أن ربَّه كالحجارةِ الصُّم البكم الجماد الخُرس التي كانت تعبدها الجاهلية، لا تسمع، ولا تُبصر، ولا تنطقُ، ولا تنفع، ولا تضرُّ، وهو مع هذا يزعم أنه يريد أن يُنزِّه الله ويرفعه عن التشبيه ببني آدم الذين يتكلمون، ويسمعون، ويُبصرون، ويقول: إن الكلام لا يجوز أن يكون إلَّا من جوف بلسان، وشفتين، وحلق، ولهوات، فينفون عن الله القدرة، ويزعمون أنه لا يقدر أن يتكلَّم إلَّا بآلات الكلام.

وقالوا: إن الله كوَّن شيئًا فعبَّر عنه، وخلق صوتًا، فأسمع موسىٰ ذلك الكلام.

قلنا: هل شاهدتموه وعاينتموه حتىٰ علمتم أن هذا هكذا كان؟ قالوا: لا.

قلنا: فهل بلغكم أن رسول الله ﷺ قال ذلك؟ قالوا: لا.

قلنا: فهل أنزل الله عَزَّوَجَلَّ ذلك في كتبه السالفة، أو قاله نبيٌّ من الأنبياء المُتقدّمين؟ قالوا: لا؛ ولكن المعقول يدلُّ علىٰ ما قلناه...

وقال: فأمَّا قولهم: (إن الكلام لا يكون إلَّا من جوفٍ وفمٍ ولسانٍ وشفتين).

أفترىٰ الجوارح التي تشهد علىٰ أهلها يوم القيامة بما كانوا يعملون، حتىٰ تنطق بكلام مفهوم، وأمر معلوم، فهل كان لها جوف وألسنة وشفاه ولهوات؟

.. فالذي أنطق كل شيءٍ من غير الحيوان الناطِق من غير جوفٍ ولا لسانٍ ولا شفتين قادرٌ أن يتكلم هو بما شاء، كيف شاءَ، لمن شاءَ، ولا نقول بلسانٍ ولا بجوفٍ ولا شفتين.

قد أخبرنا أن الملائِكة صُمُدٌ روحانيون، لا أجواف لهم ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء].

⇦=

٤٠٩- ثم قفَّىٰ المُعارِضُ بكتابٍ آخرَ كالمعتذرِ لما سَلفَ منه، مُصدِّقًا لبعض ما سبَقَ مِن ضلالاته، مُكذِّبًا لبعضٍ، يُريدُ أن ينال عند الرَّعاعِ لنفسِه في زلَّاتِه وسَقطاتِه عُذرًا، فلم ينل به عُذرا؛ بل أقامَ علىٰ نفسِه حُجَّةً بعد حُجَّةٍ، وكانت حُجَّتُه التي احتجَّ بها في كتابه أعظمَ مِن جُرمه.

وهكذا الباطلُ ما ازدادَ المَرءُ له احتجاجًا؛ إلَّا ازدادَ اعوِجاجًا، ولِما خَفِيَ مِن ضمائرِه إخراجًا.

فادَّعىٰ: **(أن مَن قال: (القرآنُ مخلوقٌ)؛ فهو مُبتدعٌ.**

ومَن قال: (غيرُ مخلوقٍ)، وهو يعني: أنه الله؛ فهو كافرٌ.

ومَن قال: (هو غيرُ اللهِ)؛ فهو مُصيبٌ.

ثم إن قال بعد إصابته: (إنه غيرُ مخلوقٍ)؛ فهو جاهلٌ في قوله: إنه غيرُ مخلوقٍ.

وإن قال: (إنه خرجَ مِن جسمٍ)؛ فهو كافرٌ.

وإن قال: (إنه جُزءٌ منه)؛ فهو كافرٌ.

قال: والكلامُ غيرُ المُتكلِّمِ، والقولُ غيرُ [٦٧/ب] القائلِ، والقرآنُ والمقروءُ والقارئ كلٌّ واحدٍ منهما له معنًى).

فيُقالُ لهذا المُعارِض: ما أثبتَّ بكلامِك هذا الأخيرِ عُذرًا، ولا أحدثتَ مِن ضلالتك به توبةً، بل حقَّقتَ وأكَّدت أنه مخلوقٌ بتمويهٍ وتدليسٍ،

=
وقد أخبرنا عن الجبال أنها تُسبِّح .. وقد أخبرنا عن السماء والأرض كذلك .. ومثل هذا في كتاب الله كثير؛ ولكن الجهمية المُلحدة تجحده كله وتنكره، فتجحد القرآن، وتردُّ الآثار. اهـ

وتخليطٍ منك وتلبيسٍ، وإن كنت قد موَّهت علىٰ مَن لا يعقِلُ بعضَ التمويه، فسنرُدُّه مَن ذلك إن شاء الله إلىٰ تنبيهٍ.

وأمَّا قولُكَ: (**الكلامُ غيرُ المُتكلِّمِ، والقولُ غيرُ القائلِ**).

فإنه لا يشُكُّ عربيٌّ ولا عجميٌّ: أن القولَ والكلامَ مِن المُتكلِّمِ والقائلِ يخرُجُ مِن ذواتِهم سواء.

وأمَّا قولُك: (**مَن زعمَ أن (القرآنَ غيرُ اللهِ) فقد أصابَ**).

فهذا منك تأكيدٌ وتحقيقٌ بأنه مخلوقٌ؛ لأن كلَّ شيءٍ غيرَ اللهِ في دعواكَ ودعوانا مخلوقٌ.

ثُم أكَّدتَ أيضًا فقلت: (**مَن قال: (غيرُ مخلوقٍ) فقد جَهِلَ**)، وقلتَ مرَّةً: (فقد كفرَ)، فأيُّ توكيدٍ أوكَدُ في المخلوق مِن هذا؟

ثُم راوغتَ فقلت في بعضِ كلامك: (**مَن قال: (إنه مخلوقٌ) فهو مبتدعٌ**)؛ تمويهًا منك وتدليسًا علىٰ الجُهَّالِ الذين لا يعلمون؛ لأنه إن كان مَن قال: (غير مخلوقٍ) عندك جاهِلًا كافِرًا؛ كان مَن قال: (مخلوقٌ) عندك عالِمًا مؤمنًا.

فقولُك: (**مُبتدعُ**)، لا ينقاسُ لك في مذهبِكَ، غيرَ أنك تُريدُ أن تُرضي به مَن حولَكَ مِن الأغمارِ.

وأمَّا قولك: (**مَن زعمَ أنه (خرجَ مِن جِسمٍ) فهو كافرٌ**).

فليس يُقال كذلك، ولا أراكَ سمعتَ أحدًا يتفوَّه به كما ادَّعيت، غير أنا لا نشُكُّ أنه خرجَ مِن اللهِ تبارك وتعالىٰ دون مَن سِواه، وذِكرُ الجسمِ والفمِ

واللسانِ؛ خُرافاتٌ وفضولٌ مرفوعةٌ عنَّا، لم نُكلَّفه في ديننا، ولا يشُكُّ أحدٌ أن الكلامَ يخرجُ مِن المُتكلِّمِ.

وأمَّا قولك: (**إنه جُزءٌ منه**)، فهذا أيضًا مِن تلك الفضولِ، وما رأينا أحدًا يصفُه (بالأجزاءِ والأعضاءِ) جلَّ عن هذا الوصفِ وتعالىٰ.

والكلامُ صفةُ المِتكلِّمِ لا يُشبِه الصفاتِ مِن الوجهِ، واليدِ، والسمعِ، والبصرِ، ولا يُشبِه الكلامُ مِن الخالقِ والمخلوقِ سائِرَ الصفات.

وقد فسَّرنا لك في صدرِ هذا الكتاب تفسيرًا فيه شفاءٌ إن شاء الله(١).

وأمَّا قولُك: (**إن قالوا: (القرآن هو الله)، فهو كفر**).

فإنَّا لا نقول: (هو الله) كما ادَّعيتَ فيَستحيلُ.

ولا نقولُ: (هو غيرُ اللهِ)، فيلزمُنا أن نقولَ: (كلُّ شيءٍ غير الله مخلوقٌ)، كما لزِمَك؛ ولكنه كلامُ اللهِ، وصفةٌ مِن صفاته، خرجَ منه كما شاءَ أن يخرُجَ، والله بكلامِه وعلمِه وقدرتِه وسلطانِه وجميعِ صفاته غيرُ مخلوقٍ، وهو بكماله علىٰ عرشِه.

وأمَّا قولُك في القِراءةِ والقارئِ والمقروءِ: (**إن لكلِّ شيءٍ منه معنًى على حِدةٍ**)؛ فهذا أمرُ مذاهِبِ اللفظيّة، لا ندري مِن أين وقعت عليه؟ وكيف تَقلَّدتَه؟ فمرَّةً أنت جَهميٌّ، ومرَّةً واقفيٌّ، ومرَّةً لفظيٌّ(٢).

---

(١) انظر فقرة: (١٨٨).

(٢) (الواقفة): هم الذي وقفوا في القرآن لا يقولون: مخلوق ولا غير مخلوق، وهي ⇐

=

الفرقة الثانية من فرق الجهمية.

وعقد المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهم بابًا في كتابه «الرد علىٰ الجهمية» باب رقم (١٣).

وأمَّا (اللفظية): فهم الذين يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة. وهم يريدون القرآن، ولكن استتروا باللفظ، وهم الفرقة الثالثة من فرق الجهمية.

- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٢٢٨): اعلموا أن صِنفًا من الجهمية اعتقدوا بمكر قلوبهم .. أن القرآن مخلوق، فكنَوا عن ذلك ببدعةٍ اخترعوها، تمويها وبهرجةً علىٰ العامةِ، ليخفىٰ كفرهم .. فقالوا: (إن القرآن الذي تكلم الله به وقاله فهو كلام الله غير مخلوق، وهذا الذي نتلوه ونقرؤه بألسنتنا، ونكتبه في مصاحفنا ليس هو القرآن الذي هو كلام الله، هذا حكايةٌ لذلك، فما نقرؤُه نحن حكايةٌ لذلك القرآن بألفاظنا نحن، وألفاظنا به مخلوقةٌ)، فدقَّقوا في كفرهم، واحتالوا لإدخال الكفر علىٰ العامَّة بأغمضِ مسلك .. فلم يخف ذلك .. علىٰ جهابذةِ العلماءِ .. فظهر للخاصَّةِ والعامَّةِ كفرهم وإلحادهم. اهـ

- وفي «الإبانة» (٢٢٣٩) قال أبو جعفر محمد بن الحسن بن بُدينا: سألت أحمد بن حنبل، فقلت: يا أبا عبد الله، أنا رجل من أهل المَوصل، الغالب علىٰ أهل بلدنا الجهمية، وفيهم أهل سُنَّةٍ نفرٌ يسير مُحبُّوك، وقد وقعت مسألة الكرابيسي فَأَفْتَنَتْهُمْ، قول الكرابيسي: لفظي بالقرآن مخلوق.

فقال لي أبو عبد الله: إيَّاك، إيَّاك، إيَّاك، إيَّاك وهذا الكرابيسي، لا تُكلِّمه، ولا تُكلِّم من يُكلِّمه. أربع مرار أو خمس.

قلت: يا أبا عبد الله، فهذا القول عندك ما يتشعَّب منه يرجع إلىٰ قول جهم؟

قال: هذا كلُّه قول جهم. اهـ

قلت: ومذهب اللفظية هو مذهب الكُلَّابية والأشاعرة اليوم كما بيَّنتُ ذلك في التعليق علىٰ «الإبانة الكُبرىٰ».

وقد عقد غير واحد ممَّن صنَّف في السنة أبوابًا خاصَّة في بيان هذه الفرقة.

ومن ذلك: الخلال في «السُّنة» (٨٠/ الرد علىٰ من قال: لفظي بالقرآن مخلوق)،

=

ولولا أن يطولَ الكتابُ لبيَّنَّا لك وجوه القارئِ، والقراءةِ، والمَقروءِ، غيرَ أني قد طوَّلتُ وأكثرتُ، ومع ذلك اختصرتُ وتخطَّيتُ خُرافات لم يستقِم لكثيرٍ منها جوابٌ، غير أنا ما فسَّرنا منه يدلُّ علىٰ ما لم نُفسِّر، والله الموفق لصواب ما نأتي وما نذر. [٦٨/ أ]

واعلموا أني لم أرَ كتابًا قطُّ أجمعَ لحُجَجِ الجهميةِ مِن هذا الكتاب الذي نُسِبَ إلىٰ هذا المُعارضِ، ولا أنقضَ لعُرىٰ الإسلامِ منه(١).

ولو وسعني لافتديتُ مِن الجوابِ فيه بمُحالٍ، ولكن خِفتُ أنه لا يسعُ أحدًا عنده شيءٌ مِن البيانِ يكون ببلدٍ يُنشرُ فيه هذا الكلامُ، ثم لا ينقُضُه علىٰ ناشرِه ذبًّا عن اللهِ تعالىٰ، ومُحاماةً عن أهلِ الغفلةِ من ضُعفاءِ الرجالِ والنساءِ والصبيانِ أن يضلوا به، ويَفتتنوا أو يشُكُّوا في الله وفي صفاتِه.

ولم نألكم فيه والإسلامَ نُصحًا إن قبِلتُم، ومَن لم يقبَله فلينصح نفسَه

= والآجري في «الشريعة» (١٨/ باب ذكر اللفظية، ومن زعم أن هذا القرآن حكاية للقرآن الذي في اللوح المحفوظ، كذبوا)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٥٩/ ذكر اللفظية والتحذير من رأيهم ومقالاتهم)، واللالكائي (١٦/ سياق ما روي في تكفير من قال: لفظي بالقرآن مخلوق).

(١) وفي هذا بيان خطورة مقالات الجهمية وكتبهم وشروحاتهم التي نشروا فيها بدعة التجهم والتعطيل لصفات ربِّنا عَزَّوَجَلَّ، وأنها تنقض عُرىٰ الإسلام.

* وانظر قول المُصنِّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢٥٩) والتعليق عليه: (فرأينا هؤلاء الجهميةَ أفحشَ زندقةً، وأظهر كُفرًا وأقبحَ تأويلًا لكتابِ اللهِ، وردِّ صفاتِه، فيما بلغنا عن هؤلاء الزنادقةِ الذين قتلَهم عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحرَّقَهم).

وأهلَه [وولده] وإخوانَه مِن أهلِ الإسلامِ، فليَعرضه علىٰ مَن بقِيَ مِن عُلماءِ الحجازِ والعراقِ، ومَن غبَرَ مِن علماءِ خُراسانَ، حتىٰ يستقِرَّ عنده نُصحنا، وخيانةُ هذا المعارضِ للإسلامِ وأهله، فإنه أحدث أشنعَ المُحدثات، وجاء بأنكرِ المنكراتِ، ولا آمنُ علىٰ من أحدث هذا بين ظهريهم، فأغضَّوا له عنه، ولم يُنكروه عليه بجدٍّ أن يُصيبَهم الله بعقابٍ مِن عنده أو مَسخٍ، أ[و] خسفٍ، أو خذفٍ؛ فإن الخطبَ فيه أعظمُ مما يذهبُ إليه العوام؛ لأن رسولَ الله ﷺ قال: «**سيكونُ في أُمَّتِي مسخٌ، وذلك في قدريةٍ وَزِنْدِيقِيَّةٍ**».

٤١٠- حدثنا يحيىٰ الحِمَّاني، ثنا ابن المُبارك، عن حيوة بن شُريح، قال: حدثني أبو صخر حُميد بن زياد، أن نافعًا أخبره، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ قال: «**سيكونُ في أُمَّتِي مَسخٌ، وذلك في قدريةٍ وَزَنْدَقِيَّةٍ**»(١).

والتجهُّمُ عندنا بابٌ كبيرٌ مِن الزندقةِ، يُستتابُ أهلُه، فإن تابوا وإلَّا قُتِلوا، وقد رَوينا بابَ قتلهم في صدرِ هذا الكتاب(٢)، حتىٰ لقد رأىٰ عمر بن

(١) رواه أحمد (٦٢٠٨)، والترمذي (٢١٥٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٧٢٦)، واللالكائي (١٠٥٠). وفي إسناده: أبو صخر حُميد بن زياد، قال ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢٦٩): هو عندي صالح الحديث، وإنما أنكرت عليه هذين الحديثين .. وذكر منهما هذا الحديث.

(٢) انظرها برقم (٢٣٧-٢٤٨).

وقد عقد المُصنِّف بابًا فيه في كتابه «الرد علىٰ الجهمية»، فقال: (١٤/ باب الاحتجاج في إكفار الجهمية)، وقال (٢٥٩): (فرأينا هؤلاء الجهميةَ أفحشَ زندقةً، =

عبد العزيز استتابة القدرية، فكيف الجهميةُ والزنادقةُ؟!

٤١١- حدثنا القعنبي، عن مالكِ بن أنس، عن عمِّه أبي سُهيل، قال: كنتُ أُسايرُ عمر بن عبد العزيز، فقال لي: ما ترىٰ في هؤلاءِ القدرية؟

فقلتُ: أرىٰ أن تَستتيبهم، فإن تابوا وإلَّا عرضتَهم علىٰ السيفِ.

فقال عمرُ: ذلك رأيي.

قال القعنبيُّ: قال مالك: ذلك رأيي(١).

٤١٢- وحدثنا محمد بن عثمان التَّنُوخي، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن سعيد بن جُبير: أن اليهودَ قالوا للنبيِّ ﷺ: ما نِسبةُ ربِّكَ؟

فأنزلَ الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] كلَّها(٢).

٤١٣- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا أبو هلال الراسبي: أن عبد الله(٣) ابن رَواحة، قال للحَسنِ: هل تصفُ ربَّك؟

=
وأظهر كفرًا وأقبحَ تأويلًا لكتابِ اللهِ، وردِّ صفاته، فيما بلغنا عن هؤلاء الزنادقة الذين قتلَهم عليٌّ رضي الله عنه وحرَّقهم).

(١) رواه مالك في «الموطأ» (٣٣٤٢).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١١٦٣) نحوه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٥١٨): إسناده مُقارب.
وفي الباب آثار كثيرة تشهد له، ذكرها: الترمذي (٣٣٦٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٧).

(٣) في الأصل و(ب): (عبيد الله)، وما أثبته من «الرد علىٰ الجهمية» (٢١).

قال: نعم، بغيرِ مِثالٍ(١).

٤١٤- **حدثنا** سلام بن سليمان المدائني، ثنا شعبة، عن أبي جَمرة، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: ليس لله مِثْلٌ(٢).

ونحن نقول كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس لله مِثْلٌ، ولا شِبْهٌ، ولا كمثله شيءٌ، ولا كصفاتِه صفةٌ.

فقولنا: ليس كمثله شيءٌ أنه شيءٌ أعظم الأشياءِ، وخالقُ الأشياءِ، وأحسنُ الأشياء [٦٨/ ب] نورُ السماوات والأرض.

(ليس كمثله شيءٌ) يعنون: أنه لا شيءَ، لأنهم لا يثبتون في الأصلِ شيئًا، فكيف المِثلُ؟ وكذلك صفاتُه ليس عندهم شيئًا.

والدلالةُ علىٰ دعواهم هذه الخُرافاتِ والمُستحالاتِ التي يحتجون بها في إبطالها، واتخذوا قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، دلسَةً علىٰ الجُهَّالِ ليروِّجوا عليهم بها الضلالَ، كلمةُ حقٍّ يُبتغىٰ بها باطلٌ، ولئن كان السُّفهاء في غلطٍ من مذاهبهم؛ إن الفقهاءَ منهم علىٰ يقين(٣).

---

(١) رواه المُصنّف في «الرد علىٰ الجهمية» (٢١).

(٢) رواه ابن أبي داود في «المصاحف» (٢٠٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١١٤)، وابن أبي حاتم (١٣٠٦)، وهو أثر صحيح.

(٣) قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد على الزنادقة والجهمية» (٢٤) وهو يتكلم عن الجهمية: فإذا سألهم الناس عن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وما تفسيره؟ يقولون: ليس كمثله شيءٌ مِن الأشياء، وهو تحت الأرضين السبع، كما
⇦=

=
هو علىٰ العرش، لا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكانٍ دون مكان، ولم يتكلم، ولا يتكلمُ، ولا يَنظرُ إليه أحدٌ في الدنيا، ولا يَنظرُ إليه أحدٌ في الآخرة، ولا يوصف، ولا يُعرف بصفة، ولا بفعل، ولا له غاية، ولا له مُنتهىٰ، ولا يدرك بعقل، وهو وجهٌ كله، وهو عِلمٌ كله، وهو سَمعٌ كله، وهو بصرٌ كله، وهو نورٌ كله، وهو قدرةٌ كله، ولا يكون شيئين مختلفين، ولا يوصف بوصفين مُختلفين، وليس له أعلىٰ ولا أسفل، ولا نواحٍ ولا جوانب، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا هو ثقيلٌ ولا خفيف، ولا له لونٌ، ولا له جسمٌ، وليس هو بمعلوم ولا معقول، وكل ما خطر علىٰ قلبك أنه شيء تعرفه فهو علىٰ خلافه). اهـ

- وقد ذكر الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الآية ضمن الثلاث الآيات التي اعتمد عليها الجهمية في إقامة مذهبهم، فقال (٢٤): ووجد ثلاث آياتٍ في القرآن من المُتشابه: قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٣].

وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام]. فبنىٰ أصل كلامه علىٰ هؤلاء الآيات، وتأوَّل القرآن علىٰ غير تأويله، وكذَّب بأحاديث رسول الله ﷺ، وزعم أن من وصف من الله شيئًا ممَّا وصف به نفسه في كتابه، أو حدَّث عنه رسوله كان كافرًا، وكان مِن المُشبِّهة.

فأضلَّ بكلامه بَشرًا كثيرًا، وتَبِعه علىٰ قوله رجالٌ من أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب عَمرو بن عُبيد بالبصرة، ووضع دين الجهمية. اهـ

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «درء التعارض» (٥/ ١٧٥): وذكر أحمد أن الجهم اعتمد من القرآن علىٰ ثلاث آياتٍ تشتبه معانيها علىٰ من لا يفهمها: آية نفي الإدراك لينفي بها الرؤية والمُباينة، وآية نفي المثل لينفي بها الصفات، ويجعل من أثبتها مُشبِّهًا، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٣]، لينفي بها علوه علىٰ العرش، أو ليثبت بها مع ذلك الحلول، والاتحاد، وعدم مباينته للمخلوقات.
=

=

وهذه أصول الجهمية مِن المعتزلة أصحاب عَمرو بن عُبيد، ومن دخل في التجهم، أو الاعتزال، أو بعض فروع ذلك، من أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد .. إلخ.

- قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ٧٤): فأمَّا احتجاجُ الجهمية علىٰ أهلِ السنة والآثار في هذا النحو بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، فمَن القائل: إن لخالِقنا مثالًا؟ أو إن له شبهًا؟ وهذا مِن التمويه علىٰ الرَّعاع والسَّفَل، يموهُون بمثل هذا علىٰ الجهَّال، يوهمونهم أنَّ مَن وصفَ الله بما وصفَ به نفسَه في مُحكم تنزيله أو علىٰ لسانِ نبيه ﷺ فقد شبَّه الخالقَ بالمخلوقِ، وكيف يكون - يا ذوي الحجا - خلقه مثله؟! اهـ

-وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٨٦و٥٣٥): وأمَّا الرسل وأتباعهم فإنهم قالوا: إنه حيٌّ وله حياةٌ، وليس كمثله شيء في حياته، وهو قويٌّ وله القوة، وليس كمثله شيءٌ في قوَّته، وهو السميعُ البصير يسمعُ ويبصرُ، وليس كمثله شيءٌ في سمعه وبصره، ومُتكلِّم، وله يدان، ومستوٍ علىٰ عرشه، وليس له في هذه الصفات مثيل.

وقال: فعكسَ المُعطلةُ المعنىٰ فجعلوا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، جُنَّة يتترَّسون بها لنفي علوِّه سبحانه علىٰ عرشه، وتكليمه لرسله، وإثبات صفات كماله. اهـ

آخر الكتاب

والحمد لله الملك الوهاب الكريم التواب،

والحمد لله رب العالمين،

وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه

وسلم تسليمًا كثيرًا.

فرغ من نسخه يوم السبت سلخ جمادى الآخر، سنة خمس

وثلاثين وسبعمائة بالمدرسة الضيائية،

رحم الله واقفها

بسفح قاسيون ظاهر دمشق المحروسة.

فهارس الكتاب

١- فهرس الآيات المُفسَّرة

آل عمران

النساء

المائدة

الأنعام

الأعراف

الأنفال

التوبة

يونس

هود

يوسف

الرعد

إبراهيم

الحجر

النحل

مريم

الفرقان

الشعراء

النمل

القصص

الروم

السجدة

الأحزاب

سبأ

فاطر

الصافات

ص

الزمر

فصلت

الشورى

الزخرف

محمد

الفتح

الحجرات

الطور

النجم

القمر

الرحمن

الواقعة

الصف

الحديد

المجادلة

الحشر

الممتحنة

الصف

الملك

الحاقة

المعارج

المدثر

القيامة

النازعات

الفجر

التكوير

المطففين

البروج

الأعلى

الفجر

الليل

الإخلاص

٢- فهرس الأحاديث

٣- فهرس الفوائد العقدية والعلمية

الفائدة.. رقم الفقرة

الأسماء والصفات

أهل البدع ومعاملتهم

الجنة والنار

الصحابة رضي الله عنهم

الملائكة

الأنبياء

العلم

التفسير

الجرح والتعديل

الأصول

الصلاة

الجامع

٤-أسماء الرجال

٥-فهرس الفرق والمذاهب

الجهمية

الأشعرية

فهرس الموضوعات